

بداية بلانهاية

تأليف

جورج جاموف

ترجمة

محمد زاهر

علي مولا



الهيئة المشورية العسامة للكتاب

منة كتاب وكتاب هدية ثورة الشباب.. مشروع "ثورة المعرفة للجميع"

منتدى مكتبة الاسكندرية www.alexandra.ahlamontada.com

00
102111



٩٤

الألف كتاب (الثاني)

بداية بلا نهاية

الألف كتاب الثاني

الإشراف العام

و. ب. س. س. ر. ح. ا. ن.
رئيسة مجلة الإدارة

رئيس التحرير

ل. م. ع. الم. ط. ي. ع. ي.

مدير التحرير

أ. ح. م. د. ص. ل. ي. ح. ا. ت.

سكرتير التحرير

م. ح. م. و. د. ع. ب. د. ه.

الإشراف الفني

م. ح. م. د. ق. ط. ب.

الإخراج الفني

م. ر. ا. د. ن. س. ي. م.

بَدَائِيتُ بِلَلِزْهَائِيتِ

تأليف
چوچ جاموف

ترجمة
محمد زاهر المنشاوي



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٠

الاخراج الفنى : عمر حماد على

مقدمة الطبعة العربية

ان أعظم مغامرة قام بها الانسان هي محاولة ارتياد الكون وسبر أغواره ، فمنذ أقدم العصور أخذ يتطلع الى صفحة السماء ويراقب حركات النجوم والكواكب في أفلاكها ، فأذهله الاحكام الذى تتسم به حركاتها ودوراتها ورأى فيها تجسيدا لقوى خفية تتحكم فى مصائره وحظوظه ، ووضع نظريات تمتزج فيها المشاهدة بالخرافة أو بالأسطورة ليفسر نشأة الكون وآليات عمله ، ومع اتساع آفاق العلم فى عصرنا الحديث تطلع الانسان الى التعرف على القوانين العلمية التى تحكم حركة الكون ، فتكشف له كون آخر لا يقل روعة واحكاما عن ذلك الكون العظيم الذى نعيش فيه ونعنى بذلك الكون الآخر أو الكون الصغير عالم الذرة .

وعلى صفحات هذا الكتاب نقرأ قصة بحث الانسان عن القوانين التى تحكم هذين العالمين . وأهمية هذا الكتاب لا تنبع من عرضه للحقائق العلمية بل هي ترجع الى قدرته على تبسيطها للقارئ العادى الذى قد يعجز أحيانا عن فهم تلك الرؤية الجديدة للكون التى بشر بها علم الفيزياء الحديث فى مطلع القرن العشرين مع ظهور النسبية وميكانيكا الكم . وقد تبينت للانسان قوى أربع تتحكم فى آليات هذين الكونين وهى قوة الجاذبية التى تسيطر على حركات الأجرام السماوية بل وحركاتنا نحن أنفسنا وهى القوة الأساسية فى الكون الأكبر ، ثم ما يعرف بالقوة النووية الذرية الكبرى التى تمسك بعناصر نواة الذرة والقوة الكهربائية المغناطيسية التى تجعل الإلكترون يسير حول النواة والقوة النووية الضعيفة أو الصغرى التى تؤدى الى الانحلال الاشعاعى فى بعض الذرات مثل اليولانيوم وهذه القوى الثلاث الأخيرة هى التى تحكم الكون الأصغر أو عالم الذرة وهى القوة التى سمحت الى توحيدها نظريات التوحيد الكبرى الحديثة فى اطار المحاولة التى يسعى العلماء بها الى التوصل الى قانون عام واحد يمكن على أساسه تفسير حركات أو ظواهر هذين الكونين العظيمين .

وهذا الكتاب من أشهر الكلاسيكيات العلمية التى تؤرخ لتطور الفيزياء الحديثة حتى منتصف القرن العشرين وهى الفترة التى ظهرت فيها أروع نظريتين علميتين وهى النسبية وميكانيكا الكم اللتين تشكلان

أساس المحاولات الحديثة للوصول الى النظرية التوحيدية العامة . ويعتبر كتاب بداية بلا نهاية (واسمه فى الأصل ١ - ٢ - ٣ - ٠٠٠٣ مالا نهاية) من أهم الكتب التى استطاعت أن توضح للقارىء صورة الكون الرباعى الأبعاد الذى يدخل فيه الزمن كبعد رابع وعلى الرغم من ألفة القارىء الحديث لاسم هذه النظرية (النسبية) واسم واضعها (أينشتين) وكلمة البعد الرابع الا أننا قد نجد صعوبة فى فهم هذا التداخل الغريب لعنصر الزمن فى تشكيل رؤيتنا للأشياء وهذا هو الانجاز الحقيقى لكتاب بداية بلا نهاية الذى جعله من أهم كلاسيكيات تبسيط العلوم والذى نال مؤلفه جائزة من اليونسكو فى هذا المجال ، فالقارىء يخرج منه بفهم لحقيقة هذا البعد الذى قد لا يكون مؤلوفاً فى عالمنا .

واسم الكتاب مأخوذ من المتواليات الرياضية اللانهائية والتى استبدلناها فى العربية بمعناها المجازى بداية بلا نهاية الذى قد يكون أقرب الى الفهم . فالمؤلف هنا يرمى الى توضيح فكرة اللانهائية التى قد نعجز عن تصورها فى مشاهداتنا اليومية فللكل شىء بداية ونهاية ولكل شىء حد فوقى أو جانبى أو علوى ولكن فكرة اللانهائية مغايرة لعالمنا المحدود نسبياً فمع اتساع الأبعاد الفلكية والسرعة الضوئية يتلاشى مفهوم الزمان والمكان ، ولقد كان جورج جاموف مؤلف هذا الكتاب من أنصار نظرية الانفجار الكبير الذى نشأ منه الكون ومن مؤيدى نظرية التمدد الكونى التى نادى بها فريدمان والتى ترى أن الأجرام السماوية والمجرات أخذت فى التبعاد الى ما لا نهاية ، وهذا التمدد قد يكون رد فعل لحالة اختزال أولية انكمشت فيه المادة اللانهائية قبل الخليقة الى كتلة عالية الكثافة شديدة الانضغاط ثم ارتدت من جديد كما لو كانت مدفوعة بقوى المرونة الداخلية ، وهكذا قد تتوالى عمليات الانضغاط والانبساط فى لا نهائية المكان والزمان .

وجاموف أو جريجورى (جورج) جاموف هو أحد أشهر علماء الفيزياء فى القرن العشرين وولد فى ٤ مارس عام ١٩٠٤ بأوديسا بالاتحاد السوفيتى وتخرج من جامعة لننجراد عام ١٩٢٨ . وفى تلك الجامعة التقى بالفيزيائى الشهير فريدمان صاحب نظرية التمدد الكونى الذى بات جاموف أحد أشد أنصارها والمدافعين عنها حتى وفاته عام ١٩٦٨ .

وقد انتقل الى مدينة جوتنجن فى ألمانيا بعد تخرجه ووضع هناك نظريته الكمية عن النشاط الاشعاعى ثم انتقل الى كوبنهاجن حيث استمر فى دراسته للفيزياء النظرية ووضع هناك ما يعرف باسم نموذج النقطة

السائلة liquid drop التي باتت فيما بعد أساسا لنظريات الانشطار والاندماج النووي . ثم اتجه بعد ذلك الى دراسة التفاعلات الحرارية النووية داخل النجوم ، وفي عام ١٩٣٤ هاجر الى الولايات المتحدة ليعمل أستاذا للفيزياء في جامعة واشنطن ، وهناك وضع نظرية البنيات الداخلية للنجوم الحمراء في عام ١٩٤٢ .

ثم طور نظرية فريدمان التي ترى أن الكون قد نشأ عن انفجار هائل حدث منذ بلايين السنين ونشر نظريته في كتاب يسمى أصل العناصر الكيميائية .

وفي عام ١٩٤٢ اتجه الى دراسة الكيمياء الحيوية فوضع نظرية عن الشفرة الجينية Genetic code وقد ثبتت صحة هذه النظرية فيما بعد ، وكان جاموف يتمتع ببصيرة علمية صائبة فرأى بحده أنه الإشعاع الكوني الخلفي "background radiation" هو من بقايا الانفجار الكوني الكبير وقد ثبتت صحة هذا الرأي سنة ١٩٦٤ على يد العالمين أرنولد بنسياس وروبرت ولسون وكذلك ثبتت صحة نظريته عن تكوين العناصر الكيميائية ولكن شهرته الحقة جاءت في مجال تبسيط العلوم . وقد انتخب عضوا في الأكاديمية العلمية الدنماركية وأكاديمية العلوم الأمريكية تقديرا لجهوده العلمية واكتشافاته ثم اختير ليشغل كرسي الفيزياء بجامعة كولورادو حيث ظل يعمل حتى وفاته في ٢٩ أغسطس عام ١٩٦٨ .

مقدمة

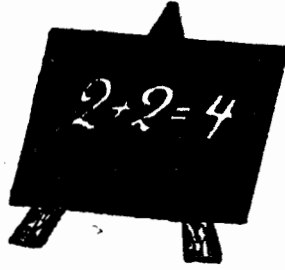
الذرات ، والنجوم ، والغيوم السديمية ، و « الانتروبيا » (*) ،
والجينات هل يستطيع الانسان أن يطوى السماء ؟ ولماذا ينكمش
الصاروخ ؟ على صفحات هذا الكتاب نتناول كل هذه الموضوعات ،
وغيرها من الموضوعات التي لا تقل عنها أهمية .

والهدف الأساسى هنا هو الجمع بين أكثر الحقائق والنظريات العلمية
اثارة حتى نعطي القارئ صورة عامة عن الكون فى شتى صورته ،
المجهرية ، والمرئية وفقا لرؤية علمائنا فى العصر الحديث وعملا على ذلك
لم أحاول - ولو محاولة - أن أعطي موضوعا ما من كافة جوانبه واضعا
فى اعتبارى أن مثل هذه المحاولة سوف تؤدى الى تأليف « موسوعة » من
عدة مجلدات . وقد راعيت ، فى الوقت ذاته ، عند اختيارى للموضوعات
أن أتعرض لكل أوجه المعرفة بايجاز دون اهمال شيء منها .

ثم رتب الموضوعات وفقا للأهمية ومدى الاثارة ، لا وفقا لبساطتها ،
مما أدى الى شيء من التفاوت فى العرض ، فبعض الفصول سهلة لدرجة
أن يستوعبها الأطفال ، والبعض الآخر يتطلب استيعابه قدرا من التركيز
والتأمل لفهمها تماما . ومع ذلك آمل ألا يجد القارئ العادى صعوبة
شديدة فى قراءة هذا الكتاب .

وأود أن أعرب عن شكرى لهذا العدد الكبير من الفنانين والرسامين
الذين جاءت أعمالهم موضحة للتركيب البنائى للأشياء ، وأساسا لكثير
من الرسوم التوضيحية التى زينت هذا الكتاب (انظر الفصل الثالث

(*) مقياس للطاقة (المترجم) .



الجزء الأول

اللعب بالأعداد



مكتبة
الشيخ محمد صالح المنجد

الفصل الأول

الأعداد الكبيرة

ما مدى قدرتك على العد ؟

هناك قصة عن اثنين من الأرستقراطيين المجريين اللذين قررا أن يلعبا لعبة يكون فيها الفوز لمن يستطيع منهما أن يذكر للآخر أكبر الأرقام ٠٠٠ وتحكى هذه القصة أن أحدهما قال « حسنا فلتبدأ أنت بذكر رقمك » . وبعد دقائق قليلة من التفكير الشديد ، ذكر الثانى أخيرا أكبر ما يعرفه من أرقام ، فقال « ثلاثة » .

والآن جاء دور الأول منها ليعمل فكره ، بيد أن الأمر انتهى به الى الاستسلام بعد مرور ربع ساعة قائلا « أنت الفائز » .

وهذان المجريان الارستقراطيان ليسا ، بالطبع على درجة عالية جدا من الذكاء (١) ، وربما كانت هذه القصة محض افتراء خبيث قصد به الاساءة الى شعب المجر ، على أن حوارا كهذا يحتفل وقوعه بين اثنين من « الهوتنتوت » (*) وليس من المجريين . والواقع أننا نجد - والعهددة على

(١) ثمة قصة أخرى تزيد هذه الحكاية فى نفس المجال وتحكى أن جماعة من المجريين الأرستقراطيين ضلوا طريقهم فى « الألب » . ويقال أن أحدهم أبرز خريطة ، وبعد وقت طويل من دراستها صاح منددهما : « الآن عرفت أين مكاننا ! » فسأل الآخرون « أين ؟ » . قال : « هل ترون ذلك الجبل الضخم ؟ اننا فوق قمته تماما » .

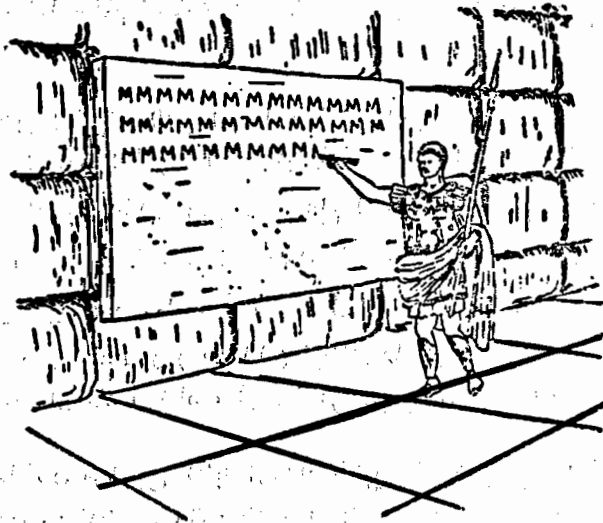
(*) شعب جنوب افريقي (المترجم) .

في حين كان الكاتب في ديوان قيصر ينون هذا الرقم هكذا :

MLMMMMMMDCCXXXII

ولابد أن الرقم الثاني مألوف لديك ، حيث أن الأعداد الرومانية لا تزال تستخدم أحيانا للإشارة إلى تسلسل المجلدات أو الفصول في كتاب ما ، أو عند التأريخ لحدث هام على لوحة تذكارية فخمة . ومع ذلك فإن حاجة القدماء إلى الأعداد لم تكن تتجاوز بضعة آلاف ، ولذا فإن الرموز الدالة على وحدات عشرية أكبر لم تكن موجودة ولو طلب من أحد الرومان أن يكتب رقم « مليون » لوقع في حرج شديد مهما كانت كفاءته .
ولما استطاع أن يفعل شيئا أكثر من كتابة ألف من الرمز M على التوالي ، الأمر الذي يتطلب عدة ساعات من العمل الشاق (شكل ١) .

وبالنسبة للقدماء كانت الأعداد الهائلة مثل ، عدد نجوم السماء ، أو عدد أسماك البحار ، أو ذرات الرمل على الشاطئ أعدادا « لا تحصى » تماما كما ينظر الهوتنتوت إلى رقم « خمسة » ، الذي يصبح عنده ببساطة « كثير » ! .



(شكل رقم ١)

شكل (١) : روماني قديم من عصر اغسطس قيصر يحاول كتابة « مليون » بالأعداد الرومانية . والمساحة المتاحة له على الحائط السبوري لا تكاد تكفي لكتابة « مائة ألف » .

ولقد احتاج الأمر الى عقل جبار مثل « أرشميدس » أحد علماء القرن الثالث المجيدين ، لكي يوضح لنا امكانية كتابة أعداد كبيرة فعلا . وفي هذا قال أرشميدس في رسالته المسماة Psammites أو « حاسب الرمال » :

« هناك البعض ممن يعتقدون أن عدد ذرات الرمال لا نهائي في كثرته ولا أعنى بذلك مجرد الرمال الموجودة في سيراقوسة (*) وصقلية فحسب ، بل عدد ذرات الرمال في أي بقعة كانت من بقاع الأرض مجتمعة ، معمورة كانت أو غير معمورة . كما أن هناك البعض ممن لا ينظرون الى هذا العدد باعتباره لا نهائيا ولكنهم مع ذلك يظنون أنه ليس في الامكان أن نحدد عددا يفوق في ضخامته عدد الرمال على الأرض . ويتضح لنا أن الذين يؤمنون بهذا الرأي لو تخيلوا كتلة من الرمال - في صورة أخرى - تبلغ في ضخامتها ضخامة الأرض بما فيها من بحار وفجوات مملوءة بالرمال حتى ارتفاع أعلى الجبال لظلوا على يقينهم بأن رقما ما لا يمكن أن يزيد عن ذلك الرقم المعبر عن ذرات الرمال في هذه الكتلة المتراكمة . ولكنني سأحاول أن أوضح أنه من بين الأرقام التي سأذكرها ، هناك أرقام تزيد عن عدد ذرات الرمال التي يمكن أن تملأ كتلة الأرض بالشكل الذي وصفته بل هناك أيضا أرقام تساوي عدد الرمال التي يمكن بها حشو الكون بأكمله .»

وتماثل الطريقة التي اتبعها « أرشميدس » في كتابة الأرقام في هذا البحث الشهير الطريقة التي نتبعها في كتابة أكبر الأعداد في العلوم الحديثة . وقد بدأ بأكبر رقم عرفه علم الحساب الاغريقي آنذاك وهو « ميرياد » أو ١٠.٠٠٠ ، ثم استحدث رقما جديدا وهو « ميرياد ميرياد » (١٠٠ مليون) وسماه « أوكتاد » أو وحدة من الرتبة الثانية . أما « الاوكتاد أوكتاد » أو (١٠ ١٦) فيطلق عليه وحدة من الرتبة الثالثة ، أو « الاوكتاد أوكتاد أوكتاد » فوحدة من الرتبة الرابعة . . . الخ .

وربما كان موضوع كتابة الأعداد الكبيرة أهون بكثير من أن نفرده له عدة صفحات من كتاب ، ولكن التوصل الى طريقة لكتابة هذه الأرقام على عهد أرشميدس كان اكتشافا عظيما وخطوة هامة نحو التقدم في علم الرياضيات ؟

(*) مدينة تقع في صقلية (المترجم) .

وحتى يمكن حساب العدد المعبر عن عدد حبات الرمال اللازمة لملاء الكون بأكمله ، كان على أرشميدس أن يعرف حجم هذا الكون .

وقد ساد الاعتقاد في ذلك العصر أن الكون مغلف بمجال بللوري تتدلى منه النجوم . وقدر عالم الفلك الشهير المعاصر لذلك الوقت (ارسطرخس الساموسي *) المسافة من الأرض الى الخط المحيط بالمجال الكوني بـ ١٠١٠ ستاديوم (٣) . أو حوالي ٩١٠ أميال وبمقارنة حجم هذا المجال بحجم ذرة الرمل أجرى أرشميدس سلسلة من العمليات الحسابية تكفي لاصابة طالب في المرحلة الثانوية بالكوابيس الليلية ، وأخيرا وصل الى هذه النتيجة :

« لقد ثبت بالدليل أن عدد ذرات الرمل التي يمكن استيعابها في فضاء مساو حجما للكون المنظور وفق تقدير أرسطرخس ، لا يزيد على ألف ميرياد من وحدات الرتبة الثامنة » (٤) .

وربما لاحظنا هنا أن تقدير أرشميدس لنصف قطر الكون كان أقل من تقدير علمائنا المحدثين . فان مسافة ٩١٠ أميال لا تتعدى المسافة بين الأرض وكوكب زحل في مجموعتنا الشمسية الا بقليل . وكما سوف نرى فيما بعد ، فقد وصلت استكشافات الكون بالاستعانة بالتلسكوب الى مسافة ٥ × ٢١١٠ . وبذا فان عدد حبات الرمال اللازمة لملاء الكون المنظور سوف تزيد عن : ١٠٠١٠ (أي «١» وعلى يمينه ١٠٠ صفر) وهذا الرقم يزيد بالطبع عن العدد الكلي للذرات في الكون ، وهو ٣ × ٧٤١٠ كما ذكرنا في مستهل هذا الفصل ، ولكن ينبغي ألا يغيب عنا أن الكون ليس مشحونا بالذرات ، فالحقيقة أن كل متر مكعب من الفضاء يحتوي في المتوسط على ذرة واحدة فقط تقريبا .

(*) من مواطني جزيرة « ساموس » الواقعة في بحر ايجه (المترجم) .

(٣) يساوي ال « ستاديوم » الاعريقي ٦٠٦ من الاقدام أو ١٨٨ مترا

(٤) أي وفقا لمفهوما ؛ ألف ميرياد × (١٠ مليون) × (١٠٠ مليون) ×

الدرجة الثالثة الدرجة الرابعة الدرجة الخامسة

(١٠٠ مليون) × (١٠٠ مليون) × (١٠٠ مليون) ×

الدرجة السادسة الدرجة السابعة الدرجة الثامنة

(١٠٠ مليون) × (١٠٠ مليون) × (١٠٠ مليون) ×

(١٠٠ مليون) × (١٠٠ مليون) × (١٠٠ مليون) ×

أو ببساطة ٦٣١٠ . (أي «١» و ٦٣ صفرا على يمينها)

على أننا في غنى تماما عن هذه المبالغة ، وحششو الكون بالرمال للحصول على أعداد كبيرة جدا . والواقع أن هذه الأعداد قد تطفو على السطح عند معالجة أمور تبدو لأول وهلة وكأنها مسائل غاية في البساطة ، لا نتوقع منها مطلقا ناتجا يزيد عن عشرة آلاف .

وقد كان « شيرهام » أحد ملوك الهند من بين ضحايا الأرقام الخادعة إذ تقول إحدى الأساطير القديمة ، انه أراد أن يكافئ « سيسا بن ظهر » وزيره الأكبر على ابتكاره للعبة الشطرنج وتقديما اليه فبدا وزيره الأكبر غاية في القناعة ! إذ قال له وهو راكع بين يديه « مولاي ! مر لي بحبة قمح في المربع الأول من رقعة الشطرنج وحبتي في المربع الثاني ، ثم أربع حبات في الثالث ، ثم ثمان في الرابع . وضاعف الرقم يا مولاي في كل مربع تال واعطني ما يكفي أربعة وستين مربع .

قال الملك ، وقد سره هذا الاقتراح ظنا منه أنه لن يكلفه الا قليلا « لقد سألت أمرا يسيرا يا خادمي المخلص وما كنت لأخيـب رجاءك » . ثم أمر بجوال من القمح ، الا أنه عندما بدأ بحبة في المربع الأول فائنتين في الثاني ، ثم أربع في الثالث وهلم جره ٠٠٠ فرغ الجوال قبل المربع العشرين فأحضر الخدم مزيدا من الأجولة ، لكن الرقم المطلوب في كل مربع لاحق أخذ في التزايد بسرعة رهيبية حتى بدا واضحا بعد قليل أن محصول القمح الهندي بأكمله لن يسعف الملك في تنفيذ وعده للوزير .



(شكل رقم ٢)

شكل (٢) : سيسا بن ظاهر الوزير الأكبر والرياضي الماهر يطلب المكافأة من « شيرهام » ملك الهند .



وأنه يلزم لذلك عدد ١٨٩٤٤٦٧٤٤٤٠٧٣٧٠٩٥٥١٦١٥ (٥) حبة قمح

وهذا الرقم ، على ضخامته أقل من عدد ذرات الكون ولكنه رقم كبير على أية حال . وبفرض أن البوشل (*) يحتوى على حوالى ٥ ملايين قمحة نجد أن المرء بحاجة الى حوالى ٤×١٢١٠ بوشل ليلى بمطلب سيسيسا . ولما كان متوسط انتاج القمح فى العالم ٢×٩١٠ بوشل سنويا فان الكمية التى طلبها الوزير الأكبر تعادل الانتاج العالمى من القمح لفترة ألفى عام تقريبا .

وهكذا وجد الملك شيرهام نفسه غارقا فى دينه للوزير ، ولم يكن بمقدوره الا أن يواجه طلباته الملحة باستمرار أو يضرب عنقه . وأغلب الظن عندى أنه اختار الحل الثانى .

وهناك قصة أخرى الدور الرئيسى فيها لعدد كبير ، وهى من الهند أيضا ، وتتعلق بمشكلة « نهاية العالم » ، اذ يروى (بول Ball (٦) مؤرخ « عجائب الأرقام » ، ما يلى :

فى معبد « بنارس » العظيم ، يوجد أسفل القبة التى تحدد مركز العالم صحن نحاسى به ثلاث ابر من الماس ، ارتفعا كل منها ذراع (الذراع الواحد حوالى ٢٠ بوصة) ، وسمكها سمك جسد النحلة تقريبا . وفى بدء الخليقة وضع الاله على احدى هذه الابرة أربع وستين قرصا من الذهب الخالص ، استقر أكبرها على الصحن النحاسى ، بحيث تعلوه بقية الأقراص الأصغر فالأصغر وهكذا حتى نهاية الابرة ، فكان ما يعرف « ببرج براهما » . ويقوم الكاهن المكلف بالخدمة بنقل هذه الأقراص من ابرة لأخرى ليلا نهارا نزولا على تعاليم براهما الخالدة الراسخة ، والتى

(٥) عدد حبات القمح التى طلبها هذا الوزير الذكى يمكن وضعه على الصورة الآتية : $١ + ٢ + ٢ + ٣ + ٠٠٠ + ٦٢٢ + ٦٣٢ + ٦٤٢$. وهو تتابع من الأرقام يزيد كل حد فيه عن السابق بنفس القدر وباستمرار (الأساس فى هذه الحالة هو ٢) . وهذا التتابع يعرف بالتوالي الهندسية ويمكن ايجاد مجموع الحدود فيها برفع الأساس الثابت (وهو ٢ هنا) الى الاس الذى يمثل عدد حدود المتوالي (٦٤) مع طرح رقم الحد الاول (١) ثم قسمة الناتج السابق على الأساس ناقصا (١) وهذا يوضع على الصورة الآتية :

$$\frac{١ - ٦٤٢}{١ - ٢} = ١ - ٢ \times ٦٣٢$$

ويمكن كتابة الرقم على الوجه التالى ١٨٩٤٤٦٧٤٤٤٠٧٣٧٠٩٥٥١٦١٥

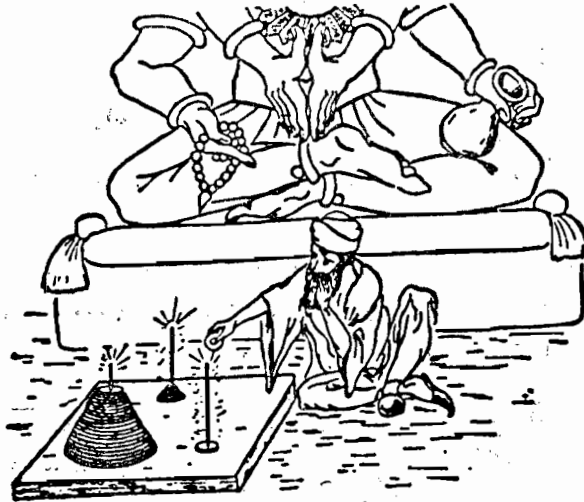
(*) مكبال للحبوب يساوى ٣٠٢٨٢٤٨ لترا فى الولايات المتحدة (للترجم)

W. W. R. Ball, Mathematical Recreations and Essay (The Macmillan Co., New York, 1939).

تقضى بأن يقوم الكاهن بنقل قرص واحد في كل مرة ، وعليه أن يرتب هذه الأقراص بنفس النظام الأكبر فالأصغر دون إخلال بهذه القاعدة . وعندما يتم نقل الأربعة وستين قرصا بالطريقة السابقة من الابرة الأصلية حيث وضعها الإله في بداية الخليقة الى ابرة أخرى فان البرج والمعبد ومعابد البراهمة الأخرى ستصبح أثرا بعد عين ، ويفنى العالم اثر ساعة مدوية .

ويعبر شكل (٣) عما أوضحناه سابقا من طقوس فيما عدا أن عدد الأقراص فيه أقل ، ويمكنك أن تجرب هذا العمل بنفسك باستخدام أقراص من الورق المقوى بدلا من الذهب ، ومسامير حديدية بدلا من الماس الذي نجده في الاسطورة الهندية .

ان معرفة القاعدة العامة التي يتم على أساسها نقل الأقراص ليست بالأمر الصعب ، فإذا ما عرفتتها ستدرك أن نقل كل قرص يتطلب ضعفي عدد النقلات في القرص السابق الأكبر منه ، فالقرص الأول يتطلب نقله واحدة ، ولكن العدد يتضاعف بعد ذلك في كل قرص تال ، وبذلك عند الوصول الى آخر قرص (رقم ٦٤) نجد أن النقلات اللازمة تساوي عدد



(شكل رقم ٣)

الشكل رقم (٣) : احد الكهان وهو مشغول بمشكلة « نهاية العالم » ونرى خلفه تمثالا ضخما لبراهما . وعدد الأقراص المبين بالشكل يقل عن ٦٤ قرصا وذلك لصعوبة رسم هذا العدد منها .

حبات القمح التي طلبها سيسا بن ظاهر (٧) .

والآن ما المدة اللازمة لنقل الأربعة والستين قرصا في برج براهما من ابرة الى أخرى ؟ لنفرض أن الكهنة قد مارسوا عملهم ليل نهار ، دون اجازات أو عطلات ، وأن كل نقلة تستغرق ثانية .. ولما كانت السنة تساوى ٣١٥٥٨٠٠٠ ثانية فان الزمن المطلوب لانجاز المهمة لن يقل عن ثمانية وخمسين بليوناً من الأعوام .

ومن المشوق أن نقارن بين عمر الكون وفقا لتلك الاسطورة وتقديرات علمائنا في هذا العصر . وطبقا للنظرية المعاصرة عن نشأة الكون ، أى النجوم ، والشمس ، والكواكب بما فيها الأرض التي نعيش عليها ، فقد نشأ كل هذا منذ 3×10^9 عاما عن كتل غير محددة المعالم . ونحن نعرف أيضا أن « الوقود الذرى » الذى يشحن النجوم بالطاقة ومنها شمسنا سوف ينفد بعد 10^{10} أو $10^9 \times 10^{10}$ من الأعوام انظر فصل « أيام الخلق » وهكذا نرى أن اجمالى عمر الكون يقل بالتأكيد عن 2×10^{10} من الأعوام فأين هذا من عمر الكون الذى تحدده الأسطورة وهو 58×10^{13} ، ولكنها على أية حال مجرد أسطورة .

وربما كان أعلى الأرقام التى دونت ذلك الذى ورد فى « مشكلة السطر المطبوع » الشهيرة . ولنفرض أننا صنعنا آلة طباعة تعمل دون توقف سطرًا بعد آخر ، وهى فى ذلك تتعامل مع عدد من الحروف الأبجدية والرموز الطبيعية بشكل أتوماتيكى .

ان هذه الآلة ستتكون من عدد من الأقراص المنفصلة التى تحتوى حافتها الخارجية على كافة الرموز والحروف ، وتترتب هذه الأقراص مع بعضها كما فى أقراص عداد السيارات (سواء بالأميال أو الكيلومترات) بحيث تؤدى دورة كاملة فى قرص الى حركة واحدة فيما يليه . وتتم الطباعة بالضغط آليا على الورق عند خروجه من لفته (رول) مع كل حركة . ويمكن اعداد هذه الآلة دون صعوبة جمة ونرى فى شكل (٤) رسما ايضا حيا لها .

(٧) لو كان ما لدينا لا يزيد عن سبعة أقراص فان عدد الحركات المطلوبة هو :

$$1 + 2 + 2^2 + 2^3 + 2^4 + 2^5 + 2^6 = 1 - 2^7 = 1 - 127 = 127$$

وإذا نقلت الأقراص بسرعة ودون خطأ فان الأمر يستغرق ذلك حوالى ساعة لانتماء المهمة ومع ٦٤ قرصا فان العدد الكلى للحركات المطلوبة هو :

$$1 - 64^2 = 1 - 4096 = 4095$$

وهو نفس عدد حبات القمح التى طلبها سيسا بن ظاهر .

ولكن مهلا هناك أيضا كل ما كتبه العقاد حتى على الأوراق التي ألقاها
بنفسه في سلة مهملاته (*) !! THE PRINCE GHAZI TRUST FOR QURĀNIC THOUGHT

والحقيقة أن مثل هذه المطبعة سوف تطبع لنا كل ما كتب على الإطلاق
في تاريخ البشرية منذ أن عرفت الكتابة ، كل سطر من نثر أو شعر ،
كل مقالة تصدرت جريدة أو إعلان ظهر فيها ، وكل مجلد ثقيل من
الأبحاث العلمية ، وكل خطاب كتبه عاشق أو عاشقة ، وكل ملاحظة حوتها
ورقة مكتوبة لمحصل الكهرباء أو الغاز ...

بل ان الماكينة سوف تطبع كل شيء ينتظر حدوثه في القرون
القادمة . فعلى « الرول » الخارج منها سوف نجد شعر العصر الجاهلي ،
والاكتشافات العلمية في المستقبل وتراجم الكلمات التي ستلقى في الدورة
رقم ٥٠٠ للكونجرس الأمريكي ، وسردا لأخبار حوادث الصدام بين
الكواكب في عام ٢٣٤٤ . وعلى هذا الورق سنجد صفحات وصفحات من
القصص القصيرة ، والروايات المطولة ، التي لم تخطها يد انسان بعد ،
وما على الناشرين الذين يحتفظون بهذه الماكينات في بدروم مطابعهم الا أن
يختاروا وينتقوا ما يصلح للنشر من بين التفاهات ، وهو أمر ليس بجديد
عليهم على كل حال .

فلم لا يفعلون ذلك !!؟ .

حسن ، هيا نحصى عدد السطور التي يمكن للماكينة أن تطبعها
حتى نحصل على جميع السطور التي يمكن طباعتها من بين الحروف الأبجدية
والرموز ، هناك ثمانية وعشرون حرفا في الأبجدية العربية ، وعشرة أرقام
(١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠) (**) ، واثنتا عشرة علامة (الفراغ ،
النقطة ، الفاصلة ، النقطتان ، الفاصلة المنقوطة ، علامة الاستفهام ،
علامة التعجب ، والشرطة ، وعلامات التنصيص ، والأقواس ، والشرطة
المائلة ، والحواسر [] أي ٥٠ رمزا . ولنفرض أيضا بالآلة ٦٥ عجلة
تقابل ٦٥ مكانا (لحرف أو لرقم أو علامة) باعتبارها متوسطا لسطر مطبوع .
وقد يبدأ السطر بأى علامة وهكذا نجد لدينا ٥٠ احتمالا . ولكل واحد
من هذه الاحتمالات هناك خمسون احتمالا بالنسبة للعلامة أو الحرف الذي
يأتي بعده أي $50 \times 50 = 2500$ احتمال ويأتي الحرف الذي يليه فنجد

(*) في الأصل شكسبير وهو كاتب مسرحي وشاعر انجليزي معروف . ولكني
استبدته بالعقاد أولا ليناسب المثال بعد ترجمته وثانيا لتنوع وثراء إنتاجه ، رحمه الله .
(**) (★★) الواقع أن هذه الأرقام ليست عربية بل هندية ، والأرقام العربية هي التي
يجن الكثيرون الآن (عدا أهل المغرب العربي) انها افرنجية وهي :
(..... 4 - 3 - 2 - 1)

أيضا خمسين احتمالا وهكذا فى كل حرف يليه . ويمكن بيان عدد التوليفات الممكنة فى السطر كله كما يلي :

THE PRINCE GHAFAR TRUST
FOR QURANIC THOUGHT

٦٥ مرة

$$50 \times 50 \times 50 \times 50 \times 50$$

$$650$$

أو

$$11010$$

أى ما يساوى

ولكى تشعر بهول هذا الرقم ، افترض أن كل ذرة فى الكون تمثل آلة طباعة منفصلة عن الأخرى ، فىكون لدينا 3×7410 آلة طباعة تعمل فى وقت واحد . وزد على ذلك الافتراض بأن هذه الماكينات لم تتوقف عن العمل منذ خلق الكون أى منذ 3×910 سنة ، أو 1710 ثانية على أن تطبع بسرعة الاهتزازات الذرية أى 1510 سطرا فى الثانية ، فىكون لدينا الآن : $3 \times 7410 \times 1710 \times 1510 = 3 \times 10610$ سطر مطبعى وهذا لا يكاد يفى $\frac{1}{4}$ فى المائة من الرقم الكلى المطلوب . وزد على ذلك أننا بحاجة الى دهر طويل للاختيار بين هذه السطور المطبعية الاتوماتيكية .

٢ - كيف تعد المالاينيات ؟

تعرضنا فيما سبق لأعداد أغلبها رهيب جدا . ولكن على الرغم من أن هذه الأعداد مثل حبات قمح سيسا بن ظاهر أضخم من قدرتنا على التصور الا أنها قابلة للحساب ويمكن للمرء تدوينها عن آخرها لو أعطى الوقت الكافى . على أن هناك فعلا أعدادا لا نهائية تزيد عن أى عدد قابل للتدوين مهما كان الزمن المتاح . ومن ثم فان عدد « جميع الأعداد » يعتبر عددا لانهايا ، وكذا « عدد النقاط الهندسية على خط مستقيم » ، فهل يمكن وصف هذه الأعداد الا بأنها لا نهائية ، أو هل نستطيع مثلا أن نقارن بين عددين لا نهائيين لنرى أيهما أكبر من الآخر ؟

هل يعقل أن نسأل : أيما أكبر ؟ عدد الأرقام كلها أم عدد النقاط الهندسية الواقعة على خط مستقيم ؟ لقد كان « جورج كانتور G. Cantor الرياضى الشهير انذى يدعى بحق مؤسس علم « الحساب اللانهائى » أول من تعرض لهذه القضايا التى تبدو لأول وهلة ضربا من ضروب الخيال .

ولو أردنا أن نتكلم عن أكبر الأعداد اللانهائية وأصغرها لواجهتنا مشكلة المقارنة بين أعداد ليس بمقدورنا حسابها أو كتابتها ، وهى لا تختلف تقريبا من هذه الناحية عن محاولة أحد « الهوتنتوت » لاحصاء محتويات الصندوق الذى يحتوى على ثروته ، أو رغبته فى معرفة



(شكل رقم ٥)

شكل رقم (٥) مواطن افريقي يقارن مع البروفسور ج. كانتور ارقاما تفوق قدرتها على العد .

ان كان عدد خرزات الزجاج التي يملكها أكبر من عدد العملات النحاسية التي بحوزته أم لا . ولكن الهوتننوت لا يستطيعون العد لأكثر من ثلاثة كما قد تذكر . اذن هل سيتخلى هذا الافريقي عن كافة محاولاته للمقارنة بين عدد خرزات الزجاج وعدد العملات النحاسية لأنه لا يستطيع عددهما ؟ والجواب هو بالطبع لا . فلو كان على قدر كاف من الذكاء فسوف يجري المقارنة بينهما واحدة بواحدة . ولسوف يضع خرزة في مقابل أولى عملاته ، ثم خرزة أخرى أمام العملة الثانية وهكذا فاذا ما نفذ الحرز في الوقت الذي تبقى فيه بعض العملات ، فسيعرف أن العملات المملوكة له أكبر عددا من الحرز والعكس صحيح . واذا نفذ الاثنان معا فسيعرف أن عدد الحرز مساو لعدد العملات .

وهذه الطريقة هي نفس الأسلوب الذي اقترحه كانتور في مقارنة عددين لا نهائين ، فاذا تمكنا من المزاوجة بين مفردات مجموعتين لا نهائيتين بحيث نضع أمام كل وحدة في هذه المجموعة وحدة أخرى في المجموعة الثانية بحيث لا تبقى وحدة مفردة لدل ذلك على تساويهما . واذا لم نتمكن من ذلك بحيث تبقى بعض وحدات المجموعة الأولى دون مقابل في الثانية كان ذلك دليلا على أن هذه المجموعة أكبر من الأخرى ، أو يمكن ان نقول أقوى في لا نهائيتها من المجموعة الأخرى .

وهذه بالتأكيد أقرب القواعد الى العقل ، بل هي في الواقع القاعدة الوحيدة الصالحة للتطبيق عند المقارنة بين كميتين لانهايتين ، على أننا

يجب أن نعد أنفسنا لبعض المفاجآت عند البدء في تطبيقها بالفعل ، خذ على ذلك مثلا المقارنة بين الأعداد الفردية وكل الأعداد الزوجية . سوف تشعر ، بدهشة بالطبع ، أن عدد الأرقام الفردية يساوي تماما عدد الأرقام الزوجية ، وهذا يتفق تماما مع القاعدة التي سبق ذكرها ، إذ أن مقابلة الأرقام بعضها يمكن إجراؤها كما يلي :

١٩	١٧	١٥	١٣	١١	٩	٧	٥	٣	١
⇕	⇕	⇕	⇕	⇕	⇕	⇕	⇕	⇕	⇕
٢٠	١٨	١٦	١٤	١٢	١٠	٨	٦	٤	٢

فهناك رقم فردي لكل رقم زوجي في الجدول والعكس بالعكس ، إذن فلا نهائية الأرقام الفردية تتساوى مع لا نهائية الأرقام الزوجية والحق أن هذه النتيجة تبدو منطقية تماما وواضحة .

ولكن تمهل دقيقة ! . أي العددين أكبر في اعتقادك ؟ :

عدد الأرقام الزوجية والفردية معا أم عدد الأرقام الزوجية وحدهما ؟ بالطبع سوف نقول ان عدد الأرقام الزوجية والفردية أكبر ، إذ أنه يتضمن جميع الأعداد الزوجية بالإضافة الى الفردية .

ولكن الأمر يختلف عما تعتقد ، ولكي تحصل على النتيجة الصحيحة عليك أن تطبق القاعدة السابقة للمقارنة بين مجموعتين لا نهائيتين حدا - بحد فاذا ما استخدمتها ، وجدت - ولسوف يدهشك ذلك - أن ما تعتقده غير صحيح فالحقيقة أن جدول المقارنة ، حد مقابل حد ، بين كل الأعداد من ناحية والأعداد الزوجية من ناحية أخرى سوف يتمخض عن التالي :

٩	٨	٧	٦	٥	٤	٣	٢	١
⇕	⇕	⇕	⇕	⇕	⇕	⇕	⇕	⇕
١٨	١٦	١٤	١٢	١٠	٨	٦	٤	٢

وفقا لقاعدتنا في المقارنة ، نحن لا محالة قائلون ان لا نهائية الأرقام الزوجية تتساوى تماما مع لا نهائية كل الأرقام . وبالطبع يبدو ذلك متناقضا ، ذلك أن الأعداد الزوجية لا تمثل الا جزءا من جميع الأعداد ولكن علينا أن نتذكر أننا نتعامل مع الأعداد اللانهائية ، ولا مفر لنا من أن نعد أنفسنا لمواجهة خواص شاذة .

فصدق أو لا تصدق في عالم المالا نهائية قد يتساوى الجزء مع الكل ؟؟ وخير ما يوضح ذلك ، هذا المقال المأخوذ مما روى عن الرياضى الألماني

الشهير « دافيد هيلبرت David Hilbert » الذي عالج هذه الخاصية للأرقام اللانهائية في إحدى محاضراته (٨) مستخدماً المثال الآتي :

(لتخيل فندقاً به عدد محدد من الغرف ، ولنفترض أن كافة هذه الغرف مشغولة . ثم يصل نزيل جديد ويطلب غرفة فيرد الموظف قائلاً : « عذراً ، فإن كافة الغرف مشغولة » . والآن دعونا نتصور فندقاً آخر به عدد لا نهائي من الغرف وهي مشغولة بالكامل أيضاً ، ويصل نزيل جديد يطلب حجراً ، سيرد الموظف « أهلاً بك » . ثم ينقل الشخص الذي كان يحتل غرفة رقم ن ١ الى غرفة رقم ن ٢ ، وينقل الأخير الى غرفة ن ٣ ، ونزيل ن ٣ الى ن ٤ وهلم جرة ، ثم ينزل النزيل الجديد في الغرفة ن ١ التي تصبح خالية نتيجة لهذه التنقلات والآن لتتصور فندقاً به عدد لا نهائي من الحجرات المشغولة ، وعدد لا نهائي من النزلاء الجدد الذين يأتون طالبين الإقامة في الفندق ، وسوف يرد الموظف « بالطبع أيها السادة نحن في خدمتكم ، دقيقة واحدة » . ثم ينقل نزيل الغرفة ن ١ الى ن ٢ ، ونزيل ن ٢ الى ن ٤ ، ون ٣ الى ن ٦ وهكذا دواليك . . . والآن أصبحت كافة الغرف ذات الأرقام الفردية خالية ، ويمكن بذلك اعطاء جميع النزلاء غرفاً في الفندق بسهولة .

حسن . . . قد يصعب علينا أن نتخيل هذه الظروف التي وردت في محاضرة هيلبرت حتى في حكايات « ألف ليلة وليلة » ، ولكن هذا يفيد بالتأكيد في ايضاح الفكرة التي مؤداها أنه عندما نتعامل مع أعداد لا نهائية ، فاننا نواجه خواصاً تشذ نوعاً عن الخواص المعتادة في الرياضيات العادية .

وباتباع قاعدة « كانتور » (Cantor) نستطيع أيضاً أن نبرهن على أن عدد الكسور الاعتيادية مثل $\frac{3}{7}$ ، $\frac{5}{8}$ يتساوى مع عدد الأرقام الصحيحة . والحقيقة أنه بمقدورنا ترتيب كافة الكسور الاعتيادية في صف وفقاً للقاعدة الآتية :

« في البداية اكتب الكسور التي يساوي مجموع البسط والمقام فيها رقم ٢ ، ولن تجد الا كسراً واحداً من هذا النوع وهو بالتحديد $\frac{1}{1}$ ثم اكتب الكسور التي يكون مجموع البسط والمقام فيها ٣ وسوف تجد كسرين هما : $\frac{1}{2}$ ، $\frac{2}{1}$ ثم الكسور التي مجموع البسط والمقام فيها يساوي ٤ وهي $\frac{1}{3}$ ، $\frac{2}{2}$ ، $\frac{3}{1}$ وهكذا . . . واتباع هذا الاجراء ستجد

(٨) نقلاً عن « المجموعة الكاملة لتقصير هيلبرت » وهو عمل لم يكتب له أن يرى النور وهو كنت التصص المنظمة فيه متداولة على نطاق واسع . (من تأليف ر. كورانت) .

تتابعاً لا نهائياً من الكسور يحتوى على أى كسر يمكن تصوره (شكل ٥)
والآن اكتب فوق هذه الكسور متوالية من الأعداد الصحيحة طبقاً ، لقاعدة
حد مقابل حد للمقارنة بين لا نهائية الكسور ولا نهائية الأعداد الصحيحة .
وستجد أنهما متساويان .

وربما قلت « هذا شيء لطيف جداً ، ولكن أليس معنى ذلك أن جميع
اللانهايات متساوية مع بعضها البعض ؟ وإذا كان الأمر كذلك ،
فما جدوى المقارنة إذن ؟ » .

كلا فالأمر ليس كذلك ، فإذا تعرضنا للسؤال الذى أوردناه من قبل
فى هذا الفصل ، عن عدد النقاط فى خط بالمقارنة مع عدد الأعداد
الصحيحة ، لوجدنا أن هذين العددين غير متساويين ، فعدد النقاط فى خط
يزيد كثيراً عن كل من الأعداد الصحيحة أو الكسور . ولائبات ذلك دعنا
نحاول تطبيق قاعدة التناظر على النقاط الواقعة على خط مستقيم طوله
بوصة واحدة مثلاً : ان كل نقطة على الخط تحدد بالمسافة بينها وبين احدى
نهايتى هذا الخط ويمكن كتابة هذه المسافة فى صورة كسر عشرى لا نهائى
مثل 0.7350624780056000 أو 0.375632000382509 . إذن
علينا أن نقارن بين الأعداد الصحيحة محلها ، والكسور العشرية الممكنة
واللانهاية .

والآن ما الفرق بين الكسر العشرى والكسر الاعتيادى مثل $\frac{3}{7}$
أو $\frac{1}{6}$ ؟ لا بد وأنك تذكر من دراستك للرياضيات أن كل كسر اعتيادى
يمكن تحويله الى كسر عشرى تقريبي . وهكذا فإن $\frac{1}{6} = 0.166666 = 0.166666(6)$
و $\frac{3}{7} = 0.428571 \dots$. وقد ذكرنا فيما سبق أن عدد الكسور الاعتيادية
(0.428571) يتساوى مع العدد الكلى للأرقام الصحيحة ، وهكذا فان الكسور
العشرية المقربة لا بد وأن تتساوى مع الأعداد الصحيحة أيضاً . ولكن
النقاط الموجودة فى خط مستقيم لا تمثل بالضرورة الكسور العشرية
المقربة . ففى أغلب الأحيان سنحصل على كسور لا نهائية يبدو فيها الرقم
العشرى دون أى تقريب اطلاقاً ، ومن السهل عندئذ أن يتضح لنا أنه
لا يمكن الحصول على ترتيب خطى .

افترض أن شخصاً ما يزعم أن بمقدوره اجراء هذا الترتيب على
الصورة التالية :

(٩) جميع هذه الكسور يقل عن الواحدة اذ أننا قد فرضنا ان طول الخط يقل عن
بوصة .

- ١ ٠٠٣٨٦٠٢٥٦٣٠٧٨٠٠٠
٢ ٠٠٥٧ ٣٥٠٧٦٢٠٥٠٠٠
٣ ٠٠٩٩٣٥٦٧٥٣٢٠٧٠٠٠
٤ ٠٠٢٥٧٦٣٢٠٠٤٥٦٠٠٠
٥ ٠٠٠٠٠٠٥٣٢٠٥٦٢٠٠٠
٦ ٠٠٩٩٠٣٥٦٣٨٥٦٧٠٠٠
٧ ٠٠٥٥٥٢٢٧٣٠٥٦٧٠٠٠
٨ ٠٠٠٥٢٧٧٣٦٥٦٤٢٠٠٠
.....
.....

ولما كان يستحيل كتابة الأعداد اللانهائية ، وفي مقابلها جميع الكسور العشرية اللانهائية ، فان الدعوى السابقة تعنى أن من يكتب الجدول لابد أنه يستند على قاعدة عامة (مثل القاعدة التي استندنا إليها عند ترتيب الكسور الاعتيادية) ، ووفقا لهذه القاعدة يتم ترتيب الجدول ، وهي تضمن أن أى كسر عشرى يمكن تصوره لابد أن يحتوى الجدول عليه .

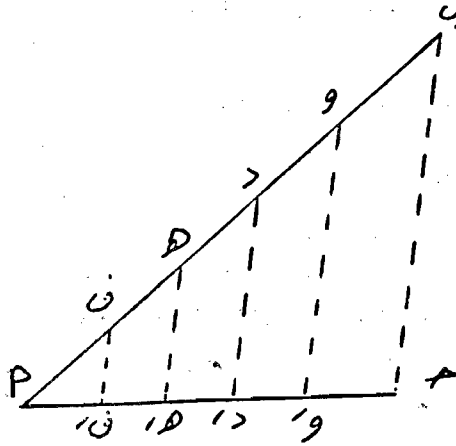
وليس من الصعب اطلاقا ايضاح أن أى زعم من هذا القبيل يمكن تفنيده ، إذ أننا نستطيع دائما أن نكتب رقما عشريا لا يتضمنه هذا الجدول ، وكيف يمكن ذلك ؟ .. الاجابة سهلة ، ما عليك الا أن تكتب الكسر المحتوى على أول رقم عشرى مخالف للموجود أمام العدد (١) فى الجدول ، والرقم العشرى الثانى المختلف عن مقابل العدد (٢) وهكذا . وسوف تحصل على رقم يتشابه نوعا مع الأرقام التالية :

٢	١	٧	صفر	٤	٧	٢	٥
وليس	وليس	وليس	وليس	وليس	وليس	وليس	وليس
٥	٣	٦	٥	٦	٣	٧	٣

ولن تجد هذا الرقم فى الجدول مهما بحثت عنه . فإذا ما أجاب صاحب الجدول بأنك سوف تجد هذا الكسر مقابل رقم ١٣٧ (أو أى رقم آخر) فيمكنك أن تجيب فى الحال « كلا فهو ليس نفس الرقم ذلك أن الكسر العشرى الموجود أمام رقم ١٣٧ فى جدولك يختلف عن ذلك الكسر الموجود أمام رقم ١٣٧ فى جدولى » .

وهكذا يستحيل وضع جدول تناظري بين النقاط على خط مستقيم والأعداد الصحيحة وهذا يعني أن لا نهائية نقاط الخط المستقيم تزيد ، أو هي أقوى من لا نهائية جميع الأعداد الصحيحة أو الكسور .

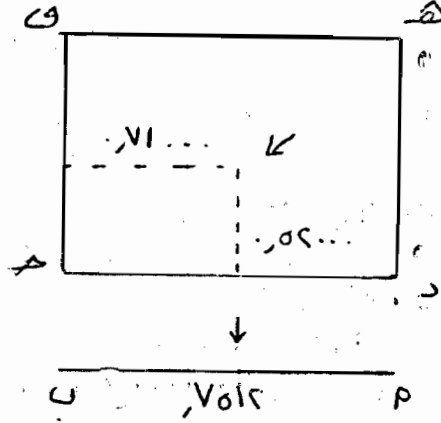
لقد عالجنا النقاط على خط طوله « بوصة واحدة » ولكن من السهل الآن أن نبين ، تطبيقاً للقواعد الخاصة « بالحساب اللانهائي » أن النتيجة التي سبق الوصول إليها تصح في جميع الأطوال . والحقيقة أن عدد النقاط الهندسية الموجودة على خط طوله سنتيمتر واحد ، يساوي نقاط خط طوله متر أو حتى كيلومترات . وحتى يتسنى لك إثبات ذلك ما عليك إلا أن تلقى نظرة على شكل رقم (٦) الذي تقارن فيه بين عدد النقاط على خطين مختلفين في الطول أ ب ، أ ج . وحتى يمكن إجراء مقارنة حد مقابل حد نرسم خطاً يصل كل نقطة على الخط أ ب ، بنقطة على الخط أ ج بحيث يوازي الخط ب ج ، على أن تعطى رموزاً مثل ف ف لخط ما ، و ه ه لخط آخر ، و د د لخط ثالث الخ وسوف تجد أن لكل نقطة على الخط أ ب هناك نقطة على الخط أ ج والعكس بالعكس ، ولذا فطبقاً لقاعدتنا في مقارنة اللانهائيات يتساوى عدد النقاط .



شكل (٦)

والأعجب من ذلك ، هذه النتيجة التي تتضمنها العبارة التالية :
إن عدد النقاط الموجودة على خط واحد يساوي عدد النقاط الموجودة في مستوى ولائيات ذلك ، أمعن النظر في النقاط الموجودة على الخط أ ب بطول بوصة واحدة والنقاط داخل المربع ج د ه ه ف ، (شكل ٧) .

ولنفرض أن موضع نقطة ما على الخط يتحدد برقم ٠٧٥١٢٠٣٨٦٠٠
 مثلا بإمكاننا أن نحلل هذا العدد الى عددين مختلفين باختيار موضعين
 عشريين أحدهما فردي والآخر زوجي ، ووضعهما معا فنحصل على
 الرقمين : ٠٧١٠٨٠٠٠ ، ٠٥٢٣٦٠٠٠ (*)



(شكل رقم ٧)

قس المسافة التي يحددها هذان الرقمان على المحورين الرأسى والأفقى
 للمربع ، ويطلق على هذه النقطة « النقطة مزدوجة » للنقطة الأصلية
 على الخط ٠ وبالعكس ، اذا وجدت نقطة داخل المربع لها احداثيان ،
 نفترض أنهما ٠٤٨٣٥٠٠٠٠ ، ٠٩٩٠٧٠٠٠٠ سوف نحصل على النقطة
 المقابلة على الخط ، التي يحددها الرقم : ٠٤٩٨٩٣٠٥٧٠٠٠

ومن الواضح أن هذا الاجراء يمكننا من انشاء علاقة تناظر بين هذين
 النوعين من النقاط ، فكل نقطة على الخط سوف تقابلها نقطة مزدوجة داخل
 المربع ، ولن تبقى نقطة واحدة بغير مقابل لها .

وبالمثل يمكن اثبات أن لا نهائية النقاط على مكعب ، تتساوى مع
 لا نهائية النقاط داخل مربع أو على خط ، وحتى نفعل ذلك يمكننا ببساطة
 أن نحلل الرقم العشري الأصلي الى ثلاثة أجزاء (١٠) ، ونستخدم الثلاثة

(*) الرقم الاول (٠٧١٠٨٠٠٠) يبدأ من أول رقم على يمين العلامة وهو الموضع
 الفردي وهكذا بالتبادل بحيث نأخذ رقما ونهمل الذي يليه .
 والرقم الثانى (٠٥٢٣٦٠٠٠) يبدأ من ثانى رقم على يمين العلامة وهو الموضع
 الزوجى (المترجم)

(١٠) فمن الرقم ٠٧٣٥١٠٦٨٢٢٥٤٨٣١٢ مثلا نحصل على :

٠٧١٨٥٣

٠٣٠٢٤١

٠٥٦٢٨٢

وفي ختام الحديث عن الأعداد اللانهائية نقول: ان هذه الأعداد يمكنها بسرعة بالغة أن تتجاوز أي مجموعة أرقام يمكن لشخص ما أن يفكر فيها . ونحن نعلم أن ∞ يمثل عدد الأرقام الصحيحة ، وأن ∞ يمثل العدد الكلي للنقاط الهندسية والعدد ∞ يمثل كافة المنحنيات الممكنة ، على أن أحدا لم يتوصل حتى الآن الى تحديد نوع من اللانهائيات يمكن اعطاؤه الرقم ∞ . ويبدو أن الثلاث لا نهائيات الأولى تكفي لعد أي شيء يخطر ببالنا وهكذا نجد أنفسنا في نفس الموقف الذي يواجهه صاحبنا القديم من أبناء الهوتنتوت حين ينجب أكثر من ثلاثة وهو لا يستطيع عددهم !! .



الفصل الثاني

الأعداد الطبيعية والأعداد التخيلية

١ - الرياضيات البحتة :

تعتبر الرياضيات عادة ، وخاصة من وجهة نظر الرياضيين ملكة العلوم ، ولما كانت ملكة فمن الطبيعي أن تحاول الترفع عن العلاقات غير المتكافئة مع غيرها من أفرع المعرفة . ولذا عندما طلب من « دافيد هلبيرت » ، على سبيل المثال ، أن يلقي كلمة افتتاحية في اجتماع مشترك بين علماء الرياضة البحتة والرياضة التطبيقية ليلطف من حدة الشعور العدائي الذي ساد بينهما بدأ كلمته قائلا :

« يزعم البعض أن الكثير من علماء الرياضة البحتة والتطبيقية ، يبادل كل منهما الآخر عداء بقاء ، وهذا ليس صحيحا ، فليس بين هذين الفرعين من الرياضة أى عداء . ولم يكن بين علماء الرياضة البحتة والرياضة التطبيقية أى عداء من قبل ، ولن يوجد بين علماء الرياضة البحتة والرياضة التطبيقية أى عداء فى المستقبل ، ولا يمكن أن يكون هناك أى عداء بين الرياضة البحتة والرياضة التطبيقية ، فالحقيقة أنه لا توجد أى صلة على الإطلاق بين هذين الفرعين من الرياضيات . ولكن على الرغم من ميل علم الرياضيات الى التفرد والتجريدية أكثر من غيره من العلوم ، الا أن باقى العلوم ، ولا سيما الفيزياء ، تميل الى الرياضيات ، وتحاول أن « تتآخى » معها بقدر الامكان . ولا يوجد فرع فى الرياضيات البحتة تقريبا الا ويستخدم فى ايضاح ، ظاهرة أو أخرى من ظواهر الكون الطبيعي . وهذا يتضمن أفرعا من المعرفة مثل نظرية

الفئات المجردة ، والجبر غير التبادلي ، والهندسة الاقليدية ، والتي كانت تعتبر دائما من الرياضيات البحتة ، غير القابلة لأي تطبيق على أن هناك فرعا كبيرا من الرياضيات نجح حتى الآن في أن يبقى غير ذي اتصال ، أو نفع لأي علم فيما عدا استخدامه في التدريب الذهني ، وبذا يمكنه أن يتوج بفخر بـ « تاج التجرد المطلق » . وهذا الفرع هو ما يسمى بـ « نظرية الأعداد » (أي الأعداد الصحيحة) وهو أحد أقدم وأعقد ثمار الفكر الرياضي البحت .

وعلى الرغم من غرابة هذا القول ، الا أن نظرية الأعداد ، بصفتها أرقى أنواع الرياضة البحتة (من حيث التجرد) الا أنها تعتبر من وجهة نظر معينة علما تطبيقيا بل تجريبيا أيضا . والواقع أن أغلب فروضها قد قامت على براهين رياضية ، كالفيزياء تماما . في حين ظلت بقية الفروض مستندة الى التجربة أو الأصل التطبيقي فأعجزت عقول خيرة علماء الرياضيات .

خذ مثلا على ذلك مشكلة الأعداد الأولية (prime number) انها الأعداد التي لا يمكن تحليلها في صورة حاصل ضرب عددين أو أكثر ولذا تسمى بالأعداد الأولية مثل ١ ، ٥ ، ٧ ، ٠٠٠ ، بينما يعتبر العدد ١٢ مثلا عدد غير أولي اذ يمكن تحليله هكذا : $٢ \times ٢ \times ٣$.

هل الأعداد الأولية لا نهائية أم أنها تنتهي عند عدد معين يمكن بعده أن نحصل على عدد أولي من حاصل ضرب رقمين أو أكثر ؟ كان أول من اقترح هذه المشكلة « اقليدس » وقد قدم دليلا غاية في البساطة والذكاء على أن الأعداد الأولية تملأ بغير حدود بحيث لا يوجد ما يمكن تسميتها بـ « أكبر الأعداد الأولية » .

وحتى يمكن مناقشة هذا السؤال افترض ولو لدقيقة أن الأعداد الأولية محدودة ، وافرض أن هناك رقما هو أكبر هذه الأعداد ولنرمز اليه بالرمز ن . والآن اضرب كافة الأعداد الأولية المعروفة لدينا ثم أضف عليها واحد ، ويمكن كتابة هذا المقدار كالتالي :

$$١ + (١ \times ٢ \times ٣ \times ٥ \times ٧ \times ١١ \times ١٣ \times ٠٠٠٠٠ \times ن)$$

وهذا المقدار يعتبر بالطبع أكبر من « أكبر الأعداد الأولية » المفترض ويتضح لنا مع ذلك أن هذا الرقم لا يقبل القسمة على أي عدد أولي - بما في ذلك الرقم (ن) - ذلك أنه من مكونات هذا الرقم فواضح أن قسمته على أي عدد أولي سوف يتبقى عنها رقم (١) .

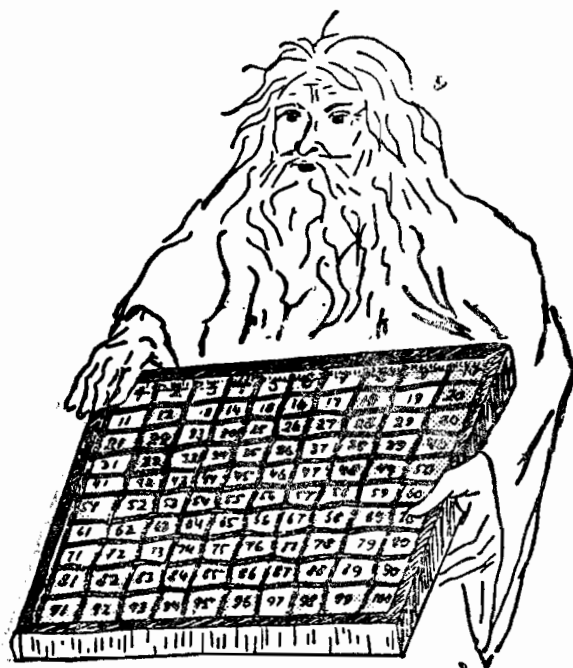
اذن فاما أن يكون هذا العدد عددا أوليا هو نفسه أو أن يكون قابلا
للقسمة على عدد أكبر من (ن) . وكلا الحالتين تتعارضان مع الفرض
الأساسي الذي ينص على أن (ن) هي أكبر الأعداد الأولية الموجودة :

ينتمي هذا البرهان الى أسلوب « نقض النقيض » (reductio-
ad absurdum الذي يعده علماء الرياضيات من أفضل أنواع البراهين .

وطالما علمنا أن عدد الأعداد الأولية لا نهائي ، بقي أن نسأل
أنفسنا عما اذا كانت هناك طريقة مبسطة لادراج هذه الأعداد في قائمة
على التوالي دون أن يغيب عنها عدد واحد . كان أول من اقترح هذه
الطريقة الفيلسوف الاغريقي وعالم الرياضيات القديم « ايراتوستينيس »
Eratosthenes وهي الطريقة المعروفة عادة « بالغربال » . وما عليك
الا أن تكتب الأعداد الصحيحة integers بالترتيب :

١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٠٠٠ الخ

ثم تقوم بحذف مضاعفات العدد (٢) ، ثم الباقي من مضاعفات
العدد (٣) ثم مضاعفات العدد (٥) وهكذا . ويوضح شكل (٩) « غربال »



(شكل رقم ٩)

ايراتوسثينيس « للمائة عدد الأولى ، وهو يتضمن ستة وعشرين عددا
أوليا ، وباستعمال طريقة الغربلة السابق ايضاحها يمكن الحصول على
جدول الأعداد الأولية حتى مليار .

ومع ذلك فقد يكون من الأفضل والأبسط أن نصمم طريقة يمكن
من خلالها الوقوف بسرعة وبطريقة أتوماتيكية على الأعداد الأولية كلها
دون أن نهمل واحدا منها . على أن مثل هذه الصيغة غير موجودة بالرغم
من المحاولات التي جرت على مدار القرون . ففي عام ١٦٤٠ ظن العالم
الفرنسي الرياضي الشهير « فيرما » (Fermat) أنه قد توصل الى قانون
نحصل منه على جميع الأعداد الأولية ، وتدل (ن) في قانونه الذي وضعه
على صورة $2^{n} + 1$ الى القيم المتتابة ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥٠٠ الخ وبالتعويض
في هذا القانون نحصل على ما يلي :

$$22 = 1 + 2$$

$$222 = 1 + 22$$

$$2222 = 1 + 222$$

$$22222 = 1 + 2222$$

والحقيقة أن كل هذه القيم أولية ، ولكن بعد حوالي قرن من اكتشاف
« فيرما » ، أوضح « أولير » (Euier) العالم الرياضى الألماني أن القيمة
الخامسة في هذا القانون ($22 + 1$) التي تعطي الرقم ٢٢٩٤٩٦٦٧٢٩٧
ليست قيمة أولية ، ولكنها حاصل ضرب ٦٧٠٠٤١٧ × ٦٤١٠ . وهكذا
أثبت أن قاعدة « فيرما » لحساب الأعداد الأولية قاعدة خاطئة وهناك قاعدة
أخرى تمكنا من الحصول على عدد كبير من القيم الأولية وهى :

$$(n) - 2 - n + 41$$

و ن هنا تعبر أيضا عن القيم ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥٠ الخ ، وقد ظهر أنه
عندما نرمز ن الى قيم تتراوح من ١ الى ٤٠ ، تكون القاعدة السابقة
صحيحة ، ولكن من سوء الحظ أن هذه القاعدة تفشل عند $n = 41$ فالحقيقة
أى $(41) - 2 - 41 = 241 = 41 + 41 = 41 \times 41$.

وهى مربع رقم (٤١) وليست عددا أوليا .

وهناك محاولة أخرى أسفرت عن القانون الآتى :

$$(n) - 2 - 79 + 1601$$

و ن تعطي أعدادا أولية حتى $n = 79$ ولكنها لا تنطبق عند $n = 80$

وهكذا ظلت مشكلة صياغة قانون عام للحصول على الأعداد الأولية

فقط لغزا يبحث عن حل
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURĀNIC THOUGHT

ومن بين محاولات التنظير المشوقة والتي لم يثبت نجاحها أو فشلها تلك التي يطلق عليها ، فرضية « جولدباخ » Gold bach ، وقد ظهرت عام ١٧٤٢ وتنص على أن كل عدد زوجي يمكن التعبير عنه في صورة مجموع عددين أوليين ، ويمكنك بسهولة أن تتأكد من صحتها عند تطبيقها على أمثلة مبسطة مثل : $12 = 5 + 7$ ، $24 = 7 + 17$ ، $32 = 3 + 29$. وعلى الرغم من ضخامة المحاولات التي أجراها العلماء في هذا المجال فقد فشلوا في التوصل الى نتيجة نهائية تثبت صحة هذه القاعدة من عدمه . وفي عام ١٩٣١ نجح الرياضي الروسي « شنيرلمان » (Schnirelman) في أن يخطو أول خطوة بناءً نحو البرهان المطلوب ، فقد نجح في اثبات أن كل عدد زوجي هو مجموع ما لا يزيد عن ٣٠٠٠٠٠٠ عدد أولي ، وبعد ذلك ضاقت الفجوة بين قانون شنيرلمان « لمجموع ٣٠٠٠٠٠ عدد أولي » والبرهان المطلوب بالنسبة « لمجموع عددين أوليين » على يد الرياضي الروسي « فينوجرادوف Vinogradoff » حيث نجح في انتقاصها الى « أربعة أعداد أولية » ، ولكن يبدو أن الخطوة الأخيرة للتقريب بين فينوجرادوف وجولدباخ ، أي « مجموع أربعة أعداد أولية » و « مجموع عددين أوليين » هي أعقد الخطوات وأصعبها ، وليس في مقدور أحد أن يتنبأ بالزمن اللازم لحلها سواء كان بضعة أعوام أم بضعة قرون .

إذا فنحن بعيدون جدا ، على ما يبدو ، عن صياغة قانون عام يغطي كافة الأعداد الأولية تلقائيا مهما كانت ضخامة هذا العدد كما أنه لا يوجد ما يشير بقرب صياغته ..

ودعنا نطرح تساؤلا أكثر توضحا ، عن النسبة المئوية للأعداد الأولية في أي فئة عددية ، هل تبقى النسبة ثابتة تقريبا بغض النظر عن زيادة الأعداد ؟ وان لم يكن فهل تزيد أم تنقص ؟ وبإمكاننا الاجابة عن ذلك عمليا باحصاء الأعداد الأولية في الجدول التالي ، وسنجد أن هناك ٢٦ عددا أوليا في الفئة من ١ — ١٠٠ و ١٦٨ في الفئة من ١ — ١٠٠٠ و ٧٨٤٩٨ عددا أوليا في الفئة من ١ — ١٠٠٠٠٠٠٠ وهكذا ..

كما نرى في الجدول ، وبقسمة هذه الأعداد الأولية على ما يقابلها من فئات عددية نحصل على الجدول الآتي :

النسبة المئوية % للانحراف	النسبة		الأعداد الأولية	الفئة ١ - ن
	لون	النسبة		
٢٠	٠.٢١٧	٠.٢٦٠	٢٦	١٠٠ - ١
١٦	١٤٥	٠.١٦٨	١٦٨	١٠٠٠ - ١
٥	٠.٧٢٣٨٢	٠.٧٨٤٩٨	٧٨٤٩٨	٦١٠ - ١
٨	٠.٤٨٢٥٤٩٤٢	٠.٥٠٨٤٧٤٧٨	٥٠٨٤٧٤٧٨	٩١٠ - ١

هذا الجدول يوضح أولا أن العدد النسبي للقيم الأولية يتناقص بالتدرج ، مع الزيادة في الأعداد الصحيحة ، ولكن ليس هناك حد تنعدم بعده القيم الأولية تماما .

هل هناك صيغة رياضية مبسطة تعبر عن هذه النسبة المتناقصة للأعداد الأولية الموجودة في الفئات الضخمة ؟ نعم ، وتعد القوانين التي تشير الى متوسط توزيع الأعداد الأولية من بين أهم الاكتشافات في علم الرياضيات بأكمله ، وهي تنص على أن النسبة المئوية للأعداد الأولية في فئة عددية لأي عدد أكبر (ن) يعبر عنها تقريبا باللوغاريتم الطبيعي لـ ن (١) وكلمات زادت (ن) كلما كانت النسبة أكثر قربا من القيمة الحقيقية .

وانظر العمود الرابع في الجدول السابق (اللوغاريتم الطبيعي) ثم قارن بينه وبين القيم في العمود الثالث فتجد تقاربا شديدا ولا سيما عند زيادة (ن) .

وكما في الكثير من فروض نظرية الأعداد ، نجد أن نظرية الأعداد الأولية السابق ايضاها ، من النظريات التي ثبتت عن طريق التطبيق وظلت لفترة طويلة تفتقر الى برهان رياضي محدد . ولم ينجح في التوصل الى البرهان الا العالمان الرياضيان « هادمار » Hadmard الفرنسي والبلجيكي « دو لافالي بوسان » (de la Vallée Poussin) وذلك في أواخر القرن الماضي ، باستخدام أسلوب غاية في التعقيد والصعوبة بحيث يتعذر شرحه هنا .

(١) يمكن تعريف اللوغاريتم الطبيعي ، بطريقة مبسطة ، بأنه اللوغاريتم العادي في الجدول مضروبا في المعامل ٢.٣٠٢٦ .

ولا يفوتنا قبل أن نغلق باب مناقشة الأعداد الصحيحة • أن نشير الى نظرية « فيرما » الشهيرة ، التي تصلح مثالا يوضح لنا المشكلات التي لا تتصل بالضرورة بخواص الأعداد الأولية ، وتمتد جذور هذه المشكلة الى مصر القديمة ، حيث كان كل نجار ماهر يعرف أن أى مثلث النسبة بين أضلاعه ٣ : ٤ : ٥ لابد وأن يحتوى على زاوية قائمة وقد استخدم قدماء المصريين هذا المثلث كأداة للقياس وهو معروف حتى الآن بالمثلث المصرى (٢) •

وفى القرن الثالث الميلادى تساءل « ديوفانتس » (Diophantes) السكندرى عما اذا كان العددا ٣ ، ٤ هما وحدهما العددا الصحيحان اللذان يساوى مجموع مربعهما مربع رقم ثالث ، ونجح فى اثبات وجود ثلاثيات أخرى مشابهة (والواقع أن عددها لا نهاية له) • كما نجح فى صياغة قاعدة لها وتعرف هذه المثلثات الآن بمثلثات فيثاغورث Pythagorean triangles (أعداد صحيحة فقط) وكان أول ما عرف منها المثلث المصرى • ويمكن صياغة معادلة لها بسهولة باستخدام رموز مثل س ، ي ، ز كاعداد صحيحة (٣) •

$$\text{حيث } س^2 + ي^2 = ز^2$$

(٢) عادة تدرس نظرية فيثاغورث لتلاميذ المرحلة الابتدائية على الصورة :

$$٢٥ = ٢٤ + ٢٣$$

(٣) لتطبيق قانون ديوفانتيس خذ أى رقمين أ ، ب بشرط أن يكون ١٢ ب مربعا كاملا ، ثم اجعل $س = ١ + \sqrt{١٢ ب}$ ، ورمز بى بحيث $ب + \sqrt{١٢ ب}$ ، والرمز ز $ز = ١ + ب + \sqrt{١٢ ب}$ •

• . س^٢ + ي^٢ = ز^٢ ويسهل اثبات ذلك بالجبر البسيط وبناء عليه ضحح الجدول التالى لكافة الحلول الممكنة :

$$٢٥ = ٢٤ + ٢٣$$

$$٢١٣ = ٢١٢ + ٢٥$$

$$٢١٠ = ٢٨ + ٢٦$$

$$٢٢٥ = ٢٢٤ + ٢٧$$

$$٢١٧ = ٢١٥ + ٢٨$$

$$٢١٥ = ٢١٢ + ٢٩$$

$$٢٤١ = ٢٤٠ + ٢٩$$

$$٢٢٦ = ٢٢٤ + ٢١٠$$

وفي عام ١٦٢١ ، اشترى « بيير فيرما » نسخة من الترجمة الفرنسية الجديدة لكتاب ديوفانتس (الرياضيات) والذي ناقش فيه مثلث « فيثاغورث » . وعندما قرأه ، كتب ملاحظة صغيرة في الهامش : حيث ان المعادلة $س^٢ + ٢ = ٢ = ز^٢$ يمكن حلها باستخدام عدد لا نهائى من حلول الأعداد الصحيحة ، فان أى معادلة على الشكل :

$$س^٢ + ٢ = ٢ = ز^٢$$

حيث ن عدد أكبر من ٢ ، لا حل لها على الاطلاق .
وأضاف فيرما قائلاً « لقد اكتشفت برهاناً عجيباً حقاً ، ولكن هذا الهامش يضيق عنه » .

وعندما توفي « فيرما » اكتشف كتاب « ديوفانتس » فى مكتبته ، وأصبح ما كتبه فى الهامش معروفاً للعالم أجمع ، وقد حدث هذا منذ ثلاثة قرون ، ومنذ ذلك الحين والعلماء يحاولون معرفة البرهان الذى جال بخاطر « فيرما » وهو يكتب ملاحظته ، ولكنهم عجزوا عن ذلك حتى الآن . ومن المؤكد أنه قد حدث تقدم ملموس نحو الهدف النهائى ، بل ان هذه المحاولات قد أدت الى ظهور فرع جديد فى عالم الرياضيات وهو ما يعرف بـ « نظرية الأعداد المثالية » theory of ideals عند البحث عن برهان لنظرية فيرما ، وقد بين أويلر استحالة التوصل الى حل صحيح للمعادلة $س^٣ + ٣ = ٣ = ز^٣$ والمعادلة $س^٤ + ٤ = ٤ = ز^٤$. وبرهن « دريشـلت » (Dirichlet) على نفس الشيء بالنسبة للمعادلة $س^٥ + ٥ = ٥ = ز^٥$. ومن خلال الجهود المحمعة التى بذلها العديد من الرياضيين ، أصبح بمقدورنا الآن أن نؤكد أنه لا يوجد حل لمعادلة فيرما ، فى حالة ن أقل من ٢٦٩ . ومع ذلك فلا نزال مفتقرين الى برهان عام لمعادلة فيرما حينما تكون «ن» مساوية لأى قيمة صحيحة ، والشك متزايد فى أن يكون هو نفسه قد توصل الى برهان ، أو أخطأ فى ذلك . وقد ذاعت هذه المشكلة عندما أعلن عن جائزة قدرها مائة ألف مارك ألماني لمن يحلها ، وعلى الرغم من ذلك فشلت جهود كافة الباحثين عن المال من الهواة فى التوصل الى الحل .

ويبقى بالطبع احتمال خطأ هذه النظرية ، كما أنه من المحتمل أن نجد مثالا يكون فيه عددان مرفوعين « لأس » عال من الأعداد الصحيحة مساويا لنفس الأس لعدد صحيح ثالث ، ولكن لما كان البحث عن هذا المثال التعويض بأعداد لا تقل عن ٢٦٩ فان هذا الأمر يعتبر أمراً عسيراً .

٢ - الجذر الغامض √ - ١

والآن دعونا نجرب نوعاً من الرياضيات العليا : ان رقم اثنين مضروباً فى نفسه يساوى أربعة ، ورقم ثلاثة مضروباً فى نفسه يساوى ٩ ، وأربعة

في أربعة تساوي ١٦ ، وخمسة مكررة خمس مرات تساوي خمسة وعشرين . اذن فالجذر التربيعي لأربعة هو اثنان ، والجذر التربيعي لتسعة هو ثلاثة ، والجذر التربيعي لرقم ١٦ هو أربعة ، والجذر التربيعي لخمسة وعشرين هو خمسة (٤) .

والآن ما الحل عندما يتعلق الأمر بالجذر التربيعي لعدد سالب ؟ وهل تعني مقادير مثل $\sqrt{-5}$ ، $\sqrt{-1}$ أى معنى ؟

إذا نظرنا لهذه المسألة منطقيا فسرعان ما نوقن بأن لا معنى لها على الإطلاق . وكما قال « براهمن بسكار » (Brahmin Bhaskara) عالم الرياضيات الذى عاش فى القرن الثانى عشر « ان مربع العدد الموجب ، والسالب أيضا لابد أن يكون موجبا ، وبناء عليه فان الجذر التربيعي لأى عدد موجب له حلان موجب وسالب . ولا يمكن أن يكون هناك جذر تربيعي لعدد سالب لأن العدد السالب ليس مربعا » .

ولكن العناد من شيمة علماء الرياضيات ، فكلما استعصى عليهم شيء ، وتكرر ظهوره بذلوا جهدا أشد فى محاولة تفسيره ، ولا شك أن هناك جذورا تربيعية لأعداد سالبة كثيرا ما تظهر سواء فى المسائل الحسابية البسيطة ، أو فى معضلة القرن العشرين وهى توحيد الزمن والفراغ فى اطار نظرية النسبية والزمن لأينشتين .

وفى القرن السادس عشر كان العالم الايطالى الجريء « كاردان » (Cardan) أول من وضع صيغة تحتوى على جذر تربيعي سالب ، وكان يبدو آنذاك شيئا بلا معنى . فعندما تناول كاردان مسألة تحليل العدد ١٠ الى مقدارين حاصل ضربهما = ٤٠ ، أشار الى أن هناك حلا لها ، وان كان غير منطقي ، ثم استخدم تعبيرين رياضيين مستحيلين هما :

$$+5 + \sqrt{15} , -5 - \sqrt{15} \text{ (٥)}$$

(٤) يسهل أيضا الحصول على الجذر التربيعي لعدد آخر من الأرقام ، فمثلا :

$$\sqrt{2723600} = 520 \text{ وذلك لأن } (2723600) \times (2723600) = 5200000000 \text{ تقريبا}$$

$$\sqrt{720000} = 848.5 \text{ وذلك لأن } (720000) \times (720000) = 518400000000 \text{ تقريبا}$$

(٥) والبرهان هو :

$$10 = 5 + 5 = \sqrt{15 - 5} + \sqrt{15 + 5}$$

$$\sqrt{15 - 5} + \sqrt{15 + 5} = (\sqrt{15 - 5} - 5) \times (\sqrt{15 - 5} + 5) + (\sqrt{15 + 5} + 5) \times (\sqrt{15 + 5} - 5)$$

$$10 - 5 = (\sqrt{15 - 5} - 5) \times (\sqrt{15 - 5} + 5) + 5 - 5 = (\sqrt{15 - 5} - 5) \times (\sqrt{15 - 5} + 5)$$

$$40 = 15 + 25 =$$

وقد كتب كاردان هذه السطور في حياة وذكر أنها غير منطقية ولكنه كتبها وكفى .

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QURĀNIC THOUGHT

فاذا واتتك الشجاعة اللازمة لكتابة جذر تربيعي سالب كما سبق لاستطعت حل هذه المسألة كما فعل كاردان . .

وما أن تم كسر الجمود الذي أحاط بهذه المشكلة (مشكلة الجذر التربيعي لمقدار سالب ، أو مقدار تخيلي كما كان يصفه « كاردان » حتى استخدم مختلف الرياضيين هذا المقدار مرارا وتكرارا ، مع كثير من التحفظات والمبررات اللازمة . ونجد في أحد كتب الجبر للرياضي السويسري « ليونار أويار » (عام ١٧٧٠) عددا كبيرا من التطبيقات على الأعداد التخيلية ، الا أنها مذبذبة بما يشبه الاعتذار في تعليق يقول « ان كافة التعبيرات ، مثل ، $1 - \sqrt{-2}$ الخ . . هي أرقام مستحيلة أو تخيلية ، ذلك أنها تمثل جذورا لكميات سالبة ، وعن هذه الأعداد يمكننا أن نقول بحق أنها لا شيء ، لا أكثر ولا أقل ، مما يجعل منها بالضرورة ضربا من الخيال أو المستحيل » .

ولكن على الرغم من كل هذه الاستخدامات الخاطئة ، وما التمسوه من مبررات ، فسرعان ما أصبحت الأعداد التخيلية واقعا لا مفر منه ، في الرياضيات كالكسور والجذور تماما ، وأصبح من المؤكد عمليا أن تجاهلها يقف حائلا دون الوصول لأي نتيجة .

واذا صح التعبير نستطيع أن نقول أن عائلة الأعداد التخيلية تمثل انعكاسا للأعداد الحقيقية أو الاعتيادية على مرآة خيالية ، وبنفس الطريقة انتى يمكن للمرء بها أن يرتب كافة الأعداد الحقيقية مبتدئا بالرقم الأساسى (١) ، يمكنه أيضا أن يرتب الأعداد الخيالية مبتدئا بالوحدة التخيلية الأولى منها وهي $\sqrt{-1}$ والتي يرمز اليها عادة بالرمز i .

ومن السهل أن نرى أن $\sqrt{-9} = \sqrt{-1} \times \sqrt{9} = \sqrt{-1} \times 3 = 3\sqrt{-1}$ ؛

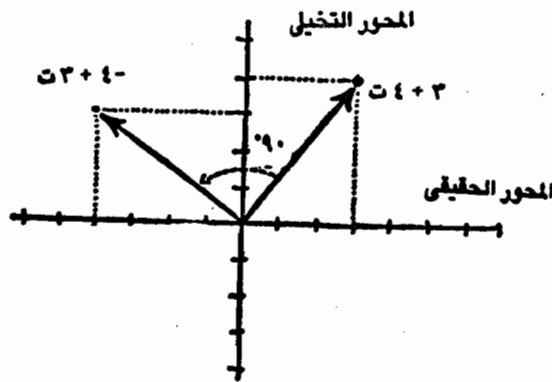
$\sqrt{-49} = \sqrt{-1} \times \sqrt{49} = \sqrt{-1} \times 7 = 7\sqrt{-1}$ ، وهكذا نجد لكل عدد اعتيادى قرينا فى الأعداد التخيلية . ويمكن لنا أيضا أن نقرن بين الأعداد الاعتيادية والخيالية فى صيغة واحدة مثل $5 + \sqrt{-15} = 5 + i\sqrt{15}$ ، تماما كما فعل « كاردان » لأول مرة . وتعرف هذه الأرقام المهجنة بالأعداد المركبة . (Complex numbers) وقد ظلت الأعداد التخيلية بعد دخولها الى مجال الرياضيات مغلفة بنوع من الغموض استمر لما يزيد عن قرنين من الزمان ،

حتى استطاع اثنان من هواة علم الرياضيات اعطاءها تفسيراً هندسياً في بحث قام به « مساح » نرويجي هو « فسيل » (Wessel) ومحاسب فرنسي هو « روبر آرغان » Robert Argand ولايضاح فكرتهما نأخذ المقدار $3 + 4t$ كمثال ، وهذا المقدار يمكن التعبير عنه كما في شكل (١٠) حيث 3 هي المقابل للاحداثي الأفقي و 4 للبعد أو الاحداثي الرأسى .

والحقيقة أن كافة الأعداد الحقيقية العادية (موجبة أو سالبة) يمكن التعبير عنها بنقاط على المحور الأفقي ، بينما يعبر عن الأعداد التخيلية تماماً بنقاط على المحور الرأسى . وعند ضرب عدد حقيقى وليكن (٣) عندما يمثل بنقطة على المحور الأفقى ، فى وحدة تخيلية ولتكن (ت) نحصل على عدد تخيل تماماً وهو $3t$ ، وهذا المقدار لا شك وأنه يتحدد على المحور الرأسى ، وعلى ذلك فإن ضرب أى مقدار فى ت يناظر هندسياً الدوران عكس عقارب الساعة بزوايا قائمة (انظر شكل ١٠)

والآن اذا ضربنا $3t$ مرة أخرى فى ت فسوف يحدث دوران آخر مقداره 90° ، وبذلك تعود النقطة الناتجة مرة أخرى الى المحور الأفقى ولكنها تكون فى الجانب السالب هذه المرة :

$$اذن \quad 3t \times t = 3t^2 = -3 \quad \text{أو} \quad t^2 = -1$$



(شكل رقم ١٠)

ويكون من المفهوم ان نقول « ان مربع ت يساوى - ١ » بدلا من ان نقول « ان الدوران مرتين بزوايا قائمة فى كل مرة (كلاهما عكس حركة عقارب الساعة) يجعلك فى الاتجاه المقابل » .

وتنطبق نفس القاعدة بالطبع على الأعداد المركبة المهجنة . فبضرب $3 + 4t$ فى ت نحصل على ما يلى :

$$(3 + 4t)t = 3t + 4t^2 = 3t - 4 = -4 + 3t$$

وكما يتضح لنا من شكل (١٠) ، فإن النقطة (- ٤ + ٣ ت) ، تناظر النقطة ٣ + ٤ ت مقلوبة عكس اتجاه عقارب الساعة بمقدار ٩٠ درجة حول نقطة الأصل ، وبالمثل نجد أن الضرب في - (ت) لا يزيد عن كونه دورانا في اتجاه عقارب الساعة حول نقطة الأصل. كما يظهر من شكل (١٠) وإذا كنت لا تزال شاعرا بسستار من الغموض يكتنف الأعداد التخيلية ربما أزحت هذا الستار بالتطبيق العملي على مشكلة رياضية بسيطة .

يحكى أن شابا عثر في تراث أجداده القديما على مخطوطة تبين مكان كنز دفين وجاء فيها :

« ابجر الى خط عرض ٠٠٠ وخط طول ٠٠٠٠ ، وستجد جزيرة مهجورة عند شاطئها الشمالي مرعى واسع (٦) بلا سور وبه شجرة وحيدة من البلوط وأخرى من الصنوبر . وستجد أيضا مشنقة كنا قد نصبناها لأعدام الخونة فابدأ السير من عندها متجها الى شجرة (٧) البلوط ، وعد خطواتك حتى اذا وصلت اليها در الى اليمين ٩٠° وسر عددا مماثلا من الخطوات ثم ضع وتدا عندما تقف وثبتته في الأرض . والآن عد الى المشنقة ثم سر الى شجرة الصنوبر على أن تعد الخطوات وعندما تصل اليها استدر يسارا بزواوية قائمة وتأكد من سيرك عددا مماثلا من الخطوات ، ودق وتدا آخر على الأرض ، ابدأ الحفر في منتصف المسافة بين الوتدين ، وستجد الكنز » .

لقد كانت التعليمات واضحة تماما ولا لبس فيها ، ولذا استأجر صاحبنا مركبا وأبحر الى الجنوب ، ووجد الجزيرة ، والحقل وشجرة البلوط ، وشجرة الصنوبر ولكن للأسف الشديد كانت المشنقة قد اختفت فقد كانت الوثيقة مكتوبة منذ عهد بعيد جدا حتى أن الرياح والمطر والشمس قد حللت الحشيب وأعادته الى التربة دون أن يترك أثرا حنو، للمكان الذي كان فيه .

وأصاب اليأس مغامرنا الشاب ، ثم بدأ في غضب جارف يحفر عشوائيا في كل الحقل ، ولكن عبثا يحاول ، فقد كانت الجزيرة مترامية الأطراف ! .

ولذا عاد بخفي حنين ، وربما كان الكنز لا يزال قابعا هناك .
انها قصة مؤسفة ، ولكن أسفنا سيزداد اذا علمنا أن هذا الشاب .

(٦) ذكرت المخطوطة رقم خط الطول ، وخط العرض ولكننا حذفناهما هنا حفاظا على

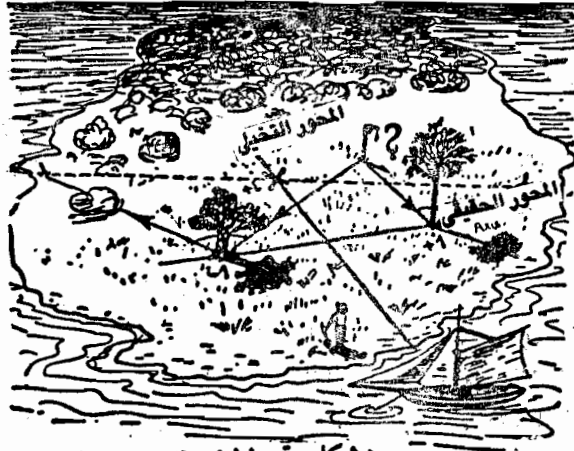
السر .

(٧) لقد غيرنا اسمي الشجرتين لنفس السبب . والواقع أن هذه الجزيرة الاستوائية

لا بد وأن تنبت فيها أشجار من أنواع أخرى .

كان بإمكانه أن يعثر على الكنز ، لو كان لديه قدر محدود من العلم بالرياضيات ولا سيما بالأعداد التخيلية . ودعنا نرى إذا ما كان بإمكاننا أن نعثر له على الكنز ، بالرغم من أن الأوان قد فات لينتفع بذلك .

تخيل أن الجزيرة سطحا مستويا للأعداد المركبة ، وافرض أن الخط المستقيم الواصل بين الشجرتين هو أحد المحورين وليكن المحور الحقيقي ، والمستقيم العمودي المنصف له هو (محور الأعداد التخيلية) (شكل ١١) . وبأخذ نصف المسافة بين الشجرتين كوحدة قياس للأبعاد



(شكل رقم ١١) .

البحث عن الكنز بالأعداد التخيلية .

يمكن القول ان شجرة البلوط تقع على النقطة (-١) على المحور الحقيقي وأن شجرة الصنوبر تقع على النقطة (+١) على نفس المحور . ونحن لا نعرف المكان الذي كانت المشنقة موجودة به وبناء عليه سنحدد لها موقعا فرضيا ونرمز اليه بالحرف الاغريقي I (حرف جاما كبير) وهو يشبه المشنقة في شكله . ولما كانت المشنقة لا تقع بالضرورة على أحد المحورين فيمكننا اعتبار I عددا مركبا :

$I = a + b \cdot i$ ، والشكل رقم (١١) يوضح المقصود

بالحرفين a ، b . والآن لنقم ببعض العمليات الحسابية البسيطة واضعين في أذهاننا الضرب التخيلي كما ذكرناه آنفا . فإذا كانت المشنقة عند I وشجرة البلوط عند (-١) فان الفرق في المسافة والاتجاه بين المشنقة

وشجرة البلوط = $(1 - \sqrt{3})$ ، وبالمثل فان الفرق في المسافة والاتجاه بين المشنقة وشجرة الصنوبر يرمز اليه بالرمز $1 - \sqrt{3}$ ، وعند ادارة هذين البعدين بزواية قائمة في اتجاه عقارب الساعة (يمينا) والعكس (يسارا) ينبغي طبقا للقاعدة ضربهما في - ت ، وبذلك نستطيع تحديد الموضع الذي يجب دق الوتد فيه :

$$\text{موضع الوتد الاول (- ت) } = [(1 + \sqrt{3}) - 1] + 1 = 1 + \sqrt{3}$$

$$\text{موضع الوتد الثاني (+ ت) } = (1 - \sqrt{3}) - 1 = 1 - \sqrt{3}$$

وحيث ان الكنز مدفون في منتصف المسافة بينهما فيجب ايجاد نصف مجموع العددين المركبين السابق ذكرهما :

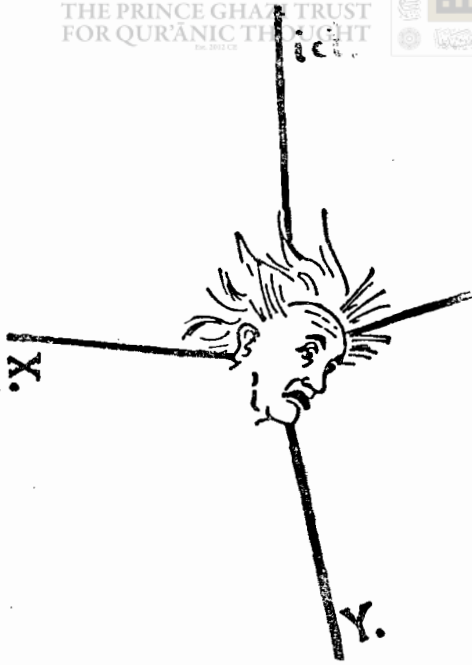
$$\begin{aligned} \therefore \frac{1}{4} [1 - (\sqrt{3} - 1) + 1 + (\sqrt{3} + 1)] \\ = \frac{1}{4} [1 - \sqrt{3} + 1 + \sqrt{3} + 1 + 1] \\ = \frac{1}{4} (2 + 2) = 1 \end{aligned}$$

وهكذا نجد ان موضع المشنقة المشار له بالحرف $\sqrt{3}$ يقع في موضع ما على الطريق ، وبامكاننا الآن بغض النظر عن موقع المشنقة أن نحدد مكان الكنز عند النقطة + ت .
نحدد مكان الكنز عند النقطة + ت .

ادن لو كان بمقدور صاحبنا المخامر الشاب أن يجرى هذه العمليات الحسابية البسيطة لما احتاج الى حفر الحقل بأكمله ، بل كان في استطاعته أن يبحث عن الكنز في النقطة المشار اليها بخطين متقاطعين (X) في شكل (١١) ولعثر عليه هناك .

وإذا كنت لا تزال في شك من أن موضع المشنقة ليس ضروريا اطلاقا للعثور على الكنز ، أحضر ورقة وضع علامتين مكان الشجرتين وحاول أن تنفذ التعليمات التي نصت عليها الرسالة المخطوطة بافتراض مواضع متعددة للمشنقة . وسوف تجد أن مكان الكنز لن يختلف في النهاية عن رقم (+ ت) على المستوى (السطح) المركب ! .

وهناك كنز آخر يرجع الفضل في اكتشافه الى الجذر التربيعي لعدد (1 -) وهو الاكتشاف المذهل الذي مؤداه أن فضلاءنا العادي الثلاثي الأبعاد يمكن دمج الزمن معه في صورة رباعية الأبعاد ، وتخضع هذه الصورة لقواعد الهندسة رباعية الأبعاد . وسوف نعود الى هذا الاكتشاف مرة أخرى في أحد فصول الكتاب التالية حيث نناقش أفكار • ألبرت أينشتاين • ونظريته المعروفة بالنسبية .



الجزء الثاني

الفضاء والزمن وأينشتين



الفصل الثالث

الخواص غير العادية للفضاء (*)

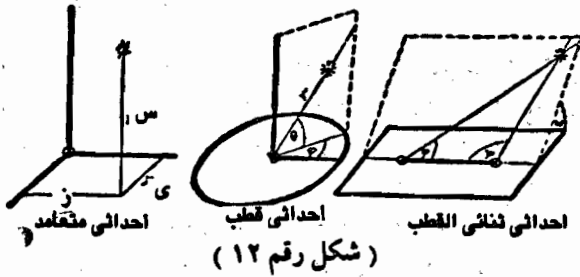
١ - الأبعاد والاحداثيات :

كلنا يعلم ما هو الفضاء ، على أننا نقع فى حرج اذا طلب منا وضع تعريف دقيق له ، وربما قلنا أن الفضاء هو ما يحيط بنا ، ونستطيع أن نتحرك فيه الى الامام أو الخلف ، والى اليمين أو اليسار والى أعلى أو أسفل ووجود هذه الاتجاهات الثلاثة متعامدة على بعضها هو من أهم خواص الفضاء الطبيعى الذى نعيش فيه ، فنحن نقول ان للفضاء ثلاثة أبعاد ، بالاستعانة بها يمكن تحديد أى موقع فيه . فاذا كنا فى زيارة لمدينة غربية وسألنا شرطى المرور عن موقع شركة ما ، ربما قال « سر جنوبا وبعد خمس عمارات در يمينا وستجدها فى الدور السابع فى ثالث مبنى هناك » . وهذه الأرقام الثلاثة تعرف عادة بالاحداثيات (Co-ordinates) وهى فى هذه الحالة تشير الى العلاقة بين شوارع المدينة ، وطوابق المبنى بالنسبة الى نقطة الأصل عند شرطى المرور . ومن الواضح على أية حال أنه من الممكن تحديد الاتجاهات لنفس المكان من نقطة أصل أخرى ، باستخدام نظام الاحداثيات الذى يمكن أن يعبر بدقة عن العلاقة بين النقطة الأصلية الجديدة وغاية الوصول ، وان الاحداثيات الجديدة يمكن التعبير عنها باستخدام الاحداثيات القديمة

(★) تترجم كلمة Space بالمكان والفراغ والفضاء والحيز ، وقد فضلت استخدام كلمة فضاء هنا للتعبير عن جميع حالاتها المكانية لأن كلمة مكان المعتادة لا تعبر بدقة عن المعنى فى اللفظة الأصلية (المترجم) .

بالاستعانة باجراء رياضى مبسط بشرط معرفة الموقع النسبى للنظام
 الاحداثى الجديد بالنسبة للاحداثى القديم وتعرف هذه العملية **بتحويل**
الاحداثيات transformation of co-ordinates وربما أضفنا
 أيضا فى هذا السياق أنه ليس من الضرورى على الاطلاق أن نعبر عن
 الاحداثيات الثلاثة باستخدام أرقام للاشارة الى مسافات معينة ، بل فى
 الحقيقة من الأنسب فى بعض الحالات أن نلجأ الى استخدام احداثيات
 الزوايا .

ولذا فإن العناوين ، فى نيويورك مثلا ، تتحدد غالبا بنظم الاحداثيات
 المتعامدة التى تتمثل فى الشوارع والطرقات . بينما تتحدد العناوين فى
 موسكو (روسيا) وفقا لنظم الاحداثيات القطبية . فهذه المدينة العريقة
 نشأت حول الحصن المركزى للكرملين ، بنظم شوارع نصف قطرية متشعبة
 من المركز ، وبها شوارع على شكل دوائر مركزها واحد ، ولذا من الطبيعى
 عند وصف مكان فيها أن نقول : انه على بعد عشرين عمارة فى الاتجاه
 الشمالى الغربى من سور الكرملين .



الاحداثيات ثنائية القطبين والاحداثيات القطبية والاحداثيات المتعامدة

ومن الأمثلة النموذجية لنظم الاحداثيات المتعامدة والقطبية ، مبنى
 وزارة البحرية الأمريكية ، ومبنى وزارة الدفاع الأمريكية (البنطاجون)
 فى واشنطن (بمقاطعة كولومبيا) . وهى من المباني المعروفة لكل من
 كانت له علاقة بالعمل الحربى أثناء الحرب العالمية الثانية .

فى شكل (١٢) هناك عدة أمثلة تبين كيفية تحديد موقع نقطة فى
 فضاء بطرق متعددة باستخدام ثلاثة احداثيات ، سواء كانت من المسافات
 أو الزوايا . ولكن أيا كان النظام الذى نختاره فلا بد من توافر ثلاث
 معلومات طالما أننا نتعامل مع فضاء ثلاثى الأبعاد .

وعلى الرغم من الصعوبة التى نواجهها (مع مفهومنا للفضاء الثلاثى
 الأبعاد) اذا ما حاولنا أن نتخيل فضاء أعظم يحتوى على أكثر من ثلاثة

أبعاد (بغض النظر عن أن هذا الفضاء موجود كما سنرى فيما بعد) فان محاولتنا لتخيل فضاء يحتوي على أقل من ثلاثة أبعاد تبدو أكثر سهولة لنا . فالسطح المستوي ، و سطح الجسم الكروي أو أى سطح آخر على سبيل المثال كلها فضاءات جزئية ثنائية الأبعاد ، طالما أن موضع أى نقطة على هذه السطوح يتحدد برقمين لا أكثر . وبالمثل فان الخط (منحنيا كان أو مستقيما) يعتبر فضاء جزئيا أحادي البعد ، كما أن النقطة الواحدة هي فضاء جزئي بعده صفر ، اذ أنه لا يمكن وجود موضعين مختلفين على نقطة واحدة . ولكن من ذا الذي يهتم بأمر النقاط على أية حال ! .

ولما كنا من المخلوقات ثلاثية الأبعاد فاننا سنجد سهولة أكبر في تفهم الخواص الهندسية للخطوط والسطوح التي ننظر اليها « من الخارج » عن فهم للخواص المشابهة لخواص الفضاء ثلاثي الأبعاد الذي نعتبر نحن أنفسنا جزءا منه مما يفسر السهولة التي نجدها في فهم المقصود بالخط المنحني أو السطح المنحني في حين نجد صعوبة في تفهم العبارة التي مؤداها أن الفضاء الثلاثي الأبعاد يمكن أيضا أن يكون منحنيا .

ومع ذلك فان قليلا من التدريب والفهم للمعنى الحقيقي لكلمة « الانحناء » يجعلنا أكثر قدرة على ادراك مفهوم الفضاء المنحني ثلاثي الأبعاد ببساطة . وقبل أن ننتهي من الفصل القادم سوف نجد (نأمل ذلك !) أن بمقدورنا الحديث ببساطة عن مفاهيم تبدو لأول وهلة مخيفة وهي تندرج تحت اطار الفضاء المنحني ثلاثي الأبعاد .

ولكن قبل أن نناقش ذلك ، دعونا نحاول ممارسة شيء من الرياضة الذهنية مع بعض ثوابت الفضاء الثنائي والأحادي بالاضافة الى الفضاء الثلاثي المعتاد .

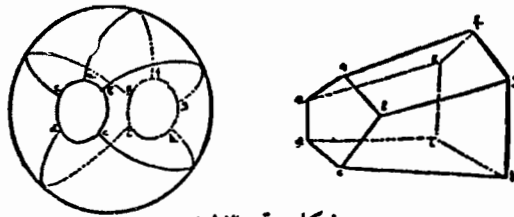
٢ - هندسة بدون قياسات (١) :

على الرغم من أن ذكرياتك عن الهندسة التي تعلمتها في أيام الدراسة بوصفها فرعا من فروع علم قياس الأبعاد الفراغية تنحصر في أنها ذلك العلم الذي يحتوي أساسا على عدد هائل من النظريات الخاصة بالعلاقات الرقمية بين المسافات والزوايا المختلفة (كما في نظرية فيثاغورث عن أضلاع المثلث القائم الزاوية مثلا ٠٠٠٠) ، والواقع أن كثيرا من أهم خصائص الفضاء لا يتطلب أي قياس سواء بالنسبة للأبعاد ،

(١) كلمة geometry (أو الهندسة) هي كلمة مشتقة من كلمتين يونانيتين وهما ge بمعنى أرض أو بالأحرى سطح الأرض ، وكلمة metrein وهي فعل بمعنى يقيس . ومن الواضح أنه عندما صيغت هذه الكلمة كان اهتمام الإغريق منصبا على موضوع قياس الأراضي والعقارات .

أو الزوايا من أى نوع كانت . ويعرف فرع الهندسة الخاص بهذه الأمور بتحليل الموقع أو الطوبولوجيا (٢) ويعتبر واحداً من أشد أفرع الرياضيات إثارة وصعوبة .

ولكى نعطي مثالا بسيطا على مشكلة طوبولوجية ، دعونا نفترض أن هناك سطحاً هندسياً مقفلاً ، وليكن سطح كرة مقسم بشبكة من الخطوط إلى عدد من المناطق المنفصلة . وبوسعنا أن نحصل على هذا الشكل بتحديد عدد عشوائي من النقاط على سطح كرة ، ثم نقوم بالتوصيل بينها بخطوط غير متقاطعة فما هي العلاقة بين هذا العدد من النقاط الأصلية والخطوط التي تمثل حدوداً بين المناطق المتلاصقة ، وعدد المناطق نفسها ؟ ومن الواضح قبل أى شيء أن سطوح الأجسام شبه الكروية مثل ثمرة القرع ، أو المستطيلة كالحيار ستحتوى على نفس العدد من النقاط والخطوط ، والمناطق الموجودة على سطح كامل الاستدارة كالكرة . وعملياً نستطيع أن نحصل على أى نوع من السطوح المغلقة بالتأثير على اللون من المطاط عن طريق شده ، أو الضغط عليه ، وبأى طريقة نريدها ما عدا قطعه أو تمزيقه وسنجد أن أى شكل نحصل عليه لن يؤثر على اجابتنا أدنى تأثير ، وتعد هذه الحقيقة مناقضة تماماً لحقائق الهندسة العادية عن العلاقات بين الأرقام (مثل العلاقات الموجودة بين الأبعاد الخطية ، والمساحات المسطحة وأحجام الأجسام الهندسية) ، فالحقيقة أن هذه العلاقات تختلف مادياً إذا طرقتنا مكعباً وحولناه إلى منشور متوازى الأضلاع ، أو ضغطنا على كرة وحولناها إلى قرص أشبه بالفطيرة ..



(شكل رقم ١٣)

كرة مقسمة جزئياً ومحوّلة إلى جسم متعدد السطوح

(٢) والكلمة Topology تعنى فى اللاتينية والىغريقية على الترتيب علم دراسة المواقع ، وهى تختلف عن الطوبوغرافيا topography التى تعنى السمات السطحية لموضع أو اقليم .

ويمكننا أيضا أن نفعل شيئا آخر في هذا الجسم الكروي المنقسم إلى عدد من الأقسام المنفصلة وهو أن نحول كل قسم إلى مساحة منبسطة بحيث تصبح الكرة متعددة السطوح ، وتصيح الخطوط الفاصلة بين المناطق حوافا لهذا الجسم والنقاط الأصلية رؤوسا له .

والآن بمقدورنا أن نعيد صياغة المشكلة السابقة - دون أن نغير شيئا فيها - إلى سؤال عن العلاقة بين عدد رؤوس ، وحواف وأوجه الجسم متعدد السطوح .

وفي شكل (١٤) تجد خمسة من متعددات السطوح المنتظمة (polyhedrons) ، أى الأجسام التى يتساوى كل سطح فيها مع الآخر فى عدد الرؤوس والأضلاع ، ما عدا جسما واحدا مرسوما ببساطة من الخيال وهو ذو طبيعة هولية (غير منتظم الأضلاع) وفى كل من هذه الأجسام الهندسية نستطيع أن نحصى عدد الرؤوس ، والحواف والأوجه . هل توجد علاقة بين هذه الأرقام الثلاثة ؟ وإن وجدت فما هى ؟ ويمكننا عن طريق العد المباشر أن نضع هذا الجدول .

الجسم	ر عدد الرؤوس	ح عدد الأحرف	و عدد الأوجه	ر + و	ح + ٢
منشور ثلاثى (هرم)	٤	٦	٤	٨	٨
منشور سداسى (مكعب)	٨	١٢	٦	١٤	١٤
منشور ثمانى	٦	١٢	٨	١٤	١٤
منشور عشرونى	١٢	٣٠	٢٠	٣٢	٣٢
منشور اثناعشرى (أو خمسه اثناعشرى)	٢٠	٣٠	١٢	٣٢	٣٢
منشور هولى	٢١	٤٥	٢٦	٤٧	٤٧

فى البداية تبدو الأرقام الموجودة تحت الأعمدة الثلاثة (ر ، ح ، و) وكأن لا علاقة محددة بينها . ولكن بعد قليل من التفكير تجد أن مجموع الأرقام فى ر ، ويزيد دائما على العدد فى العمود ح باثنين .

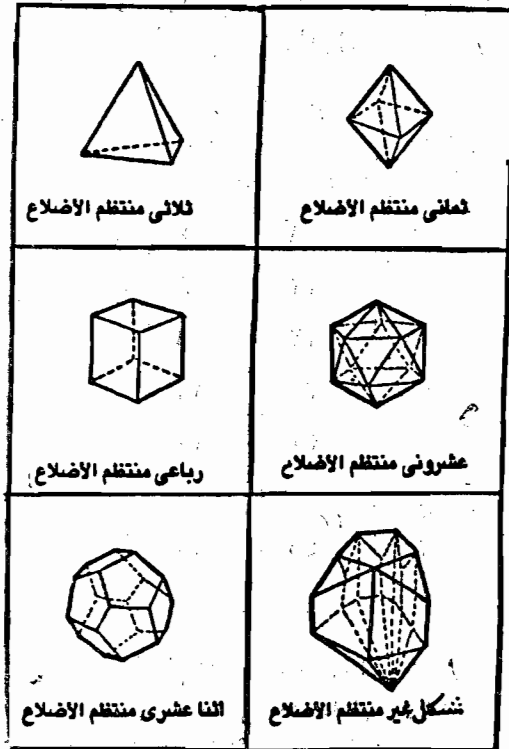
وهكذا يمكننا صياغة علاقة رياضية كالتالى :

$$ر + و = ح + ٢$$

هل تنطبق هذه العلاقة على الأجسام الموجودة في شكل (١٤) فحسب ؟ أم أنها تنطبق أيضا على أي شكل متعدد السطوح ؟ إذا حاولت رسم عدد آخر من هذه الأجسام غير تلك الموجودة في شكل (١٤) ثم قمت بعد ذلك بإحصاء الرؤوس والحواف والأوجه يتبين لك أن العلاقة السابقة تصح في جميع الحالات .

من الواضح اذن أن $r + w = c + 2$ هي نظرية رياضية عامة ذات طبيعة طوبولوجية ، طالما أن التعبير عن العلاقة هنا لا يعتمد على قياس أطوال الأضلاع ، أو مساحات الأوجه ، ولكنه يقتصر على عدد الوحدات الهندسية المختلفة (وهي الرؤوس والأضلاع والأوجه) .

وقد كان الرياضى الفرنسى « رينيه ديكارت » أول مكتشف للعلاقة بين رؤوس وأضلاع وأوجه متعدّدات السطوح وكان ذلك فى القرن السابع



(شكل رقم ١٤)

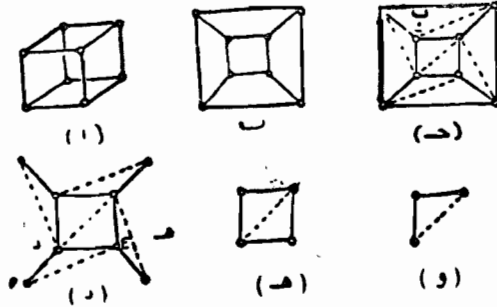
خمسة اشكال متعددة الأسطح (وهي الأشكال الممكنة) وشكل هولى
(غير منتظم)

عشر الا أن البرهان وضع بعد ذلك على يد رياضي عبقري آخر هو « ليونارد أيولر » فسمى باسمه (برهان أيولر) .

وفيما يلي نجد البرهان الكامل لنظرية أيولر ، وفقا لنص مأخوذ من كتاب « ر . كورانت » و « ه . روبين » ما هي الرياضيات ؟ (٣) ، وذلك لنوضح كيفية القيام بأشياء من هذا القبيل .

حتى نبرهن على قانون أيولر دعونا نتصور أحد متعددات السطوح البسيطة المفرغة من الداخل والمصنوعة من المطاط (شكل ١٥ أ) . وبنزع أحد أوجهه نستطيع أن نفرده عن طريق الشد على سطح مستو . وسوف تتغير مساحة أوجه وزوايا هذا الشكل بالطبع بعد هذه العملية حتى يتحول الى (شكل ١٥ ب) .

على أن عدد رؤوسه وأضلاعه سيظل في الشكل الجديد مساويا لنفس العدد في الشكل الأصلي في حين تنقص الوجوه وجها واحدا وهو الذي انتزعناه من قبل . والآن سنبين أن معادلة هذا السطح هي $r - c + w = 1$ ، وأن اضافة لوجه المنتزع تجعلنا نحصل على المعادلة الأصلية $r - c + w = 2$.



شكل رقم (١٥)

برهان نظرية « أيولر » على المكعب ويمكن استخدام نفس البرهان مهما كان الشكل .

« في البداية نقوم بتثليث الشكل المستوي بالطريقة الآتية :
نرسم قطرا في أحد وجوه الشكل غير المثلثة أصلا مما يؤدي الى

(٣) المؤلف يتقدم بالشكر الى الأساتذة « د . كورانت » و « د . روبين » وكذا المطبعة جامعة أكسفورد على السماح له بإعادة تقديم القطعة التالية . ولهؤلاء القراء الذين أصبحوا مهتمين بمشكلات الطوبولوجيا بناء على الأمثلة القليلة التي سردناها هنا ، يمكنكم أن تجدوا معالجة أكثر تفصيلا لهذا الموضوع في كتاب (What Is Mathematics ?)

زيادة كل من ج ، و بواحد وبذلك لا تتأثر ر - ح + ، و ، ثم نستمر في رسم الأقطار حتى يصبح الشكل كله عبارة عن مثلثات (شكل ١٥ ج) .
وفي الشبكة المثلثة يظل المقدار ر - ح + و ثابتا اذ لا يتأثر برسم الأقطار .

« وتكون أضلاع بعض المثلثات واقعة على حدود الشبكة الأصلية ، وبعض المثلثات مثل أ ب ج لا يكون لها الا ضلع واحد هو نفسه أحد حدود الشبكة بينما يكون لبعضها الآخر ضلعان . نأخذ أى مثلث من هذه المثلثات المذكورة ونحذف منه الأضلاع التي لا تنتمي أيضا الى مثلث آخر (شكل ١٥ د) ، وبذلك فاننا نزيل من المثلث أ ب ج الضلع أ ج والوجه تاركين الرؤوس أ ، ب ، ج والضلعين أ ب ، ب ج . بينما نزيل من المثلث د ه و الضلعين د و ، و ه و والرأس و .

ان ازالة مثلث من النوع (أ ب ج) تؤدي الى نقصان و ، ح بمقدار (١) بينما تبقى و دون تأثر ، وهكذا تبقى ر - ح + و كما هي ، أما ازالة مثلث من نوع (د ه و) فتؤدي الى نقصان ر بمقدار (١) ، ح بمقدار (٢) ، و بمقدار (١) وبذا أيضا يظل المقدار ر - ح + و دون تغير . وبأداء هذه العمليات في تتابع حسن الاختيار نستطيع أن نزيل المثلثات ذات الأضلاع الواقعة على حدود الجسم (هذه المثلثات تتغير مع كل ازالة) حتى يتبقى لنا مثلث واحد في النهاية له ثلاثة أضلاع وثلاثة رؤوس ووجه واحد في هذا الشكل البسيط يكون ر - ح + و = ٣ - ٣ + ١ = ١ . ولكن كما رأينا من قبل فان ر - ح + و لم تتغير مع ازالة المثلثات ، اذن فلا بد أن ر - ح + و كانت = ١ أيضا في الشكل الأصلي وبالتالي تتساوى أيضا مع متعدد السطوح الذي ينقص وجها واحدا ، ونستنتج من ذلك أن ر - ح + و = ٢ بالنسبة للشكل الكامل وهذا يكمل صيغة « ايولر » .

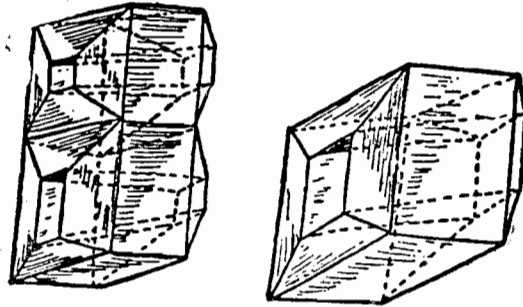
ومن النتائج المثيرة لقانون ايولر : ان المجسمات المنتظمة متعددة الأسطح لا يمكن أن تزيد أشكالها على خمسة لا غير كما في شكل (١٤) .

وبامعان النظر فيما ورد في الصفحات السابقة نجد أننا عند رسمنا الأشكال السابقة (على اختلافها) كما نراها في شكل (١٤) ، وأيضا في الجدول الحسابي الذي أثبتنا به صحة نظرية ايولر ، افترضنا افتراضا ضمنيا واحدا ، كان من شأنه الحد من اختيارنا الى درجة كبيرة ، فقد اقتصرنا على متعددات السطوح الحالية - اذا جاز القول - من الثقوب وعندما نتحدث عن الثقوب فاننا لا نعنى بذلك مثل هذا النوع الذي

يحدث في البالون ، ولكن نقصد نوعا آخر مثل ذلك الذى يحدث فى الكعكة ، أو ذلك الفراغ الذى يكون داخل الاطار الكاوتشوك للعجلة .

ان نظرة على الشكل رقم (١٦) سوف توضح لنا الأمر ، ففي الشكل نجد جسمين هندسيين مختلفين ، وكلاهما لا يزيد على أى جسم فى شكل (١٤) من حيث أنهما متعدد السطوح .

والآن لنر ما اذا كانت نظرية أيولر تصح هنا أم لا : فى الحالة الأولى يمكن أن نعد ١٦ رأسا ، ٣٢ ضلعا ، ١٦ وجها . أى $r + w = 32$ بينما $h = 2 + 34$ وفى الحالة الثانية يوجد ٢٨ رأسا ، ٦٠ ضلعا ، ٣٠ وجها . إذن $r + w = 58$ فى حين يكون $h = 2 + 62$ وتفشل القاعدة ثانيا !! .



(شكل رقم ١٦)

مكعبان عاديان بهما ثقب أو ثقبان ، والوجه ليست مربعة تماما هنا ولكن هذا ليس مهما فى الطوبولوجيا كما رأينا من قبل .

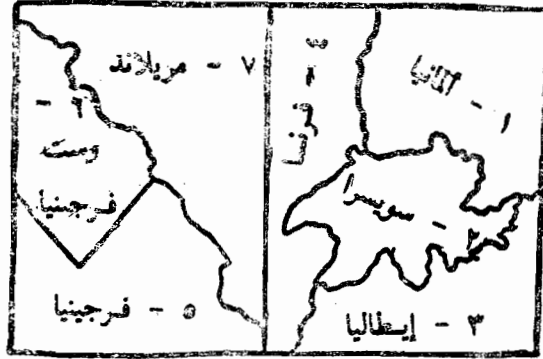
وما السبب فى ذلك ؟ ، ولماذا لا تنطبق نظرية أيولر على هذه الحالات ؟

ان المشكلة تكمن بالطبع فى أن كافة متعددات السطوح التى ناقشناها سابقا يمكن أن تشبه كرة القدم أو البالون ، بينما كان الجسمان السابقان الجديدان أشبه باطار العجلة ، أو احدى المصنوعات المطاطية المعقدة ، فالبرهان الرياضى السابق ذكره لا ينطبق على متعددات السطوح من أمثال الشكل السابق لأن أجسام هذه الأشكال لا يمكن أن تطبق عليها العمليات اللازمة للبرهان حيث قد « طلب منا أن نقطع أحد الوجوه للشكل المفرد متعدد السطوح وأن نحور شكل السطح الباقى حتى يصبح مستويا أو ممددا » .

وإذا ما أخذت كرة قدم وأزلت جزءا من سطحها باستعمال المقص لن تجد صعوبة في تحقيق المطلوب بعد ذلك . ولكن هذا لا يمكن فعله مع الاطار بنجاح مهما حاولت ، فاذا لم تقتنع بالنظر الى شكل (١٦) أحضر اطارا قديما وجرب بنفسك .

ولكن لا تحسب أنه لا توجد علاقة بين و ، ر ، ح لمتعددات السطوح المعقدة الشكل، فهناك علاقة بينها وان كانت مختلفة عن السابقة، فبالنسبة للشكل الذي يشبه اليقسماط الحلقي أو الطارة أو الجسم الحلقي فالعلاقة تكون فيه $ر + ح = و$ ، في حين يتغير هذا القانون بالنسبة الى المجسمات الشبيهة بشكل (١٦) $ر + و = ح - ٢$ وبصفة عامة تكون العلاقة $ر + و = ح + ٢ - ٢$ ن حيث ن عدد الثقوب .

ومن المشكلات الطوبولوجية ذات العلاقة الوثيقة بنظرية أيولر ما يعرف بـ « مشكلة الألوان الأربعة » . افترض أن لدينا مسطحا كرويا مقسما الى عدد من المناطق المنفصلة . وطلب منا أن نلون هذه المناطق بحيث لا يكون لمنطقتين متجاورتين (أى على حدود مشتركة) نفس اللون . فما هو أقل عدد من الألوان المختلفة الممكن استخدامها في مثل هذا العمل ؟ من الواضح أن لونين فقط لا يكفيان بصفة عامة ، ذلك أن لدينا ثلاثة حدود لمناطق مختلفة ملتقية في نقطة واحدة (مثلا في فرجينيا ، ووست فرجينيا ، ومرييلاند على خريطة الولايات المتحدة شكل ١٧) .



(شكل رقم ١٧)

خريطة طوبولوجية لولايات مرييلاند وفرجينيا ووست فرجينيا (يسارا) .
وسويسرا وفرنسا والمانيا وايطاليا (يمين) .

كما يسهل أيضا أن نجد مثلا يتطلب أربعة ألوان (سويسرا في الفترة التي كانت النمسا فيها خاضعة لألمانيا (شكل ١٧) (٤) .

ولكن مهما حاولت لن تستطيع أن ترسم خريطة من الخيال على سطح كرة أو على ورقة مستوية بحيث تحتاج فيها الى أكثر من أربعة ألوان (٥) . ويبدو أنه مهما كانت الخريطة معقدة ، فان أربعة ألوان تكفى دائما لتجنب أى لبس على الحدود .

اذن ، اذا صحت العبارة السابقة فلا بد من أننا نستطيع التوصل الى برهان رياضى لها ، ولكن هذا البرهان استعصى على أجيال الرياضيين حتى وقتنا هذا . وها نحن بازاء حالة رياضية لا شك فيها عمليا غير أن احدا لا يعرف لها برهانا . وقصارى ما أمكن التوصل اليه رياضيا أن العدد الكافى من الالوان هو خمسة . وهذا البرهان مبنى على علاقة أيولر التي طبقت على عدد من الدول وعدد من الحدود وعدد من النقاط التي تلتقى فيها ثلاث أو أربع دول . الخ .

وسوف لا نتعرض لهذا البرهان بسبب شدة تعقيده كما أنه سيبعدنا عن موضوع البحث الرئيسى محل المناقشة . ولكن يستطيع القارئ أن يجده فى مختلف كتب الطوبولوجيا فيقضى ليلة ممتعة (أو ربما ليلة مسهدة) فى التأمل فيه .

وعليك اما أن تثبت أنه ليس فقط خمسة ألوان ، بل وأربعة ألوان تكفى لتلوين أى خريطة ، أو اذا كنت تشك فى صحة هذه العبارة واستطعت أن ترسم خريطة تحتاج الى أكثر من أربعة ألوان فسوف يودى نجاحك فى أى من هاتين المحاولتين الى تسجيل اسمك فى حويلات الرياضة البحتة على مدى قرون المستقبل .

ومما يبعث على العجب أن مشكلة التلوين التي استعصت على الحل فوق السطح الكروي أو المستوى ، تجد حلا لها بشكل بسيط نسبيا على الأسطح المعقدة مثل الكعكة أو « البقسماط » . وعلى سبيل المثال فقد ثبت أن سبعة ألوان مختلفة تكفى لتلوين أى مجموعة من التقسيمات الفرعية

(٤) قبل هذا العهد كانت تكفينا ثلاثة ألوان ، سويسرا ، اخضر ، وفرنسا والنمسا ، احمر ، وألمانيا وإيطاليا ، أصفر .

(٥) تتماثل الخريطة المرسومة على كرة مع تلك المرسومة على ورقة مستوية من حيث مشكلة الألوان . وطالما أن للمشكلة حل على الكرة فباستطاعتنا أن نصنع فتحة صغيرة فى إحدى المناطق الملونة و « نفتح » السطح الباقى على جسم مستو ، مما يعد تحويلا طوبولوجيا مثاليا .



دون تلوين منطقتين متجاورتين بنفس اللون أبداً ، وهناك أمثلة على أننا نحتاج حقا سبعة ألوان .

وحتى تصاب بصداع آخر عليك أن تأتي باطار عجلة منفوخ ومجموعة من سبعة ألوان ، ثم حاول تلوين سطح الاطار بحيث تلامس كل منطقة ملونة بلون ما ستة مناطق أخرى مختلفة الألوان وبعد ذلك تستطيع أن تقول « ان لي طريقتي الخاصة مع الكعكة » .

٣ - قلب الفضاء ظهرا لبطن :

لقد ناقشنا حتى الآن الخواص الطوبولوجية لعدد من الأسطح بصفة خاصة ، وهي تعتبر من التقسيمات الجزئية ثنائية البعد على أنه من الواضح لنا أن نفس هذه الأسئلة يمكن توجيهها بالنسبة للفضاء ثلاثي الأبعاد الذي نعيش فيه . وبذا يمكن صياغة التعميم ثلاثي الأبعاد على مشكلة تلوين الخريطة الى حد ما كالتالي :

المطلوب منا أن نبنى فضاء من الفسيفساء باستخدام قطع مختلفة الأشكال والمواد المصنوعة منها ، ونريد أن نفعل ذلك بحيث لا تتلامس في هذا الفضاء قطعتان مصنوعتان من نفس المادة وذلك على امتداد هذا الفضاء . عما عدد القطع المختلفة اللازمة للعمل ؟

وما وجه الشبه بين مشكلة التلوين في ثلاثة أبعاد والتلوين على سطح كرة أو حلقة ؟ وهل من الممكن تصور فضاءات غير عادية بينها وبين الفضاء العادي علاقة مثل علاقة سطح الكرة أو الطائرة بالأجسام ذات السطوح المستوية ؟ هذا السؤال قد يبدو ضربا من الجنون لأول وهلة . فالواقع أنه رغم أننا نستطيع أن نفكر في أسطح مختلفة الأشكال ، إلا أننا لا نستطيع أن نصدق وجود أي نوع من الفضاء ثلاثي الأبعاد إلا هذا الفضاء الموجود أمامنا وهو بالتحديد فضاؤنا الذي نعيش فيه . ولكن هذا الرأي ينطوي على مغالطة خطيرة ، فاذا أعملنا الحيال قليلا ، لا نستطعن أن نفكر في فضاء ثلاثة الأبعاد مختلف نوعا ما عن هذا الفضاء الذي درسناه . في كتب الهندسة الاقليدية المدرسية .

وتكمن صعوبة تخيل مثل هذا الفضاء الغريب أساسا في الحقيقة التي مفادها أننا من المخلوقات ثلاثية الأبعاد ، وبالتالي علينا أن ننظر الى الفضاء « من الداخل » ان صح هذا القول وليس « من الخارج » كما نفعل .

عند دراسة الأسطح الغريبة الشكل ، ولكن يمكننا مع شيء من الرياضة
الذهنية أن نقهر هذه الفضاءات الغريبة دونما صعوبة كبيرة .

دعونا أولا نجاول تصميم نموذج لفضاء ثلاثي الأبعاد ، ذي خواص
مشابهة لسطح الكرة . والخاصية الرئيسية للسطح الكروي هي بالطبع
أنه بالرغم من عدم وجود حدود له فان له مساحة محددة فهو سطح
يستدير وينغلق على نفسه . فهل بمقدورنا أن نتخيل فضاء ثلاثي الأبعاد
يستدير وينغلق على نفسه بشكل مماثل ومن ثم يصبح له حجم محدد دون
أن تكون له حدود قاطعة ؟ فكر في جسمين مستديرين يحد كل منهما
سطح دائري تماما كالتفاحة والقشر المحيط بها .

والآن تخيل أن هذين الجسمين قد وضعا « داخل بعضهما » بحيث
تلتصق قشرتاها . ونحن لا نحاول ، طبعاً ، أن نقول ان بمقدور المرء
أن يأخذ جسمين حقيقيين كالتفاحتين مثلاً ويضغطهما داخل بعضهما بحيث
تلتصق قشرتاها فالتفاحتان سوف تنسحقان ولكنهما لن تتداخلا .

وعلى المرء أن يتخيل تفاحة ذات نظام معقد من القنوات حفر الدود
فيها ، وعليه أن يتخيل جنسين من الدود وليكن أحدهما أبيض والآخر
أسود ، وهذان الجنسان يتنافران ولا يلتقيان في قناة واحدة رغم احتمال
أن كل منهما قد بدأ الحفر من نقطتين متجاورتين . ان تفاحة تتعرض لهذا
الهجوم من نوعين مختلفين من الدود سوف تأخذ في النهاية منظراً مشابهاً
لما هو موضح في شكل (١٨) وسيكون بها شبكتان من القنوات متجاورتان



(شكل رقم ١٨)

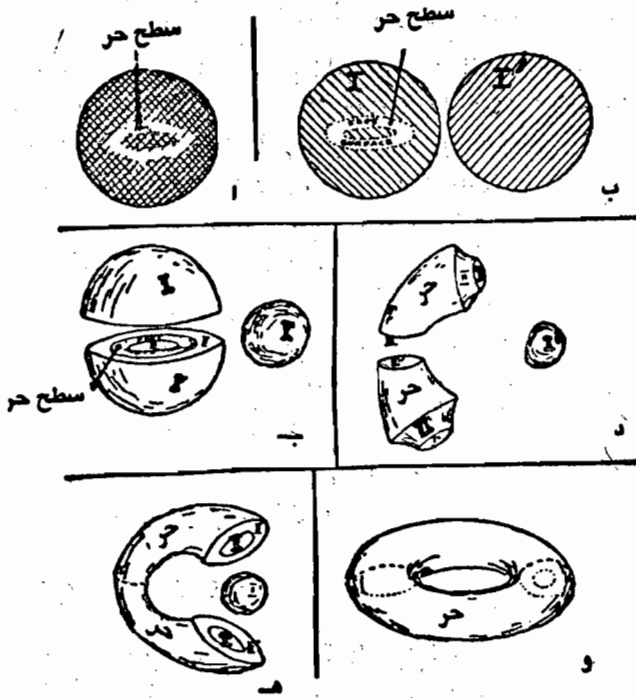
تماما بحيث يمتلىء بهما جوف التفاحة . ولكن على الرغم من أن القنوات السوداء والبيضاء تمران في خطوط سير متقاربة جدا فانه لا يوجد طريق للعبور من الشبكة الأولى الى الشبكة الثانية الا بالعودة الى القشرة .
 وإذا تصورنا أن القنوات تزداد دقة باستمرار ويزداد أيضا عددها سوف تجد في النهاية أن الفضاء الداخلي للتفاحة هو ببساطة تداخل بين فضائين مستقلين لا يلتقيان الا عند السطح الخارجي .

وإذا كنت تكره الدود فعليك أن تتخيل نظاما مزدوجا من الطرقات والسلالم التي يمكن أن تبني مثلا داخل بناء عملاق على هيئة كروية . ويمكنك أن تتصور أن كل سلم يمر بالفضاء الداخلي للكرة ولكن حتى تنتقل من نقطة على أحد السلمين الى نقطة متاخمة لها على السلم الآخر عليك أن تبدأ من سطح الكرة حيث يلتقي السلمان ثم تأخذ طريقك الى الموقع الذي تريده على أحدهما . فنحن نفترض وجود سلمين متداخلين دون أن يندمجا معا ، وأن صديقا لك قد يكون قريبا جدا منك وعلى الرغم من ذلك عليك حتى تتمكن من مقابله ومصافحته أن تعود من حيث أتيت ، وتبدأ الطريق من جديد على السلم الذي يقف عليه ! ومن المهم أن تلاحظ أن نقط الالتقاء بين نظامي السلم لن يختلفا في الواقع ، عن أى نقطة أخرى داخل الكرة ، حيث انه بمقدورنا دائما أن نغير التركيب كله بحيث نجذب نقط الالتقاء الى الداخل بينما تدفع النقط التي كانت من قبل في الداخل الى خارج سطح الكرة . والنقطة التالية في الأهمية في هذا النموذج هي أن الطول الكلي للقنوات محدد ولكن لا يوجد لها « نهايات محددة » . فبإمكانك أن تمضي عبر الطرقات والسلالم دون أن يوقفك سور أو حائط ، وإذا ما طال بك السير فسوف تصل لا محالة الى نقطة البداية . وبالنظر الى هذا البناء من الخارج يمكن للمرء أن يقول ان السير في هذه المتاهة سوف يؤدي بك الى أن تجد نفسك في النهاية عند نقطة البداية وذلك ببساطة لأن الممرات تلتف بالتدرج حول بعضها ، ولكن بالنسبة لمن بداخل الكرة ولا يعلمون شيئا عن خارج هذه الكرة ، سوف يبدو لهم هذا الفضاء وكأن حجمه لا نهائي كما أنه لا حدود له .
 وكما سوف نرى في أحد الفصول القادمة أن هذا « الفضاء ثلاثي الأبعاد المنغلق على نفسه » ، الذي ليست له حدود واضحة والذي مع ذلك محدود وليس صحيحا على الإطلاق أنه لا نهائي ، قد ساعدنا عند الحديث عن خواص الكون بصفة عامة ، والحقيقة أن المشاهدات التي تمت عن طريق التلسكوب ، تشير كما يبدو الى أن هذا الفضاء البعيد يبدأ بالانحناء ، عند أبعاد مترامية مما يدل على ميل واضح الى الالتفاف والانغلاق على نفسه بنفس الأسلوب الذي يحدث في القنوات ، في مثال التفاحة والدود ولكن

قبل أن نمضى فى دراسة هذه المشكلة المثيرة ، علينا أن نعلم المزيد من
 خواص الفضاء الأخرى .

THE PRINCE GHAZI TRUST
 FOR QURĀNIC THOUGHT

ونحن نم نفرغ تماما من التفاحة والدود والسؤال التالى هو هل
 يمكن تحويل التفاحة الى حلقة من البقسماط ؟ كلا نحن لا نقصد تحويلا
 فى الطعم فنحن نعنى هنا بدراسة الهندسة وليس بالطهى . والآن لناخذ
 تفاحتين مماثلتين لما ذكرناه فى الجزء السابق أى تفاحتان طازجتان « داخل
 بعضهما » و « ملتصقتان ببعضهما » من القشرة والآن افترض أن دودة قد
 صنعت قناة اسطوانية واسعة كما فى شكل (١٩) . تذكر أن ذلك لن
 يحدث الا فى تفاحة واحدة بحيث تكون كل نقطة لم تنخرها الدودة مزدوجة
 فى التفاحتين أما داخل القناة فسوف نجد لدينا مادة التفاحة التى لم تنخرها
 الدودة . والآن فان « التفاحة المزدوجة » يصبح لها سطح جديد خالص
 من الجدارين الداخلين للقناة (أ) . . .



(شكل رقم ١٩)

كيف تحول تفاحة مزدوجة نخرتها دودة الى قطعة من البقسماط بلا سحر ،
 انها مجرد طوبولوجيا .

هل تستطيع أن تحول شكل هذه التفاحة التالفة الى حلقة من البقسماط ؟ من المفترض بالطبع أن مادة هذه التفاحة مرنة تماما بحيث يمكن تشكيلها كما نشاء والشرط الوحيد هو عدم حدوث أى تمزق فيها . وحتى يمكن تسهيل العملية ربما نقطع مادة التفاحة بشرط أن نعيد لصقها ثانية بعد اجراء التحوير المطلوب .

نبدأ العملية بفصل قشرتى هاتين التفاحتين عن بعضهما (التفاحة المزدوجة وأبعاد التفاحتين عن بعضهما) (شكل ١٩ ب) . وسوف نميز السطحين المنفصلين بالرقمين I والحرف II حتى نتمكن من متابعتها في العمليات اللاحقة ونستطيع أن نعيدهما كما كانا قبل الانتهاء من المهمة . والآن تقطع الجزء الذى يحتوى على القناة التى صنعتها الدودة بالعرض وبذلك يمر القطع من منتصف القناة (شكل ١٩ ج) . وينتج عن هذه العملية فتح سطحين جديدين ونرمز لهما بالرموز II ، II و III ، III بحيث نعرف كيف نلصقهما ببعض مرة أخرى . كما يؤدي هذا القطع الى ظهور السطح الحر للقناة والذى سوف يشكل سطحاً حراً للكعبة . والآن خذ الأجزاء المقطوعة ورتبها كما يظهر فى الشكل (١٩ د) . والآن تجد أن السطح الحر قد امتد الى حد كبير (لكن وفقاً لما افترضناه فان مادة التفاحة قابلة للامتداد والمط تماما !) . وفى الوقت ذاته نجد أن السطوح المقطوعة I ، II ، III قد انكمشت أبعادها . وأثناء التعامل مع النصف الأول من « التفاحة المزدوجة » ينبغى أيضاً أن نقلص حجم النصف الثانى ضاغطين اياه بحيث يماثل حجم ثمرة التوت ، والآن نحن على استعداد للبدء فى لصق ما قطعناه . فى البداية الصق السطحين III ، III مرة ثانية ، وهذا أمر سهل ، وبذلك تحصل على الشكل الموضح فى (١٩ هـ) . ثم ضع التفاحة المنكمشة بين نهايتى الشكل الناتج الشبيه بالكماشة ثم صل الطرفين معا . ان سطح الكرة الرموز لها بالرمز I سوف يلصق بالسطح I والذى انفصل عنه فى الأصل بينما ينغلق السطحان II ، II على بعضهما ونتيجة لذلك نحصل على حلقة كالبقسماط .

وما مغزى ذلك كله ؟ .

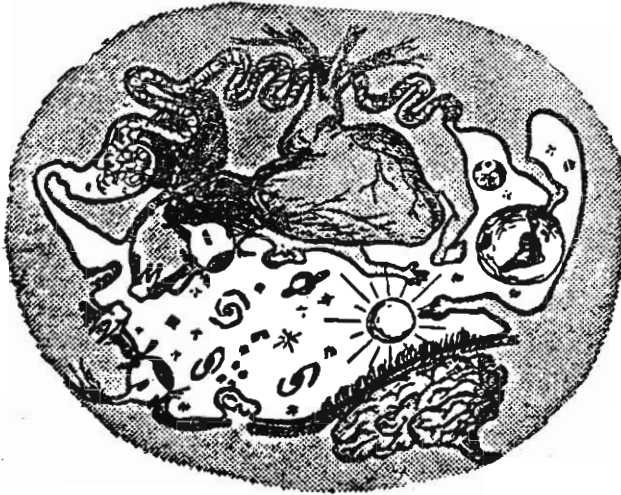
لاشئ الا تدريك على الهندسة التخيلية ، وهى نوع من الرياضة الذهنية سوف يساعدك على فهم الأمور الغريبة مثل الفضاء المنحنى والفضاء المنغلق على نفسه .

إذا أردت أن توسع من أفق تخيلك أكثر من ذلك قليلا ، فاليك « التطبيق العملى » على التجربة السابقة .

ان جسمك أيضا له شكل الحلقة وان كان ذلك لم يخطر لك ببال من قبل . والواقع أن هذه مرحلة مبكرة جدا من مراحل التكوين (مرحلة الجنين) . وكل نظام حتى يمر بما يسمى « المرحلة المعدية » (من المعدة) حيث يأخذ الجنين الشكل كرويا وبه قناة واسعة تمر بعرضه ، ويدخل الطعام من احدى نهايتى هذه القناة ليخرج من طرفها الآخر بعد أن يحتجز الجسم منه ما يمكن الانتفاع به . أما الكائنات الكاملة النمو فتصبح هذه القناة فيها أدق وأكثر تعقيدا ، ولكن المبدأ يظل كما هو ، كما أن كافة خواص الحلقة البقسماطية تبقى كما هى دون تغيير .

حسن ، طالما أنك حلقة حاول أن تجرى تحويلا عكسيا لتلك الهيئة المبينة فى شكل (١٩) وحاول أن تتخيل أنك أصبحت تفاحة مزدوجة بها قناة داخلية ، وسوف تجد على وجه الخصوص أنه طالما أن الأجزاء المختلفة من جسمك ، والمتداخلة جزئيا مع بعضها البعض سوف تمثل جسم « التفاحة المزدوجة » فان الكون بأكمله ، بما فى ذلك الأرض والقمر والشمس والنجوم سوف ينضغط فى هذه القناة الداخلية الدائرية !

حاول رسم صورة لما قد يبدو هذا الأمر عليه ، فاذا ما فعلت ذلك

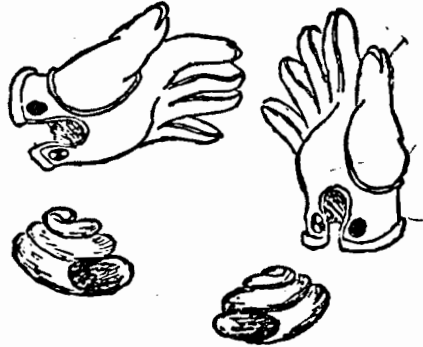


(شكل رقم ٢٠)

الكون ظهرا لبطن . هذا الرسم السريالى يعبر عن رجل يمشى على سطح الكرة الأرضية ويمد يمه الى النجوم . والصورة محولة طوبولوجيا وفقا للاستلوك الذى سبقت الاشارة اليه (فى شكل ١٩) ولذا فان الأرض ، والشمس ، والنجوم كلها مكدسة فى قناة ضيقة نسبيا وتمر داخل جسم الانسان معاطة بأعضائه الداخلية .

سيعترف لك « سلفادور دالي » نفسه بالتفوق في فن الرسم السريالي (*).
(شكل ٢٠) .

ولن نستطيع أن نأتى على هذا الجزء الطويل من الكتاب دون أن نناقش بعض الأجسام اليمينية واليسارية وعلاقتها بالخواص العامة للفضاء . وقد يسهل عرض هذه المشكلة بأسلوب ملائم بالاستعانة بزواج من القفزات ، وعندما تقارن بين فردتى زوج من القفزات ستجد أنهما متطابقتان في جميع القياسات الا أن هناك اختلافا كبيرا ، إذ انك لا تستطيع ارتداء الفردة اليمنى في اليد اليسرى أو العكس وبمقدورك أن تلفهما وتديرهما كما تشاء ومع هذا تبقى اليمنى اليمنى واليسرى يسرى . ويمكن ملاحظة نفس الاختلاف بين الأشياء اليمنى واليسرى في تكوين الأحذية ، ونظام التوجيه في السيارات (أمريكية وانجليزية النوع) ومضارب الجولف وغير ذلك من الأشياء .



(شكل رقم ٢١)

تبدّر الفردتان اليمنى واليسرى متشابهتان تماما ومع ذلك فهما مختلفتان
تماما أيضا .

ومن ناحية أخرى نجد أشياء مثل قبعات الرجال ومضارب التنس والعديد من الأدوات الأخرى متشابهة تماما . فلا أحد من الحماقة بحيث يطلب من متجر دستة من الفناجين اليسارية ، كما أن من الغباء بمكان أن يطلب شخص ما استعارة مفتاح انجليزي يساروى من جار له . ما الفارق بين هذين النوعين من الأشياء ؟ ستجد بعد قليل من التفكير أن أشياء مثل القبعات والفناجين تنصف بما يمكن أن نسميه بالمنستوى

(*) نزعة ولدت عام ١٩٢٤ وتعمد أساسا على اللاشعور وتأثرت بتحليلات بريتون وفرويد النفسية ومن روادها المعاصرين دالي وميرو وشجال . . (المترجم) .

التمائل بحيث يمكن أن نقسمها الى نصفين متماثلين ، الا أن هذا المستوى لا يوجد في الفقارات أو الأحذية . ومهما حاولت فلن تستطيع أن تقسم فردة قفاز الى نصفين متطابقين . والأجسام التي لا تمتلك هذا المستوى التماثل أو تلك التي يطلق عليها لا متماثلة تندرج تحت فئتين مختلفتين وهما اليمنى واليسرى . وهذا الاختلاف لا يكمن فيما يصنعه الانسان فحسب كالفقازات أو مضارب الجولف ولكنه شائع أيضا في الطبيعة . فيوجد مثلا نوعان من القواقع وهما متشابهان في جميع النواحي عدا طريقة بناء منازلهما . فهناك نوع يبني ماواه بشكل مغزلي مع اتجاه عقارب الساعة ، بينما يكون اتجاه بيت النوع الثاني ضد عقارب الساعة ، وحتى ما يسمى بالجزينات ، وهي الوحدات الدقيقة التي تتكون منها كافة المواد المختلفة يوجد منها جزينات يسرى وأخرى اليمنى تماما كما في القفازات أو المحارات - ولا يستطيع أحد أن يرى الجزينات بعينه المجردة قطعاً ، ولكن عدم التماثل يظهر في أشكال البلورات وبعض الخواص الضوئية لها . فهناك مثلا صنفان من السكر ، سكر أيمن ، وسكر أيسر وصدق أو لا تصدق . يوجد نوعان من البكتريا التي تتغذى على السكر ، كل نوع متخصص في استهلاك صنف معين من هذه المادة .



(شكل رقم ٢٢)

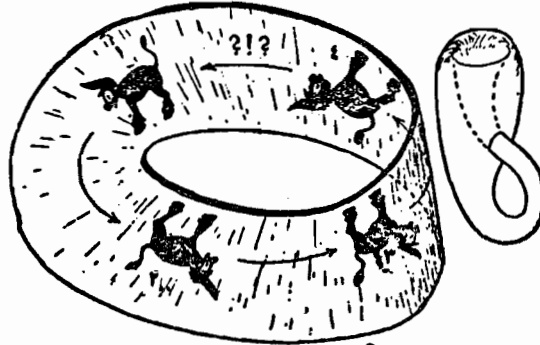
فكرة وجود « مخلوقات الظل » التي تمشي على سطح مستو ، وهذا النوع من المخلوقات ليس « واقعيًا » تماما . فالرجل له وجه وليس له « برويل » ، كما أنه لا يستطيع أن يضع في فمه هذا العنب الذي يحمله في يده . ويستطيع الحمار أن يأكل العنب ولا شيء في ذلك ، ولكنه لن يدشى الا الى اليمنى وعليه أن يتقهقر اذا اراد السير الى اليسار وهذا ليس غريباً بالنسبة للحمير ولكنه ليس مقبولا بصفة عامة .

وكما أشرنا آنفا من المستحيل قطعنا ، أن نحول جسما أيسر الى جسم أيمن كما في القفاز على سبيل المثال . ولكن هل هذا صحيح فعلا ؟ أو هل يستطيع أحد أن يتخيل نوعا من الفضاء يمكن فيه أن يتم هذا التحويل ؟ وحتى يتسنى لنا الإجابة على هذا السؤال ، علينا أن نتناول الأمر من وجهة نظر الأجسام المسطحة التي تسكن سطحا يمكن أن ننظر اليه من وضع التفوق باعتبارنا من الكائنات ثلاثية الأبعاد . انظر شكل ٢٢ الذي يمثل بعض الأمثلة للسكان الممكن وجودهم على أرض مسطحة ، من فضاء ثنائي الأبعاد وبه يظهر رجل حاملا عنقود من العنب وهى صورة « أمامية للرجل » اذ ان له وجها وليس له بروفيل . بينما ترى في المثال الآخر « بروفيل لمار » أو بشكل أكثر دقة صورة جانبية يعنى له . ونستطيع بطبيعة الحال أن نرسم صورة جانبية يسرى له . ولما كان كلا المثالين مقيدا بالسطح فان الاختلاف بينهما لا يخرج عن الاختلاف من وجهة النظر ثنائية الأبعاد . تماما كالقفاز الأيمن والأيسر في فضائنا العادى . وليس بمقدورك أن تضع « حمارا أيسر » على « حمار أيمن » ، طالما أنك مضطر حتى تنجح فى ضم أنفيهما وذيليهما معا الى أن تقلب أحدهما رأسا على عقب ، وبالتالي تصبح أرجل أحدهما معلقة فى الهواء بدلا من استقرارها على الأرض .

ولكنك اذا أخذت واحدا منهما ، بعيدا عن السطح وأدرته فى الفضاء ووضعتة ثانية على السطح سوف يصبح الحماران متطابقين . وقياسا على ذلك يمكن القول ان فردة قفاز يمنى يمكن أن نحولها الى فردة يسرى عن طريق انتزاعها من فضائنا فى الاتجاه الرابع وتحريكها بشكل مناسب قبل اعادتها الى وضعها ثانية . ولكن فضاءنا ليس به بعد رابع ومن ثم فان هذا العمل يعتبر ، بالتأكيد ، مستحيلا .

اذن دعنا نعود مرة أخرى الى هذا العالم ثنائي الأبعاد ولكن بدلا من أن نتعامل مع سطح مستوى كما فى شكل (٢٢) ، نتحرى خصائص ما يطلق عليه « سطح موبوس » (Moebius) وهذا السطح المعروف باسم الرياضى الألماني الشهير الذى كان أول من درسه منذ قرن من الزمان ويمكن اعداده بأخذ شريط من الورق العادى ، ولصقه على هيئة حلقة مع ليه مرة قبل أن يوصل طرفاه ببعضهما . ان نظرة الى شكل (٢٣) سوف تظهر لك كيفية القيام بذلك . وهذا السطح يتميز بعدد من الحواص الغريبة التى يمكن اكتشافها بسهولة عن طريق شقه بالمقص تماما فى خط مواز لحافته (على امتداد الأسهم فى الشكل) . انك تتوقع بالطبع أن تحصل على حلقتين منفصلتين ، ولكن التجربة العملية ستثبت خطأ هذا الاعتقاد ، فبدلا من حصولك على حلقتين سوف تحصل على حلقة واحدة يساوى محيطها ضعف محيط الخاتم الأصلي وعرضها النصف ! .

والآن دعونا نرى ما يحدث لظل حمار حين يمشى على امتداد سطح
 وميوس وافترض أنه يبدأ من الموضع ١ (شكل ٢٣) فيرى عند هذه
 النقطة كصورة جانبية يسرى ، ثم يمضى حتى يصل الى الموضع ٢ ، ٣ ،
 الموضع فى الشكل ٠ وفى النهاية يصل الى النقطة التى بدأ منها ٠ ولكن
 من المدهش له ولك أيضا أنه سيجد نفسه وقد تعلقت أرجله فى الهواء
 (موضع ٤) وبمقدوره طبعاً أن ينقلب على سطحه لتنزل أرجله ولكنه
 سيكون فى عكس اتجاهه الأصلي ٠



(شكل رقم ٢٣)

سطح مويوس وزجاجة كلين

وبإيجاز نقول ان السير على سطح « مويوس » سوف يجعل من
 « البروفيل الأيسر » للحمار بروفيلا أيمن ، وهنا نذكرك أن هذا قد تم
 رغم أنه لا يزال على نفس السطح ولم يؤخذ منه ليقلب فى الفضاء ٠
 وهكذا نجد أنه يمكن تحويل الأشياء اليمنى الى أشياء يسرى على سطح
 ملتف والعكس صحيح عن طريق السير على امتداد هذا الالتفاف ٠

ويمثل « شريط مويوس » المبين فى شكل (٢٣) جزءاً من سطح أكثر شمولاً
 يعرف بزجاجة « كلين » (Klein) (وهى مبنية على اليمين فى نفس
 الشكل) ، وهى ذات جانب واحد ومنغلقة على نفسها دون أى انكسارات
 حادة ٠ فإذا كان ذلك ممكن حدوده على سطح ثنائى الأبعاد فيمكن أن
 يحدث أيضاً على سطح ثلاثى الأبعاد بشرط أن يلتف بالطريقة المناسبة
 طبعاً ٠ وطبعى أنه من الصعب أن نتخيل التفاف « مويوس » فى الفضاء ،
 فنحن لا نستطيع أن نلقى نظرة على فضاءنا من الخارج كما نظرنا الى ظل
 الحمار ، ومن الصعب دائماً أن ترى الأشياء بوضوح عندما تكون فى
 وسطها على أن انغلاق الفضاء على نفسه والتفافه كما فى سطح مويوس
 ليس بالأمر المستحيل ٠

ولو صح ذلك لكان معناه أن المسافرين حول الكون سوف يعود أيسر
الاتجاه ، بحيث يكون قلبه على اليمين ، وسوف يسهل على صانعي الأحذية
والقفازات أن يستغلوا هذه الميزة بانتاج أحذية وقفازات ذات اتجاه
واحد ، ثم شحن نصف هذا الانتاج فى دورة حول الكون حتى يعود مناسباً
للنصف الثانى من الأحذية أو القفازات .

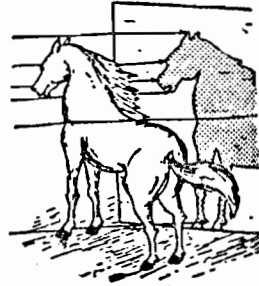
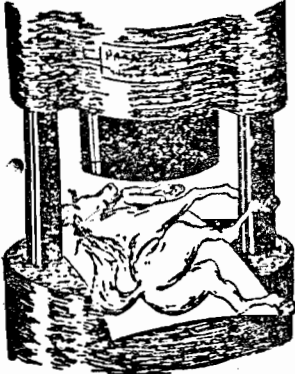
وبهذه الفكرة الخيالية نأتى الى ختام حديثنا عن الخواص غير العادية
للقضاء غير المؤلف .

الفصل الرابع

العالم رباعي الأبعاد

١ - الزمن بعد رابع :

ان مفهوم البعد الرابع محاط دائما بالغموض وعدم اليقين ، فكيف نجرؤ نحن المخلوقات ذات الطول والعرض والسمك على أن نتحدث عن فضاء رباعي الأبعاد ؟ وهل يمكننا باستخدام كل طاقتنا الفكرية المبنية على الثلاثة أبعاد أن نتصور فضاء فوقيا ذا أربعة أبعاد ؟ .
وكيف يكون شكل مكعب أو كرة رباعية الأبعاد ؟ عندما نقول « تخيل » تبتنا عملاقا ذا ذيل طويل مددع ولهب ينبعث من فتحتى أنفه

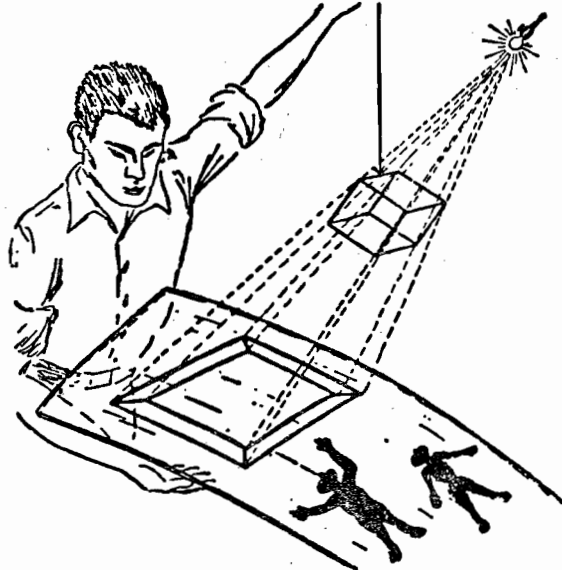


(شكل رقم ٢٤)

طريقة سليمة وطريقة خاطئة لـ « ضغط » جسم ثلاثى الأبعاد ليصبح ثنائى الأبعاد .

أو طائرة ضخمة بها حمام سباحة وملعبا تنس على الأجنحة ، فإننا نرسم صورة ذهنية لما يمكن أن تكون هذه الأشياء عليه اذا قدر وظهرت أمامنا . وأنت ترسم هذه الصورة بناء على خلفية من فضاء مألوف ثلاثى الأبعاد يحتوى على جميع الأشياء العادية بما فى ذلك أنت نفسك . واذا كان ذلك هو ما تنطوى عليه كلمة « تخيل » فلا عجب اذن أنه من المستحيل أن نتخيل جسما رباعى الأبعاد بناء على خلفية من فضاء ثلاثى الأبعاد وهو المألوف لديك . ومن المستحيل أن نحول جسما ثلاثى الأبعاد الى جسم مستو بالضغط . ولكن مهلا دقيقة واحدة ، فنحن نفعل ذلك بشكل ما حين نضغط الأجسام ونحولها الى أشكال مسطحة عند رسم صور لها وفى كل هذه الحالات ، لا نلجأ الى استعمال مكبس هيدرولى بالطبع ، أو غير ذلك من القوى التى تساعدنا فى تنفيذ هذه المهمة ، ولكننا نطبق الأسلوب المعروف « بالاسقاط الهندسى » أو رسم الظلال ، والفارق بين أسلوب ضغط الجسم (بالنسبة لحصان مثلا) يظهر فى الحال عند النظر الى شكل (٢٤) .

وقياسا على ذلك نستطيع الآن القول بأنه على الرغم من استحالة ضغط جسم رباعى الأبعاد فى فضاء ثلاثى الأبعاد دون أن تحدث به نتوءات



(شكل رقم ٢٥)

مخزوقات ثنائية الأبعاد تنظر فى دهشة الى ظل مكعب ثلاثى الأبعاد اسقط على سطحها .

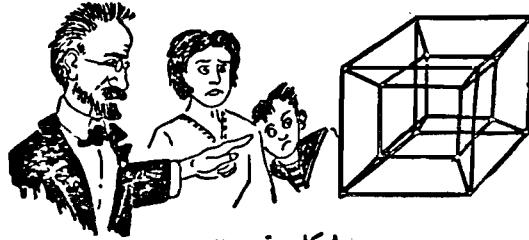
في بعض الأجزاء ، إلا أنه من الممكن « اسقاط » الأشكال الرباعية المختلفة في فضاءنا المقتصر على ثلاثة أبعاد . ولكن على المرء أن يتذكر أن اسقاط الأجسام الرباعية الفوقية سوف يتم في فضاءنا المعتاد على شكل صور ثلاثية ، تماما كما تظهر ثلاثيات الأبعاد على الأسطح المنبسطة في شكل ثنائي الأبعاد .

وحتى نزيد الأمر ايضاحا ، دعونا نفكر أولا في كيفية تعبير الظلال الثنائية الأبعاد الموجودة على مسطح ما عن مكعب ثلاثي الأبعاد أصلا ، تستطيع تخيل ذلك بسهولة ، اذ طالما أننا من المخلوقات الثلاثية فنستطيع أن ننظر من أعلى (أى من موضع التفوق) أو من حيث العالم المتفوق الثلاثي على عالم أقل منه ثنائي . ولا يوجد أسلوب « لضغط » مكعب على سطح منبسط الا ذلك « الاسقاط » المبين في شكل (٢٥) وعن طريق مشاهدة هذا الاسقاط وغيره من الاسقاطات الناشئة عن تحريك المكعب يمكن لسكان السطح المستوي أن يكونوا فكرة عن الخواص الغريبة لهذا الشكل الغريب المسمى « مكعب ثلاثي الأبعاد » . وهم بالطبع لن يتمكنوا من « القفز » خارج سطحهم والنظر الى المكعب كما ننظر اليه ، ولكن عن طريق ملاحظة الاسقاط نستطيع أن نقول ان بمقدورهم ، مثلا ، ادراك أن لهذا المكعب ثمانية رؤوس واثني عشر ضلعا . والآن انظر الشكل (٢٦) وسوف تجد نفسك في نفس الموقف ، تماما كالمخنوقين الظليين المسكينين عند تفقدتهما لمكعب ثلاثي الأبعاد منعكس على سطحهما . والحقيقة أن البناء المعقد والغريب الذي تفحصه هذه الأسرة بهذه الدهشة هو اسقاط طبق الأصل لمكعب فوقى رباعى الأبعاد على فضاءنا المعتاد (١) وافحص هذا الشكل بعناية وسوف تتعرف بسهولة على نفس الخواص تماما كما حدث مع هذين الفردين في شكل (٢٥) : ففي حين أن اسقاط مكعب عادى على مستوى منبسط يظهر على هيئة مربعين أحدهما داخل الآخر ، بحيث تتصل رؤوس كل منهما بالرؤوس المقابلة في الآخر ، فإن اسقاط المكعب الفوقى على فضاءنا يظهر على هيئة مكعبين أحدهما داخل الآخر ورؤوسهما متصلة ببعضها بشكل مشابه . ويمكنك بسهولة عن طريق العد أن نتبين أن للمكعب الفوقى ١٦ رأسا و ٣٢ ضلعا و ٢٤ وجهة وهو مكعب تام أليس كذلك ؟

والآن لنر شكل الكرة الرباعية الأبعاد ، وحتى نفعل ذلك فمن الأفضل أن نلجأ مرة أخرى الى حالة مألوفة ، وهي اسقاط كرة عادية على

(١) أو على الأصح ، يعبر شكل ٢٦ عن اسقاط هذا الكعب على ورقة من الكتاب للمستوى ، وهذا الاسقاط ناشئ عن مكعب فوقى رباعى الأبعاد .

سطح مستو • ولنفكر مثلا في كرة شفافة تحتوي على خريطة للقارات والمحيطات ومسقطة على حائط أبيض (شكل ٢٧) • وسوف يتداخل نصف الكرة في هذه الصورة بالطبع ، وإذا حكمنا على المسافات منها ظن المرء أن المسافة بين نيويورك (الولايات المتحدة الأمريكية) « وبكين » (الصين) قصيرة جدا ولكن هذا مجرد انطباع ، والواقع أن كل نقطة على هذا الاسقاط انما تمثل في الحقيقة نقطتين متقابلتين على الكرة الأصلية ، وبالتالي فان اسقاطا لطائرة مسافرة من نيويورك الى الصين على الكرة الأرضية سوف يتجه بطول الطريق حتى يصل الى حافة السطح المنبسط للاسقاط ، ثم يرجع هذه المسافة مرة أخرى • وعلى الرغم من أن اسقاط طائرتين في نفس الوقت قد يظهر تداخلا بينهما الا أنه لن يكون هناك أن تصادم « فعلا » اذا كان كل منهما يطير في النصف العكسي للكرة بالنسبة للآخر •

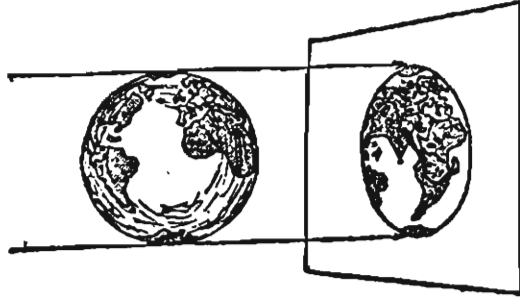


(شكل رقم ٢٦)

ان هذه الخواص تميز الاسقاط المستوي لكرة عادية ، فاذ ما استزدنا من ملكة الخيال أكثر من ذلك فلن نجد صعوبة في تصور الاسقاط الفضائي لكرة رباعية ، وكما يظهر اسقاط الكرة العادية على سطح مستو على صورة دائرتين فوق بعضهما (نقطة فوق نقطة) ولا تتحد الدائرتان الا في المحيط الخارجي - كذلك يمكن تخيل الاسقاط الفضائي لكرة فوقية من جسمين كرويين متداخلين وملتحمين على مستوى السطح الخارجي لكل منهما ، ولكنه سبق لنا أن ناقشنا فعلا تركيبية غير عادية ، وهي التي شرحناها في الفصل السابق باعتبارها مثلا على فضاء ثلاثي أشبه بسطح كرة منغلقة أيضا ، لذا فما علينا هنا الا اضافة أن الاسقاط ثلاثي الأبعاد لكرة رباعية لا يزيد على هاتين التفاحتين التوأمتين اللتين سبق لنا أن تحدثنا عن تداخلهما واتحادهما فقط عند القشرة •

وباستخدام القياس ، نستطيع الاجابة عن كثير من الأسئلة الاخرى بالنسبة لخواص الشكل الرباعي الأبعاد ، وذلك على الرغم من أننا مهما حاولنا لن نستطيع أن « نتخيل » اتجاهها رابعا مستقلا في فضاءنا الطبيعي

ولكنك اذا امعنت النظر أكثر من ذلك ، سوف تجد نفسك في غير حاجة لأن تصبح صاحب قوى خفية حتى تفهم مغزى البعد الرابع والحقيقة أن هناك كلمة يكاد أغلبنا يستعملها كل يوم للإشارة الى ما قد يعتبر (أو يجب أن يعتبر بالفعل) معبرا عن البعد الرابع المستقل في عالمنا الطبيعي ، ونحن نقصد بذلك الزمان وهو ما يستعمل دائما مع المكان . لوصف الأحداث التي تجرى من حولنا . وعندما نتحدث عن أى واقعة تحدث في الكون سواء كانت مقابلة صديق بالصدفة في الطريق ، أو انفجار نجم بعيد لا تقتصر عادة في وصفها على مكان الحدوث ولكننا نذكر الزمن أيضا . وبذلك نضيف حقيقة جديدة وهي التاريخ الى ثلاث حقائق قديمة وهي الاتجاهات التي تحدد موقعنا في المكان .



(شكل رقم ٢٧)

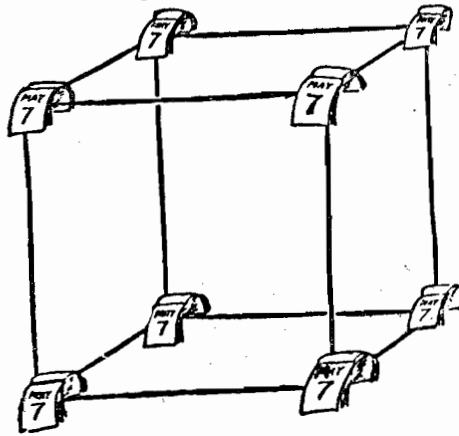
اسقاط منبسط للكرة الارضية .

وإذا ما زدت الأمر بحثا ، أدركت بسهولة أن كل جسم طبيعي له أربعة أبعاد ، ثلاثة منها في الفضاء والرابع في الزمن . ولذا فإن البيت الذي نسكنه يمتد في طوله وعرضه وارتفاعه وأيضا في الزمن . والامتداد الأخير له يقاس بتلك الفترة من الزمن التي مرت منذ بنائه حتى فنائه سواء بالحريق ، أو الهدم ، أو الانهيار بعد فترة زمنية أطول .

ومن المؤكد أن الاتجاه الزمني لا يشبه تماما الاتجاهات الثلاثة الأخرى الفضائية . فالزمن يقاس بالساعة التي تعبر بدقاتها عن الثواني والساعات بالمقارنة مع المسافات التي تقاس بالياردة (أو المتر) ، وذلك لقياس الطول والعرض والارتفاع ، فأنت لا تستطيع أن تحول العصا المترية الى ساعة لقياس فترة زمنية . وهناك اختلاف آخر ، ففي حين أنك تستطيع أن تتحرك للأمام ، أو الى اليمين ، أو الى أعلى في الفضاء ثم تعود ثانية ، فانك لا تستطيع التقهقر الى الوراء في الزمن ، مما يجعلك لا تستطيع التحرك الا من الماضي للمستقبل . ولكن مع التسليم بكل

هذه الاختلافات بين الاتجاه الزمني ، والاتجاهات الفضائية ، فلا يزال بمقدورنا أن نستخدم الزمن باعتباره الاتجاه الرابع في أحداث عالمنا الطبيعي ، على ألا ننسى أنه يختلف عن بقية الاتجاهات .

وباختيار الزمن كبعد رابع سنجد أن تصور الأشكال الرباعية أصبح أبسط كثيرا مما كان عليه في مستهل هذا الفصل . هل تذكر مثلا ذلك الشكل الغريب الذي نتج عن اسقاط المكعب رباعي الأبعاد ، ستة عشر رأسا واثنا عشر ضلعا ، وأربعة وعشرون وجها ! فلا عجب من أن يحملق الأشخاص في شكل (٢٦) بدهشة في هذا المخلوق الهندسي الغريب ، ومن وجهة نظرنا الجديدة ، نحن نعتبر المكعب رباعي الأبعاد مكعبا عاديا موجودا في فترة زمنية معينة . وافترض أنك بنيت مكعبا من اثنتي عشرة قطعة من الأسلاك المستقيمة وكان ذلك في الأول من مايو ثم فككت هذا المكعب بعد شهر ، فلا بد أن كل نقطة ركنية من هذا المكعب تعتبر حقا خطا ممتدا في اتجاه الزمن بطول شهر واحد . وبوسعك أن تعلق تقويما زمنيا على كل رأس في المكعب ثم تغير ورقة يوميا لبيان الزمن .



(شكل رقم ٢٨)

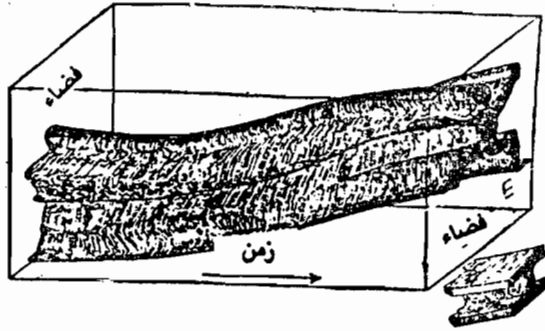
والآن من السهل أن تحصى عدد الأضلاع في شكلنا رباعي الأبعاد ولديك في الحقيقة اثنا عشر ضلعا عند بداية وجود المكعب ، وثمانية أضلاع « زمنية » تمثل عمر كل رأس من رؤوسه ، ثم اثنا عشر ضلعا إضافية في فترة نهاية عمر المكعب (٢) وهي تشكل مجتمعة اثنين وثلاثين ضلعا

(٢) ان لم تستوعب ذلك فكر في المربع ذي الأربع نقاط الركنية ، والأربعة جوانب التي تحركها لمسافة معينة بشكل متعامد على سطحه (في الاتجاه الثالث) ، تكون هذه للمسافة مساوية لطول الضلع الواحد في المربع .

وبنفس الطريقة نعد مجموع الرؤوس فيصل الى ستة عشر رأسا وهي ثمانية رؤوس في ٧ مايو ، ثم نقيس هذه الرؤوس فضائيا في ٧ يونيو ، ونترك للقارئ عد الوجوه بحيث يكون تدريبا له على نفس الطريقة . وعندما نفعل ذلك لابد أن نتذكر أن بعض هذه الوجوه يعتبر وجوها أصلية للمكعب الأصلي ، بينما تعتبر الوجوه الأخرى « نصف فضائية - نصف زمنية » نشأت عن الأضلاع الرئيسية في مكعبنا ممتدة من ٧ مايو حتى ٧ يونيو .

ان ما قلناه هنا عن المكعب رباعي الأبعاد يمكن تطبيقه بالطبع على أى شكل هندسى أو أى جسم مادي حيا كان أو ميتا .

وفكر في نفسك خاصة كشكل رباعي الأبعاد ، أو نوع من المطاط الممتد في الزمن لحظة ميلادك حتى نهاية عمرك الطبيعي . ومن سوء الحظ أنك لا تستطيع رسم أشياء رباعية الأبعاد على الورق ، ولذا فقد حاولنا في شكل (٢٩) أن نوصل هذه الفكرة باستخدام مثال لرجل ظلي ، ثنائي الأبعاد بحيث يكون اتجاه الزمن واتجاه الفضاء عموديين على السطح ثنائي الأبعاد الذى استقر عليه . وتمثل الصورة مجرد جزء واحد من فترة العمر لرجل ظلي وفترة العمر الكلية لهذا الرجل الظلي لابد أن تمثلها قطعة أطول بكثير من المطاط ، وتكون أكثر استدياقا في بدايتها حيث الرجل في طفولته يتعثر في طريقه لفترة معينة في حياته (النمو) ، ثم يكتسب حجما ثابتا عند وفاته (لأن الموتى لا يتحركون) ثم يبدأ في التحلل .



(شكل رقم ٢٩)

ولكى نصبح أكثر دقة علينا أن نقول ان ذلك المطاط الرباعي الأبعاد يتكون من عدد كبير من الألياف المنفصلة يتركب كل منها من عدد من الذرات المنفصلة ، وتظل أغلب هذه الألياف متحدة معا كمجموعة واحدة عبر الحياة بينما يتساقط قليل منها ، مع تساقط الشعر وقص الأظافر .

ولما كانت الذرات لا تفنى ، فإن تحلل جسم الإنسان بعد الموت لابد أن ينظر اليه في الواقع على أنه تناثر الحيوط المنفصلة في جميع الاتجاهات (عدا تلك المكونة للعظام على الأرجح) .

وفي لغة الأربعة أبعاد المستخدمة في الهندسة الفضائية - الزمنية يعرف الخط المعبر عن تاريخ كل ذرة مادية على حدة باسم « خط العالم » (*) ونستطيع بالمثل أن نتكلم عن « حزم العالم » المكونة من مجموعة تعطى شكلا مركبا أجزاءه خطوط العالم .

ونرى في شكل (٣٠) مثلا فلكيا يبين خطوط العالم للشمس ، والأرض وأحد المذنبات (٣) . وقد استعنا هنا كما في المثال السابق بفضاء ثنائي الأبعاد (مستوى مدار الأرض) وجعلنا اتجاه المحورين الزميين متعامدا عليها . ويمثل خط عالم الشمس في هذا الشكل بخط مستقيم يوازي محور الزمن اذا اعتبرنا الشمس غير متحركة وخط (عالم) الأرض التي تتحرك في مدار دائري الى حد كبير يتمثل في حلزون ملتف حول خط الشمس ، بينما يقترب خط المذنب من خط الشمس ثم يبتعد كثيرا عنه بعد ذلك .

وهكذا نرى أن (الطوبوغرافيا) وتاريخ الكون يمتزجان معا - من حيث هندسة الفضاء رباعي الأبعاد - فيقدمان لنا صورة متجانسة وكاملة ويكفيها النظر الى خطوط العالم التي تعرض لنا حركة الذرات ، أو الحيوانات ، أو النجوم كل على حدة لنخرج بفكرة متكاملة عن هذه الأشياء .

٢ - مقابلة بين الزمن والفضاء . .

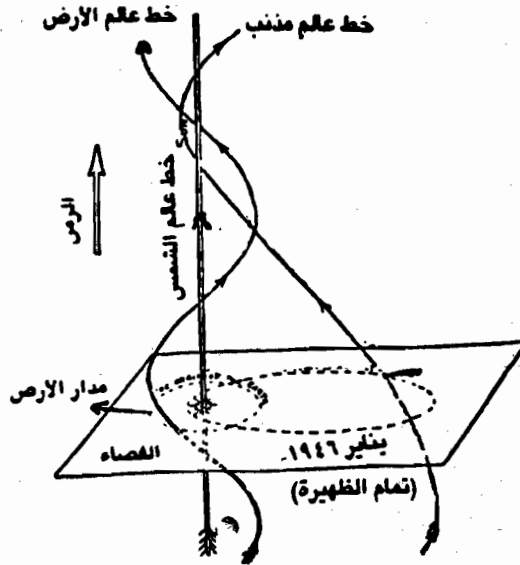
ان اعتبار الزمن بعدا رابعا مكافئا تقريبا للأبعاد الفضائية الثلاثة يؤدي بنا الى مواجهة مشكلة صعبة نوعا ما . فعندما نقيس الطول ، أو العرض أو الارتفاع ، نستطيع في جميع الحالات أن نستخدم القدم أو البوصة ، علينا أن نستخدم في قياسنا للبعد الرابع وحدات تختلف

(*) أو الخط الكوني .

(٣) ومن الأنسب هنا أن نتحدث عن « حزم العالم » ولكن يمكن من وجهة نظر الفلك اعتبار النجوم والكواكب بمثابة نقاط .

(٤) والواقع أنها تتحرك بالنسبة للنجوم ، ولذا فيالرجوع الى النظام النجمي نجد أن خط العالم للشمس لابد ان يعيل الى جانب واحد ميلا طفيفا .

كلية عن هذا ولتكن الدقائق أو الساعات ، فما وجه المقارنة بينها ؟ اذا تصورنا مكعبا رباعي الأبعاد تبلغ قياساته الفضائية متر × متر × متر ، فما المدة التي يلزم لهذا المكعب أن يمتد بها في الفضاء حتى تتساوى جميع الأبعاد ؟ ثانية أم ساعة أم شهر كما افترضنا في مثالنا السابق ؟ وهل الساعة الواحدة أطول أم أقصر من المتر الواحد ؟



(شكل رقم ٣٠)

قد يبدو السؤال غير معقول لأول وهلة ، ولكنك اذا أمعنت النظر فيه ستجد أسلوبا منطقيا يمكن به تحويل الفضاء الى زمن . وكثيرا ما تسمع أن شخصا ما « يسكن على بعد عشر دقائق بالاتوبيس من وسط المدينة » أو أن مكانا ما « لا يبعد أكثر من خمس ساعات ونحن نحدد المسافة هنا بالوقت اللازم لقطعها باستخدام وسيلة انتقال معينة .

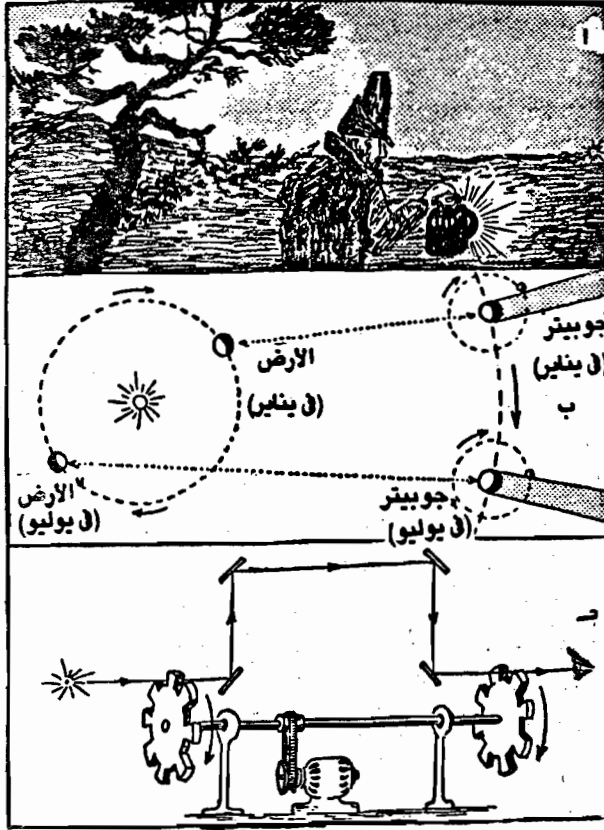
لذا ان استطعنا الاتفاق على سرعة معيارية سوف نتمكن من التعبير عن الفترات الزمنية بوحدات طولية أو العكس .

ويتضح لنا بالطبع أن السرعة المعيارية التي تصلح للاختيار كعامل أساسي للتحويل من الفضاء الى الزمن لابد أن تكون ذات طبيعة منتظمة بصفة عامة وخاصة ، وأن تظل ثابتة لا تخضع لتأثير الانسان أو ظروف الطبيعة . والسرعة الوحيدة المعروفة في الطبيعة بامتلاك هذه الخاصية هي سرعة الضوء عندما ينتقل في الفضاء الخالي ، وعلى الرغم من أنها

تعرف عادة « بسرعة الضوء » إلا أن الأفضل أن تسمى « سرعة انتشار التفاعلات الطبيعية » إذ إن أي من القوى العاملة بين الأجسام المادية سواء كانت قوى الجذب الكهربائي أو الجاذبية تنتشر في الفضاء الحالى بنفس معدل سرعة الضوء . بالإضافة إلى أن سرعة الضوء هي الحد الأقصى لأي سرعة مادية ممكنة ، ولا يمكن لأي شيء أن ينتقل في الفضاء بسرعة أعلى منها ، كما سنرى فيما بعد وقد قام العالم الإيطالي الشهير « جاليليو جاليلي » بأول محاولة لقياس سرعة الضوء في القرن السابع عشر . ففي ليلة مظلمة ذهب جاليليو مع مساعده إلى أرض مفتوحة بالقرب من فلورنسا ومعها فانوسان مجهزان بمفتاح إغلاق ميكانيكي . واحتل الاثنان موقعهما على بعد عدة أميال من بعضهما ، وفي لحظة معينة أضاء جاليليو فانوسه مرسلًا شعاعًا في اتجاه مساعده (شكل ٣١ أ) . وقد كان لدى الآخر توجيه بأن يفتح النور بمجرد أن يرى الإشارة الضوئية الصادرة من جاليليو . وحيث إن الضوء استغرق وقتًا معينًا في الانتقال من جاليليو إلى مساعده ثم إلى جاليليو مرة أخرى ، فقد كان من المتوقع أن تمر فترة ما بين اللحظة التي يفتح فيها « جاليليو » الأضواء واللحظة التي يستقبل فيها الرد الآتي من المساعده وقد لوحظ مرور فترة زمنية قصيرة بالفعل ، ولكن عندما أبعاد « جاليليو » مساعده إلى مسافة تساوى ضعف المسافة الأولى وكرر التجربة لم يلحظ أي زيادة في الفترة عن المرة السابقة . وواضح أن الضوء قد انتقل بسرعة كبيرة جدًا إلى درجة أنه عمليًا لم يستغرق وقتًا في قطع بضعة أميال زائدة . وقد كانت الفترة التي سجلها « جاليليو » في التجربة الأولى نتيجة تأخر مساعده في فتح فانوسه في نفس اللحظة التي رأى فيها الضوء - وهي زمن رد الفعل كما نعرفه الآن .

وعلى الرغم من أن محاولة « جاليليو » لم تسفر عن نتيجة إيجابية ولكن أحد اكتشافاته وهو بالتحديد اكتشاف أقمار « المشتري » (جوبيتر) أدى إلى توفير الأساس الذي اعتمدت عليه أول محاولة لقياس سرعة الضوء فعليًا . وفي عام ١٦٧٥ عندما كان العالم الفلكي الدنماركي « رومر » Roemer يراقب خسوف أقمار المشتري لاحظ أن الفترات الزمنية التي يستغرقها القمر في الاختفاء الكلي تحت ظلال الكواكب لا تتساوى في كل مرة ، فأحيانًا تبدو أقصر وأحيانًا تكون أطول وذلك وفقًا للمسافة بين المشتري والأرض في لحظة وقد أدرك « رومر » في الحال (كما سوف يتبين لك بعد فحص شكل ٣١) أن هذا التأثير ليس ناتجًا عن انتظام في حركة أقمار المشتري ، ولكنه يرجع ببساطة إلى أننا نرى هذه الخسوفات بعد فترات زمنية متفاوتة بسبب تفاوت المسافات بين « المشتري » والأرض في كل مرة . وبفضل الملاحظة أصبح بمقدورنا التوصل إلى أن

سرعة الضوء تبلغ حوالي ١٨٦.٠٠٠ ميل في الثانية . علا عجب اذن أن « جاليليو » فشل في قياس سرعة الضوء اذ أن الوقت الذي استغرقته الاشارة في الانتقال منه الى مساعده ثم اليه مرة أخرى لا يزيد على جزء من مئات آلاف الأجزاء من الثانية .



(شكل رقم ٣١)

ولكن ما عجز عنه « جاليليو » باستخدام فانوسه البدائي الآلي الاغلاق. أمكن القيام به باستخدام أدوات معملية أكثر تطوراً . وفي شكل (٣١ ج) نرى هذا الجهاز الذي كان العالم الفيزيقي الفرنسي « فيزو » Fizeau أول من استخدمه لقياس سرعة الضوء في مسافات قصيرة نسبياً ويتكون الجزء الرئيسي لهذا الجهاز من عجلتين مسننتين ، وهاتان العجلتان مركبتان على محور مشترك بحيث اذا نظرت الى احدهما

(★) ثبت الآن أن سرعة الضوء الحقيقية هي ١٨٦.٢٨٢ ميلا/ث (المترجم)

في خط مواز للمحور ترى سنون العجلة الأخرى تملأ المسافات بين سنون العجلة الأولى . ولهذا إذا أرسلنا شعاعا من الضوء بموازية المحور فلن يستطيع المرور من الترسين مهما كان وضعهما . والآن لنفرض أن هاتين العجلتين مركبتان على محور دوران سريع . ولما كان ارسال شعاع دقيق بين نتوءين في العجلة الأولى لابد من أن يستغرق وقتا قبل أن يصل الى العجلة الثانية ، فمن الممكن أن يمر الضوء من العجلة الثانية اذا تحركت في نفس هذا الوقت بمقدار نصف المسافة بين النتوءين وهذه الحالة تشبه الى حد ما حالة سيارة تمشي بسرعة مناسبة في طريق مجهز بنظام من اشارات الوقوف الأتوماتية المتزامنة فاذا تضاعفت سرعة العجلتين ، سيرجع النتوء الى مكانه في الوقت الذي يصل الضوء اليه وبالتالي يتوقف تقدم هذا الشعاع . ولكن مع زيادة السرعة (*) سيتمكن الضوء من المرور ثانية اذ أن النتوء سوف يكون قد انزاح من طريق الشعاع الضوئي ، وبذا فان الحركة التالية سوف تسمح بازاحة النتوء من طريق الشعاع بحيث يتمكن من المرور وهكذا بملاحظة سرعة الدوران الموافقة لظهور واختفاء الضوء يستطيع المرء أن يقدر سرعة مرور الضوء في انتقاله بين العجلتين وعملا على زيادة التشويق وتقليل سرعة الدوران اللازمة ، تستطيع أن تجعل الضوء يقطع مسافة أطول في المرور بين العجلتين باستخدام المرايا كما يتضح من شكل (٣١ ج) . وفي هذه التجربة وجد « فيزو » أنه استطاع أن يرى الضوء أول مرة من المسافات البينية القريبة منه عندما كانت سرعة الدوران تعادل ١٠٠٠ دورة في الثانية وقد أثبتت ذلك أنه عند هذه السرعة تحركت النتوءات (السنون) نصف المسافة بينها في فترة زمنية كافية لانتقال الضوء بين العجلتين . ولما كانت كل عجلة بها ٥٠ نتوءا متماثلا فان نصف المسافة بين نتوءين يعادل $\frac{1}{10}$ من طول محيط العجلة ، ووقت الانتقال يساوي نفس الوقت الذي استغرقته العجلة في دورة كاملة . وبضرب هذه الأرقام في المسافة التي يقطعها الضوء من عجلة الى أخرى وصل « فيزو » الى أن سرعة الضوء هي ٣٠٠.٠٠٠ كم أو ، ١٨٦.٠٠٠ ميل في الثانية . وهي تقريبا نفس السرعة التي حسبها « رومر » من مشاهدته لأقمار المشتري .

واقتردها بتجارب هؤلاء الرواد حدثت بعد ذلك قياسات عديدة مستقلة اعتمدت على الفيزياء والفلك . ويعتبر أفضل مقاس معروف لسرعة انتشار الضوء في الفضاء (ويرمز اليه بحرف (ح) هو :

$$ح = ٢٩٩٧٧٦ كم/ثانية أو ١٨٦٣٠٠ ميل/ثانية$$

(*) تذكر أن السرعة الاولى كانت كفيفة بانتقال النتوء نصف المسافة بينه وبين النتوء الآخر . ولذا فان مضاعفة السرعة تجعله يتحرك مسافة كاملة فيجب الضوء . المترجم

ويمكن باستخدام هذه السرعة الرهيبة إيجاد معيار ملائم يمكن بواسطته التعبير عن المسافات الفلكية المتناهية البعد والتي نحتاج للتعبير عنها بالكيلومتر أو الميل الى أرقام قد تملأ صفحات هذا الكتاب عن آخره ، فيقول علماء الفلك ان بعد ذلك النجم خمس « سنين ضوئية » تماما كما نقول نحن عن بلد معين انه على بعد (٥) ساعات بالقطار ، فالسنة الضوئية* تساوى $310508000 \times 299776 = 946 \times 10^{10}$ كم أو 5879×10^{10} ميلا باعتبار أن السنة العادية تحتوى على 310508000 ثانية : وباستخدام مصطلح « السنوات الضوئية » فى قياس المسافات . أصبح لدينا اعتراف عملي بأن الضوء بعد رابع ، واعتراف بأن وحدات الزمن تصلح لقياس المسافة . ويمكن أن نعكس هذا الاجراء أيضا بالحديث عن « الأميال الضوئية » ونعنى بها الوقت الذى يحتاجه الضوء فى قطع مسافة ميل واحد . وباستخدام السرعة السابق الإشارة إليها نجد أن الميل الضوئى يساوى $10^9 \times 5$ ثانية وهذا كفىل بالإجابة عن سؤالنا الخاص بمكعب رباعى الأبعاد طول ضلعه قدم ، فإن البعد الرابع لا بد ألا يزيد على 10^9 (حتى يكون مكعبا فعلا) واذا دام وجود المكعب لمدة شهر مثلا يتحول الى قضيب رباعى الأبعاد يمتد مسافة كبيرة على محور الزمن وليس مكعبا .

٣ - المسافة رباعية الأبعاد :

بالإجابة على السؤال الخاص بالوحدات المقارنة الواجب استعمالها فى الفضاء وعلى محور الزمن ، نستطيع الآن أن نسأل أنفسنا سؤالاً عما يفهم من تعبير « المسافة بين نقطتين فى فضاء زمنى رباعى الأبعاد » . ويجب أن نتذكر أن كل نقطة فى هذه الحالة تعبر عما يعرف عادة بـ « الحدث » وهى التوليفة المكونة من المكان والتاريخ الزمنى . وحتى نوضح الأمر لنناقش الحدثين التاليين على سبيل المثال :

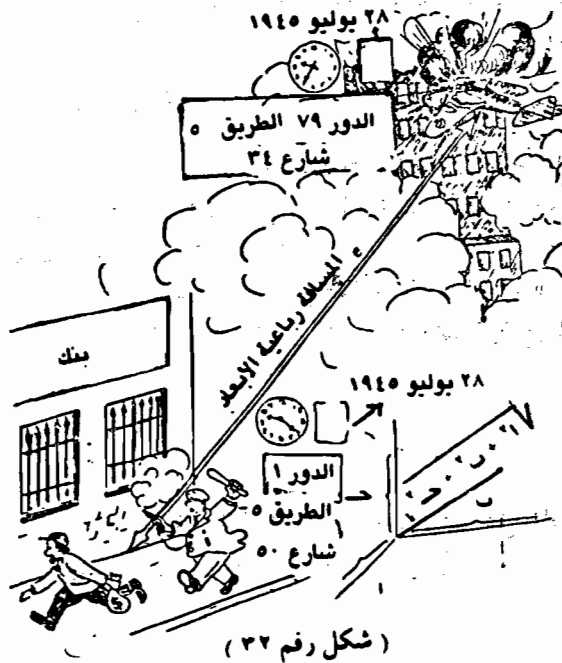
الحدث (١) :

تعرض مصرف يقع فى الطابق الأول من مبنى على ناصية شارع ، لحادث سطو فى الساعة ٩٢١ صباحا يوم ٢٨ يوليو .

الحدث (٢) :

فقدت طائرة حربية فى شبورة واصطدمت بالطابق التاسع من عمارة قريبة فى تمام الساعة ٩٣٦ صباحا من نفس اليوم .

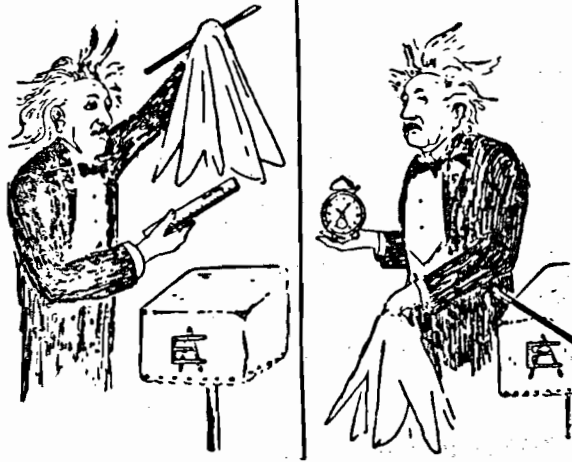
والمسافة الفاصلة بين هذين الحديثين في الفضاء هي ١٦ مبنى شمالا - جنوبا و $\frac{1}{4}$ مبنى في اتجاه شرق - غرب ، و ٧٨ طابقا من حيث الاتجاه العمودي والفاصل الزمني بينهما ١٥ دقيقة . وواضح أنه ليس من الضروري أن نشير الى عدد المباني بالكامل وعدد طوابقها عند وصف المسافة الفاصلة فضائيا بين الشارعين ، حيث نستطيع أن ندمجها في مسافة واحدة مستقيمة بناء على نظرية فيثاغورث المشهورة ، والتي تنص على أن المسافة بين نقطتين في الفضاء تساوي الجذر التربيعي لحاصل جمع الضلعين المتعامدين بينهما (*) (شكل ٢٢ في الركن) . وحتى نطبق نظرية فيثاغورث ينبغي علينا بالطبع أن نستعمل وحدات متشابهة مثل الأقدام في قياس جميع المسافات فإذا كان بعد المبنى شمالا - جنوبا ، وبعده شرقا - غربا يساوي ٨٠٠ قدم ، ومتوسط ارتفاع الطابق في « العمارة » ١٢ قدما أو حوالي ٣٥ أمتار فان قيمة الاحداثيات تصبح ٣٢٠٠ قدم في الاتجاه الشمالي - الجنوبي و (٤٠٠) قدم في الاتجاه الغربي - الشرقي ، و ٩٣٦ قدم في الاتجاه الرأسي . وباستخدام نظرية فيثاغورث تصبح المسافة المباشرة بين الموقعين :



(*) أو الاحداثيات المتعامدة ككل ان كانت تزيد على اثنين (المترجم)

$$\sqrt{2(3200) + 2(400) + 2(936)} = 11280.000 \text{ قدم}$$

وعندما تكون فكرة الزمن الممثل للبعد الرابع صالحة للتطبيق يصبح بمقدورنا أن نحول الرقم ٣٣٦٠ قدم إلى الزمن ١٥ دقيقة فنعنى بذلك أن هذا هو الفاصل الزمني بين الحداثين حتى يكون لدينا رقم واحد يعبر عن المسافة رباعية الأبعاد بين الحداثين .



(شكل رقم ٣٣)

كم يتجج بروفيسور « اينشتين » اطلاقا في ان يفعل ذلك ولكنه نجح في القيام بما هو افضل بكثير .

ووفقا لفكرة « اينشتين » الأصلية نستطيع فعلا أن نحدد مثل هذه المسافة رباعية الأبعاد بتعميم بسيط لقاعدة « فيثاغورث » ، وتؤدي هذه المسافة الناتجة دورا أكثر أهمية في العلاقة الفيزيائية من دور الفاصلين الزماني والمكاني كل على حدة .

فاذا وحدنا البيانات الفضائية مع الزمنية ينبغي بالطبع أن نستخدم وحدات قياس موحدة كالقدم الذي استخدمناه في تحديد ارتفاع المباني وأبعادها ، وكما رأينا من قبل أن ذلك ممكن بسهولة باستخدام سرعة الضوء كعامل تحويل وبذلك تتحول ال (١٥) دقيقة إلى ١١٠ × ٨ (قدم ضوئي) . وباستخدام قاعدة فيثاغورث البسيطة نستطيع الآن أن نحدد المسافة بين نقطتين في فضاء رباعي باعتباره الجذر التربيعي لحاصل جمع مربعات الاحداثيات ، وهي ثلاثة احداثيات فضائية واحداثي زماني .



ولكن حتى نتجح في ذلك ينبغي علينا أن نستبعد أي فارق بين الفضاء والزمن ، مما يترتب عليه التسليم بإمكانية تحويل القياسات الفضائية الى قياسات زمنية والعكس بالعكس .

ومع ذلك لم ينجح أحد - حتى أينشتين العظيم - في أن يحول العصا المتزنية الى منبه عن طريق اخفائها تحت قطعة قماش وترديد بعض العبارات السحرية مثل « هوكس فوكس بوكس » (شكل ٣٣) .

لهذا اذا كنا سنعترف بالزمن والفضاء معا في نظرية فيثاغورث فلا بد أن يتم ذلك بأسلوب غير تقليدي الى حد ما بحيث نبقي على بعض الفروق الطبيعية بينهما .

وقد رأى أينشتين ، أن الفارق الطبيعي بين المسافات الفضائية والفترات الزمنية يمكن اظهاره في معادلة قاعدة فيثاغورث عن طريق استخدام علاقة سالبة أمام مربع الاحداثي الزمني . وبذا يمكن تعريف المسافة رباعية الأبعاد بين حدثين على النحو التالي :

هي الجذر التربيعي لمجموع مربعات ثلاثة احداثيات فراغية ناقص مربع الاحداثي الزمني . وذلك طبعا بعد التعبير عنه بوحدات فراغية وهكذا يمكن حساب المسافة رباعية الأبعاد بين حادثي السطو على البنك واصطدام الطائرة كما يلي :

$$\sqrt{2(3200) + 2(400) + 2(936) - 2(110 \times 8)}$$

وارتفاع قيمة الحد الرابع الى درجة كبيرة بالنسبة لباقي الحدود مرده الى أن هذا المنال مأخوذ من الحياة العادية وبمقاييسها المعتادة حيث تكون وحدات الزمن صغيرة جدا فاذا ما تعرضنا لحدثين يقعان في الكون الضخم بدلا من القاهرة الصغيرة نسبيا وجب علينا استخدام وحدات أكثر اتساقا مع بعضها . لذا نختار تفجير القنبلة الذرية الذي تم في « بكيتي أتول » في تمام الساعة ٩ صباحا يوم ١ يوليو ١٩٤٦ ، أما الحدث الثاني فليكن سقوط نيزك على سطح المريخ في نفس اليوم بعد عشر دقائق .

اذن فالفترة الزمنية البينية هي ٥٤ × ١١٠ قدم ضوئي بالنسبة الى المسافة الفضائية وهي ٥٦ × ١١٠ قدم ضوئي تقريبا وفي هذه الحالة تصبح المسافة رباعية الأبعاد بين الحدثين هي :

$$\sqrt{2(110 \times 675) - 2(110 \times 54) + 2(936) + 2(3200)}$$

وهي قيمة مختلفة رقميا تماما عن قيمة الزمن على حدة والفضاء على حدة وربما اعترض شخص منطقي ، بالطبع ، على هذه الهندسة غير العقلانية

في ظاهرها فنحن هنا نتعامل مع احدائى واحد لطريقة مختلفة عن الثلاثة احدائيات الأخرى ولكن ينبغي ألا ننسى أن أى نظام حسابى يوضع لوصف العالم الطبيعى لابد من أن يصاغ بحيث يتلائم مع الأشياء وطالما أن الفضاء والزمن يختلف سلوك كل منهما عن الآخر فى هذه المعادلة فلا بد من صياغة الهندسة رباعية الأبعاد بناء على ذلك وهناك بالإضافة الى ذلك علاج حسابى بسيط يمكن أن يجعل هندسة أينشتين الرباعية تشبه تماما الهندسة الاقليدية المنطقية كما درسناها فى المدرسة . وقد اقترح هذا العلاج الرياضى الألماني « منكوفسكى » وهو يكمن فى اعتبار الاحدائى الرابع قيمة تخيلية محضة وربما تذكر من الفصل الثانى فى هذا الكتاب أن بمقدور المرء أن يحول رقما عاديا الى رقم تخيلي بضربه فى $v - 1$ وأن هذا الرقم التخيلي يمكن استخدامه بسهولة شديدة فى حل مشكلات هندسية ووفقا لرأى « منكوفسكى » لابد من ضرب الزمن بعد تحويله الى وحدات فضائية فى $v - 1$ ، حتى يمكن اعتباره احدائيا رابعا وبذلك تصبح الاحدائيات الأربعة فى المثال الأول كما يلى :

الاحدائى الأول : ٣٢٠٠ قدم

الاحدائى الثانى : ٤٠٠ قدم

الاحدائى الثالث : ٩٣٦ قدم

الاحدائى الرابع : $8 \times 1110 \times$ ت قدم ضوئى .

ونستطيع الآن تعريف المسافة رباعية الأبعاد بأنها الجذر التربيعى لمجموع مربعات الاحدائيات الأربعة مرة أخرى . وفى الواقع طالما أن مربع الرقم التخيلي يكون سالبا دائما فان التعبير عن احدائيات « منكوفسكى » باستخدام نظرية فيثاغورث سوف يكون مكافئا للتعبير عن احدائيات أينشتين باستخدام نظرية فيثاغورث وهو ما كان يبدو غير منطقي وهناك قصة عن رجل كبير فى السن أصابه الروماتيزم فسأل صديقا له يتمتع بصحة جيدة عن سر نجاته من هذا المرض ، فأجاب الصديق « لأننى حريص على الاستحمام بدش بارد كل صباح » فأجاب الرجل متعجبا : « يا الهى اذن فعليك أن تعانى من ويلات الماء البارد ، لتنجو من آلام الروماتيزم !! » .

نعم .. اذا كانت نظرية فيثاغورث الشبيهة بالروماتيزم لا تعجبك تستطيع اذن أن تستعمل دس الاحدائى الزمنى التخيلي بدلا منها .
وتدفعنا الطبيعة التخيلية للاحدائى الرابع فى عالم « الزمن والمكان » تدفعنا الى التعامل مع نمطين من الفواصل رباعية الأبعاد مختلفين فيزيائيا .

والحقيقة أننا في بعض الحالات مثل التي شرحناها آنفا (مثل حادثة السرقة والصدام) حيث كانت المسافة ثلاثية الأبعاد صغيرة من الناحية العددية بالنسبة للفترة الزمنية (مع استخدام وحدات مناسبة) تصبح قيمة ما تحت علامة الجذر سالبة وهكذا نحصل على عدد تخيلي للفاصل العام رباعي الأبعاد ، ومع ذلك نجد في حالات أخرى أن الفترة الزمنية أقل من المسافة الفضائية ، وهكذا نحصل على رقم موجب تحت علامة الجذر ، وهذا يعني بالطبع أنه في مثل هذه الحالات يكون الفاصل الرباعي الأبعاد بين الحدثين حقيقيا .

ولكن كما قلنا من قبل تعتبر المسافات الفضائية حقيقية في حين تعتبر الفترات الزمنية تخيلية تماما ، ونستطيع القول ان الفاصل الرباعي الأحداث الحقيقي تكون علاقته أقوى بالمسافات الفضائية العادية ، أما الفاصل الرباعي الأحداث التخيلي فهو أقرب الى الفترات الزمنية .
ووفقا لمصطلحات « منكوفسكي » (Minkovsky) يطلق على النوع الأول فضائي Raumartig (*) والفاصل الرباعي من النوع الثاني زماني (Zeitartig) (*).

وسوف نرى في الجزء القادم أن الفاصل الفضائي يمكن تحويله الى مسافة عادية وأن الفاصل الزمني يمكن تحويله الى فترات بينية عادية ومع ذلك فإن الفكرة التي مؤداها أن أحدهما يعبر عنه باستخدام عدد حقيقي بينما يعبر عن الآخر باستخدام رقم تخيلي تمثل عقبة لا يمكن تخطيها عند محاولة تحويل أحدهما الى الآخر بحيث تعتبر في النهاية ضربا من المستحيل أشبه بتحويل عصا مترية الى منبه أو العكس .

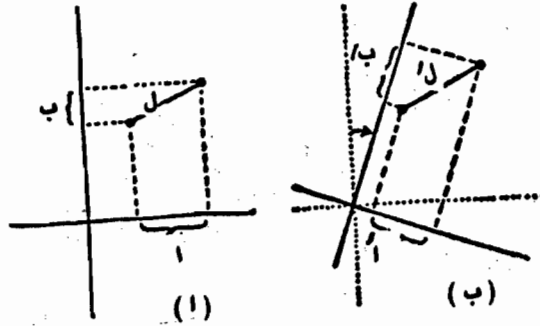
(*) باللغة الألمانية (المترجم) .

الفصل الخامس

نسبية الزمن والفضاء (٢٠)

١ - تحويل الفضاء الى زمن والعكس :

على الرغم من أن المحاولات الرياضية لاثبات وحدة الفضاء والزمن في عالم رباعي الأبعاد لم تنجح في طمس الفارق تماما بين المسافة والزمن إلا أنها قد كشفت بالفعل عن درجة كبيرة من التشابه بين المفهومين ، وهذا أمر لم يكن واضحا اطلاقا في فيزياء ما قبل أينشتين . والواقع أن المسافات الفضائية والفترات الزمنية الفاصلة بين الأحداث المختلفة يجب النظر إليها الآن باعتبارها مجرد إسقاطات للفاصل الأساسي رباعي الأبعاد بينها على محورى الفضاء والزمن ، لذا فإن تدوير المحور الرباعي المتعامد قد يؤدي الى تحويل المسافات الى فترات جزئيا والعكس بالعكس .
 ولكن ما معنى تدوير المحور الفضائي الزمنى الرباعي الأبعاد ؟



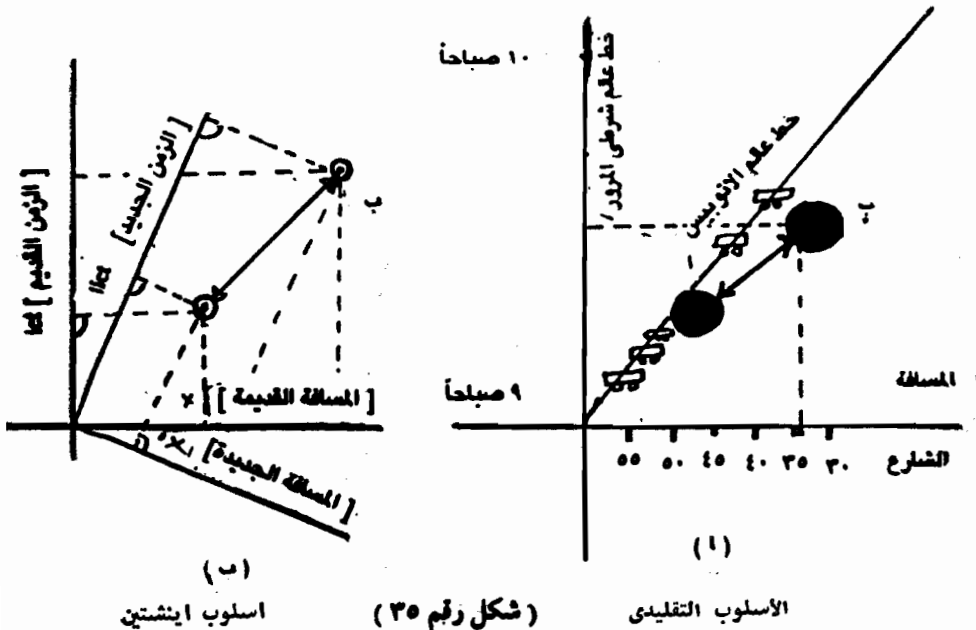
(شكل رقم ٣٤)

(*) يلاحظ أن كلمة space يمكن أن تترجم بالفضاء والفراغ والمكان ، وقد استخدمت في هذا الفصل كلمة فضاء لتدل على هذه الكلمات التـمـلـات مجتمعة كمتقابل للزمن . (المترجم)

لنبدأ أولاً بمحورين متعامدين مؤلف من احداثيين فضائين (انظر الشكل ١٣٤) وافترض أن لدينا نقطتين محددتين تبعدان عن بعضهما بمسافة ولتكن ل. وباسقاط هذه المسافة على المحورين المتعامدين نجد أن الفاصل بين النقطتين يساوي (أ) قدم على المحور الأول و (ب) قدم على المحور الثاني . فاذا دار المحوران بزواوية معينة (شكل ٣٤ ب) فان اسقاط نفس المسافة على المحورين الجديدين ، سيتغير ، وسيأخذ الاسقاطان الجديدان قيمتين مختلفتين هما a' ، b' . ومع ذلك فوفقاً لنظرية فيثاغورث ، يبقى الجذر التربيعي لمجموع مربعي الاسقاطين بنفس القيمة اذ أنه يعبر عن المسافة الفعلية بين النقطتين ، فهذه المسافة لا تتأثر بتدوير المحورين .

$$L = \sqrt{a^2 + b^2} = \sqrt{a'^2 + b'^2} \therefore$$

ونقول ان الجذر التربيعي لمجموع المربعين لا يتأثر في هذه العملية أى « لا متغير » أو « لازم » (invariant) بينما تتغير قيم الاسقاطات وحدها ذلك أنها قيم اتفاقية (incidental) تتوقف على نوع نظام الاحداثيات المختار .



والآن ننتقل الى دراسة احداثيين (محورين) متعامدين يمثل أحدهما المسافة ويمثل الآخر الزمن . وفي هذه الحالة يحل الحدثان محل النقطتين في مثالنا السابق ، ويعبر الاسقاطان على المحورين عن الفاصل بينهما في

الفضاء والزمن على الترتيب . وبأخذ حادثي السطو وتحطم الطائرة السابق ذكرهما يمكننا أن نضع رسماً بيانياً (شكل ١٣٥) يشبه إلى حد كبير الرسم البياني السابق (شكل ٣٤) ، والآن ماذا نفعل لكي ندير المحورين المتعامدين ؟ والاجابة على هذا السؤال غير متوقعة بالمرّة بل انها تبعث على العجب .

فاذا أردت أن تدير محوري الفضاء - الزمن اركب أتوبيسا !!
ليكن . . افترض أنك ركبت فعلاً في الدور العلوي لأتوبيس يتحرك في الشارع الذي شهد الحادثين ، صباح يوم ٢٨ يوليو المشنوم (من وجهة نظرنا الخاصة) من الطبيعي أن تولي اهتمامك الرئيسي لمدى بعد الأتوبيس عن مكان وقوع الحادثين (السطو واصطدام الطائرة) ولو لمعرفة امكانية مشاهدة الحادثين من ذلك المكان على الأقل .

فاذا نظرت إلى شكل (١٣٥) الذي يبين التتابع في مسار خط الأتوبيس فضلاً عن حادثي السطو والاصطدام ستلاحظ أن هذه المسافات تختلف عن المسافات التي قد يسجلها مثلاً شرطى مرور من الناصية .
وحيث ان الأتوبيس يقطع طريقه في الشارع بسرعة مبنى كل ثلاث دقائق مثلاً (وهو أمر غير مستغرب في مرور المدينة المزدحم !) ، فان الفاصل الفضائي بين الحادثين كما يرى من الأتوبيس يبدو أصغر . ولما كان الأتوبيس بصدد عبور الشارع الذي شهد حادثه السطو في الساعة ٩ر٢١ فان حادث السطو الذي وقع في هذه اللحظة كان بعد بنائتين منه . وفي الوقت الذي وقعت فيه حادثه الطائرة (٩ر٣٦ صباحاً) كان الأتوبيس في الشارع الذي وقعت فيه حادثه الطائرة ، أى على بعد ١٣ بناية من مسرح الحادث . وهكذا بقياس المسافة بالنسبة للأتوبيس نجد أن البعد الفضائي بين السطو وحادث الطائرة = $١٣ - ٢ = ١١$ مبنى ، وهذا يختلف عن قياس المسافة بالنسبة لمباني المدينة $٥٠ - ٣٤ = ١٦$ مبنى .
ونظرة ثانية على الشكل (١٣٥) تبين لنا أن المسافة المأخوذة من الأتوبيس لا يجب أن تقاس من المحور الرأسى (حيث خط العالم لرجل الشرطة الواقف ، كما في المثال السابق ، بل من الخط المائل المعبر عن خط عالم الأتوبيس اذن فهذا الخط هو محور الزمن الجديد .

ونخرج من هذا الهراء بنتيجة واحدة تتلخص في الآتى : لرسم شكل بياني (فضائي - زمنى) للأحداث وفقاً لرؤيتها من سيارة متحركة ، لابد من تدوير محور الزمن بزواوية معينة (تعتمد على سرعة هذه السيارة) بشرط عدم المساس بمحور الفضاء .

وعلى الرغم من أن الفيزيقيين الكلاسيكيين ينظرون إلى هذه الجملة باعتبارها أمراً بديهيًا ، ويعتبرونها من « الفطرة السليمة » الا أنها

تعارض مباشرة مع أفكارنا الجديدة فيما يتعلق بالعالم الفضائي الزمني الرباعي الأبعاد . فإذا كان الزمن حقا هو الاحداثي المستقل الرابع فلا بد أن يتعامد محوره دائما على الثلاثة محاور الفضائية سواء آكان جلوسنا في الاتوبيس أم في الترولي أم على الرصيف !

يجب أن نختار بين أسلوبين من أساليب التفكير فاما أن نبقى على الفكر الكلاسيكي مضحين في ذلك بأى دراسة متقدمة في هندسة توحيد الفضاء والزمن ، واما أن نهجر هذه الأفكار التي تملينا « الفطرة السليمة » ونسلم بضرورة تدوير محور الفضاء أيضا مع محور الزمن في الرسم البياني حتى يظل المحوران متعامدين دائما مع بعضهما (شكل ٣٥ ب) وبالنسبة للملاحظة من سيارة متحركة فإن دوران محور الفضاء يعني أن الفاصل الزمني بين الحداثين من السيارة يختلف عن الفاصل الزمني بينهما بالنسبة لشخص يقف في نقطة ثابتة على الأرض . تماما كما كان دوران محور الزمن سببا من الناحية الفيزيائية في اختلاف قيمة الفاصل الفضائي بين حداثين (١١ ، ١٦ مبنى في المثال السابق) . لذا فإذا كان الفاصل بين السطو على البنك وحادث الطائرة ١٥ دقيقة طبقا لساعة ميدان المدينة ، فإن هذا الوقت سيختلف في ساعة راكب الاتوبيس - لا لأن هناك عطلا في احدى الساعتين أو اختلافا في معدليهما ، ولكن لأن الوقت نفسه يمر بمعدلات مختلفة في السيارات التي تتحرك بسرعات مختلفة ، ولأن النظام الفعلي لتسجيل الوقت يتأخر بالمثل . وذلك على الرغم من أن الفارق يكون ضئيلا جدا لدرجة ألا نشعر به في السرعات المنخفضة كسرعة الاتوبيس (سوف نناقش هذه الظاهرة باستفاضة في هذا الفصل) .

وكمثال آخر دعنا نفكر في رجل يتناول عشاءه في عربة قطار يتحرك وهو بالنسبة للجرسون ، ومن وجهة نظره ، يتناول المشهيات والحلوى في نفس مكانه (المائدة الثالثة بجانب النافذة) ولكن من وجهة نظر عاملي تحويلة واقفين عند نقطتين ثابتتين على شريط السكة الحديد وينظران الى العربة من خلال نافذتها ، فسوف يراه أحدهما يتناول المشهيات ويراه الآخر يتناول الحلوى - وهذان الحداثان يقعان بالنسبة لهما على بعد أميال عديدة من بعضهما . لذا بمقدورنا أن نقول ان حداثين يقعان في نفس المكان ، ولكن في لحظتين مختلفتين من وجهة نظر مشاهد واحد ، سوف يعتبران كما لو كانا واقعين في مكانين مختلفين اذا شوهدا من قبل مشاهدين آخرين في حالة أو حالات مختلفة من الحركة .

وعملا على الوصول الى المقابلة المنشودة بين الفضاء والزمن لنستخدم
في العبارة السابقة كلمة « مكان » بدلا من « لحظة » والعكس بالعكس
وسوف نقرأ الجملة كما يلي :

ان حدثين يقعان في نفس اللحظة ، ولكن في مكانين مختلفين
من وجهة نظر مشاهد واحد سوف يعتبران كما لو كانا واقعين في لحظتين
مختلفتين اذا شاهدهما مشاهد آخر في حالة مختلفة من الحركة .

وتطبيقا على مثال عربة العشاء . لا بد من أن نتوقع أنه في حين
أن الجرسون سيقسم أن راكبين جالسين مقابل بعضهما في نهاية العربة
قد أشعلا سيجارة بعد العشاء في نفس اللحظة تماما فان عامل التحويلة
الواقف على شريط السكة الحديدية والناظر من خلال النافذة (دون أن
يتحرك) أثناء مرور القطار امامه سوف يصر على أن أحدهما قد أشعل
سيجارته قبل الآخر .

اذن فان حدثين متزامنين - من وجهة نظر أحد المشاهدين - سوف
يعتبران - من وجهة نظر مشاهد آخر - منفصلين بفترة زمنية معينة .

وهذه هي النتائج الحتمية للهندسة رباعية الأبعاد والتي لا يزيد
الزمن والفضاء فيها على كونهما اسقاطين لفاصل ثابت رباعي الأبعاد على
محورين متقابلين .

٢ - رياح الأثير ، ورحلة الشعري اليمانية :

ولنسأل أنفسنا الآن . هل مجرد الرغبة في استخدام الهندسة
رباعية الأبعاد تبرر هذا التغيير الثوري في أفكارنا التي اطمانت إليها
أنفسنا عن الفضاء والزمن ؟

وبالنسبة لنا فالاجابة هي نعم . فنحن نتحدى النظام الفيزيقي
الكلاسيكي بأكمله ، الذي يقوم على التعريفات التي وضعها العالم العظيم
« اسحق نيوتن » منذ قرنين ونصف : « الفضاء المطلق في حد ذاته ودون
علاقة بأي مؤثر خارجي - هو فضاء متجانس وثابت دائما » وكذا « الزمن
المطلق المحسوب رياضيا هو بطبيعته وفي حد ذاته زمن يمر بانتظام وليس
له علاقة بأي مؤثر خارجي » . وعندما كتب « نيوتن » هذه السطور لم
يخطر بباله طبعا أنه قد أضاف شيئا أو طرح موضوعا قابلا للجدل ،
فما زاد على أن صاغ بلغة دقيقة مفاهيم الزمن والفضاء كما تتضح لأي
شخص بالحس الفطري . والحق أن الايمان بسلامة هذه الأفكار التقليدية
عن الفضاء والزمن كان ايمانا مطلقا حتى ان الفلاسفة اعتبروها من

المسلّمات ، ولم يسبق لعالم (ناهيك عن الرجل العادي) أن ناقش إمكانية خطأ هذه الأفكار وبالتالي حاجتها إلى إعادة النظر والتقييم من جديد .

اذن فقد كان التخلي عن الأفكار الكلاسيكية عن الزمن والفضاء ، والتوجه إلى فكرة اتحادهما معا في صورة رباعية الأبعاد ضرورة لم تفرضها علينا رغبة « أينشتين » في توحيدهما ولا عمق برته الرياضية وإصراره ، ولكن فرضتها الحقائق العنيدة التي تفجرت من البحث العلمي الواحدة تلو الأخرى ، وأبت أن تنصاع إلى الصورة الكلاسيكية عن استقلالية الزمن والمكان عن بعضهما .

وقد كان أول زلزال هز صروح الفيزياء الكلاسيكية ودكها دكا ، كما تهاوت جدران « أريحا » أمام صوت نفير « يوشع » . إلا أن الزلزال في هذه المرة كان تجربة بسيطة تمت على يدي فيزيائي أمريكي هو « مايكلسون » Michelson عام ١٨٨٧ . وقد كانت فكرة « مايكلسون » بسيطة للغاية ، وتقوم على تصور فيزيقي للضوء باعتباره نوعا من الحركات الموجية التي تنتقل عبر ما يطلق عليه « الأثير الحامل للضوء » وهي مادة مفترضة تملأ الفضاء النجمي بشكل متجانس كما تتخلل الفواصل بين الذرات في الأجسام المادية .

ألق حجرا في مستنقع وسوف تجد الموجات تنتشر حوله في كافة الاتجاهات . وكذا يكون الضوء المنبعث من أي جسد لامع على هيئة موجات ، وبالمثل الصوت الناتج عن شوكة رنانة مهتزة . ولكن في حين أن الموجات السطحية تعبر بوضوح عن حركة جزيئات الماء والموجات الصوتية عن ذبذبات الهواء أو المواد الأخرى التي ينتقل الصوت من خلالها ، فإننا لا نعلم أي وسيط مادي مسئول عن حمل الموجات الضوئية . والحق أن الفضاء الذي ينتقل الضوء خلاله بسهولة شديدة (بالمقارنة مع الصوت) هو فضاء خال تماما !

ولما كان من غير المنطقي فيما يبدو أن نتحدث عن تذبذب شيء في الوقت الذي لا يوجد فيه هذا الشيء أصلا ، فقد كان على علماء الفيزياء أن يستحدثوا مفهوما جديدا وهو « الأثير (ether) الحامل للضوء » وذلك لتوفير فاعل مادي للفاعل « يتذبذب » . ومن وجهة نظر قواعد اللغة البحتة التي تستلزم أن يكون لكل فعل فاعل لا يمكن الاعتراض على وجود « الأثير الحامل للضوء » ولكن - ضع ما تشاء من الخطوط تحت « لكن » هذه - قواعد اللغة لا يمكن أن تصف لنا الخواص الطبيعية للكلمات التي يجب استخدامها لبناء جملة صحيحة !

(*) أثبت أينشتين فيما بعد خطأ هذا الافتراض (المترجم) .

وإذا قلنا ان الضوء ينتقل عبر الأثير الضوئي معرفين هذا الأثير بأنه الوسط الذي تنتقل خلاله الموجات الضوئية فإننا بذلك نطرح أمراً مسلماً به ، ولكننا لا نأتى بجديد . فإكتشاف ماهية الأثير الضوئي أمر يختلف تماماً عن إكتشاف خواصه وهنا لن نجدى الاستعانة بقواعد اللغة (ولو كانت الفصحى !) ولا بد للجواب أن يأتى من علم الفيزياء .

وكما سوف نرى فى سياق المناقشة التالية ، ان أفدح أخطاء فيزياء القرن التاسع عشر انما تكمن فى الافتراض بأن هذا الأثير الضوئي له خواص شبيهة جداً بخواص المواد الطبيعية المألوفة لنا ، اذ اعتاد العلماء آنذاك على الحديث عن المرونة ، والصلابة ، والخواص المطاطية ، بل وعن الاحتكاك الداخلى للأثير الضوئي ، ومن قبيل ذلك مقارنتهم لسلوك الأثير الضوئي بسلوك المواد الصلبة المتذبذبة عند حملة للموجات الضوئية (١) ، هذا من جهة . ومن جهة أخرى اعتبروه مادة كاملة المرونة عديمة المقاومة لحركة الأجسام الكونية وشبهوه ببعض المواد مثل شمع الأختام . فشمع الأختام - وغير ذلك من المواد الشبيهة به - معروف بصلابته وسهولة انكساره تحت تأثير القوى السريعة ذات الطبيعة الميكانيكية ، ولكنه ينساب كالعسل بفعل وزنه اذا ترك بمعزل عن غيره لفترة كافية . ونتيجة لهذا القياس افترضت الفيزياء الكلاسيكية أن الأثير الضوئي الذى يملأ فضاء الكون يسلك سلوك الأجسام الصلبة مع الحركة السريعة جداً التى تصاحب انتشار الضوء ، ولكنه يسلك سلوك السائل تماماً ، عندما تششق الكواكب والنجوم طريقها فيه بسرعة أقل من سرعة الضوء بألاف المرات .

وسرعان ما تبين العلماء خطأ تلك الافتراضات التى سمعت الى تفسير طبيعة مادة مجهولة لا نعرف عنها سوى اسمها بأعمال الخيال ومقارنتها ببعض خواص المواد المألوفة لنا . ورغم كثرة المحاولات الا أنها أسفرت عن استحالة تقديم أى تفسير مقبول لهذا الحامل للأثير الضوئي الغامض وخواصه الميكانيكية .

أما الآن ، وفى ضوء علوم العصر ، نستطيع أن نصل بسهولة الى موضع الخطأ فى تلك المحاولات . فمن المعروف أن كافة الخواص الميكانيكية للمواد العادية يمكن ارجاعها الى التفاعل بين ذرات هذه المواد . فعلى سبيل المثال تعتمد سيولة الماء ، ومرونة المطاط ، وصلادة الماس على أن جزيئات

(١) بالنسبة للموجات الضوئية ثبت أن الذبذبات تكون عمودية على اتجاه حركتها وفى المواد العادية لا يحدث هذا النوع من الذبذبات الا فى الأجسام الصلبة . بينما لا يمكن للجزيئات أن تتحرك الا فى اتجاه سير الموجة بالنسبة للسوائل والمواد الغازية .

الماء يمكنها أن تنزلق على بعضها دون احتكاك شديد بينما يمكن لجزئيات المطاط أن تغير شكلها بسهولة ، أما الماس فترتبط جزئيات بلوراته فيما بينها بروابط قوية مما يجعلها في النهاية مادة شديدة الصلادة . وهكذا فإن كل الخواص الميكانيكية المعروفة للمواد المختلفة تعتمد على بنائها الذري ، ولكن هذه القاعدة لا قيمة لها ونحن بصدد مادة مطلقة متصلة مثل الأثير الضوئي كما نعرفه .

فالأثير الضوئي يعد من المواد الغريبة في نوعها ، إذ انها لا تشبه هذا البناء الذري المتراص الذي نطلق عليه عادة كلمة مادة ، ونستطيع أن نطلق على الأثير الضوئي كلمة « مادة » (بشرط عدم استخدام هذه الكلمة إلا باعتبارها الفاعل لغويا لكلمة « يهتز ») ولكننا نستطيع أن نسميها « فضاء » وأن نضع في اعتبارنا - كما رأينا من قبل وكما سنرى فيما بعد - أن الفضاء قد يمتلك خواصا معينة سواء من ناحية الشكل أو البنية تجعله شيئا أكثر تعقيدا من مفهوم الفضاء في الهندسة الاقليدية والواقع أن مصطلح « الأثير الضوئي » (المأخوذ عن الخواص الميكانيكية المزعومة له) ومصطلح « الفضاء الفيزيقي » يعتبران مرادفين لنفس الشيء .

ولكننا بذلك نكون قد حددنا كثيرا عن هدفنا الى التحليل الفلسفي أو الذهني للأثير الضوئي ، ولابد لنا من العودة ثانية الى موضوع تجربة « مايكلسون » وفكرة هذه التجربة بسيطة للغاية كما أشرنا من قبل . فإذا كان الضوء يمثل الموجات التي تنتقل عبر الأثير ، فلا بد أن سرعة الضوء المسجلة على الأرض قد تأثرت بحركة هذه الأرض في الفضاء . وبوقوفنا على الأرض التي تتحرك في المدار الخاص بها حول الشمس لابد من أن نشعر « برياح الأثير » تماما كما يحس الواقف على ظهر السفينة بحركة الريح التي تهب على وجهه ، على الرغم من أن الجو قد يكون غاية في الهدوء . ونحن لا نشعر بالطبع برياح الأثير طالما أنه يفترض قدرتها على المرور من بين ذرات أجسامنا دون أي صعوبة ولكن لابد من أننا نستطيع أن نكتشف وجود الرياح الأثرية بقياس سرعة الضوء في مختلف الاتجاهات بالنسبة لحركتنا .

وكلنا يفهم أن سرعة الصوت تزيد كثيرا في اتجاه الريح عنها عندما تكون عكس اتجاهه ، وطبيعي أن نفس الشيء ينطبق على انتشار الضوء في اتجاه الرياح الأثرية وعكس هذا الاتجاه . وأسهل الطرق لتحقيق ذلك هو طبعا أن نأخذ جهاز قياس سرعة الضوء الذي وصفناه من قبل (شكل ٣١) فنجرى عليه سلسلة من التجارب في اتجاهات مختلفة .

على أن ذلك لا يعتبر أسلوباً منطقياً جداً في هذا المجال ، ذلك أنه يستلزم توفير درجة عالية جداً من الدقة في كل مرة . والحقيقة أنه طالما كان الاختلاف المتوقع (والمساوى لسرعة الأرض) لا يزيد على جزء من مئة جزء من الثانية من سرعة الضوء ، فلا بد من القيام بكل تجربة على حدة مع توفير درجة عالية من الدقة وإذا كان لديك « عصوان » من نفس الطول تقريباً ، وأردت معرفة الاختلاف في طوليهما بدقة يمكنك أن تفعل ذلك بسهولة عن طريق وضعهما بجانب بعضهما وقياس الفارق عند أحد الطرفين .

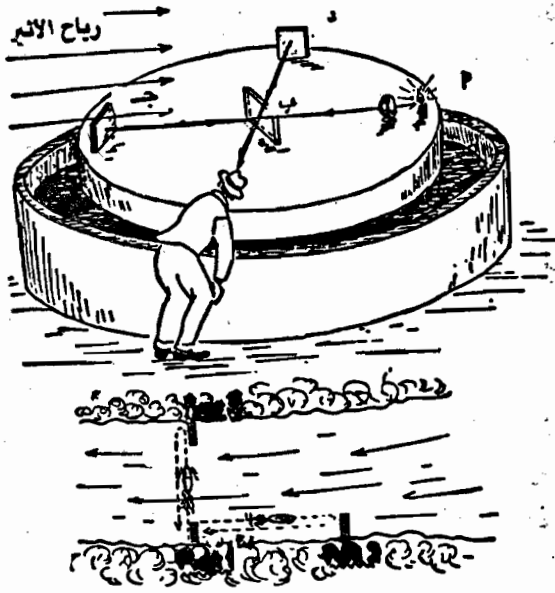
وتعرف هذه الطريقة بطريقة « نقطة الصفر » .

ويستفيد جهاز « مايكلسون » الموضح في شكل (٣٦) من طريقة نقطة الصفر في المقارنة بين سرعتي الضوء في مستويين متعامدين على بعضهما .

والجزء الأوسط في هذا الجهاز عبارة عن لوح زجاجي (ب) مغلف بطبقة نصف شفافة من الفضة ، وهي تعكس ٥٠٪ من الضوء الساقط عليها وتمر منها ال ٥٠٪ الباقية . ولذا فإن شعاع الضوء الصادر من المصدر (أ) ينقسم إلى جزأين متساويين يمران في مسارين متوازيين . ثم ينعكس الشعاعان من المرآتين (ج) و (د) الموضوعتين على مسافتين متساويتين من اللوح الزجاجي ويرتدان مرة أخرى إليها . فأما الشعاع المنعكس عن (د) فيمر نصفه من الطبقة الفضية الرقيقة ليتحد مع الشعاع المنعكس عن (ج) جزئياً بفعل نفس هذه الطبقة . وهكذا يتحد الشعاعان اللذان انفصلا في البداية لتستقبلهما عين المشاهد وكأنهما شعاع واحد . ولما كان علم البصريات يتضمن قانوناً مشهوراً يقضي بأن الشعاعين يتداخلان وينشأ عن ذلك شبكة من الهدب المظلمة والمضيئة المرئية بالعين ، بحيث إذا كانت المسافة (ب د) تساوي المسافة (ب ج) مما يجعل الشعاعين يصلان إلى اللوح (ب) في نفس اللحظة - فإن الجزء المضيء لابد أن يتوسط الصورة . أما إذا اختلفت المسافتان اختلافاً طفيفاً بحيث يتأخر أحد الشعاعين عن الآخر فإن الهدب المضيئة تنحرف إما يمينا وإما يسارا .

ولما كان الجهاز موضوعاً على سطح الأرض التي تتحرك في الفضاء بسرعة فمن المتوقع أن تهب رياح الأثير على الجهاز بنفس سرعة حركة الأرض ونفترض مثلاً أن هذه الرياح تتجه من ب إلى ج (كما نرى في شكل ٣٦) فما تأثير ذلك على سرعة الشعاعين ؟ وما تأثيره أيضاً على وقت وصول كل منهما إلى نقطة الالتقاء ؟

تذكر أن أحدهما ينتقل في البداية ضد اتجاه الريح ثم يعود معها ، أما الآخر فيسير متعامدا على الريح في الذهاب والاياب فأيهما يصل أولا ؟



(شكل رقم ٣٦)

تخيل نهرا يجري فيه قارب بموتور ضد التيار من رصيف (١) الى رصيف (٢) ثم يعود ثانية الى رصيف (١) . فالتيار يعوق حركته في الجزء الأول من الرحلة ثم يزيد سرعته في طريق العودة . وربما ظننت أن هذا يعوض ذلك ، ولكن هذا غير صحيح . وحتى نوضح ذلك افرض أن القارب يتحرك بسرعة تساوي سرعة التيار . وفي هذه الحالة لن يتمكن القارب من التحرك من رصيف (١) والوصول الى رصيف (٢) اطلاقا . ومن السهل أن نفهم أن وجود التيار يعوق حركة القارب زمنيا بمعامل معين وقدره :

$$1 - \left(\frac{v}{c} \right)^2$$

وهو معامل واحد في كل الحالات حيث (س) سرعة القارب و (س) سرعة التيار (٢) . فاذا كان القارب مثلا يتحرك بأسرع من سرعة التيار عشرة مرات فان رحلة العودة تستغرق :

$$10 \times 1 = \frac{1}{0.1} = \frac{1}{1-0.1} = \frac{1}{\left(\frac{1}{10}\right) - 1}$$

وهذا يعنى أن المدة تزيد ب ٠.١ من زمن الرحلة أصلا لو كان القارب يبحر في ماء ساكن .

وبطريقة مشابهة يمكن أيضا حساب التأخير في رحلة القارب بعرض النهر ذهابا وإيابا ، ويكون في هذه المرة ناشئا عن سير القارب في اتجاه جانبي قليلا حتى يعوض دفع التيار له في رحلته من رصيف (١) الى رصيف (٢) ، وفي هذه الحالة يكون التأخير أقل الى حد ما ويمكن حسابه من المعامل :

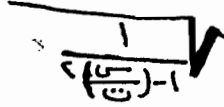
$$\sqrt{\frac{1}{\left(\frac{1}{s}\right) - 1}}$$

أى أنه يساوى ٠.٠٥ (١/٢٠) من المثال السابق ، والبرهان على هذا القانون بسيط للغاية ، لذا نتركه لذكاء القارئ والآن استبدل بالنهر رياح الأثير وبالقارب موجات الضوء ، وبالرصيفين المرآتين الموضوعتين عند الأطراف فتتضح لك أخيرا خطة تجربة « مايكلسون » . لأن شعاع الضوء المنتقل من (ب) الى (ج) ثم الى (ب) مرة أخرى سيتأخر وفقا للقانون :

(٢) باخذ المقدار (ط) كمسافة بين رصيف (١) و رصيف (٢) ، وتذكر أن سرعة القارب مع التيار = س + س وضد التيار = س - س فيكون زمن الرحلة الكلية =

$$\frac{2 \text{ ط س}}{(س - 2 \text{ س})} = \frac{\text{ط}}{س - س} + \frac{\text{ط}}{س + س} = \frac{1}{\left(\frac{1}{س}\right) - 1} \times \frac{2 \text{ ط}}{س} =$$

حيث v هي سرعة الضوء في الأثير . بينما يكون التأخير في رحلته من (ب) الى (د) ذهابا وايابا بالشعاعين :



وحيث أن سرعة رياح الأثير تساوي سرعة الأرض وهي ٣٠ كم/ث ، وسرعة الضوء = 3×10^8 كم/ث فإن الشعاعين يتأخران بنسبة ٠.١ ، ٠.٠٥ في المائة على الترتيب ويصبح من السهل ملاحظة الفرق بين سرعة شعاع ضوئي يسير في اتجاه رياح الأثير ، وآخر يسير عموديا عليها باستخدام جهاز مايكلسون .

ولك أن تتخيل دهشة « مايكلسون » بعد ذلك عندما قام بالتجربة ووجد نفسه عاجزا عن ملاحظة أدنى انحراف في الهدب المتداخلة .

ويتضح أن رياح الأثير لم تؤثر على سرعة الضوء في حركته معا ولا متعامدا عليها .

وقد ذهبل « مايكلسون » ولم يصدق نفسه في البداية ، ولكن الشك تحول الى يقين بعد اعادة التجربة بدقة شديدة فذهبل مرة أخرى عندما تأكد من صحة نتيجة التجربة الأولى ، ولم يكن هناك الا تفسير واحد معقول لهذا ، وهو افتراض جرى مؤداه أن تلك المائدة الحجرية التي ثبت عليها « مايكلسون » الجهاز قد انكمشت بقدر ضئيل (وتعرف هذه الظاهرة بانكماش فيتز جيرالد (٣) Fitz Gerald Contraction نتيجة لحركة

$$(*) \text{ في الأصل } 1 - \left(\frac{v}{c}\right)$$

(٣) تخليدا لاسم أول عالم طبيعة استحدث هذا المفهوم واعتبره من الآثار الميكانيكية البحتة للحركة .

الارض فى الفضاء • والواقع أن الانكماش فى المسافة من (ب) الى (ج) يتم بمعامل :

$$\sqrt{1 - \frac{v^2}{c^2}}$$

بينما تبقى المسافة من (ب) الى (د) كما هى ولذا يتساوى الشعاعان فى التأخير وبالتالى لا تتأثر المجموعة الهدبية •

ولكن اقتراح فكرة انكماش مائدة « مايكلسون » كان أمرا والاقتناع بإمكانيتها أمر آخر ، صحيح أننا نتوقع بعض الانكماش فى الأجسام المادية عند حركتها فى وسط مقاوم لهذه الحركة : والقارب المنطلق بسرعة فى بحيرة مثلا ينضغط قليلا تحت تأثير القوة الدافعة للمحرك من جهة ، ومقاومة التيار لمقدمته من الجهة الأخرى • ولكن حجم هذا الانكماش الميكانيكى يتوقف على مقاومة المادة المصنوع منها القارب فانكماش القارب المعدنى يكون أقل من انكماش القارب الخشبي • ولكن الفروق فى الانكماش التى أدت الى النتائج السلبية لتجربة « مايكلسون » تتوقف فقط على سرعة الحركة ولا تتأثر أبدا بمقاومة الجسم المتحرك • ولو كانت المائدة التى تعالوها المرايا مصنوعة من مادة أخرى غير الحجارة مثل الحديد الزهر ، أو الخشب أو غيرها من المواد لما اختلف حجم الانكماش فى أى من هذه الحالات عن الأخرى : وهكذا يتضح لنا أننا نتعامل هنا مع قوة ذات تأثير عام تسبب انكماش جميع الأجسام المتحركة بنفس الدرجة تماما ، أو كما قال « أينشتين » فى وصفه للظاهرة عام ١٩٠٤ ، نحن هنا نتعامل مع ظاهرة انكماش الفضاء ذاته ، حيث تنكمش جميع الأجسام المتحركة فيه بنفس السرعة بنفس الطريقة وذلك ببساطة لأنها موجودة فى هذا الفضاء المنكمش •

ولقد ذكرنا فى الفصلين الأخيرين عن خواص الفضاء ما يكفى لجعل العبارة السابقة تبدو معقولة • وحتى نزيد الأمر ايضاحا يمكن أن نتخيل أن للفضاء بعض خواص الجيلاتين المرن ، وتوجد بداخله الحدود الخارجية للأجسام المختلفة • وعندما يتحور شكل الفضاء عن طريق الانضغاط ، أو المط ، أو الى فان أشكال جميع الأجسام الموجودة فيه تتغير تلقائيا بنفس الطريقة • وهذه التحورات فى الأجسام المادية التى تنشأ عن تحور الفضاء تختلف عن التحورات الفردية التى تنتج عن قوى خارجية مختلفة تحدث ضغوطا داخلية وتوترا فى الأجسام المتأثرة بها • وربما يفيد النظر الى شكل (٣٧) - وهو يعبر عن حالة ثنائية البعد - فى تفسير هذا الفارق الهام •

ويبدو أن مستر « فيسك » هذا كان يبارز فعلا بسرعة الضوء !
 ومن وجهة نظر الهندسة رباعية الأبعاد يمكن ببساطة تفسير القصر الملاحظ
 في جميع الأجسام المتحركة بصفة عامة ، باعتبارها تغيراً في الإسقاط
 الفضائي لطولها الثابت الرباعي الأبعاد ، وذلك نتيجة لدوران محوري
 الزمن والفضاء المتعامدين . وتذكر من الجزء السابق أننا قلنا ان المشاهدات
 التي تتم من جهاز متحرك لا بد لوصفها من استخدام نظام المحاور الذي يدور
 فيه محورا الزمن والفضاء بزواوية ما تتوقف على السرعة . ولهذا اذا كان
 للجهاز الساكن فاصل معين رباعي الأبعاد واسقاطه على محور الفضاء ١٠٠٪
 (شكل ٣٨ أ) فان اسقاطه الفضائي على المحور الزمني الجديد يكون أقصر
 دائما (شكل ٣٨ ب) ومن المهم أن نتذكر أن درجة القصر (الانكماش)
 تعتمد تماما على حركة النظامين بالنسبة لبعضهما اذ نعتبر أحيانا أن جسما
 ما ساكن بالقياس الى جسم ثان ، لهذا يكون الجسم الساكن بالنسبة للآخر
 متمثلا في خط طوله ثابت ويوازي محور الفضاء الجديد وطبيعي أن يكون
 اسقاطه أقصر طولاً على المحور القديم .

ومن الناحية الفيزيائية لا يوجد أي داع أو أهمية لتحديد أي
 النظامين هو الذي يتحرك « فعلا » . وأهم شيء هنا هو أنها في حالة
 حركة بالنسبة لبعضهما . ولذا اذا قدر لراكبين من ركاب سفينتي فضاء
 تابعة لـ « شركة المواصلات الفضائية المحدودة » في المستقبل أن يتقابلا
 في السماء بين الأرض وزحل ، فسيرى كل منهما مع السرعة الهائلة من
 نوافذ سفينته الجانبية أن السفينة الأخرى تنكمش بدرجة كبيرة ، وهذا دون
 أن يلحظ أن سفينته أيضا يحدث لها نفس الشيء . ولا داعي لاضاعة الوقت
 في جدل عقيم لمعرفة أي السفينتين ينكمش « فعلا » ، لأن الرأي في كل
 سفينة يصدر من وجهة نظر ركاب الأخرى ولن تجد رأيا صادرا في
 السفينة من ركابها (٤) .

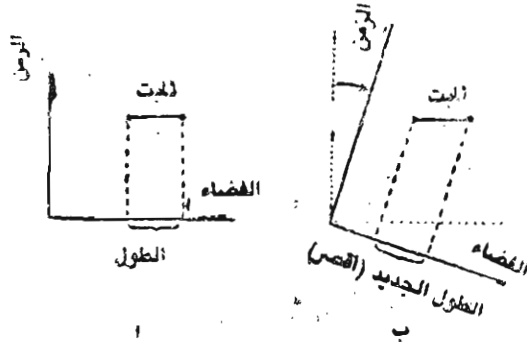
كما أن المنطق الرباعي الأبعاد يسمح لنا بأن نفهم لماذا يكون
 الانكماش النسبي للأجسام المتحركة غير ملحوظ الا عند الاقتراب من
 سرعة الضوء . والواقع أن زاوية الدوران لمحوري الفضاء والزمن المتعامدين

(٤) هذه صورة نظرية تماما بالطبع ، فالحقيقة انه اذا مرت سفينتا فضاء بجانب بعضهما
 كما شرحنا هنا فلن يتمكن ركاب أي منهما من رؤية الأخرى أكثر من رؤيتك لرصاصة تنطلق
 من مسدس في جزء من الثانية .

تحدد بالمسافة التي يقطعها الجسم (النظام) المتحرك ، والزمن المستغرق في ذلك .

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

فاذا قسمنا المسافات بالقدم والزمن بالثواني فلن تكون هذه النسبة الا سرعة عادية معبرا عنها بالقدم لكل ثانية . ومع ذلك فطالما أن الفترات الزمنية في العالم رباعي الأبعاد هي فترات زمنية عادية مضروبة في سرعة الضوء فان السرعة المحددة لزاوية الدوران هي عمليا سرعة الحركة بالقدم/ثانية مقسومة على سرعة الضوء بنفس الوحدات . ولذا فان زاوية الدوران ، وتأثيرها على قياس المسافات لا يمكن تقديرها الا عند اقتراب السرعة النسبة للنظامين المتحركين من سرعة الضوء .



(شكل رقم ٣٨)

وبنفس الشكل الذي تتأثر به قياسات المسافات يؤثر محورا الفضاء والزمن على قياسات الفترات الزمنية . ويسهل ايضا أن الطبيعية التخيلية للمحور الرابع (٥) تجعل الفترات الزمنية تطول عندما تنكمش المسافات الفضائية . فاذا كان لديك ساعة مركبة على سيارة تتحرك بسرعة ، فسوف تسير الساعة أبطأ الى حد ما من ساعة أخرى موضوعة على الأرض ، أي أن الفاصل الزمني بين كل دقتين فيها يطول . ان ابطاء الساعة المتحركة يعتبر من التأثيرات الكونية التي لا تعتمد الا على سرعة الحركة تماما في حالة انكماش الطول ، كما أن ساعة اليد الحديثة ، وساعة جدى ذات البنودول والساعة الرملية الزجاجية ، كل هذه الأنواع من الساعات سوف تبطيء في سيرها بنفس الشكل شريطة أن تتحرك بنفس السرعة . وهذا التأثير ليس مقصورا بالطبع على أداة ميكانيكية خاصة

(٥) أو ، اذا شئت ، فقل ان نظرية فيثاغورث في الفضاء الرباعي تأخذ شكلا آخر فيما يتعلق بالزمن .

يطلق عليها « ساعة الحائط » أو « ساعة اليد » فالواقع أن كافة العمليات الفيزيائية ، والكيميائية ، والبيولوجية تبطيء في سيرها بنفس الدرجة وقد تخشى أن يحترق البيض بعد طهيها في سفينة فضاء سريعة لأن ساعتك سوف تكون بطيئة أكثر من اللازم ، غير أن العملية التي تجري داخل البيضة سوف تتأخر بمعدل مماثل ، ولذا إذا مرت على البيض في ماء مغلي مدة خمس دقائق وفقا لساعتك فسوف تحصل في جميع الأحوال على ما يسمى « بيض الخمس دقائق » (*) . وما سفينة الفضاء هنا الا مثال أنسب من عربة العشاء في القطار ، لأنه عند انكماش الطول لا يمكن ملاحظة ابطاء الزمن الا عند السرعات القريبة من سرعة الضوء . ويمكن

$$\text{معرفة الابطاء باستخدام نفس العامل} \sqrt{1 - \frac{\text{مربع السرعة}}{\text{مربع سرعة الضوء}}}$$

باعتباره معامل تقلص الفضاء مع فارق أنك هنا تستخدمه لا كعامل ضرب ، ولكن قسمه ، فإذا ما تحرك الشخص (مثلا) بسرعة تنقص طوله بمقدار النصف فان الزمن يزيد ضعفا .

وينطوي الانخفاض في سرعة الزمن في النظم المتحركة على معنى مثير بالنسبة للنظم النجمية ، فافرض أنك قد قررت زيارة أحد أقمار كوكب الشعرى اليمانية الذي يبعد تسع سنين ضوئية عن المجموعة الشمسية ، واستعملت في رحلتك سفينة فضاء تتطلق فعلا بسرعة الضوء ، فمن الطبيعي لك أن تعتقد أن رحلة الذهاب والاياب من الأرض الى الكوكب سوف تستغرق ثمانية عشر عاما على الأقل ، مما يجعلك تتزود بمؤونة كبيرة تكفيك لهذه المدة . على أن هذا الاحتياط لن يكون ضروريا على الاطلاق لو كانت السفينة التي تركبها يمكن أن تطير بسرعة مقاربة لسرعة الضوء . فالواقع أنك اذا سافرت مثلا بسرعة تساوي $\frac{9999999999}{10000000000}$ من سرعة الضوء فان ساعتك ، وقلبك ، ورئتيك ، وهضمك ، والعمليات الذهنية سوف تبطيء بمعامل قدره 70000 مرة وستبدو لك الثمانية عشر عاما (من وجهة نظر أهل الأرض التي غادرتها) وهي زمن الرحلة مجرد ساعات قليلة . واطلق انك ما أن تبدأ رحلتك من الأرض بعد تناول طعام الافطار مباشرة حتى تشعر بالرغبة في تناول الغداء عند هبوط سفينتك على كوكب الشعرى . فإذا كنت في عجلة من أمرك وبدأت رحلة العودة بعد الغداء مباشرة فسوف تكون - في كل الاحتمالات - على الأرض وقت العشاء . ولكنك ستجد مفاجأة كبيرة في انتظارك هنا اذا كنت قد

(*) تختلف البيضة المسلوقة من حيث الخواص والطعم وفقا لفترة غليان الماء الموضوعه فيه ، ومن الشائع في المطاعم الراقية أن يسمى البيض المسلوق بهذه الأسماء (المترجم) .

نسيت قوانين النسبية ، اذ أنك ستجد أصدقاءك وأقاربك قد فقدوا الأمل في عودتك باعتبارك مفقودا في الفضاء بين النجوم ، وسيحزنك أيضا أنهم قد تناولوا العشاء ٦٥٧٠ مرة بدونك ! وذلك لأنك سافرت بسرعة قريبة من الضوء فبدت لك ١٨ سنة ضوئية وكأنها يوم واحد .

ولكن ماذا عن محاولة السفر بسرعة تفوق سرعة الضوء ؟ تستطيع أن تجد جزءا من الاجابة على هذا السؤال في قصيدة فكاهية (نسبية) أخرى تقول :

يحكى أن فتاة اسمها « ضياء »
كانت تعدو أسرع من الضوء
وقد سافرت أمس
وعلى طريقة أينشتين
عادت أول أمس

ومن المؤكد أنه اذا كانت السرعات القريبة من سرعة الضوء تؤخر الوقت في نظام متحرك ، فان السرعة التي تزيد عليه سوف تعود بالزمن الى الوراء ! بالإضافة الى أن التغير في العلامات الجبرية تحت جذر فيثاغورث ، سوف يجعل من احداثي الزمن احداثيا حقيقيا ، وبذلك يدل على مسافة فضائية تماما كما يحدث للأطوال في النظام الأسرع من الضوء حين تقل عن الصفر فتصبح تخيلية ومن ثم تتحول الى فترات زمنية .

ولو كان ذلك ممكنا لكان (شكل ٣٣) الذي يصور « أينشتين » وهو يحول العصا المترية الى منبه ممكنا أيضا ، شريطة أن يؤدي هذا العرض السحري بسرعة أعلى من سرعة الضوء ! .

ولكن الطبيعة مهما بلغ جنونها لا تصل الى هذه الدرجة ، وهناك استحالة واضحة لوقوع هذا النوع من السحر الأسود وتتلخص في عبارة واحدة « لا يمكن لأي جسم مادي أن يتحرك بسرعة تساوي سرعة الضوء أو تزيد عنها » .

ان الأساس الفيزيقي لهذا القانون الطبيعي الأول ، يكمن في حقيقة أثبتتها التجارب المباشرة أكثر من مرة . وهي أن ما يعرف بكتلة القصور الذاتي للأجسام المتحركة التي تقيس مقاومتها الميكانيكية للزيادة في سرعتها ، تتخطى أي حد عندما تصل سرعة الحركة الى سرعة الضوء . وبناء عليه اذا انطلقت رصاصة مسدس بسرعة ٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩ في المائة من سرعة الضوء فان مقاومتها لازدياد سرعتها تعادل مقاومة قذيفة مدفع عيار ١٢ بوصة . وعند سرعة ٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩ في المائة من سرعة

الضوء تتساوى مقاومة الرصاصة (قصورها الذاتي) تماما مع وزن سيارة نقل محملة ثقيلة . ومهما كانت قوة اطلاق هذه الرصاصة فلا يمكن أن تقهر الرقم العشري الأخير بحيث تكون سرعتها مساوية للحد الأقصى لسرعة الحركة في الكون !

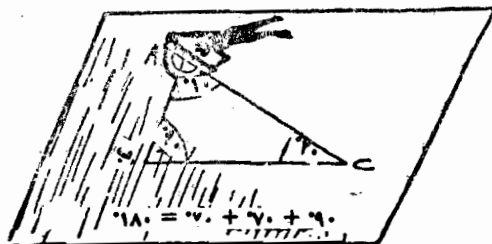
٣ - الفضاء المنحني ولغز الجاذبية :

مع الاعتذار الواجب والأسف الشديد للقارئ الذي أثقلنا عليه خلال قراءته للصفحات السابقة عند الحديث عن الاحداثيات الأربعة ندعوه الآن لأن يصحبنا في جولة في فضاء منحني . وكلنا يعلم ماهية الخط المنحني والسطح المنحني ولكن ماذا يعني مصطلح « الفضاء المنحني » . ان المشكلة التي تواجهنا في محاولة تخيل مثل هذه الظاهرة لا تكمن في غرابة المفهوم بقدر ما تكمن في الحقيقة التي مفادها أننا بينما نستطيع أن ننظر الى الخطوط المنحنية والسطوح المنحنية من الخارج ، فإن انحناء الفضاء الثلاثي الأبعاد لا بد من مراقبته من الداخل ، حيث أننا نعيش فيه بأنفسنا .

وفي محاولة لفهم كيفية تقبل الانسان ثلاثي الأبعاد لفكرة انحناء فضاء يعيش فيه دعنا أولا ننعمن النظر في الحالة الفرضية لظل ثنائي البعد يسكن سطحا ما . في الشكلين (٣٩ أ ، ٣٩ ب) نرى اثنين من العلماء (في هيئة طيفيين) على مستوى منبسط منحني (كروي) من « العوالم المسطحة » يدرسان هندسة فضائهما ذي البعدين . ولا شك أن أبسط الأشكال الهندسية الممكنة دراستها هو المثلث ، هذا الشكل المكون من ثلاثة خطوط مستقيمة تصل بين ثلاث نقاط هندسية . وكما نذكر جميعا من هندسة المرحلة الاعدادية ، أن اجمالي زوايا أي مثلث تساوى دائما 180° . ومن الواضح ، مع ذلك ، أن هذه النظرية لا تنطبق على المثلثات المرسومة على أسطح كروية . والواقع أن المثلث الكروي المكون من خطي طول جغرافيين خارجين من القطب ، وخط العرض الذي يقطعهما (جغرافيا أيضا) يحتوي على زاويتين قائمتين في القاعدة كما أن زاوية الرأس تتراوح قيمتها بين صفر ، 360° باختلاف الضلعين . وفي هذا المثال المرسوم في شكل ٣٩ ب نجد أن مجموع الزوايا يساوى 210° ، وهكذا يمكننا أن نرى أن قياس الأشكال الهندسية في عالمها الثنائي البعد ، جعل العالمين يكتشفان انحناء السطح دون النظر اليه فعلا من الخارج .

وبتطبيق الملاحظة السابقة على عالم له أكثر من بعد واحد يكون من الطبيعي لنا أن نتوصل الى ما يلي :

ان علماء البشر الساكنين في فضاء ثلاثي الأبعاد يستطيعون تأكيد انحناء الفضاء دون القفز خارجه الى البعد الرابع بمجرد قياس الزوايا بين الخطوط المستقيمة التي تربط بين ثلاث نقاط في فضاءهم . فاذا كان مجموع الزوايا الثلاث يساوي 180° كان الفضاء منبسطا ، والا كان فيما عدا ذلك منحنيا لا محالة .



(شكل رقم ٣٩)

علاوة ثانيا البعد من « العوالم المسطحة » النسبة والمنحنية يختبران الهندسة الاقليدية فيما يتعلق بمجموع زوايا المثلث .

ولكن قبل المضي في هذه المناقشة علينا أن نناقش بشيء من التفصيل المعنى الدقيق لمصطلح الخطوط المستقيمة . بالنظر الى المثلثين الموضحين في شكل (٣٩) ، قد يقول القارئ طالما أن أضلاع المثلث المرسوم على سطح منبسط (شكل ٣٩ أ) مستقيمة فعلا فلا بد أن أضلاع المثلث المرسوم

على الكرة (شكل ٣٩ ب) منحنية فعلا لكونها أقواسا من دائرة كبيرة (٦) متكيفة مع السطح الكروي .

وهذه العبارة التي تعتمد على البديهية في الفكر الهندسي سوف تحرم العالمين انظليين من أى امكانية لوضع هندسة للفضاء الثنائي البعد ويحتاج مفهوم الخط المستقيم الى تعريف هندسي عام لا يحفظ للهندسة الاقليدية مكانتها فحسب ، ولكنه أيضا يشمل الخطوط المرسومة على أسطح وفضاءات أكثر تعقيدا في طبيعتها . ويتوفر هذا التعميم في تعريف « الخط المستقيم » بأنه الخط الذي يمثل أقصر مسافة بين نقطتين وينطبق على السطح أو الفضاء الذي يرسم فيه . وفي الهندسة الثنائية البعد لا شك أن التعريف السابق يتفق مع المفهوم العام للخط المستقيم فقط ، بينما ينسحب باحكام على عائلة من الخطوط في حالات أخرى للسطوح الأكثر تعقيدا ، وهذه العائلة من الخطوط تؤدي عندئذ نفس دور « الخطوط المستقيمة » في الهندسة الاقليدية .

وحتى نتجنب اللبس نستطيع المرء أن يطلق على الخطوط التي تمثل أقصر مسافة بين نقطتين على سطح منحني « الخط السمتي » Geodesic ، والاسم الانجليزي مشتق من علم الجيوديسيا Geodesy الذي يبحث في دراسة المساحة التطبيقية لسطح الأرض ، والواقع أننا عندما نتكلم عن مسافة الخط المستقيم بين نيويورك وسان فرانسيسكو فاننا نعني « المسافة على خط مستقيم » مع انحناء سطح الأرض ، وليس كما يفترض في حفار المناجم العملاق الذي يشق طريقه مباشرة مخترقا جسد الأرض .

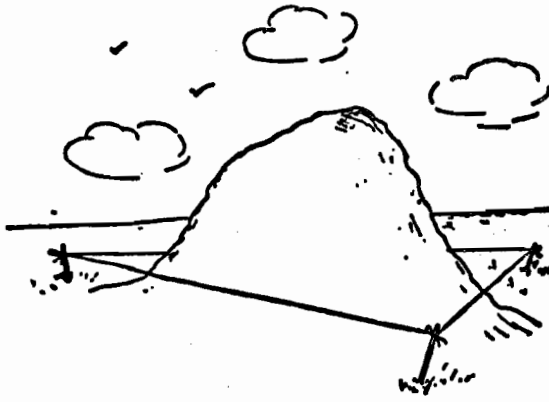
ان التعريف السابق « للخط المستقيم بصفة عامة » أو « السمتي » بصفته أقصر مسافة بين نقطتين يوحى بالطريقة الطبيعية البسيطة لرسم هذا الخط ، عن طريق شد حبل بين النقطتين المراد قياس المسافة بينهما ، فاذا كان ذلك على سطح منبسط فانك ترسم خطا مستقيما عاديا ، وان كان ذلك على كرة ستجد أن الحبل ينثنى بامتداد قوس لدائرة كبرى هي مقابل الخط الجيوديسي أو السمتي للسطح الكروي .

يمكن بطريقة مماثلة أن نحدد ما اذا كان الفضاء الثلاثي الأبعاد الذي نعيش فيه منحنيا أم منبسطا ، وكل ما يلزمنا أن نشد (الحبال) بين ثلاث نقاط في الفضاء ، ثم نرى ما اذا كان مجموع زوايا المثلث يساوى

(٦) الدوائر الكبرى هي تلك التي يقطعها على السطح خط مستوى يمر بمركز الكرة وخط الاستواء ودائرة خط الطول من هذه الدوائر الكبرى .

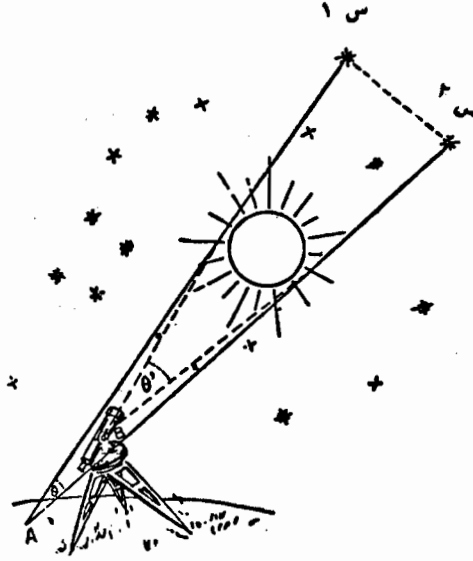
١٨٠° أم لا . وللقيام بهذه التجربة ينبغي على أية حال أن نذكر شيئين هامين . فمن الضروري أن تجرى التجربة على مساحة واسعة نوعا ما حيث ان المساحة الصغيرة جدا من السطح المنحني قد تظهر لنا مستوية تماما ، وغنى عن الذكر أنه لا يمكن التأكد من انحناء سطح الأرض بأخذ المقاسات فى حديقة المنزل مثلا ، ثم ان سطح الفضاء قد يكون منبسطا فى بعض الأماكن ومنحنيا فى أماكن أخرى ، لذا لابد من اجراء مسح كامل .

وتكمن عظمة الفكرة ، التى طرحها « أينشتين » عندما وضع نظريته العامة فى الفضاء المنحني فى فرضية مؤداها أن الفضاء الطبيعي ينحني كلما اقترب من الكتل الكبيرة ، وكلما كبر حجم الكتلة كلما زاد الانحناء . وإذا أردنا التحقق من صحة هذا الفرض عمليا نستطيع شد حبل بين ثلاثة أوتاد مثبتة فى الأرض حول أى تل كبير الحجم (شكل ٤٠ أ) ثم نقيس الزوايا الناشئة عن تلاقي هذه الأحبال . فاختار أكبر مرتفع تجده - حتى لو كان من جبال الهيمالايا - وسوف تجد مع التقاضى عن بعض أخطاء القياس (وهذا شيء وارد) أن مجموع زوايا المثلث لن يزيد على ١٨٠° اطلاقا !! . ورغم ذلك فان هذه النتيجة لا تعنى بالضرورة أن « أينشتين » كان مخطئا وأن وجود الكتل الضخمة لا يؤدي الى انحناء السطح من حولها . وربما كان جبل الهيمالايا نفسه لا يؤدي الى انحناء الفضاء المحيط به بما يكفى لتسجيل الانحراف حتى باستخدام أدق آلات القياس . ونذكر الاخفاق الذى لقيه « جاليليو » فى محاولته لقياس سرعة الضوء باستخدام فانوسه الآلى الاغلاق (شكل ٣١) . لذا دعك من الشعور بالاحباط ، وتعال نجرب ثانية مع كتلة أكبر حجما كالشمس مثلا .



(شكل رقم ٤٠) (أ)

ومما يقضى بالعجب أن التجربة تنجح هذه المرة ! فسوف تجد اذا مددت جبلا من نقطة ما على الأرض الى نجم معين ثم الى نجم آخر بحيث تكون الشمس داخله في المثلث المغلق المكون من الجبال الثلاثة - أن مجموع الزوايا الثلاثة سوف يختلف بدرجة ملحوظة عن 180° . واذا لم يكن لديك جبل طويل بما يكفي لاجراء هذه التجربة فيمكنك استبداله بشعاع ضوئي وهو أفضل من الجبل من جميع الوجوه ، اذ ان علم البصريات يعلمنا أن الضوء يسلك دائما أقصر الطرق الممكنة .



(شكل رقم ٤٠ ب)

ويصور (شكل ٤٠ ب) رسما تخطيطيا لاحدى تجارب قياس الزوايا المحصورة بين أشعة الضوء ، حيث يلتقى الشعاعان الضوئيان الآتيان من النجمين س١ ، س٢ الواقعان على جانبي قرص الشمس (وقت التجربة) - عند جهاز التيودوليت (المزواة) مما يمكننا من قياس الزاوية المحصورة بين الشعاعين . ثم تعاد التجربة بعد ابتعاد الشمس عن طريق النجمين وتقارن بين الزاوية في الحالة الأولى والزاوية في الحالة الثانية ، فان اختلفنا كان ذلك دليلا على أن الشمس تؤثر على انحناء الفضاء من حولها ، بحيث ينحرف شعاعا الضوء عن مسارهما الأصلي .

وقد كان « أينشتين » هو الذى اقترح هذه التجربة لاختبار صحة نظريته . وقد يستطيع القارئ أن يفهم الحالة بصورة أفضل نوعا بالنظر الى ما يماثلها على سطح ثنائى البعد (شكل ٤١) .

ومن الواضح أن هناك عقبة عملية قد اعترضت سبيل تجربة أينشتين

بداية بلا نهاية - ١١٣

في الظروف العادية : فانت لا تستطيع رؤية النجوم حول الشمس بسبب شدة لمعانها ، ولكن في فترة الكسوف الكلي للشمس تصبح واضحة للعيان وقت النهار . وبلاستعانة بهذه الحقيقة تم اجراء التجربة عمليا عام ١٩١٩ على يد بعثة فلكية بريطانية في جزر « برينسيب » (غرب افريقيا) ، حيث أمكن ملاحظة كسوف الشمس منها في ذلك العام . وكان فرق البعد الزاوي بين النجمين والشمس بينهما ، والنجمين والشمس خارجهما $30 \pm$ راً بالمقارنة مع ما قدره « أينشتين » وهو ٧٥ راً . وكانت النتائج التي توصلت اليها البعثات الاستكشافية في تواريخ لاحقة مماثلة للتجربة .

ولا تعتبر قيمة ثانية ونصف من القيم الكبيرة في الزوايا الزمنية ، ولكنها كافية لاثبات أن كتلة الشمس تجبر الفضاء فعلا على الانحناء من حولها .

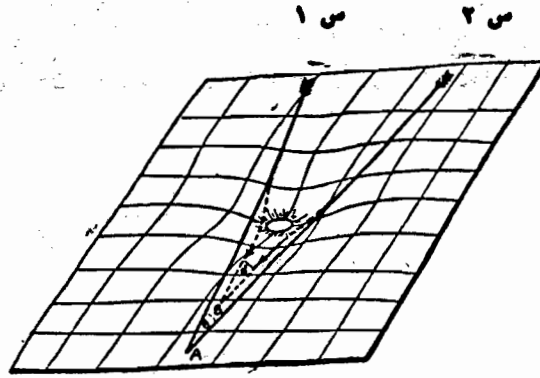
ولو أمكن الاستعانة بنجم آخر أكبر من الشمس لوجدنا أن هذه النظرية الاقليدية لمجموع زوايا المثلث لا تتحقق ، فيختلف مجموع الزوايا عدة دقائق ، بل ودرجات عنها .

ويحتاج التآلف مع مفهوم الفضاء الثلاثي المنحني الى بعض الوقت مع قدر كبير من التخيل عند دراسة هذا الفضاء من داخله . ولكن ما أن تضع يدك على حقيقته حتى يصبح واضحا لك ومحددا ، شأنه في ذلك شأن المفاهيم المألوفة في الهندسة الكلاسيكية من حيث وضوحها وتحديدها .

والآن تبقى خطوة واحدة هامة حتى يكتمل لك فهم نظرية « أينشتين » في الفضاء المنحني وعلاقته بالنقاط الأساسية في الجاذبية الكونية ومرة أخرى يجب أن نتذكر أن الفضاء الثلاثي الذي تحدثنا عنه ليس الا جزءا من عالم الفضاء والزمن الرباعي الذي يعمل كخلفية لكافة الظواهر الطبيعية . ويترتب على هذا أن يكون انحناء جزء الفضاء لا يزيد على انعكاس للانحناء الفضائي الزمني الرباعي الأعم وأن «خطوط العالم» لهذا الكل انما تعبر عن حركة أشعة الضوء ، والأجسام المادية فيه ، ولا بد من اعتبارها خطوطا منحنية في فضاء أعظم .

وانطلاقا من هذه النظرية وصل أينشتين الى نتيجة هامة وهي : أن ظاهرة الجاذبية مجرد أثر من آثار انحناء العالم الفضائي الزمني ذي الأربعة أبعاد . وهكذا نستطيع أن نستبعد عبارة قديمة غير وافية كانت تقول أن الشمس تؤثر ، بقوة معينة على الكواكب مباشرة فتجعلها ترسم مدارات دائرية حولها ، والأدق الآن أن نقول ان كتلة الشمس تحدث انحناء في عالم الفضاء والزمن الرباعي - من حولها وان خطوط العالم

للكواكب تبدو على الصورة التي تراها في شكل (٣٠) لا لشيء إلا لأنها خطوط « سميتية » تمر في الفضاء المنحني .



(شكل رقم ٤١)

وبذا يختفى تماما مفهوم الجاذبية كقوة مستقلة من منطقتنا ، وتحل محله مفاهيم هندسة الفضاء البحتة التي تقضى بأن حركة الأجسام المادية تتبع « أشد المسارات استقامة » ، أو « الخطوط السميتية » التي تنطبق على الانحناءات الناتجة عن وجود الكتل الضخمة .

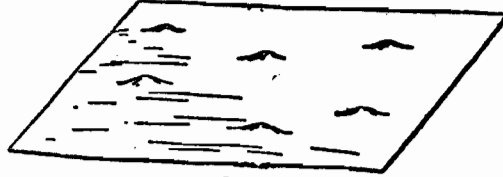
٤ - الفضاء المغلق والفضاء المفتوح :

لا يجوز أن ننتهي من هذا الفصل قبل أن نعرض بإيجاز قضية أخرى من القضايا الهامة في هندسة الفضاء والزمن عند « أينشتين » ، وهي الكون . هل هو نهائي أم لا نهائي ؟ .

وقد ناقشنا حتى الآن الانحناء الموضعي للفضاء بجوار الكتل الكبيرة ، هذه المجموعة المتنوعة من « البثرات الفضائية » المنتشرة على وجه الكون العملاق . ولكن بغض النظر عن هذه البروزات الموضعية هل الكون منبسط أم منحني ، وإذا كان منحنيا فما نوع هذا الانحناء ؟ .

ونرى في شكل (٤٢) رسما توضيحيا ثنائي البعد لفضاء منبسط وبه « بثرات » ، كما نرى أيضا نوعين من الانحناءات الممكنة . . وأول هذين النوعين هو « الانحناء الموجب » وهو يقابل سطح الكرة ، أو سطح أى شكل هندسي مغلق ويكون « موحدا » في جميع الاتجاهات . أما « الانحناء السالب » ، وهو عكس النوع السابق ، فيتخذ اتجاهين إتجاها لأعلى وآخر لأسفل ويشبه إلى حد كبير سرج الحصان في الغرب الأمريكي . والفارق بين هذين النوعين يظهر بوضوح عندما تقص قطعتين

من الجلد احدهما من كرة قدم والاخرى من سرج حصان ، ثم تحاول فردهما على مائدة وستلاحظ استحالة ذلك دون مط أو انكماش فبينما يحتاج جلد الكرة الى المط يحتاج السرج الى الانكماش حيث تكون المساحة المحيطة بالمركز فى جلد الكرة غير كافية لفردة ، بينما تزيد مساحة الجلد حول مركز السرج أكثر مما يلزم لفردة ولهذا نراه يتجعد مهما حاولت تسويته .



سطح مستو



منحنى موجب



منحنى سالب

(شكل رقم ٤٢)

ويمكن ايضاح هذا الأمر بطريقة أخرى ، فافرض أنك ستقوم بعدد البثرات الموجودة فى بوصة ، اثنتين ، ثلاث بوصات ٠٠ الخ (معدودة على امتداد السطح) من نقطة معينة ٠ وعلى السطح المستوى تجد أن عدد البثرات يزداد بمعدل مربع المسافات أى ١ ، ٤ ، ٩ ، ٠٠ الخ ، أما على السطح الكروى فسيزداد عدد البثرات بمعدل أقل من ذلك ، فى حين يزداد على سطح السرج بمعدل أكبر ٠ وهكذا فان العالمين الظليين ثنائى الأبعاد واللذين يسكنان على هذا السطح ، وبالتالي يكونان غير قادرين على النظر اليه من الخارج لملاحظة شكله ، سوف يصبح بمقدورهما رغم ذلك أن يكتشفا الانحناء بواسطة عد البثرات الموجودة فى العوائر المختلفة فى نصف قطرها وربما لاحظنا هنا أيضا أن الانحناء

الموجب والسالب يعرب عن نفسه في قياسات الزوايا في المثلثات المتكافئة .
وكما رأينا من قبل في الجزء السابق فإن مجموع الزوايا في المثلثات
المرسومة على سطح كرة يزيد دائما على 180° . فإذا حاولت رسم مثلث
على سطح السرج ستجد أن مجموع زواياه يقل دائما عن 180° .

ويمكن تعميم النتائج السابقة - والتي حصلنا عليها بالنسبة للأسطح
المنحنية بصفة خاصة - على الفضاءات ثلاثية الأبعاد المنحنية وفقا للجدول
التالي :

نوع الفضاء	سلوكه على المدى البعيد	مجموع زوايا المثلث	معدل الزيادة
فضاء موجب الانحناء شبيه بالكرة	مفلق على نفسه	$180^\circ <$	اقل من مكعب ضلعه مساو لنصف القطر
فضاء مستو	ممتد الى ما لا نهاية	$180^\circ =$	مساو لمكعب ضلعه مساو لنصف القطر
فضاء سالب الانحناء شبيه بالسرج	ممتد الى ما لا نهاية	$180^\circ >$	ازيد من مكعب ضلعه مساو لنصف القطر

ويمكن استخدام الجدول في البحث عن اجابة عملية عما اذا كان
الفضاء الذي نعيش فيه نهائى أم لا نهائى - وسوف نتعرض لمناقشة
هذه المسألة في الفصل العاشر الذى يتناول موضوع حجم الكون .



الجزء الثالث

الكون الأصغر



وَقَفَّيْنَا لَهُمُ الْغَايَةَ فِي الْفِكْرِ الْقُرْآنِيِّ
A TRUST
THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT
Est. 2012 CE

الفصل السادس

النزول من علي السلم

١ - الفكرة الاغريقية :

من الأفضل في تحليل خواص الأجسام المادية أن نبدأ ذلك على بعض الأجسام المعتادة لنا « ذات الحجم العادي » ، ثم ، نتدرج خطوة خطوة الى البناء الداخلى لها حيث تكمن المصادر الأساسية لكافة الخواص المادية بعيدا عن عيون الانسان .

لذا هيا نبدأ المناقشة يانء من حساء المحار موضوع على مائدة عشائك . ولقد اخترنا حساء المحار ليس لأنه مغذ وحلو الطعم ، ولكن لأنه يعتبر مثالا لطيفا على ما يسمى بالمادة غير المتجانسة وتستطيع حتى دون الاستعانة بميكروسكوب أن ترى أن الحساء هو عبارة عن خليط من عدد كبير من المكونات : شرائح المحار الصغيرة ، وقطع البصل ، والطماطم ، والكرفس ، وحببيبات البطاطس الدقيقة بالإضافة الى حبيبات الفلفل الأسود ، والقليل من السمن ٠٠٠ كل هذه المكونات مختلطة مع بعضها في محلول مائى مملح .

وأغلب المواد التى نتعامل معها فى حياتنا اليومية - وبخاصة المواد العضوية - تكون غير متجانسة رغم أن ادراك هذه الحقيقة يتطلب استعمال الميكروسكوب فى أغلب الحالات . ولكن درجة محدودة من التكبير تكون كفيلا بأن توضح لك على سبيل المثال أن اللين عبارة عن مستحلب رقيق القوام مكون من قطرات دقيقة من الزبد معلقة فى سائل أبيض متجانس .

كما أن تربة الحديقة العادية هي خليط دقيق من جزيئات ميكروسكوبية من الكالسيوم ، والكاولين ، والكوارتز ، وأكسيد الحديد وغير ذلك من الأملاح والمعادن ، بالإضافة إلى العناصر العضوية المختلفة الناتجة من تحلل النباتات والحيوانات . وإذا صقلت سطح صخرة جرانيت عادية يتضح لك في الحال أن هذه الصخرة تتكون من بلورات صغيرة الحجم لثلاثة أنواع من العناصر (كوارتز ، فليسيار ، ميكا) وتلتصق هذه البلورات مع بعضها بقوة لتكون جسما صلبا واحدا .

في دراستنا للبنية الداخلية للمادة ، يعتبر تكوين المواد غير المتجانسة مجرد خطوة أولى ، أو بالأحرى أولى درجات السلم وفي كلتا الحالتين نستطيع بعد ذلك أن ننتقل إلى دراسة العناصر المتجانسة التي يتكون منها الخليط . وفي العناصر المتجانسة فعلا ، سلك النحاس ، أو كوب الماء ، أو الهواء الذي يملأ الحجرة (بفرض خلوه من الغبار المعلق بالطبع) - لا يمكن للفحص الميكروسكوبي أن يظهر أي أثر لمكونات مختلفة وسوف تبدو المادة متصلة في جميع أجزائها . صحيح أننا في حالة سلك النحاس ، أو مع جميع الأجسام الصلبة (باستثناء المواد المكونة من عناصر زجاجية غير متبلرة) نكتشف إذا نظرنا بمجهر قوى أن التكبير القوي يكشف دائما عما يسمى بالهيكل المجهرى البلورى (Microcrystalline Structure)

ولكن البلورات المنفصلة التي نراها في المواد المتجانسة تعتبر جميعها ذات طبيعة واحدة - مثل بلورات النحاس في سلك نحاسي وبلورات الألومنيوم في حلل الطهي . الخ تماما كما نجد بلورات كلوريد الصوديوم في حفنة من ملح الطعام . وباستخدام تكثيف خاص (التبلر البطيء) نستطيع زيادة حجم بلورات الملح ، والنحاس ، والألومنيوم ، أو أي مادة متجانسة أخرى إلى أي مدى نريده ، كما أن قطعة من مثل هذه العناصر وحادية التبلر ، Monocrystalline سوف تكون شبيهة في تجانسها تماما بالماء أو الزجاج .

اذن هل نحن على حق استنادا إلى هذه الملاحظات سواء عن طريق العين المجردة أو أقوى أنواع الميكروسكوبات في افتراض أن العناصر التي نطلق عليها متجانسة سوف لا يحدث لها أي تغير مهما كانت درجة التكبير المستخدمة ؟ وبمعنى آخر ، هل نستطيع أن نصدق أنه مهما كانت كمية النحاس أو الملح أو الماء ضئيلة فإن خواصها سوف تكون دائما هي نفس خواص العينات الأكبر وأنه يمكن دائما تقسيمها إلى أجزاء أصغر ؟

لقد كان أول من صاغ هذا السؤال وحاول البحث عن جواب له الفيلسوف الأغرقي « ديموقريطس » الذي عاش في أثنينا منذ ثلاثة

وعشرين قرنا وقد كانت اجابته بالنفى ، اذ كان أكثر ميلا الى الاعتقاد بأنه مهما كان تجانس أى مادة فى ظاهرها فلا بد من النظر اليها باعتبارها تتكون من عدد كبير (ما مدى كبر هذا العدد ؟ هذا ما لم يستطع معرفته) من جزيئات منفصلة باللغة الدقة (ما مدى دقتها ؟ هذا ما لم يعرفه أيضا) وقد سمي هذه الأجزاء « الذرات » أو « غير المرئيات » وهذه الذرات أو غير المرئيات تختلف كميتها . فى المواد المختلفة ، ولكن اختلافها فى النوع هو مجرد اختلاف ظاهرى . فالحق أن ذرات النار هى نفسها ذرات الماء ، وهى لا تختلف الا فى المظهر فحسب ، والواقع أن جميع المواد مركبة من نفس النوع من الذرات السمرمية ! .

وقد اختلف مع « ديموقريطس » فى هذا الرأى أحد معاصريه وهو « امبيدوقليس » (Empedocles) ، حيث قال ان هناك أنواعا شتى من الذرات المختلطة بنسب متباينة مما يؤدى الى تكوين العديد من العناصر المختلفة المعروفة واستنادا الى المبادئ الأولية للكيمياء المعروفة فى ذلك الوقت تعرف « امبيدوقليس » على أربعة أنواع من الذرات وهى تقابل العناصر المزعومة الأربعة : مادة الحجر ، الماء ، والهواء ، والنار . وفقا لهذه الآراء تكون التربة مثلا مكونة من عنصر الحجر وعنصر الماء المختلطين جيدا ذرة بذرة : وكلما ازداد العنصران اختلاطا كلما تحسنت التربة . فالنبات الذى يخرج من التربة يحتوى على ذرات الحجر والماء وذرات النار الآتية من أشعة الشمس ، فتؤدى فى النهاية الى تكوين جزئى مركب من الخشب . واحتراق الخشب الجاف الذى انتزع منه عنصر الماء كان يعتبر انحلالا أو تفسخا فى جزيئات الخشب الى مكوناته الأساسية وهى ذرات النار التى تنطلق مع اللهب ، وذرات الحجر التى تتخلف فى صورة رماد . والمعروف الآن أن هذا التفسير لنمو النبات واحتراق الخشب والذى كان يبدو منطقيا تماما فى هذا العهد المبكر من طفولة العلم انما هو تفسير خاطئ . فنحن نعلم أن النبات يحصل على أكبر جزء من المواد الداخلة فى نموه لا من التربة كما ظن الأقدمون - أو كما تظن أنت نفسك اذا لم يكن أحد قد أخبرك بالحقيقة - ولكن من الهواء .

والتربة ذاتها لا تسهم الا بجزء ضئيل جدا فى بعض الأملاح اللازمة لنمو النبات ، الى جانب ما تقوم به من دور فى تدعيم النبات والعمل كمخزن يحتوى على الماء اللازم له ، ويستطيع المرء أن يزرع نبتة قمح كبيرة جدا من كمية التربة التى يحتوى عليها كشتبان صغير (*) والحقيقة أن الهواء الجوى ، الذى هو مزيج من النيتروجين ، والاكسجين (وليس عنصرا بسيطا كما ظن القدماء) يحتوى أيضا على كمية معينة من ثانى أكسيد

(*) اتوبوب معدنى قصير (المترجم) .

الكربون الذى تتكون جزيئاته من ذرات الأكسجين والكربون وتمتص الأوراق الخضراء للنبات ثاني أكسيد الكربون ، تحت تأثير أشعة الشمس ، فيتفاعل مع الماء الذى يصل اليها عبر جذور النبات مكونا المواد العضوية ، التى يتكون منها جسم النبات . ثم يعود الأكسجين جزئيا الى الغلاف الجوى . ومن نتائج هذه العملية أن « النباتات الموضوعه فى حجرة تجدد الهواء » .

وعندما يحترق الحشب ، تتحد جزيئاته مرة أخرى مع أكسجين الهواء الآتى من الجو ليتحول مرة أخرى الى ثاني أكسيد كربون وبخار الماء الذى ينطلق مع اللهب الساخن .

أما « ذرات النار » التى اعتقد القدماء بوجودها فى البنية المادية للمواد فهى غير موجودة ، ولا توفر أشعة الشمس الا الطاقة اللازمة لتحلل جزيئات ثاني أكسيد الكربون وبذا تجعل من هذا الغذاء الجوى مادة قابلة للهضم بواسطة النبات النامى ، ولما كانت ذرات النار لا وجود لها فمن الواضح أن « تحرر » هذه الذرات غير الموجودة أصلا ليس هو السبب فى اشتعال النار ، فاللهب هو ببساطة كتلة من تيار الغازات المسخنة التى تؤدى الطاقة المتحررة أثناء هذه العملية الى اظهارها للعيان .

والآن لناخذ مثلا آخر لنوضح الفارق بين آراء القدماء والمعاصرين فى التحولات الكيميائية ، أنت تعلم بالطبع أن المعادن المختلفة يمكن الحصول عليها من الخام المقابل باختضاعه الى درجات حرارة عالية جدا فى الأفران العالية . ولا يختلف المعدن الخام لأول وهلة عن الصخور العادية لذا فلا يجب أن نندهش من اعتقاد العلماء القدامى بأن خام المعادن مكون من نفس عنصر الحجر مثله مثل أى صخر . ومع ذلك فعند وضع قطعة من خام الحديد فى نار حامية ، وجد أن الناتج يختلف تماما عن أى صخرة عادية - وهو ذلك العنصر اللامع الذى نضنع منه السكاكين الحامية وروس الزماح ، وكان أسهل الطرق لتفسير هذه الظاهرة هو القول بأن المعدن متكون من اتحاد مادة الحجر مع النار - أو بعبارة أخرى ان ذرات المعدن هى خليط من ذرات الحجر وذرات النار .

وبعد أن قاموا بتفسير مكونات المعادن بصفة عامة ، قاموا بتأويل وجود نوعيات المعادن المختلفة مثل الحديد ، والنحاس عن طريق القول بوجود نسب مختلفة من الحجر والنار فى تركيبها . ألم يكن من الواضح أن لمعان الذهب يرجع الى احتوائه على قدر من النار أكثر من الحديد المائل للسواد ؟

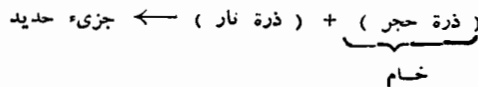
ولكن اذا كان الأمر كذلك فلم لا نضيف قدرا أكبر من النار الى الحديد أو الى النحاس ، وبالتالي يتحولان الى الذهب النفيس ؟ ومن هذا

المنطلق أمضى علماء الكيمياء في القرون الوسطى فترات كبيرة من عمرهم بجانب المواقد محاولين الحصول على الذهب الثمين من معادن أرخص .

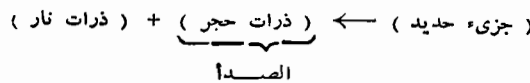
وقد كانت هذه المحاولات من وجهة نظرهم لا تقل في معقوليتها عن محاولات الكيميائيين المعاصرين لاستحداث طريقة لانتاج المطاط الصناعي . وكان خطأ هذه النظرية والتطبيق العملي لها كامنا في اعتقادهم أن الذهب وغيره من المعادن هي مركبات وليست عناصر بسيطة . ولكن كيف يستطيع المرء أن يعرف ما اذا كان العنصر أوليا أم مركبا دون التجريب ؟ ولولا المحاولات الفاشلة لهؤلاء الكيميائيين الأوائل لتحويل الحديد أو النحاس الى ذهب أو فضة لما تسنى لنا اطلاقا معرفة أن المعادن هي عناصر كيميائية بسيطة ، وأن الخام المحتوى على معادن ما هو الا تركيبة ناتجة عن اتحاد ذرات المعدن بذرات الاكسجين (أكاسيد المعادن كما يطلق عليها الكيميائيون حاليا) وليس تحول خام الحديد الى معدن تحت تأثير الحرارة اللائحة في القرن العالى نتيجة لاتحاد الذرات (ذرات الحجر والنار) كما ظن الكيميائيون القدامى ، ولكنه على النقيض تماما نتيجة لفصل هذه الذرات ، أو انتزاع ذرات الاكسجين من ذرات أكسيد المعدن المركبة . كما أن الصدا الذي يظهر على سطح الأجسام المعدنية عند تعرضها للرطوبة ليس مكونا من ذرات الحجر المتخلفة عند تحرر ذرات النار أثناء تحلل عنصر الحديد ولكنه نتيجة تكون جزيئات مركبة من ثاني أكسيد الحديد الناتج عن اتحاد ذرات الحديد بذرات الاكسجين الموجودة في الهواء أو الماء (١) .

ويتضح لنا من المناقشة السابقة أن مفاهيم العلماء القدامى عن التركيب الداخلى للمادة ، وطبيعة التحول الكيميائي فيها كان صحيحا

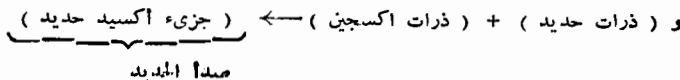
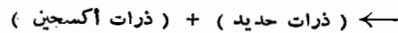
(١) لذا فعلى حين كان الكيميائي القديم يعبر عن تصنيع الحديد من خامه كالنالى :



وظهور صدا الحديد كما يلى :



أصبحنا نكتب هذه العمليات كما يلى : (جزء أكسيد حديد) ←
خام الحديد



في أساسه ، ولكن خطأهم كان كامنا في عدم فهمهم لأنواع العناصر الأولية . والحق أن أيا من العناصر الأربعة التي ذكرها « امبيدوقليس » بوصفها عناصر أولية ليس أوليا في الواقع فالهواء هو خليط من غازات عديدة مختلفة ، وجزئيات الماء تتكون من ذرات الاكسجين والهيدروجين ، أما الصخور فهي ذات تركيب غاية في التعقيد اذ تحتوى على عدد كبير جدا من العناصر المختلفة ، وأخيرا بالنسبة لذرات النار فهي عنصر لا وجود له اطلاقا (٢) .

والواقع أن عدد العناصر الكيميائية المختلفة في الطبيعة ليس أربعة بل ٩٢ نوعا مختلفا من الذرات ، وبعض هذه العناصر مثل الاكسجين والكربون ، والحديد ، والسليكون (المكونات الرئيسية لمعظم الصخور) متوفر الى حد ما على الأرض ومألوف للجميع . والبعض الآخر شديد الندرة . وربما كنت لم تسمع اطلاقا عن بعض العناصر مثل : البراسوديميوم ، أو الديسبروسيوم ، أو اللانثيوم . وبالإضافة الى العناصر الطبيعية التي نجح علماءنا المعاصرون في تخليقها هناك عدد من العناصر الجديدة تماما ، وسوف نناقشها بعد قليل في هذا الكتاب ومن بينها عنصر البلوتينيوم الذي يتوقع أن يؤدي دورا هاما في اطلاق الطاقة الذرية لكل من الأغراض السلمية والحربية ، وباتحاد الـ ٩٢ نوعا من ذرات العناصر الأولية بنسب مختلفة ينتج عدد غير محدود من المواد المركبة المختلفة مثل الماء والزبد والزيت والتربة والحجارة والعظام والشاي وال « تي . ان . تي » وغيرها كثير من المركبات مثل « التراى فينيل بريليوم كلوريد » و « الميثيل إيزو بروفييل سايكلوهكسان » التي لا بد للكيميائي الماهر أن يحفظها عن ظهر قلب ، ولكن معظم الناس لا يحاول حتى أن ينطقها في نفس واحد ، وهناك المجلدات التي يكتبها الكيميائيون لتلخيص خواص هذا العدد غير المحدود من اتحادات الذرات وطرق تحضيرها وهلم جره . . .

٢ - ما هو حجم الذرات ؟ :

وعندما يتحدث كيميائي معاصر عن الذرات ، فهو لا يعنى شيئا أكثر في مناقشتها أساسا على أفكار فلسفية مبهمة ، وهي استحالة تصور عملية يمكن فيها تقسيم المادة الى أجزاء أصغر وأصغر دون الوصول الى وحدات غير قابلة للتقسيم أبدا .

وعندما يتحدث كيميائي معاصر عن الذرات ، فهو لا يعنى شيئا أكثر تحديدا من ذلك بكثير ، فالمعرفة الدقيقة بالذرات الأولية واتحادها في الجزئيات المعقدة شيء ضروري تماما لفهم قانون كيميائي أساسي تتحد

(٢) كما سنرى فيما بعد في هذا الفصل أن فكرة ذرات النار أطلت من جديد برأسها حتى حد ما في نظرية الكم الضوئي .



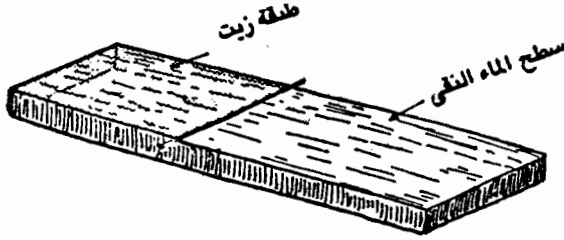
العناصر الكيميائية بموجبه بنسب ثابتة وزنيا ، وتمكس هذه النسب بوضوح الأوزان النسبية لذرات هذه العناصر ، ولذا استنتج الكيميائيون مثلا أن ذرات الأكسجين والألومنيوم والحديد لابد أن تكون أثقل بستين مرة ، وسبع وعشرين مرة ، وست وخمسين مرة على الترتيب من ذرات الهيدروجين . ولكن بينما تعتبر الأوزان الذرية النسبية للعناصر المختلفة من الأوليات الهامة في الكيمياء ، فإن الوزن الفعلي لهذه الذرات معبرا عنه بالجرام لا يمثل أهمية اطلاقا للعمل الكيميائي ، ومعرفة هذه الأوزان بدقة لن يؤثر بأى شكل على الحقائق الكيميائية الأخرى ، أو تطبيق القوانين والطرق الكيميائية .

ومع ذلك فعندما يتناول الفيزيائي الذرات بالبحث سيجد أن أول سؤال يواجهه : « ما هو الحجم الفعلي للذرات بالسنتيمتر ، وما وزنها بالجرام ، وما عدد الذرات أو الجزيئات الموجودة في أى مادة ؟ وهل هناك وسيلة لمراقبة أو عد أو تناول الذرات والجزيئات على حدة ، واحدة بعد الأخرى ؟

وثمة طرق مختلفة متعددة لتقدير حجم الذرات والجزيئات ، وهي من البساطة حتى أن « ديموقريطس » و « امبيدوقليس » كان في وسعهما استخدامها لو تطرق فكرهما إليها . فإذا كانت أصغر وحدة في تركيب أى جسم مادى ولنفترض أنها قطعة من سلك النحاس ، هي الذرة ، فمن الواضح أنه يستحيل أن نحصل على لوح أقل في سمكه من هذه الذرة . ولذا يمكننا أن نمط هذا السلك النحاسى حتى يصل فى النهاية الى سلسلة من الذرات المفردة ، أو نستطيع أن نطرقه حتى يتحول الى ورقة رقيقة من النحاس بقطر ذرة واحدة . وبالنسبة لسلك النحاس أو أى جسم صلب آخر تعتبر هذه المسألة أصعب من المستحيل ، ذلك لأن المعادن سننكسر قبل أن تصل الى الحد الأدنى المطلوب من السمك . ولكن المواد السائلة مثل طبقة رقيقة من الزيت تطفو على سطح الماء يمكن بسهولة فردها حتى تصبح غشاء رقيقا منسوجا من جزيئات هذه المادة ، بحيث تتلاحم الجزيئات ببعضها البعض أفقيا ، ولكن لا تتراكم على بعضها البعض ، رأسيا . ومع العناية والصبر يستطيع القارىء أن يفعل ذلك بنفسه وبذا يقيس بأسلوب بسيط حجم جزيء الزيت .

خذ اناء مستطيلا ضحلا (شكل ٤٣) وضعه على مائدة أو أرضية بحيث يكون مستويا تماما ، وأملأه بالماء حتى حافته وضع قطعة من السلك بعرضه تلامس سطح الماء ، فإذا ما استطعت بعد ذلك اسقاط قطرات صغيرة من زيت نقى على أحد جانبي السلك فسوف ينتشر الزيت على هذا الجزء من سطح الماء الذى يقع على جانب السلك الذى أسقطت عليه

الزيت . فاذا ما حركت الآن هذا السلك بطول الوعاء بعيدا عن الزيت فستنتشر هذه الطبقة في أثر السلك ويقل سمكها شيئا فشيئا حتى يصبح سمكها أخيرا مساويا لقطر جزء واحد من الزيت . وسوف تؤدي أي حركة زائدة بعد ذلك للسلك الى انقطاع في اتصال هذا السطح الزيتي وظهور فتحات فيه . وبمعرفة كمية الزيت الذي تضعه على الماء ، والحد الأقصى للمساحة التي يمكن انتشار الزيت عليها دون انقطاع تستطيع ببساطة أن تحسب قطر الجزء المفرد للذرة .



(شكل رقم ٤٣)

طبقة رقيقة من الزيت على سطح الماء تنفصل عند شدتها أكثر من اللازم .
 وأثناء قيامك بهذه التجربة يمكنك أن تلاحظ ظاهرة أخرى مشوقة .
 فبعد القاء بعض الزيت على سطح الماء الخالي سوف تلاحظ أولا ظهور قوس قزح المألوف فيه وربما كنت قد شاهدته عدة مرات من قبل في الموانئ على سطح الماء الذي ترسو عليه كثير من السفن . ويرجع ظهور هذه الألوان الى ظاهرة معروفة وهي ظاهرة تداخل الأشعة الضوئية المنعكسة عن سطحي طبقة الزيت (الأعلى والأسفل) ويرجع اختلاف اللون في بعض الأماكن عن غيره الى الفرق في سمك طبقة الزيت من نقطة الى أخرى . وإذا انتظرت قليلا حتى يصبح سمك هذه الطبقة متماثلا ، ستجد أن طبقة الزيت تكتسب لونا موحدًا في جميع الأماكن ومع النقص في سمك طبقة الزيت يتغير اللون تدريجيا من الأحمر الى الأصفر ، ومن الأصفر الى الأخضر ، ومن الأخضر الى الأزرق ، ثم من الأزرق الى البنفسجي نتيجة لتناقص الطول الموجي للضوء فاذا مضينا في توسيع مساحة سطح الزيت نجد الألوان تختفي تماما وهذا لا يعني أن طبقة الزيت قد اختفت ، ولكنه ببساطة يعني أن سمكها أصبح أقل من أقصر طول موجي مرئي ، ومن ثم فإن اللون يخرج عن مدى قدرتنا في الرؤية . ومع ذلك سوف تظل قادرا على تمييز السطح الزيتي من السطح الخالي من الزيت ، ذلك أن شعاعى الضوء المنعكسين عن السطح العلوي والسطح السفلي للطبقة الرقيقة جدا سوف يتداخلان مما يؤدي الى اختزال شدة الاضاءة الكلية .

ولذا عندما تختفى الألوان ، يختلف السطح الزيتي عن السطح النقي في أنه يظهر أكثر « قتامة » نوعا ما في الضوء المنعكس .

وعند اجراء هذه التجربة عمليا ، ستجد أن ملليمتر مكعبا من الزيت يمكن أن يغطي مساحة قدرها متر مربع من سطح الماء تقريبا ، ولكن أى محاولة لزيادة هذه الرقعة لمساحة أكبر من ذلك ستؤدى الى ظهور فجوات من الماء النقي وسط هذه المساحة (٣) .

٣ - الأشعة الجزيئية :

من الأساليب الأخرى المثيرة لايضاح البناء الجزيئى للمادة ، هذا الأسلوب المعروف فى دراسة تدفق الغازات والأبخرة عبر فتحات صغيرة الى الفضاء الخالى المحيطة بها .

افرض أن لدينا وعاء زجاجيا كبيرا مفرغا جيدا (شكل ٤٤) ويوجد بداخله فرن كهربائى صغير يتركب من اسطوانة من الصلصال بها ثقب صغير فى جدارها ، ويحيط بهذه الاسطوانة سلك مقاومة كهربائى لتوفير الحرارة . فاذا وضعنا فى هذا الفرن قطعة من معدن سريع الانصهار مثل الصوديوم أو البوتاسيوم ، امتلأ التجويف الداخلى للاسطوانة ببخار المعدن الذى سوف يتسرب الى الفضاء المحيط من خلال الثقب الصغير الموجود فى جدار الاسطوانة وعندما يصل البخار الى زجاج الوعاء البارد يلتصق به وتدل الطبقة الرقيقة التى تشبه المرآة ، والتى تترسب على أجزاء مختلفة من الجدار الزجاجى على شكل حركة المادة بعد انطلاقها من الفرن .

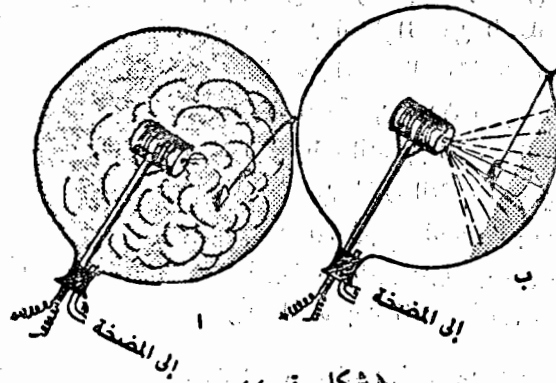
وعلاوة على ذلك سنجد أن توزيع هذه الطبقة على الزجاج سيختلف تبعا لاختلاف درجات الحرارة فى الفرن . فعندما تزداد سخونة الفرن بحيث تكون كثافة بخار المعدن بداخله مرتفعة الى حد ما ، سوف تبدو

(٣) اذن ما مدى رقة طبقة الزيت قبل ظهور الفجوات فيها مباشرة ؟ وحتى يتسنى لك اجراء الحسابات المطلوبة افترض أن القطيرة المحتوية على ملليمتر مكعب من الزيت هي مكعب فعلا كل ضلع فيه يساوى ملليمتر مربع . وحتى يكفى هذا الملليمتر المكعب من الزيت لتغطية مساحه متر مربع فان كل ملليمتر مربع من سطح مكعب الزيت المتصل بالماء لابد من زيادته بمعامل قدره ألف (من ملليمتر مربع الى متر مربع) ومن ثم فان الأبعاد الرأسية للمكعب الأصلى لابد أن تنقص بمعامل قدره $1000 \times 1000 = 1000000$ مليون وذلك حتى يظل الحجم الكلى ثابتا . فنحصل على القيمة التالية بالنسبة لسلك طبقة الزيت ومن ثم حجم جزيئه :

$$\text{ار سم} \times 10^{-6} = 10^{-7} \text{ سم}$$

ولما كان جزء الزيت مكونا من عدة ذرات فان حجم الذرة يكون أصغر من ذلك نسبيا .

هذه الظاهرة مألوفة لأي شخص سبق أن شاهد البخار المنبعث من غلاية الشاي أو المحرك البخاري . وبعد المرور من الفتحة ينتشر البخار في جميع الاتجاهات (شكل ٤٤ أ) بحيث يملأ الفراغ الكلي للانتفاخ ، ويرسب طبقة متجانسة تقريبا على جدار الزجاج ، ومع ذلك فعند درجات الحرارة الصغرى ، عندما تقل كثافة البخار داخل الفرن يختلف سلوك هذه الظاهرة تماما . فبدلاً من الانتشار في كافة الاتجاهات يتحرك البخار الخارج في خط مستقيم و يترسب أغلبه على الجدار المقابل لفتحة الفرن . ويمكن اظهار هذه الحقيقة بشكل أوضح عن طريق وضع جسم صغير أمام الفتحة (شكل ٤٤ ب) حيث لن تجد مادة مترسبة على الجدار الزجاجي خلف هذا الجسم ، وسوف تكون هذه المساحة الخالية مكافئة هندسياً تماماً لظل هذا الجسم .



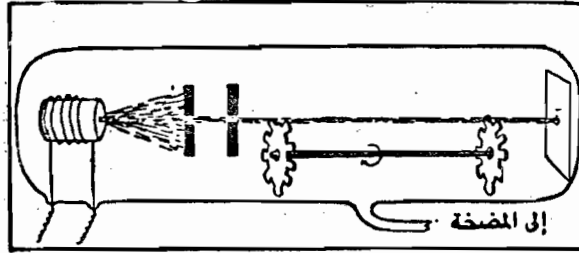
(شكل رقم ٤٤)

ويمكن تفهم هذا الفارق في سلوك البخار المنطلق بكثافة عالية ومنخفضة بسهولة اذا تذكرنا أن البخار يتكون من عدد كبير من الجزيئات المنفصلة التي تندفع في الفضاء في كافة الاتجاهات ، وتصطدم مع بعضها باستمرار فعندما تكون كثافة تيار الغاز عالية عند اندفاعه من الفتحة ، يصبح الأمر شبيهاً بالجمهور المسعور الذي يندفع من أبواب الخروج لمسرح مشتعل بالنار ، فبعد الخروج من الباب يستمر الجمهور في تدافعه وينتشر أفراداه في جميع الاتجاهات في الشارع . أما عندما تقل كثافة التيار ، يصبح الأمر كما لو كان هناك شخص واحد يمر من الباب ويليه شخص آخر بالدور وبالتالي يخرج الصف مستقيماً دون تداخل .

ويعرف تيار بخار المادة المنخفض الكثافة ، والذي ينطلق من فتحة الفرن بـ « الشعاع الجزيئي » ، وهو يتكون من عدد كبير من الجزيئات المنفصلة التي تطير في الفضاء بجانب بعضها البعض . وهذا الشعاع

الجزئى يعتبر ذا نفع كبير فى دراسة خواص الجزئيات كل على حدة ،
فيمكن للمرء على سبيل المثال أن يستعين به فى قياس سرعة الحركة
الحرارية .

ولقد كان « أوتوشترن » أول من صمم جهازا لدراسة سرعة مثل
هذه الأشعة الجزئية ، وهذا الجهاز شبيه من الناحية العملية بالجهاز الذى
استخدمه فيزو لقياس سرعة الضوء (انظر شكل ٣١) فهو يتكون من
عجلتين مسننتين مركبتين على محور مشترك ، وهو معد بحيث لا يسمح
للشعاع الجزئى بالمرور الا عندما تكون السرعة الزاوية للاهتزاز مناسبة
لمروره تماما (شكل ٤٥) . وعن طريق استخدام حاجز أمام الأشعة الجزئية
لا يسمح الا بمرور شعاع واحد دقيق ، تمكن « شترن » من ايضاح
أن السرعة الجزئية هى بصفة عامة سرعة عالية جدا (سرعة ذرات
الصوديوم تصل الى ١٥ كم/ث عند درجة حرارة ٢٠٠ ° مئوية) ، وأن
هذه السرعة تتناسب طرديا مع درجة الحرارة . وهذا يوفر لنا دليلا
مباشرا على النظرية الحركية للحرارة التى وفقا لها تعتبر زيادة حرارة جسم
مجرد زيادة فى الحركة الحرارية غير المنتظمة فى جزئياته .

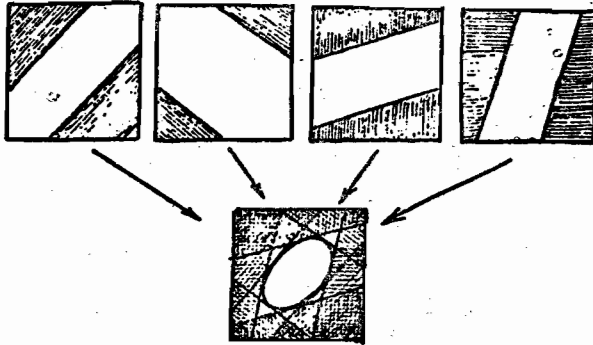


(شكل رقم ٤٥)

٤ - التصوير الذرى :

على الرغم من أن الأمثلة السابقة لا تكاد تدع سبيلا الى الشك فى
صحة الافتراض بوجود الذرة ، ولكن هذا لا يلغى قيمة « الرؤية من
أجل اليقين » ، لذا فان أكثر الأدلة على اقناعنا على وجود الذرات والجزئيات
ظل متمثلا فى رؤيتها بالعين البشرية رغم ضآلتها الشديدة ولم يتحقق
هذا الانجاز الا منذ عهد قريب نسبيا على يدى الفيزيائى البريطانى
« و . ل . براج » الذى ابتكر طريقة للحصول على صور الذرات والجزئيات
منفصلة فى الأجسام البلورية المختلفة .

ولا تظن أن تصوير الذرات عملية سهلة ، إذ ان عليك أن تضع في الحسبان أن صورة هذه الأجسام الدقيقة ستكون مطموسة تماما ما لم يكن الطول الموجي للشعاع المضي أقصر من أبعاد الجسم المراد تصويره فلا يمكن رسم منمنمة من منمنمات مخطوطة فارسية دقيقة باستخدام فرشاة الطلاب المنزلية . ويدرك البيولوجيون الذين يتعاملون مع الكائنات المجهرية حجم هذه المشكلة . تماما إذ أن حجم البكتريا (٠.٠٠٠١ سم تقريبا) يساوي الطول الموجي للضوء المرئي . وحتى يتمكنوا من الحصول على صور أكثر دقة وتحديدًا للبكتريا فانهم يلتقطون هذه الصور المجهرية بالأشعة فوق البنفسجية (*) ، وهكذا يحصلون على نتائج أفضل نوعا من النتائج التي يمكن الحصول عليها تحت ظروف أخرى . ولكن حجم الجزيئات والمسافات الموجودة بينها في نسق بلوري يكون صغيرا جدا (٠.٠٠٠٠٠٠٠٠١ سم) الى درجة أنه لا الضوء المرئي ولا فوق البنفسجي يصبح ذا نفع اذا أريد استخدامه في التصوير . فحتى يمكن تصوير الجزيئات على حدة لا بد لنا حتما من استخدام اشعاع أقصر في طوله الموجي بالآلاف المرات من الضوء المرئي ، أو بعبارة أخرى ينبغي استخدام ما يعرف بأشعة اكس . ولكننا سنواجه هنا بمشكلة تبدو مستعصية على الحل : فأشعة اكس عمليا تنفذ من أى مادة دون انكسار ومن ثم لا يمكن للعدسة أو الميكروسكوب أو يؤديا وظيفتهما باستخدام أشعة اكس . وهذه الخاصية بالإضافة الى النفاذية العالية لهذه الأشعة تعتبر بطبيعة الحال من الخواص النافعة جدا في علوم الطب ، إذ ان انكسار الأشعة أثناء مرورها من الجسم يؤدي حتما الى طمس الصور على أن نفس هذه الخاصية قد تستبعد تماما إمكانية الحصول على أى صورة مكبرة باستخدام أشعة اكس !



(شكل رقم ٤٦)

(*) أطوالها الموجية تقع بين ٤٠٠٠ انجستروم و ٤٠٠ انجستروم (المترجم)

ويبدو الامر للموهلة الأولى باعنا على اليأس ، ولكن « و.ل. براج »
توصل الى طريقة عبقرية للتغلب على هذه العقبة . وقد بنى دراساته على
فكرة الميكروسكوب الرياضية التي وضعها « آبي » Abbé وتنص على
أن أى صورة ميكروسكوبية يمكن اعتبارها تداخلا لعدد كبير من الأنماط
المنفصلة ، وكل نمط يتمثل فى حزم من الخطوط المتوازية تخترق المجال
بزواية معينة .

وهناك مثال بسيط لايضاح الجملة السابقة ويظهر فى شكل (٤٦)
الذى يبين كيفية الحصول على صورة لمساحة بيضاوية مضيئة وسط
رقعة مظلمة ، عن طريق تداخل أربعة أنظمة حزمية .

ويعتمد نظام العمل فى الميكروسكوب وفقا لنظرية « آبي » على :

١ - تحليل الصورة الأصلية الى عدد كبير من الأنماط الحزمية
المنفصلة .

٢ - تكبير كل نمط على حدة .

٣ - تداخل الأنماط مرة أخرى للحصول على الصورة المكبرة .

وربما كانت هذه الخطوات شبيهة بأسلوب طباعة الصور المنونة
باستخدام عدد من الشرائح المفردة الملونة . وبالنظر الى كل جزء ملون
منفصل على حدة ستجد نفسك عاجزا عن تبيين هذه الصورة ، ولكن عند
تداخل هذه الأجزاء بالصورة السليمة تجد أن الصورة كلها تظهر واضحة
ومحددة .

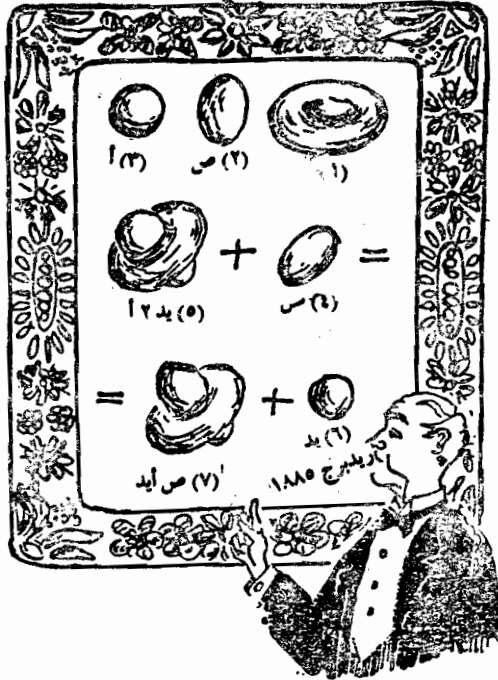
ان استحالة صناعة عدسة لأشعة اكس ، تقوم بأداء هذه العمليات
كلها بشكل أتوماتى تضطرنا الى استخدام الأسلوب التدريجى خطوة
خطوة : فنأخذ عددا كبيرا من أنماط حزم أشعة اكس للبلورة من جميع
الزوايا ثم نحدث التداخل بينها بشكل مناسب على قطعة من ورق
التصوير ، وبهذا نستطيع أن نقوم بنفس العمل الذى تؤديه عدسة أشعة
اكس تماما ، ولكن بينما تقوم العدسة بهذه العملية فى الحال تقريبا نجد
أن الطريقة الأخرى تستغرق عدة ساعات من العمل على يد خبير ماهر .
وهذا هو السبب فى أن استخدام طريقة « براج » تمكننا من الحصول
على صورة للبلورات التى تكون الجزئيات فيها مستقرة فى مكانها ، ولكن
لا يمكن الحصول على صورة لهذه الجزئيات فى السوائل والغازات حيث
ان الجزئيات فيها لا تكف عن الحركة الشبيهة بالرقص الصاخب .

وعلى الرغم من أن الصورة المأخوذة باستخدام أسلوب « براج »
لا يتم الحصول عليها عمليا بلقطة واحدة من الكاميرا الا أنها لا تقل جودة

ودقة عن أى صورة مركبة . ولن تجهد من يعترض على أخذ صورة
لكاتدرائية باستخدام عدد من الصور الجزئية المنفصلة اذا حالت الأسباب
الفنية دون تصوير المبنى بأكمله على نيجاتيف واحد ! .

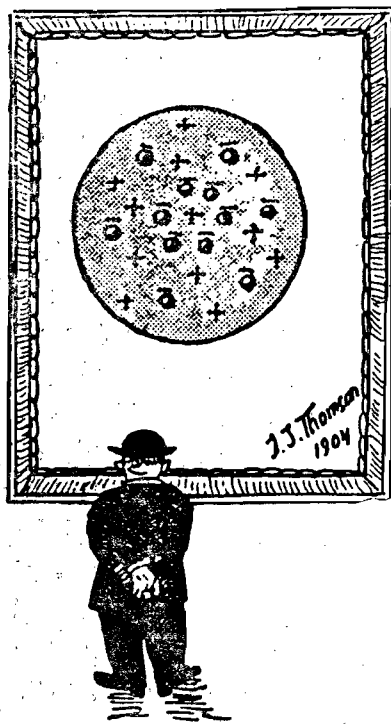
٥ - تحليل الذرة :

عندما أعطى « ديموقريطس » للذرة هذا الاسم الذى يعنى بالاغريقية
غير القابلة للانقسام ، كان يعنى بذلك أن هذه الوحدة تمثل أقصى حد يمكن
الوصول اليه عند تقسيم المادة ، أو بعبارة أخرى أنها أصغر وحدة بنائية
تتكون منها المادة . وبعد آلاف السنوات عندما تم ادماج الفكرة الفلسفية
عن « الذرة » فى العلوم الطبيعية واكتسبت صورة متكاملة استنادا الى
أدلة البحث التجريبي استمر الاعتقاد بعدم قابلية الذرة للانقسام ،
وأرجعت خصائص العناصر المختلفة فرضا الى اختلاف الشكل الهندسى
لذراتها . فكان ينظر الى ذرة الهيدروجين مثلا باعتبارها كروية تقريبا ،
بينما ساد الاعتقاد بأن الصوديوم والبوتاسيوم لهما شكل بيضاوى
مستطيل .



(شكل رقم ٤٧)

ومن ناحية أخرى كان أغلب الظن أن ذرة الأكسجين تشبه في شكلها كعكة مستديرة مفرغة من النصف ، وهكذا فإن جزيء الماء (يدماً) يمكن الحصول عليه بوضع ذرتي هيدروجين في فتحة كعكة الأكسجين من أعلى وأسفل (شكل ٤٧) . وقد فسر طرد الصوديوم أو البوتاسيوم للهيدروجين في جزيء الماء حينئذ بأن ذرات الصوديوم والبوتاسيوم المستطيلة ، تناسب فتحة كعكة الأكسجين أكثر من ذرات الهيدروجين الكروية .



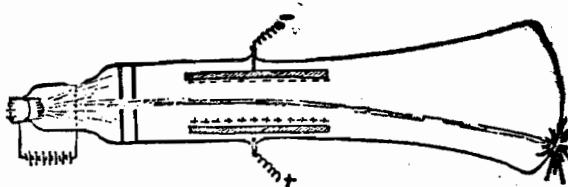
(شكل رقم ٤٨)

ووفقاً لهذه الآراء فإن الاختلاف في الطيف المرئي المنبعث من العناصر المختلفة فسر على أنه نتيجة اختلافات ذبذبات الذرات المتباينة الأشكال . وبناء على هذا المنطق حاول الفيزيائيون التوصل الى استنتاجات عن أشكال مختلف الذرات التي ينبعث منها الضوء بدراسة الضوء المنبعث منها ولكن بلا جدوى ، وذلك بنفس الأسلوب الذي فسر به صوتياً الاختلافات في النغمات الصادرة عن آلة الكمان ، وجرس الكنيسة ، وآلة الساكسفون .

ومع ذلك فإن كل محاولات تفسير الخواص الكيميائية والفيزيائية المختلفة للذرات على أساس من أشكالها الهندسية لم تصادف نجاحاً

ذا شأن ، وقد حدث أول تقدم فعلي في تفهيم خواص الذرة عندما أصبح من المعترف به أن الذرات ليست أجساما أولية بسيطة مختلفة الأشكال ولكنها على النقيض من ذلك نظم معقدة نوعا ما وتمتلك عددا كبيرا من الأجزاء المستقلة عن بعضها في الحركة .

ويرجع شرف الريادة في عملية تحليل جسد الذرة الدقيق الى الفيزيائي البريطاني الشهير « ج . ج . طومسون » الذي نجح في إيضاح أن الذرات المختلفة للعناصر تتكون من أجزاء سالبة وأخرى موجبة تتماسك مع بعضها بتأثير قوى الجذب الكهربائي وقد تصور « طومسون » الذرة على أنها عدد من الشحنات الموجبة والسالبة المتحركة والموزعة في داخلها بشكل متجانس تقريبا (شكل ٤٨) ومجموع الشحنات السالبة أو **الإلكترونات** كما أطلق عليها يعادل الشحنة الكلية للأجزاء الموجبة بحيث تكون الذرة متعادلة في مجموعها . ومع ذلك فحيث ان الإلكترونات يفترض أنها ترتبط بجسم الذرة ارتباطا ضعيفا نسبيا فمن الممكن انتزاع احداها أو عدد منها من الذرة بحيث تتحول الذرة بدونها الى ما يعرف **بالايونات** (ions) **الموجبة** . ومن ناحية أخرى يطلق على الذرة التي تكتسب عددا اضافيا من الإلكترونات **الايونات السالبة** . وتعرف عملية اكتساب الذرة لشحنات زائدة سواء كانت سالبة أو موجبة **بالتأين** (ionisation) وقد بنى « طومسون » رأيه هذا على الأعمال القديمة « لمايكل فاراداي » الذي أثبت أنه عندما تحمل الذرة شحنة كهربية فانها تكون دائما من مضاعفات قيمة كهربية أولية تساوي عدديا 1.6×10^{-19} وحدة الكترولستاتيكية الا أن « طومسون » اضاف اضافة كبيرة الى نتائج « فاراداي » عندما أرجع الطبيعة الخاصة بالجزيئات الى هذه الشحنات الكهربية ، وذلك عن طريق تحديد الطرق التي يتم بها انتزاع هذه الشحنات من جسم الذرة ، ومن خلال دراسة الأطياف الصادرة عن الإلكترونات التي تطير بسرعة عالية في الفضاء .



(شكل رقم ٤٩)

وكان من النتائج ذات الأهمية الخاصة لدراسات « طومسون » عن **الأشعة الصادرة عن الإلكترونات الحرة** تقدير كتلتها . فقد أرسل شعاعا

من الالكترونات المنتزعة من بعض المواد مثل تلك التي تصنع منها الأسلاك الكهربائية الساخنة (شكل ٤٩) في الفضاء الموجود بين صفيحتي أحد المكثفات المشحونة . ولما كانت هذه الالكترونات محملة بكهرباء سالبة أو على الأصح لما كانت هي نفسها شحنات سالبة حرة ، فقد اجتذبت الى الالكترن الموجب وتنافرت مع السالب .

ويمكن ملاحظة الانحراف الناتج بسهولة عن طريق السماح للشعاع بالسقوط على شاشة فلورسنت موضوعة وراء المكثف . وبمعرفة شحنة الالكترن ، وانحرافه في مجال كهربى معين أصبح من الممكن تقدير كتلته ، وقد ثبت أنها ضئيلة جدا في الواقع . والحق أن « طومسون » وجد أن كتلة الالكترن تقل عن كتلة ذرة الهيدروجين ١٨٤٠ مرة ، وهذا دليل على أن أغلب كتلة الذرة تتركز في الأجزاء الموجبة منها .

ورغم أن « طومسون » كان مصيبا تماما في آرائه عن حشود الالكترونات السالبة التي تتحرك داخل الذرة ، إلا أن الصواب جانبه كثيرا بالنسبة للتوزيع المتجانس لاشحنات الموجبة داخل جسم الذرة فقد بين « رذرفورد » عام ١٩١١ أن كلا من الشحنة الموجبة للذرة وكذا الجزء الأكبر من كتلتها يتركزان في نواة ضئيلة الحجم جدا وتقع في مركز الذرة . وقد وصل الى هذا الاستنتاج كنتيجة لتجاربه الشهيرة على تشتت الأشعة المعروفة بـ (جسيمات ألفا α) عند مرورها في المواد . وتنطلق جسيمات أشعة ألفا الصغيرة بسرعة عالية عند انحلال ذرات بعض العناصر الثقيلة غير المستقرة (مثل اليورانيوم والراديوم) تلقائيا ، ولما كانت كتلة جسيمات ألفا قريبة من كتلة الذرة وشحنتها موجبة كما أثبت « رذرفورد » ، فقد كان لابد من اعتبارها شظايا للأصل الموجب في الذرة . وعندما يخترق جسيم ألفا ذرات المادة الهدف ، فإنه يتأثر بقوى الجذب نحو الالكترونات وقوى التنافر بعيدا عن الأجزاء الموجبة في الذرة . ولما كانت الالكترونات خفيفة الوزن للغاية فإنها لا تستطيع التأثير على جسيم ألفا الساقط أكثر من تأثير سرب من البعوض على حركة فيل يعدو مذعورا . ومن جهة أخرى فإن التنافر بين الأجزاء الثقيلة الموجبة في الذرة وشحنات جسيمات ألفا الساقطة لابد أن يؤدي الى انحراف الأخيرة عن مسارها العادى وتبعثرها في الفضاء في جميع الاتجاهات بشرط اختراقها للذرة على مسافات قريبة من بعضها بما يكفى .

وعند دراسة تشتت الشعاع المكون من جسيمات ألفا والمار خلال شعيرة دقيقة من الألومنيوم توصل « رذرفورد » الى نتيجة مدهشة مؤداها انه لكي نفسر المشاهدات لابد لنا من افتراض أن المسافة بين جسيمات ألفا المارة والشحنة الموجبة للذرة أقل من جزء من الألف من قطر الذرة .

وهذا بالطبع يستحيل الا اذا كان كل من جسيمات الفا الساقطة والشحنات الموجبة للذرة اصغر بالاف المرات من الذرة نفسها . وهكذا أدى هذا الاكتشاف الى اختزال الشحنة الموجبة الضخمة الى نواة ذرية صغيرة فى ذرة رذرفورد ، وتقع النواة فى مركز هذه الذرة تاركة ما عدا ذلك للالكترونات السالبة ، وبدلا من أن تشبه الذرة ثمرة البطيخ والالكترونات اللب الموجود فيها ، أصبحت صورتها أقرب للنظام الشمسى الدقيق حيث النواة هى الشمس ، والالكترونات من حولها كالكواكب (شكل ٥٠) .

ومما يقوى وجه الشبه بين الذرة والنظام الكوكبى الحقائق التالية : ان نواة الذرة تمثل ٩٩٩٧ فى المائة من كتلتها بالمقارنة بكتلة الشمس التى تمثل ٩٩ر٨٧ من كتلة النظام الشمسى ، كما أن المسافة بين الألكترونات المقابلة للكواكب فى النظام الشمسى تزيد على أقطارها بنفس المعامل تقريبا (عدة آلاف من المرات تقريبا) وهو ما نجده عند مقارنة المسافة بين الكواكب بأقطارها .



(شكل رقم ٥٠)

ومع ذلك فان أقوى أوجه التشابه يكمن فى أن قوى الجذب الكهربى بين نواة الذرة والالكترونات ، تخضع لنفس القانون الرياضى وهو المربع المعكوس (٤) تماما كقوى الجاذبية التى تعمل بين الشمس والكواكب . وهذا يفسر دوران الالكترونات فى مسارات دائرية وبيضاوية حول النواة بما يشبه حركة الكواكب والنيازك فى النظام الشمسى .

ووفقا للآراء السابقة عن التركيب الداخلى للذرة فلا بد من ارجاع الاختلاف بين ذرات العناصر الكيميائية المتباينة الى اختلاف عدد الالكترونات التى تدور حول أنويتها . ولما كانت الذرة متعادلة ككل فلا بد أن عدد

(٤) أى أن القوى تتناسب عكسيا مع مربع المسافة بين الجسمين التائرين بها .

الالكترونات التي تدور حول النواة يتحدد بعدد الشحنات الموجبة الموجودة في هذه النواة ذاتها .

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويمكن تقدير أى منهما مباشرة من التشتت الملحوظ بجسيمات ألفا التي تنحرف عن مساراتها نتيجة للتفاعل الكهربى مع النواة . وقد وجد « رذرفورد » أنه : فى الترتيب الطبيعى للعناصر الكيميائية المرتبة وفقا للتزايد فى أوزانها هناك زيادة بمقدار ألكترون واحد فى كل عنصر عن الذى يسبعه . وهكذا فإن ذرة الهيدروجين تحتوى على ألكترون واحد ، ويوجد ألكترونان فى ذرة الهليوم ، بينما تحتوى ذرة الليثيوم على ٣ ألكترونات ، والبرليوم على ٤ ألكترونات وهكذا حتى أثقل العناصر الطبيعية وهو اليورانيوم الذى يحتوى على اجمالى ٦٢ الككترونا (٥) .

ويعرف هذا التوصيف الرقمى للذرة عادة **بالعدد الذرى** للعنصر محل البحث ، وهو يوافق ترتيبه الموضعى أو المكان الذى وضعه الكيميائيون فيه وفقا لخواصه الكيميائية .

ولذا فإن جميع الخواص الطبيعية والكيميائية لأى عنصر مفترض يمكن تعيينها ببساطة عن طريق ذكر رقم واحد وهو عدد الالككترونات التى تدور حول نواة الذرة .

وقد لاحظ الكيميائى الروسى « د . مندليف » قبيل نهاية القرن الماضى تكرارا دوريا هاما للخواص الكيميائية للعناصر المرتبة ترتيبا طبيعيا . فقد وجد أن خواص العناصر تبدأ فى تكرار نفسها بعد عدد معين من الخطوات وهذه الدورية تظهر فى رسم ايضاحى بالشكل (٥١) والذى تظهر فيه رموز جميع العناصر المعروفة حاليا على شريط ملتف حلزونيا على سطح اسطوانة بحيث تصطف العناصر المتشابهة فى خواصها فى أعمدة . ونجد أن المجموعة الاولى لا تحتوى الا على عنصرين : وهما الهيدروجين والهليوم ثم نجد مجموعتين يتكون منهما من ثمانية عناصر ، وفى النهاية تكرر الخواص نفسها بعد كل ١٨ عنصرا . فاذا تذكرنا أن كل خطوة فى هذا التتابع للعناصر تقابل زيادة مقدارها الككترون واحد فى الذرة ، فلنا أن نستنتج أن الدورية التى نلاحظها فى خواص العناصر الكيميائية ترجع دون شك الى التكرار البنائى فى ائذرة لأنماط ثابتة من الالككترونات أو « الأغلفة الالكترونية » . فالغلاف الالكترونى الأول لابه أن يتكون من ألككترونين ، والثانى من ثمانية الككترونات ، ثم تحتوى باقى

(٥) والآن بعد أن تعلمنا فن الكيمياء نستطيع أن نحصل صناعيا على ذرات أكثر تعقيدا . ولذا فإن العنصر الصناعى المستخدم فى القنابل الذرية وهو البلوتونيوم يحتوى على ٩٤ الككترونا .

الرموز والأوزان الذرية لمائة وثلاثة عناصر كيميائية

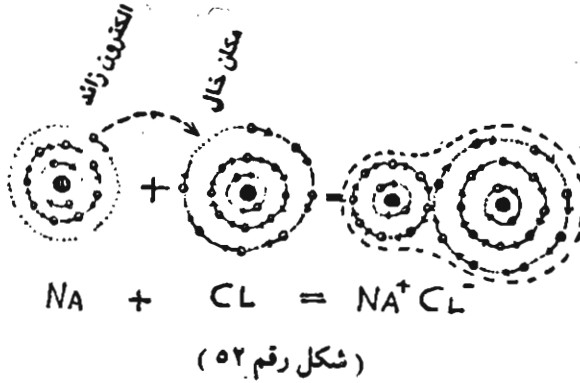
الوزن الذري	الرمز	العنصر	الوزن الذري	الرمز	العنصر
٢٥٣	No	نوبيليوم	٢٢٧	Ae	اكتينيوم
١٥٢.٠	Eu	يوروبيوم	٢٦٩.٧	Al	ألومنيوم
٢٢٥	Fm	فرميوم	٢٤٣	Am	أمريكيوم
١٩	F	فلور	١٢١.٧٦	Sb	انتيمون
٢٢٣	Fm	فرانسيوم	٣٩٩.٤٤	A	أرجون
١٥٦.٩	Gd	جادولينيوم	١٥٧.٩١	As	الزرنيخ
٦٩.٧٢	Ga	جاليوم	٢١٠	At	استاتين
٧٢.٦٠	Ge	جرمانيوم	١٢٧.٣٦	Ba	باريوم
١٩٧.٢	Au	ذهب	٢٤٥	Bk	بركليوم
١٧٨.٦	Hf	هافنيوم	٩٠.٢	Be	بزموت
٤.٠٠٣	He	هيليوم	٢٠٩.٠٠	Bi	بيريليوم
١٦٣.٤	Ho	هولميوم	١٠٨.٢	B	بورون
١.٠٠٨	H	هيدروجين	٧٩.٩١٦	Br	بروم
١١٤.٧٦	In	انديوم	١١٢.٤١	Cd	كاديوم
١٢٦.٩٢	I	يود	١٣٢.٩١	Cs	سيزوميوم
١٩٣.٩١	Ir	ايريديوم	٤٠.٠٨	Ca	كالمسيوم
٥٥.٨٥	Fe	حديد	٢٤٦	Cf	كاليفورنيوم
٨٣.٧٠	Kr	كريبتون	١٢.٠١٠	C	كربون
١٣٨.٩٢	La	لانثانوم	١٤٠.١٣	Ce	سيريوم
٢٥٧.٠٠	Lw	لورنسيوم	٣٥٤.٥٧	Cl	كلور
٢٠٧.٢١	Pb	الرصاص	٥٢.٠١	Cr	كروم
٦.٩٤٠	Li	ليثيوم	٥٨.٩٤	Co	كوبلت
١٧٤.٩٩	Lu	ليثيوم	٦٣.٥٧	Cu	نحاس
٢٤.٣٢	Mg	مغنسيوم	٢٤٣	Cm	كوريوم
٥٤.٩٣	Mn	منجنيز	١٦٢.٤٦	Dy	ديسبروزيوم
٢٤٦	Md	مندليفيوم	٢٥٤	Es	اينشتينيوم
٢٠٠.٦١	Hg	زئبق	١٦٧.٢	Er	إربيوم
٩٥.٩٥	Mo	موليبديوم	١٤٤.٢٧	Nd	نيوديميوم
٢٨.٠٦	Si	سيلكون	٢٣٧	Np	نبتونيوم
١٠٧.٨٨٠	Ag	فضة	٢٠١.٨٣	Ne	نيون
٢٢.٩٩٧	Na	صوديوم	٥٨.٦٩	Ni	نيكل
٨٧.٦٣	Sr	سترونشيوم	٩٢.٩١	Nb	نيوبيوم
٣٢.٠٦	S	كبريت	١٤٠.٠٨	N	نيتروجين

(تابع) الرموز والأوزان الذرية لمائة وثلاث عناصر كيميائية

الوزن الذري	الرمز	العنصر	الوزن الذري	الرمز	العنصر
١٥٣٫٤٣	Sm	سamarium	١٨٠٫٨٨	Ta	تانتالم
٤٥٫١٠	Sc	سكانديوم	٩٩	Tc	تكنيشيوم
٧٨٫٩٦	Se	سيلينيوم	١٩٠٫٢	Os	أوزميوم
١٢٧٫٠٦١	Te	تليوريوم	١٦٠٫٠٠	O	أوكسجين
١٥٩٫٢	Th	ثوريوم	١٠٦٫٧	Pd	بالاديوم
٢٠٤٫٣٩	Tl	ثاليوم	٣٠٫٩٨	P	فسفور
٢٣٢٫١٢	Th	ثوريوم	١٩٥٫٢٢	Pt	بلاتين
١٦٦٫٤	Tm	ثيميويم	٢٤٢	Pu	بلوتونيوم
١١٨٫٧٠	Sn	قصدير	٢١٠	Po	بولونيوم
٤٧٫٩٠	Ti	تيتانيوم	٣٩٫٠٩٦	K	بوتاسيوم
١٨٣٫٨٤	W	تنجستون	١٤٠٫٩٢	Pr	برازيليم
٢٣٨٫٠٧	U	يورانيوم	١٤٥	Pm	برولامبيديوم
٥٠٫٩٥	V	فانديوم	٢٣١	Ps	بروتكتينيوم
١٣١٫٣	Xe	زينون	٢٢٦٫٠٥	Ra	راديوم
١٧٣٫٠٤	Yb	يتربيوم	٢٢٢	Rn	رادون
٨٨٫٩٢	Y	يتريوم	١٨٦٫٣١	Re	رهنينيوم
٦٥٫٣٨	Zn	خارصين	١٠٢٫٩١	Rh	روثينيوم
٩١٫٢٢	Zr	زركونيوم	٨٥٫٤٨	Ru	روثينيوم
			١٠١٫٠٧	Rb	ربيديوم

الهيدروجين والصوديوم حيث انه في الحالة الأولى تميل كل من الذرتين الى الاكتساب وليس الفقد ، والعكس في الحالة الثانية .

أما الذرات ذات الأغلفة المكملة الالكترونات مثل الهليوم ، والأرجون والنيون ، والزينوم فانها تتمتع باكتفاء ذاتي ولا تحتاج الى اكتساب أو فقد الالكترونات اضافية . فهي تفضل بقاءها في عزلتها بحيث تجعل العناصر المقابلة (ما يطلق عليه « الغازات النادرة ») خاملة كيميائيا .



رسم تخطيطي يمثل اتحاد ذرتي الصوديوم والكلور لتكوين جزيء من كلوريد الصوديوم .

ونختتم هذا الجزء عن الذرات وأغلفتها الالكترونية بلاشارة الى الدور الهام الذي تقوم به الالكترونات الذرية في العناصر المعروفة عادة تحت الاسم الشامل « الفلزات » . وتختلف العناصر الفلزية عن كافة العناصر الأخرى في أن المدار الخارجي لهذه الذرات ضعيف الترابط الى حد ما وغالبا ما تتحرر أحد الالكترونات . لذا فان داخل المعدن يمتلئ بعدد كبير من الالكترونات غير المترابطة التي تدور دون هدف مثلها في ذلك مثل جمهور من الرحالة . وعندما يتعرض سلك معدني لقوى كهربائية تؤثر على طرفيه ، تندفع هذه الالكترونات الحرة في اتجاه القوة وتؤدي بذلك الى حدوث ما يعرف بالتيار الكهربى . كما أن وجود الذرات الحرة يعد أيضا مسئولا عن حرارة التوصيل العالية - على أن لنا عودة الى هذا الموضوع في أحد الفصول القادمة .

بما أننا قد رأينا من الجزء السابق أن الذرة بنظام الالكترونات الدائرية حول النواة المركزية تشبه النظام الكوكبي كثيرا فطبيعي أن نتوقع أنها ستخضع لنفس القوانين الفلكية الراسخة التي تحكم حركة الكواكب حول الشمس . ولا سيما أن هناك تشابها بين قوانين الجذب الكهربى وقوانين الجاذبية ، إذ ان الجذب فى الحالتين يتناسب عكسيا مع مربع المسافة مما يوحى بأن الالكترونات ستتحرك فى مدارات بيضاوية تكون بؤرتها النواة (شكل ٥٣) .

ومع ذلك فان جميع المحاولات لرسم صورة منتظمة لحركة الالكترونات الذرية بنفس الأسلوب المستخدم فى تخطيط حركة نظامنا الكوكبى قد أدت حتى عهد قريب الى كارثة ضخمة كانت متوقعة الى حد ما ، حتى بدا لفترة وكان الطبيعيين والكيميائيين قد فقدوا رشدهم . وقد نشأت المشكلة أساسا عن الحقيقة التى مؤداها أن كواكب النظام الشمسى تختلف عن الالكترونات الذرية من حيث كون الأخيرة مشحونة كهربائيا ، وكما يصح على أى شحنات كهربية متذبذبة أو مهتزة فان حركتها الدائرية حول النواة ينتظر أن تسفر عن انبعاث اشعاع الكترومغناطيسى كثيف . ونتيجة لفقد الطاقة المنطلقة بالاشعاع ، من المنطقى أن نفترض أن الالكترونات الذرية ستقترب من النواة وتتحرك حولها فى مدارات حلزونية (شكل رقم ٥٣ ب) وأخيرا تسقط عليها عندما تستنفد الطاقة الحركية اللازمة للدوران فى الأغلفة تماما ، أما عن الوقت المستنفذ فى هذه العملية ، فقد كان من السهل نوعا ما أن نحسب من الشحنة الكهربية المعروفة وسرعة دوران الالكترونات أن الالكترون سوف يحتاج الى حوالى واحد من مائة من الميكروثانية لفقد كل طاقته والسقوط فى النواة .



(شكل رقم ٥٣)

لذا فوفقا لأفضل ما توصل إليه الفيزيائيون من أفكار ومفاهيم حتى وقت قريب جدا فإن البناء الذري الشبيه بالنظام الشمسي سوف يعجز عن الصمود لأكثر من جزء بسيط من الثانية لا محالة ، وسوف يقدر له الانهيار الفوري بمجرد تكوينه تقريبا .

ولكن على الرغم من هذه التنبؤات الفيزيائية المتشائمة ، فقد أوضحت التجارب أن النظام الذري شديد الثبات في الواقع ، وأن الالكترونات الذرية تمشي دون فتور في حركتها الدائرية حول النواة دون فقد أى طاقة أو ميل للانهيار ! .

ولكن كيف يمكن ذلك؟! ولم يؤد تطبيق القوانين الخالدة الراسخة في الميكانيكا على الذرات الى نتائج تتعارض تماما مع الأمر الواقع ؟ .
للإجابة على هذا السؤال تعال بنا الى أهم القضايا العلمية . وهي مشكلة طبيعة العلم ذاته . ما هو « العام » وماذا يقصد بالتفسير العلمى للحقائق الطبيعية ؟

وكمثال بسيط دعونا نذكركم أن من القدماء من كان يظن أن الأرض مسطحة . وهم معذورون في هذا الاعتقاد لأنك عندما تخرج الى أرض مكشوفة ، أو تبحر في قارب على الماء سوف تجد بنفسك أن هذا أمر صحيح ، وفيما عدا ما يعترضك من تلال وجبال فإن الأرض تبدو مسطحة . ويكمن خطأ القدماء ليس في العبارة القائلة بأن « الأرض مسطحة على امتداد البصر من نقطة مراقبة معينة » ولكن في استقراء هذه العبارة بما يخرج عن حدود المشاهدة الفعلية . والحق أن المشاهدات التي تخطت الحدود التقليدية بكثير ، مثل دراسة شكل ظلال الأرض على القمر أثناء الخسوف ، أو رحلة « ماجيلان » الشهيرة حول العالم ، قد أثبتت في الحال خطأ هذا الاستقراء . ونحن الآن نقول أن الأرض لا تبدو مسطحة الا لأن ما نراه يمثل جزءا ضئيلا جدا من سطح الكرة الكلى . وبالمثل كما ناقشنا في الفصل الخامس فإن الفضاء الكوني قد يكون مقوسا محدودا في حجمه على الرغم من أنه يبدو منبسطا ولا نهائى بوضوح من وجهة نظر المشاهدات القاصرة .

ولكن ما علاقة ذلك بالتناقض الذى انتهينا اليه في دراسة السلوك الميكانيكى للالكترونات المكونة لجسم الذرة ؟ . والجواب أننا فى هذه الدراسات قد افترضنا ضمنا أن النظام الحركى للذرة يخضع تماما لنفس القوانين التى تحكم حركة الأجرام السماوية الضخمة ، أو فى هذه الحالة حركة الأجسام « ذات الحجم الطبيعى » التى تعودنا على التعامل معها فى حياتنا اليومية وبالتالي نستطيع أن نصفها بنفس الأسلوب . والواقع أن

قوانين الميكانيكا ومفاهيمها تم التوصل إليها تجريبيا على الأجسام المادية القريبة في الحجم من الكائنات البشرية .

وقد استخدمت نفس القوانين فيما بعد لتفسير حركة الأجسام الأضخم مثل الكواكب والنجوم ، ويبدو أن نجاح ميكانيكا الأجرام السماوية الذي يتيح لنا حساب الظواهر الفلكية بدقة متناهية للملايين الأعوام مستقبلا وفي الماضي لا يدع مجالا للشك في صلاحية استقراء هذه القوانين المعتادة لتفسير حركة الكتل الكونية الضخمة .

ولكن ما الذي يضمن لنا أن نفس قوانين الميكانيكا ، التي تفسر حركة الأجرام السماوية العملاقة كما تفسر حركة قذائف المدفعية ، وبندول الساعة ، ولعبة النحلة الدوارة ، تنطبق أيضا على حركة الالكترونات التي هي أصغر ببلايين وبلايين المرات وأخف وزنا كذلك من أقل جسم متحرك وقع في أيدينا ؟ .

وليس هناك بالطبع سبب منطقي يجعلنا نفترض مقدما أن القوانين الميكانيكية العادية سوف تفشل في تفسير حركة المكونات الضئيلة للذرة ، ولكن ينبغي ألا ندهش كثيرا ، إذا وجدنا هذا الفشل أمرا واقعا حقا .

لذا فإن التناقض في النتائج بسبب محاولة رسم حركة الالكترونات في الذرة بنفس الطريقة التي يستخدمها علماء الفلك في تفسير حركة الكواكب في النظام الشمسي لابد من دراسته قبل أي شيء في ضوء التغيرات الممكنة - في مفاهيم وقوانين الميكانيكا التقليدية الأولية - عند تطبيقها على أجسام في مثل هذه الضلالة .

ومن القوانين الأولية في هذه الميكانيكا قوانين المسار التي تظهر في حركة الجزيئات وقوانين السرعة التي يتحرك الجسم وفقا لها في مساره . ولقد كانت النظرية التي تقول ان أي جسم مادي متحرك يحتل في أي زمن فرضي موقعا محددًا من الفضاء ، وان المواضع المتتالية لهذا الجسم ترسم خطا متصلا لمساره - تعد دائما من القوانين التي لا تحتاج الى برهان ، لذا شكلت أساسا هاما لوصف حركة أي جسم مادي . والمسافة بين موقعين يحتلها جسم فرضي في لحظتين مختلفتين من الزمن ، مقسومة على الفترة الزمنية المقابلة تؤدي الى معرفة السرعة ، وقد بنيت الميكانيكا الكلاسيكية بالكامل على هذين المفهومين للموقع والسرعة . وحتى وقت قريب جدا لم يكن يخطر ببال أي عالم أن أيا من هذين القانونين الأعظمين واللذين استخدمنا في وصف ظاهرة الحركة يمكن أن يتطرق إليهما الخطأ مهما كان حجمه ، وقد تعارف الفلاسفة على اعتبارهما من « المسلمات » .

ومع ذلك فإن هذا الانقلاب الكامل الذي نشأ عن أول محاولة لتطبيق الميكانيكا الكلاسيكية على وصف حركة الأجسام داخل نظام بالغ الصغر

أوضح أن هناك خطأ جوهريا في هذه الحالة ، مما أدى الى الاعتقاد المتزايد في أن هذا « الخطأ » يمتد الى قوانين أساسية للغاية من بين تلك القوانين التي بنيت عليها الميكانيكا الكلاسيكية .

وبدت المفاهيم الكينماتية (*) الأساسية للمسار المستمر لجسم متحرك وسرعته المحددة بدقة في أي زمن فرضى شديد الجمود حال تطبيقها على أي أجزاء صغيرة داخل الميكانيزم الذري . وبايجاز نقول ان محاولة استقراء أفكار الميكانيكا الكلاسيكية المألوفة على نطاق الكتل البالغة الضالة قد أثبتت في النهاية أنه لا بد من تغيير هذه الأفكار بشكل جذري نوعا ما عند اجراء هذه المحاولة ولكن اذا كانت المفاهيم الكلاسيكية لا تنطبق على عالم الذرة ، فلا بد أنها ليست صحيحة تماما بالنسبة لحركة الأجسام الأكبر حجما .

وهكذا نجد أنفسنا مدفوعين الى النتيجة التي مفادها أن المبادئ التي تقوم عليها الميكانيكا الكلاسيكية لا بد من اعتبارها جسرا لا يصلح الا لاعطاء تقديرات قريبة جدا من « الشيء الأصلي » وهي تقديرات تفشل فشلا ذريعا بمجرد أن نحاول تطبيقها على نظم أكثر دقة من تلك التي وضعت لها أصلا .

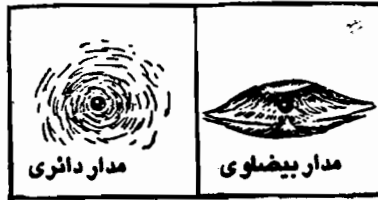
ويكمن العنصر الجديد الذي استحدثت في العلم نتيجة لدراسة السلوك الميكانيكي للنظم الذرية ، وللقوانين التي عرفت بفيزياء الكم في اكتشاف الحقيقة التي مؤداها أن هناك حدا أدنى معينا لأي تفاعل ممكن بين جسمين مختلفين ، وهذا الاكتشاف يقرب التعريفات الكلاسيكية عن مسار الجسم المتحرك رأسا على عقب . والحقيقة أن العبارة التي تقول ان ثمة شيئا مثل المسار الرياضي المسحوب بدقة لجسم متحرك تنطوي على إمكانية تسجيل هذا المسار باستخدام جهاز معد خصيصا لذلك . ومع هذا فينبغي ألا ننسى عند تسجيل مسار أي جسم متحرك أننا سوف نحدث خللا لا محالة في الحركة الأصلية ، والواقع لو أن الجسم المتحرك قد أثر بقوة ما على جهاز القياس الذي يسجل مواقعه المتتابعة في الفضاء ، فإن الجهاز يؤثر برده فعل على هذا الجسم تبعا لقوانين نيوتن عن التساوي بين الفعل ورد الفعل . فإذا استطعنا الحد من هذا الأثر الى أقل درجة ممكنة كما كان مفترضا في الفيزياء الكلاسيكية (والأثر هنا هو الفعل ورد الفعل بين الجسم المتحرك والجهاز المستخدم لتسجيل موقعه) نستطيع أن نتصور جهازا مثاليا حساسا الى درجة أنه يستطيع تسجيل المواقع المتتالية للجسم المتحرك دون احداث أي خلل في الحركة عمليا .

(*) المتعلقة بعلم الحركة المجردة (المترجم) .

ان وجود حد أدنى للتفاعل الفيزيقي يغير الوضع تغيرا جذريا الى حد ما ، ذلك أننا لا نستطيع أن نقلل من الحلل الناتج عن عملية التسجيل الى قيم حكمية ضئيلة . لذا فإن الحلل الحركي الناشئ عن مراقبتها يصبح جزءا لا يتجزأ من الحركة نفسها ، وبدلا من أن نتحدث عن الخط الرياضي الدقيق الممثل للمسار ، نجد أنفسنا مضطرين الى استخدام تعبير حزمة منتشرة عريضة ومن ثم فإن المسارات الرياضية المحددة في الفيزياء القديمة تتحول الى حزم كثيفة في عيون علماء الميكانيكا المعاصرين .

ان الحد الأدنى للتفاعل الطبيعي ، أو كم الفعل كما يطلق عليه هو مع ذلك ذو قيمة عددية ضئيلة ، وعديم الأهمية الا عند دراسة حركة الأجسام المتناهية في الصغر . لذا فإن مسار طليقة المسدس مثلا على الرغم من أنه حسابيا ليس خطأ حادا الا أن « سمك » هذا المسار يقل مرات ومرات عن حجم ذرة واحدة من المادة المصنوع منها الطليقة ، ومن ثم يمكن أن نفترض عمليا أنه مساو للصفر ، ومع ذلك بالانتقال الى أجسام أخف تخضع للحلل الناشئ عن أجهزة القياس أكثر من غيرها نجد أن سمك مساراتها يصبح أكبر . وفي حالة الالكترونات الذرية التي تدور حول النواة المركزية يصبح مداراتها أقرب الى أقطارها ، ولذا بدلا من تمثيل حركتها باستخدام خط كما فعلنا في شكل (٥٣) ، نحن مضطرون الى تصورها كما تراها في شكل (٥٤) . وفي هذه الحالات لا يمكن وصف حركة الأجسام الصغيرة باستخدام التعابير المألوفة في الميكانيكا الكلاسيكية ، ويخضع كل من موقعها وسرعتها لنوع من عدم التحديد (علاقات عدم التحديد لهيزنبرج وقاعدة بوهر التكميلية) (٦) .

ويبدو أن هذا التطور المدهش في الفيزياء القديمة ، والذي كان من نتائجه القاء كل المفاهيم المألوفة عن مسار حركة جسم صغير وتحديد موقعه وسرعته في سلة المهملات ، قد تركنا صفر اليدين . فاذا كنا غير



(شكل رقم ٥٤)

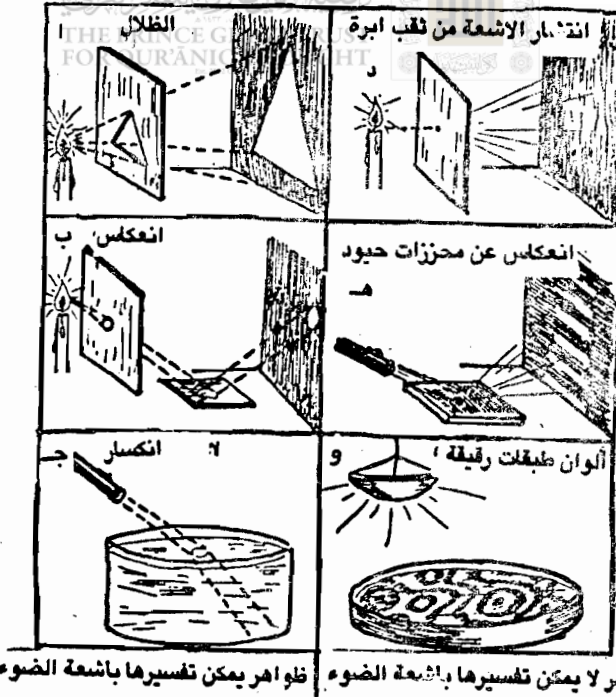
صور ميكانيكية مجهرية للحركة الالكترونية في الدوة

(٦) يمكن الوقوف على مناقشة أكثر تفصيلا لعلاقات عدم التحديد في كتاب (مستر تومبكينز في بلاد العجائب) للمؤلف . دار نشر ماكملان نيويورك عام ١٩٤٠ .

نسمح لنا أن نستخدم هذه المبادئ الأولية التي كانت مقبولة فيما مضى عند دراستنا للالكترونات الذرية ، فعلى أى شيء نستطيع أن نعلم أن نعلمنا لمحركها ؟ وما هي الصيغة الرياضية التي يجب احلالها محل أساليب الميكانيكا الكلاسيكية حتى نستطيع معالجة حالات عدم تحديد الموقع ، والسرعة ، والطاقة ، وما الى ذلك من الأشياء التي تتطلبها فيزياء الكم ؟ . ونستطيع الاجابة على هذه الأسئلة من حالة شبيهة كانت قائمة في النظرية الكلاسيكية للضوء : نحن نعلم أن أغلب ظواهر الضوء التي شاهدناها في الحياة العادية يمكن تفسيرها بالاعتماد على الافتراض القائل ان الضوء ينتشر في خطوط مستقيمة تعرف بالأشعة الضوئية . ولهذا فان شكل الظلال الناشئة عن سقوطها على جسم غير منفذ ، وانعكاس الأشعة عن المرايا بجميع أنواعها وأثر العدسات والأجهزة البصرية ، كل هذه الأمور يمكن تفسيرها بناء على القوانين الأولية التي تتحكم في انعكاس الأشعة وتشتيتها (شكل ٥٥ أ ، ب ، ج) .

ولكننا نعرف أيضا أن مناهج الهندسة البصرية التي تفسر انتشار الضوء على أساس أنه ينتشر في خطوط مستقيمة تفشل تماما عندما تكون الأبعاد الهندسية لفتحات مرور الأشعة مقاربة للطول الموجي للضوء . وهنا تظهر على السطح الظواهر المعروفة بـ « ظواهر الحيود » ، التي تخرج تماما عن نطاق هندسة البصريات . لذا فان الشعاع الضوئي انما من فتحة ضيقة جدا (من رتبة الـ ٠.٠٠١ سم) يعجز عن الانتشار في خطوط مستقيمة ويتشتت في صورة أقرب الى المروحة بدلا من ذلك (شكل ٥٥ د) فاذا ما سقط شعاع ضوئي على مرآة حز سطوحها عدد كبير من الخطوط الدقيقة المتوازية ، ويؤلف ما يعرف بـ « محزوز الحيود » ، فانه لا يخضع لقوانين الانعكاس المألوفة ، ولكنه ينتشر في مختلف الاتجاهات التي تتحدد بالمسافة بين الخطوط المحزوزة والطول الموجي للضوء الساقط (شكل ٥٥ هـ) . ومن المعروف أيضا أن انعكاس الضوء من طبقة رقيقة من الزيت المنتشر على سطح الماء يؤدي الى ظهور نظام غريب من الأهداب الفاتحة والقائمة (شكل ٥٥ و) وفي جميع هذه الحالات ، يفشل المفهوم المألوف عن « الشعاع الضوئي » تماما في وصف الظاهرة الملحوظة ، ونجد بدلا من ذلك نظام التوزيع المستمر للطاقة الضوئية في الفضاء الكلي الذي يحتله النظام البصري .

ومن السهل أن نفهم أن فشل مفهوم شعاع الضوء في تطبيقه على ظاهرة التشتت البصري يشبه كثيرا فشل مفهوم المسار الميكانيكي في ظاهرة فيزياء الكم ، فكما نعجز في البصريات عن الحصول على شعاع دقيق لا نهائي ، نجد أن مبادئ ميكانيكا الكم تحول بيننا وبين التحدث عن



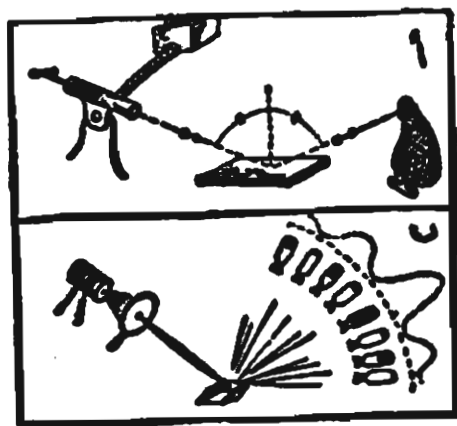
(شكل رقم ٥٥)

المسارات اللانهائية الدقيقة لجسيم متحرك . وفي الحالتين علينا أن نتخلى عن كافة محاولاتنا لوصف الظاهرة عن طريق القول ان شيئاً ما (الضوء أو الجسيمات) ينتشر على امتداد خطوط رياضية معينة (أشعة بصرية ، أو مسارات ميكانيكية) ، ونحن مضطرون الى اللجوء في عرض هذه الظاهرة المعروفة الى « شيء » ينتشر باستمرار في الفضاء الكلي . وهذا « الشيء » في حالة الضوء هو كثافة الذبذبات الضوئية عند نقاط مختلفة ، وفي الميكانيكا هو المفهوم الذي استحدث مؤخراً عن عدم التأكد من الموقع ، وهو احتمال وجود جسيم متحرك عند أي لحظة فرضية ، ليس في نقطة محددة سلفاً ، ولكن في نقطة واحدة من عدة نقاط ممكنة . فلم يعد ممكناً أن نحدد بالضبط مكان جسيم متحرك في لحظة فرضية ما ، على الرغم من أن الحدود التي يمكن فيها استخدام هذه الجملة يمكن حسابها بالصيغ الخاصة بـ « علاقات عدم التحديد » .

ويمكن ايضاح العلاقة بين قوانين البصريات الموجية الخاصة بانتشار الضوء ، وقوانين « الميكانيكا المجهرية » أو « الموجية » (وضع هذه القوانين لـ دي بروي ، و اى . شرودينجر) الخاصة بالحركة الميكانيكية للجسيمات بالتجارب التي توضح تشابه هذين النوعين من الظواهر .

وترى فى شكل (٥٦) الجهاز الذى استخدمه « شترن » فى دراسته للثبتت الذرى ، حيث يعكس شعاع من ذرات الصوديوم ، نحصل عليه بالطريقة التى أوضحنها فيما سبق من هذا الفصل ، على سطح بلورى • وتعمل الطبقة الذرية المتجانسة التى تشكل النسق البلورى فى هذه الحالة كمحزوز حيود للشعاع الساقط المكون من جسيمات صغيرة ، ثم يتجمع شعاع الصوديوم الساقط بعد انعكاسه على سطح البلور فى سلسلة من الزجاجات الصغيرة الموضوعة على زوايا مختلفة ، ويتم حساب عدد الذرات المجموعة فى كل زجاجة بعناية : والخط المنحنى المتقطع فى هذا الشكل يعبر عن النتيجة ، ونجد أنه بدلا من انعكاس ذرات الصوديوم فى اتجاه محدد (كالكريات التى تنطلق من بندقية لعبة على سطح معدنى) يتشتت الصوديوم فى زاوية محددة تكون نموذجا شبيها جدا بما نلاحظه فى تشتت أشعة اكس •

ولا يمكن تفسير التجارب من هذا النوع استنادا الى الميكانيكا الكلاسيكية التى تصف حركة الذرات المنفصلة بطول مسارات محددة ، بل انها غير مفهومة اطلاقا من وجهة نظر علم الميكانيكا المجهريّة المعاصر والذى ينظر الى حركة الجسيمات بنفس الشكل الذى ينظر به علم البصريات الحديث الى انتشار الموجات الضوئية •



(شكل رقم ٥٦)

(١) ظاهرة يمكن تفسيرها باستخدام مفهوم المسار (انعكاس محمل كريات

• على سطح معدنى)

(ب) ظاهرة غير قابلة للتفسير باستخدام مفهوم المسار (انعكاس ذرات

• الصوديوم على سطح بلورى)

الفصل السابع

الكيمياء الحديثة

١ - الجسيمات الأولية :

بعد أن عرفنا أن ذرات العناصر الكيميائية المختلفة تمثل نظاما ميكانيكا معقدا الى حد ما ، حيث يوجد فيها عدد كبير من الالكترونات التي تدور حول النواة المركزية ، لا مفر لنا من أن نسأل عما اذا كانت لانوية الذرية هي أصغر وحدة غير مرئية من المادة ، أو أنها يمكن أن تنقسم بدورها الى أجزاء أصغر وأصغر . وهل يمكن أن يختزل عدد الأنماط الذرية المختلفة (٩٢) الى عدد أقل من الجسيمات البسيطة ؟

في منتصف القرن الماضي أدت هذه الرغبة في التبسيط الى دفع عالم كيميائي انجليزي هو « ويليام بروت » الى وضع فرضية تنص على أن :

ذرات جميع العناصر الكيميائية لها طبيعة مشتركة ولا تمثل الا درجات مختلفة من « تركيز » ذرات الهيدروجين . وقد بنى « بروت » هذه الفرضية على الحقيقة التي مفادها أن الأوزان الذرية المحددة كيميائيا للعناصر المختلفة بالنسبة للهيدروجين هي غالبا قريبة جدا من العدد الصحيح . وهكذا فوفقا لرأى « بروت » لابد من النظر الى ذرة الاكسجين وهي أثقل من الهيدروجين ب ١٦ مرة باعتبارها مكونة من ١٦ ذرة هيدروجين مجتمعة معا . وذرة اليود التي يبلغ وزنها ١٢٧ مرة قدر الهيدروجين لابد أنها تتكون من ١٢٧ ذرة هيدروجين معا وهكذا .

ومع ذلك فإن الاكتشافات الكيميائية في هذا الوقت لم تمل الى قبول هذه الفرضية الجريئة . فقد اتضح بالقياس الدقيق للأوزان الذرية أنها لا تساوى أرقاما صحيحة تماما ، ولكنها في أغلب الأحيان تقترب من

الأرقام الصحيحة ، بل انها في بعض الحالات أيضا تكون بعيدة عن هذه الأرقام (فالوزن الذرى للكلور على سبيل المثال هو ٣٥ر٥٠) .

وقد أدت هذه الحقائق التي تتعارض مباشرة وبوضوح مع فرضية « بروت » الى اسقاطها ، حتى مات بروت دون أن يعلم حتى مدى ما ذهب اليه من الصواب في فكرته .

ولم يكتب لهذه الفرضية أن تبعث من جديد حتى عام ١٩١٦ عندما اكتشف الفيزيائي البريطاني « فـ٠ و أستون » أن الكلور العادى تتشابه خواصه الكيميائية رغم أن له وزنين ذريين صحيحين وهما ٣٥ ، ٣٧ .

وهذا الرقم غير الصحيح (٣٥ر٥) الذى حصل عليه الكيميائيون لا يمثل الا المتوسط الحسابى لهذا الخليط (١) .

وقد كشفت الدراسات اللاحقة للعناصر الكيميائية عن حقيقة مذهلة وهى أن أغلب هذه العناصر يتكون من خليط تشترك مكوناته فى خواصها الكيميائية وتختلف فى الوزن الذرى . وقد أطلق عليها اسم **النظائر** (*) وهى عناصر تحتل نفس المكان فى الجدول الدورى (٢) . وكان من أثر حقيقة أن كتل النظائر هى دائما مضاعفات لكتلة الهيدروجين أن بعثت الحياة فى فرضية بروت « المنسية » ، وقد رأينا فى الفصل السابق أن معظم كتلة الذرة يتركز فى النواة ، وبهذا يمكننا إعادة صياغة فرضية « بروت » بلغة عصرية فنقول : **ان الأنوية المختلفة تتركب من أعداد من أنوية الهيدروجين الأولية التى عرفت باسم خاص وهو « البروتونات » للور الذى نقوم به فى بناء المادة .**

ورغم ذلك فهناك تعديل واحد هام يجب اجراؤه فى العبارة السابقة . فانظر مثلا الى نواة ذرة الاكسجين التى تحتل الترتيب الثامن فى الجدول الطبعى ، فلا بد أن ذرته تحتوى على ٨ إلكترونات ونواته تحتوى على ٨ شحنات أولية موجبة . ولكن ذرة الاكسجين أثقل من ذرة

(١) حيث ان الكلور الأثقل وزنا يوجد بنسبة ٢٥٪ من الإجمالى والأخف بنسبة ٧٥٪ فلا بد وأن يكون الوزن الذرى المتوسط :

$$٣٥ر٥ = ٣٧ \times ٧٥ + ٣٥ \times ٢٥$$

وهو يساوى تماما ما اكتشفه الكيميائيون السابقون .

(٢) مكونة من كلمتين يونانيتين بمعنى مساو و مكان

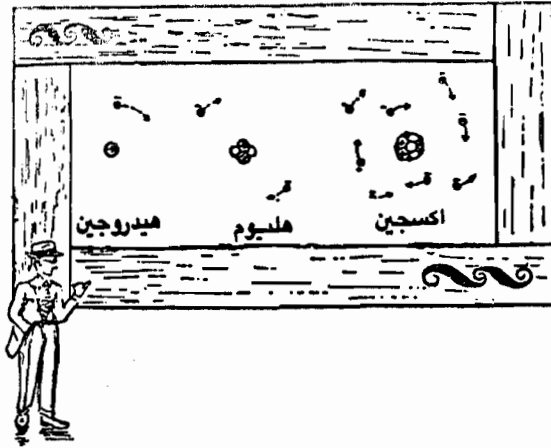
isotopes (★)

الهيدروجين ب ١٦ مرة . لهذا اذا افترضنا أن ذرة الاكسجين تحتوى على ٨ بروتونات فلا بد أن الشحنة صحيحة ولكن الكتلة خاطئة (فكل منهما يساوى ٨) واذا افترضنا وجود ١٦ بروتونا أصبحت لدينا كتلة صحيحة ولكن الشحنة خاطئة (فكل منهما يساوى ١٦) .

والمخرج الوحيد من هذا المأزق يكمن في افتراض أن بعض البروتونات الداخلة في تركيب أنوية الذرات المعقدة تفقد شحنتها الأصلية الموجبة .
وتصبح متعادلة كهربيا .

ووجود هذه البروتونات غير المشحونة أو « النيوترونات » كما يطلق عليها الآن ، كان فكرة طرحها « رذرفورد » عام ١٩٢٠ ، ولكن الأمر اقتضى مرور اثني عشر عاما على هذه الفكرة ليتم اثباتها تجريبيا .

وهنا يجدر ملاحظة أن البروتونات والنيوترونات لا يجب النظر اليهما باعتبارهما نوعين مختلفين من الجسيمات بل حالتين مختلفتين كهربيا لنفس الجسيم المعروف باسم « النوية » ، فالحقيقة أنه من المعروف أن البروتون يمكن أن يتحول الى نيوترون بفقد الشحنة الموجبة كما يمكن للنيوترون أن يتحول الى إلكترون باكتسابه لهذه الشحنة .



شكل رقم (٥٧)

ان دخول النيوترون كوحدة بنائية في نواة الذرة يحل المشكلة التي ناقشناها في الصفحات السابقة . وحتى نفهم كيف تحتوى نواة الاكسجين على ١٦ وحدة كتلة و ٨ وحدات شحنة لابد من التسليم بأنها تتركب من (٨) بروتونات و (٨) نيوترونات . أما نواة اليود ووزنها الذرى (١٢٧) وعددها الذرى (٥٣) فهي تتكون من ٥٣ بروتونا ، و ٧٤ نيوترونا بينما

يتكون عنصر اليورانيوم الثقيل (وزن ذرى ٢٣٨ ، وعدد ذرى ٩٢) من ٩٢ بروتونا و ١٤٦ نيوترونا (٣) .
 وهكذا بعد قرن تقريبا من ظهور فرضية بروت الجريشة نالت ما تستحقه من احترام واعتراف ونستطيع الآن القول ان الأنواع المختلفة من العناصر انما نشأت عن صور متباينة من توليفات نوعين وحيدين من الجسيمات وهما :

١ - **النويات** وهى الجسيمات الأولية فى المادة وقد تكون اما متعادلة .
 واما موجبة فى شحنتها .

٢ - **الالكترونات** وهى شحنات حرة سالبة كهربيا (شكل ٥٧) .
 اليك اذن وصفات مأخوذة من « المرجع الشامل فى طهى المادة » توضح كيفية اعداد كل طبق فى المطبخ الكونى من ثلاجة معبأة بالنويات والالكترونات : الماء : حضر عددا كبيرا من ذرات الاكسجين ويمكن ذلك باستخدام توليفة من ٨ نويات متعادلة و ٨ مشحونة ونواة تحيط بها وتحصل عليها باستخدام ٨ الكترونات . ثم حضر ضعف هذه الكمية من الهيدروجين بتوصيل كل الكترون مفرد بنوية واحدة مشحونة وأضف الى كل ذرة أكسجين ذرتين من الهيدروجين واخلطهما معا . ثم قدم جزيئات الماء التى تحصل عليها فى كوب مثلج .

ملح المائدة : حضر ذرات الصوديوم بتركيب كل ١١ نوية متعادلة مع ١١ نوية مشحونة ثم أضف لكل نواة ١١ الكترونا . ثم جهز عددا مماثلا من ذرات الكلور بخلط كل ١٨ أو ٢٠ نوية متعادلة مع ١٧ نوية مشحونة (نظائر) ثم أضف الى كل نواة ١٧ الكترونا . رتب الصوديوم والكلور فى ترتيب شبيه بقاعدة الشطرنج لتحصل على بلورات ملح منتظمة .

ت ن ت (*) : أعد ذرات الكريون بمزج كل ٦ نويات متعادلة و ٨ مشحونة ب ٦ الكترونات تصاحب النواة . ثم جهز ذرات النيتروجين من ٧ نويات متعادلة و ٧ مشحونة مع استخدام الكترونات حول النواة . أعد ذرات الاكسجين والهيدروجين وفقا للوصفة السابقة (انظر تحضير

(٣) بالنظر الى جدول الأوزان الذرية نلاحظ أنه عند بداية النظام الدورى يتساوى الوزن الذرى مع ضعف الرقم الذرى ، وهذا يعنى أن هذه الأنوية تحتوى على عدد من البروتونات مساو لعدد النيوترونات . أما فى العناصر الأثقل يزداد الوزن الذرى بمعدل أسرع مما يدل على تفوق النيوترونات على البروتونات فى العدد .

(*) ثالث نترات التولوين شديد التفجر .

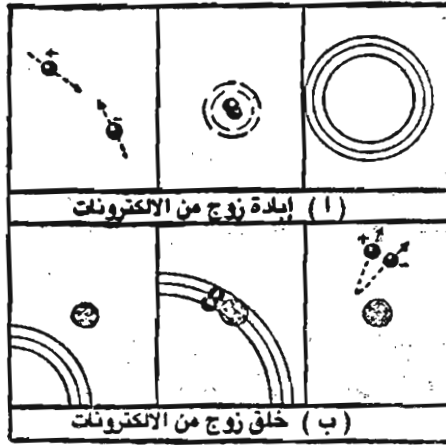
الماء) . رتب 6 ذرات كربون في حلقة بحيث تكون هناك ذرة سابعه خارج هذه الحلقة . أضف ثلاثة أزواج من ذرات الاكسجين الى ثلاث من ذرات الكربون في الحلقة بحيث تضسع في كل مرة ذرة نيتروجين بين الاكسجين والكربون . أضف ثلاث ذرات هيدروجين الى ذرة الكربون خارج الحلقة وذرتي هيدروجين في كل من مكاني ذرتي الكربون الحاليين في الحلقة . رتب الجزئيات التي حصلت عليها في نموذج منتظم للحصول على عدد كبير من البلورات الصغيرة واضغط هذه البلورات معا . تعامل مع الناتج بحذر حيث ان هذا التركيب غير مستقر وشديد الانفجار .

وعلى الرغم من أن النيوترونات والبروتونات السالبة هي الوحدات الضرورية فقط لبناء أى مادة نريد الحصول عليها كما أوضحنا ، الا أن هذه القائمة من الجسيمات الأولية لا تزال غير مكتملة الى حد ما . والواقع أنه اذا كانت الالكترونات العادية تمثل الشحنات الكهربائية السالبة الحرة ، فلم لا يمكن أيضا أن نحصل على شحنات حرة موجبة الكهرباء ، أى **الالكترونات الموجبة ؟**

وأيضاً اذا كانت النيوترونات التي من الواضح أنها تمثل الوحدة الأولية للمادة يمكن أن تكتسب شحنة كهربائية موجبة ومن ثم تتحول الى بروتون فلم لا نحصل على **نيوترونات سالبة** كذلك ؟

والجواب أن الالكترونات الموجبة التي تتشابه تماما مع الالكترونات السالبة العادية ، الا في العلامة الدالة على شحنتها ، توجد في الطبيعة فعلاً . كما أن هناك احتمالاً معيناً لوجود البروتونات السالبة على الرغم من أن الفيزيائيين لم ينجحوا بعد اكتشافها . والسبب في أن الالكترونات الموجبة والبروتونات السالبة (ان وجدت) غير متوافرة في عالمنا الطبيعي بقدر توافر الالكترونات السالبة والبروتونات الموجبة يكمن في أن هاتين المجموعتين من الجسيمات عدوتان لبعضهما البعض اذا جاز التعبير . وكل منا يعرف أن الشحنتين الكهربيتين اذا كانت احدهما موجبة والاخرى سالبة تلغى كل منهما الاخرى اذا وضعناهما معا . اذن حيث ان النوعين من الالكترونات لا يمثلان الا شحنتين حرتين احدهما موجبة والاخرى سالبة ، فلا ينبغي أن نتوقع وجودهما معا في نفس الحيز من الفضاء . والحقيقة أنه ما أن يتقابل الكترون موجب مع آخر سالب حتى تفنى شحنتهما ، ويختفي الجسيمان من الوجود . وهذا النوع من عمليات الابادة المتبادلة بين الكترونين يؤدي مع ذلك الى تولد اشعاع الكترومغناطيسى مكثف (أشعة جاما γ) ينطلق من نقطة التقابل حاملاً معه الطاقة الأصلية للجسيمين المندثرين . ومن القوانين الأولية في

الطبيعة أن الطاقة لا تفنى ولا تخلق من العدم ، وإنما نحن هنا بصدد مشاهدة التحول في الطاقة الالكتروستاتية للشحنات الكهربائية السالبة الى طاقة الكترودينامية ذات موجات مشعة . ويصف البروفيسور « بورن » (٤) الظاهرة الناتجة عن تقابل الكترون موجب مع آخر سالب . ب « الزواج العاصف » أو بتعبير أشد قسوة وصف بروفيسور براون (٥) هذا الحدث ب « الانتحار المتبادل » للالكترونين . وترى في شكل (٥٨ أ) . رسما تخطيطيا يعبر عن هذه المواجهة .



(شكل رقم ٥٨)

ان عملية « الابادة » للالكترونين مشحونين بشحنات مختلفة تجد شبيها لها في عملية « ازدواج الجسيمات » ، والتي يولد فيها الكترون موجب وآخر سالب ظاهريا من العدم ، نتيجة لاشعاع جاما القوي وتقول ظاهريا من العدم حيث ان هذا الزوج المتولد حديثا من الالكترونات انما يخرج الى حيز الوجود على حساب الطاقة التي توفرها أشعة جاما . والحقيقة أن كمية الطاقة التي يهبها اشعاع جاما لتكون هذا الزوج من الالكترونات يساوى بالضبط الطاقة المتحررة في عملية الابادة . ونجد في شكل (٥٨ ب) رسما توضيحيا وعملية ازدواج الجسيمات التي تحدث في ظروف أفضل عندما يمر الشعاع الساقط بالقرب من نواة (٦) ؟ وهنا لدينا مثال على ظهور شحنتين كهربيتين متضادتين على الرغم من

(٤) م - بورن الفيزياء الذرية (جى - اى ستيركت وشركاه نيويورك ١٩٣٥) .

(٥) ت - براون الفيزياء الحديثة (جون ويل وابلناؤه نيويورك ١٩٤٠) .

(٦) على الرغم من أن تكون زوج من الالكترونات يتم أساسا في الفضاء الخالي تماما .

لأن هذه العملية من ازدواج الجسيمات يساعد عليها وجود المجال الكهربى المحيط بالنواة .

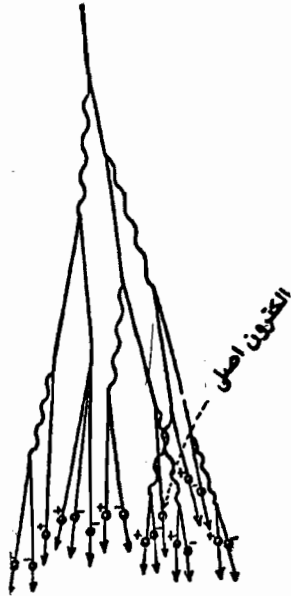
عدم وجود شحنة قبل ذلك اطلاقا وهى رغم ذلك عملية لا يجب أن تثير فينا الدهشة أكثر من التجارب العملية المألوفة التى يحدث فيها تولد شحنات كهربية موجبة عن طريق ذلك عصا الأبنوس بقطعة من الصوف فتتولد شحنة فى كليهما وبتوفر كمية كافية من الطاقة نستطيع أن ننتج أكبر عدد نريده من الشحنات السالبة والموجبة ، مع الاعتراف تماما بأن عملية الأباداة المتبادلة سرعان ما تقضى عليها ثانية بحيث ترد كمية الطاقة المرسله أصلا « بالكامل » .

ومن الأمثلة المشوقة على انتاج أزواج الالكترونات بالجملة ظاهرة « رذاذ الأشعة الكونية » التى تحدث فى الأجواء الأرضية فى صورة تيارات من جسيمات عالية الطاقة تأتى إلينا من الفضاء الكونى ، وعلى الرغم من أن مصدر هذه التيارات المتقاطعة فى جميع اتجاهات الفراغ الكونى الشاسع لا يزال من الأغااز العلمية المستعصية (V) الا أن لدينا فكرة واضحة الى حد ما عما يحدث عند اصطدام الالكترونات بسرعة مذهلة بالطبقات العليا للغلاف الجوى : فعند مرور هذه الالكترونات الأولية السريعة بالقرب من أنوية ذرات الغلاف الجوى تفقد شحناتها الأصلية تدريجيا وتتحول تلك الطاقة المفقودة الى أشعة جاما التى تنبعث بامتداد مسار الالكترونات (شكل ٥٩) . وتكون هذه الأشعة سببا فى بدء عمليات تكوين أزواج متعددة من الامكترونات السالبة والموجبة فى تسلك نفس طريق الجسيمات (الالكترونات) الأصلية . ولما كانت طاقة هذه الالكترونات الثانوية لا تزال عالية جدا فان اشعاع جاما يستمر فى الخروج مما يخلق أزواجا جديدة من الالكترونات . وهكذا يستمر تكاثرها بتكرار العملية طوال الطريق عبر الغلاف الجوى حتى تصل الالكترونات الأصلية الى مستوى سطح البحر مصحوبة بشلال من الالكترونات الثانوية نصفه موجب ونصفه سالب . ومن البدهى أن هذه الرخات الكونية يمكن أن تحدث عند اختراق الالكترونات السريعة

(V) والتفسير العادى ، الذى ربما كان أكثرها قبولا ، لأصل هذه الجسيمات عالية الطاقة التى تتحرك بسرعات تصل الى ٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩٩ فى المائة من سرعة الضوء انما يكمن فى الافتراض بأن هذه السرعة ترجع الى فروق الجهد الكهربى العالية جدا بين السحب الترايبية والغازية العملاقة (الفيوم السديمية) التى تسبح فى الفضاء الكونى . والحقيقة أن المرء يمكنه أن يتوقع أن هذه السحب الكونية ستتراكم فيها الشحنات الكهربية بشكل مشابه للسحب الراعدة فى هوائنا الجوى ، وأن فروق الجهد الكهربى التى تنشأ عن ذلك سوف تكون أعلى بكثير من تلك المسئولة عن ظاهرة البرق الذى يبرق بين السحب أثناء الزواجم الرعدية .

للأجسام المادية الضخمة في سرها فيحدث التضاعف بمعدل أعلى بكثير
نتيجة ارتفاع الكثافة .

والآن سنبحث في امكانية وجود البروتونات السالبة ، وينبغي أن نتوقع أن هذا النوع من الجسيمات قد ينشأ نتيجة اكتساب النيوترون لشحنة سالبة أو فقدته لشحنة موجبة والأمر لا يختلف . ومن السهل أن نفهم أن البروتونات السالبة تماثل الالكترونات الموجبة في عجزها عن التواجد لمدة طويلة جدا في أى مادة عادية ، فهي ستجذب في الحال الى أقرب نواة ذرية مشحونة تستوعبها وستتحول الى نيوترونات بعد اختراق البناء النووي . اذن لو وجدت هذه البروتونات في الواقع - وهذا أمر يساعدنا على استكمال الجدول الحالى من الجسيمات الأولية - فسوف يكون اكتشافها من أصعب الأمور .



(شكل رقم ٥٩)

مصدر رذاذ الأشعة الكونية

ان اكتشاف الالكترونات الموجبة لم يتم الا بعد مرور نصف قرن تقريبا من معرفة العلم بالالكترونات السالبة . واذا افترضنا وجود هذه البروتونات السالبة ، فلنا أن نتصور وجود الذرات والجزئيات المعكوسة اذا جاز التعبير . فالذرات عبارة عن نيوترونات عادية وبروتونات سالبة

فلا بد اذن أن تكون محاطة بأغلفة من **الإلكترونات الموجبة** وسوف يكون لهذه الذرات « المقلوبة » نفس خواص الذرات العادية ، ولن تجد اختلافا بين الماء المعكوس والماء العادى والزبد المعكوس وانزبد العادى .

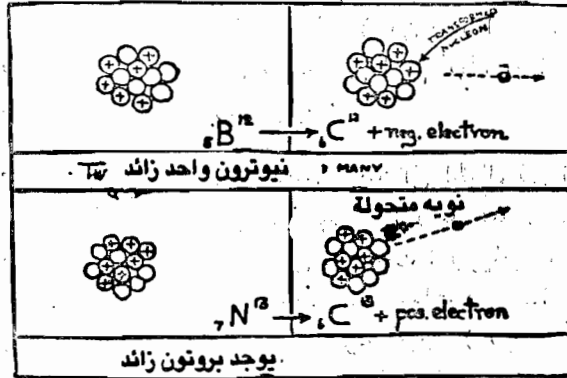
ولن تشعر بالفرق الا اذا وضعت مادة عادية بجانب مادة معكوسة ، فما أن تفعل ذلك حتى تحدث عمليات الابادة المتبادلة بين الالكترونات المتضادة الشحنة ، والآنوية الموجبة والسالبة قبل أن يرتد اليك طرفك وسينفجر الحليط انفجارا أعنف من القنبلة الذرية . وقصارى ما نعرف أنه قد توجد أنظمة نجمية غير نظامنا تتكون من هذه المواد المقلوبة ، واذا صح ذلك فان سقوط صخرة من نظامنا على نظام كهذا أو العكس سيؤدى بمجرد ارتطامها الى انفجار ذرى رهيب .

ونتوقف الآن عن هذه التأملات القريبة الى الخيال فى الذرة المقلوبة ونتوجه الى دراسة نوع آخر من الجسيمات الأولية قد لا تقل عن تلك غرابة ، وهى تشارك فعلا فى كثير من العمليات الفيزيائية ، ويطلق عليها اسم نويترينو neutrino . وهذه الجسيمات دخلت الى علم الفيزياء من الباب الخلفى وأصبحت الآن تحتل منزلة كبيرة (ثابتة) فى عائلة الجسيمات الأولية رغم أنف المعارضة الغوغائية التى شككت فى امكانية وجودها . وتعبر قصة اكتشافها والتعرف على خواصها من أغرب قصص الاثارة البوليسية فى علوم عصرنا .

وقد اكتشفت وجود النويترينو بطريقة يسميها الرياضيون « نقض النقيض » (*) فقد بدأ هذا الاكتشاف المثير ليس بناء على وجود شيء ما ، ولكن بالأحرى اكتشاف عدم وجوده ، وكانت الطاقة هى ذلك الشيء المفقود . ولما كانت الطاقة وفقا لأحد أقدم وأرسخ قوانين الفيزياء لا تفنى ولا تخلق من العدم . وباكتشاف أن الطاقة التى كان يجب وجودها غائبة فقد دل على ذلك حتمية وجود لص ما أو عصابة من اللصوص استولت على هذه الطاقة . ولما كانت العقلية البوليسية العلمية مرتبة وتميل الى وضع أسماء للأشياء حتى ما لا نستطيع أن نراه منها فقد أطلقوا على لصوص الطاقة « النويتريونات » ولكن هذه مرحلة متقدمة من القصة فبالرجوع الى وقائع « قضية سرقة الطاقة » نجد كما رأينا من قبل أن أنوية الذرات تتكون من نويات نصلفها تقريبا متعادل الشحنة « النيوترونات » والباقي منها شحنة موجبة ، فاذا اختل التوازن بين العدد

(*) برهنة القضية باثبات فساد نقيضها .

النسبي للنيسوترونات والبروتونات في نواة الذرة باضافة نيوترون. أو بروتون جديد أو أكثر (أ) ، فلا بد من حدوث تعديل كهربى . فاذا كان عدد النيوترونات أكبر من اللازم تحول بعضها الى بروتونات بطرد إلكترون سالب . واذا كان عدد البروتونات أكبر تحول بعضها الى نيوترونات بطرد إلكترون موجب . وتجد في شكل (٦٠) رسما يوضح هذه العملية ، وتعرف باسم « انحلال بيتا » . أما الالكترونات المطرودة فتعرف باسم جسيمات بيتا (B) .



(شكل رقم ٦٠)

نظام انحلال بيتا الموجب والسالب (لسهولة العرض قمنا برسم جميع النويات في مستوى واحد) .

ولما كان التحول الداخلى فى النواة عملية دقيقة ومحددة للغاية بحيث تكون الطاقة الناتجة عنها محملة على الالكترونات المطرود فطبيعى أن نتوقع خروج إلكترونات أو جسيمات B من أى مادة بنفس السرعة . ولكن الملاحظات التى تمت على عملية انحلال بيتا تتعارض تماما مع هذا التوقع . فقد وجد أن الالكترونات المنطلقة من مادة ما تتراوح طاقتها الحركية من الصفر الى حد أقصى معين . ولم يكتشفوا أى جسيمات أو اشعاع آخر يكون مسئولاً عن هذا الاختلاف فى الطاقة ، فأصبحت عملية انحلال بيتا هامة للغاية . فاعتقدوا لفترة معينة أن هذا أول دليل تجريبى على فشل قانون « ثبات الطاقة » الشهير ، وهو ما يعنى كارثة تنزل بالبناء المحكم للنظرية الفيزيائية . وبقي احتمال أو امكانية أخيرة فربما كانت الطاقة المفقودة قد امتصها نوع جديد من الجسيمات وأنها تفلت دون أن

(أ) ويمكن القيام بذلك عن طريق القذف النووى الذى تجده فيما بعد فى نفس

الفصل .

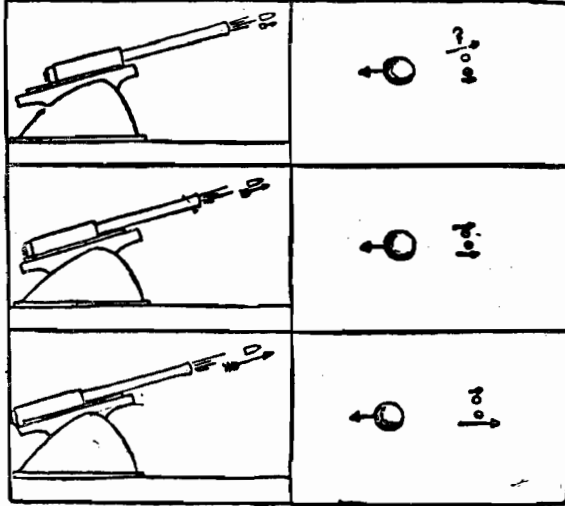
تقدر على رصدتها بأى وسيلة من وسائل الرصد أو الملاحظة . وفكر « باولى » فى أن « أرسين لوبين » الطاقة هو جسيمات مفترضة هى النيوترينات ، وهى غير مشحونة ولا تزيد كتلتها على كتلة الالكترودى العادى . والواقع أنه من المعروف يقينا بالنسبة للنفاعل بين الجسيمات السريعة والمادة أى الجسيمات غير المشحونة والخفيفة لا يمكن الاستدلال على وجودها بأى جهاز فيزيائى معروف ، وانها قد تخترق دون أى صعوبة طبقات سميكة جدا من المادة . لذا ففى حين أن الضوء المرئى يمكن حجبها تماما باستخدام شريحة معدنية رقيقة جدا ، وكذا تحتاج أشعة اكس العالية النفاذية وأشعة جاما أيضا الى طبقة من الرصاص بسمك عدة بوصات للحد من كثافتها الى درجة كبيرة نجد أن حزمة من النيوترينات يمكنها المرور دون صعوبة كبيرة من طبقة رصاص يبلغ سمكها عدة ملايين من السنين الضوئية !! فلا عجب اذن أنها تغلت من أى ملاحظة ولا يستدل عليها الا من نفض الطاقة الناتج من هروبها .

ولكن على الرغم من استحالة الامساك بهذه النيوترينات طالما أنها قد غادرت النواة ، الا أن هناك وسيلة لدراسة الآثار الثانوية المترتبة على مغادرتها . فعندما تطلق بندقية فانها تحدث رد فعل على كتفك ، ويتراجع المدفع على حامله بعد اطلاقه لقذيفة ثقيلة . وينتظر حدوث نفس أثر الارتداد الميكانيكى من النواة الذرية التى تنطلق منها الجسيمات السريعة ، والواقع أنه لوحظ أن النواة التى تتعرض لانحلال بيتا تكتسب دائما سرعة فى اتجاه مضاد لحركة الالكترودى المنطلق . وتكمن غرابة الارتداد النووى فى أن سرعة الالكترودى لا تؤثر على سرعة ارتداد النواة اذ تظل ثابتة فى كل الحالات (شكل ٦١) ويبدو هذا غريبا جدا اذ أنه من الطبيعى أن نتوقع أن المقذوف السريع يحدث رد فعل أقوى على الكتف من المقذوف البطيء . ويكمن حل هذا اللغز فى أن النواة تطلق دائما مع الالكترودات نيوترينات تحمل ما تبقى من الطاقة التى يستهلكها الالكترودى فاذا خرج الالكترودى بسرعة عالية مستهلكا أغلب الطاقة المتاحة ، انطلقت نيوترينات بسرعة بطيئة والعكس بالعكس . لذا فان الارتداد الملاحظ يكون ثابتا دائما نتيجة للأثر المزدوج لكلا الجسيمين . وكفى بهذا دليلا على وجود النيوترين !

والآن بمقدورنا أن نجمل نتائج المناقشة السابقة ونقدم قائمة كاملة للجسيمات الأولية التى تدخل فى بنية الكون ، والعلاقة القائمة بينها .

ولنبدا أولا بالنوية : التى تعتبر الجسيم الأول للمادة . وهى بقدر معرفتنا حتى الآن متعادلة أو موجبة الشحنة مع احتمال أن تكون هناك نويات سالبة الشحنة .

ثم تأتي للالكترونات : وهى الشحنات الحرة السالبة أو الموجبة كهربياً . وهناك أيضاً هذه النيوترينات الغامضة التى لا تحمل أى شحنة ويفترض أنها أخف وزناً من الالكترونات بكثير (٩) .
وفى النهاية توجد الموجات الكهرومغناطيسية المسئولة عن انتشار القوى الكهربائية والمغناطيسية فى الفضاء الحالى .



(شكل رقم ٦١)

مشكلة الارتداد فى المدفعية والفيزياء النووية .

وجميع هذه المكونات الرئيسية فى العالم الطبيعى مستقلة عن بعضها ويمكن أن تجتمع معا فى صور مختلفة . ولذا يمكن للنيوترون أن يتحول الى بروتون بطرد الكترون سالب ونيوترين (نيوترون ← بروتون + الكترون سالب + نيوترينو) ، ويمكن للبروتون أن يعود نيوترونا بطرد الكترون موجب ونيوترين (بروتون ← نيوترون + الكترون موجب + نيوترينو) . ويمكن تحول الكترنين متضادين فى الشحنة الى اشعاع كهرومغناطيسى . (الكترون موجب + الكترون سالب ← اشعاع) أو بالعكس يمكن أن ينتج الالكترونات عن الاشعاع (اشعاع ← الكترون موجب + الكترون سالب) . وأخيراً يمكن للنيوترينات أن تتحد مع الالكترونات مكونة وحدات ثابتة يمكن ملاحظتها فى الأشعة الكونية المعروفة بالميزون أو التى تسمى خطأ بـ «الالكترون الثقيل» (نيوترينو +

(٩) وتشير آخر الأدلة التجريبية فى هذا المجال الى أن النيوترين لا يزيد وزنه على

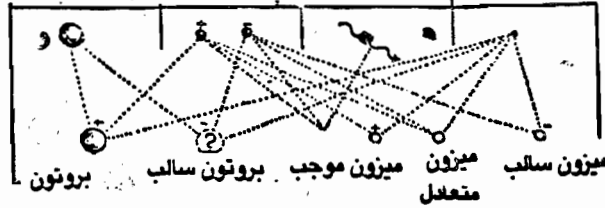
$\frac{1}{11}$ من ثقل الالكترون .

الكترن موجب ← ميزون موجب ، أو : نيوترون + الكترن سالب ←
 ميزون سالب أو نيوترين + الكترن موجب + الكترن سالب ←
 ميزون متعادل) واتحاد النويترينات والالكترونات يحمل طاقة هائلة
 بحيث يكون أثقل بمائة مرة من كتلتها معا أصلا .

وفي شكل (٦٢) ترى بيانا مرسوما للجسيمات الأولية المشتركة
 في بنية الكون .

اشعاع

النويترينو الغامض | اشعاع الكترنومغناطيسي | شحنتات كهربائية حرة | الجسيم الاساسي للمادة
 (كم الجاذبية) | (كم الاشعاع) | (الكترونات) | (نيوترون)



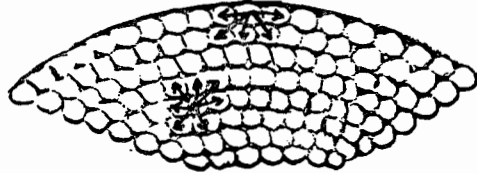
(شكل رقم ٦٢)

بيان بالجسيمات الأولية في الفيزياء الحديثة وتوليقاتها .

وربما تسأل هل هذه هي النهاية ؟ فبأي حق نفترض أن النويات
 والالكترونات والنويترينات هي حقا جسيمات أولية لا يمكن تقسيمها
 الى وحدات أصغر ؟ ألم يفترض منذ قرن واحد فقط أن الذرة لا تنقسم ؟
 ومع ذلك فما أعقد صورة الذرة الآن ! والجواب أنه رغم عدم امكانية
 التنبؤ بما قد يطرأ من تطور على العلم بطبيعة الحال ، الا أن لدينا الآن
 أسبابا أقوى تدفعنا الى الاعتقاد بأن جسيماتنا الأولية هي بالفعل الوحدات
 الأولية ولا يمكن أن تنقسم أكثر من ذلك . فالذرة التي زعم العلماء في
 الماضي أنها غير قابلة للانقسام كان معروفا عنها نسب هؤلاء العلماء لها
 خواصا متعددة كيميائية وبصرية في حين أن خواص الجسيمات الأولية في
 الفيزياء الحديثة بسيطة للغاية والحق أنها تشبه في بساطتها النقاط
 الهندسية . وبدلا من العدد الكبير « للذرات غير القابلة للانقسام » في
 الفيزياء القديمة لدينا ثلاثة مكونات مختلفة جوهريا : النويات ،
 والالكترونات والنويترينات ، ومهما كان الجهد والرغبة الملحة في تحويل
 كل شيء الى ما هو أسسط منه فانك لا تستطيع أن تحول شيئا الى لا شيء .
 ولذا يبدو أننا قد اصطدمنا بالقاع في بحثنا عن الوحدات الأولية للمادة .

والآن بعد أن تعرفنا تماما على طبيعة الجسيمات الأولية وخواصها ، ولا سيما تلك التي تدخل في بنية الذرة ، نستطيع الانتقال الى دراسة أكثر تفصيلا للنواة وهي قلب الذرة . وفي حين أن البناء الخارجى للذرة يمكن تشبيهه الى حد ما بالنظام الكوكبى الدقيق ، فان نواة الذرة تختلف تماما عن هذه الصورة . وواضح قبل أى شىء أن القوى التى تحفظ الذرة تماسكها ليست ذات طبيعة كهربية بحثة إذ أن النيوترونات لا تحمل أى شحنة كهربية ، والنصف الآخر وهو البروتونات موجب الشحنة يتنافر مع بعضه . ولن تجد مجموعة أخرى من الجسيمات المتماسكة كل ما يجمعها هو التنافر !

ولذا حتى نفهم السبب فى اتحاد مكونات النواة مع بعضها ينبغى علينا أن نفترض أنه من بين القوى الموجودة هناك قوى أخرى جاذبة تعمل فى النويات غير المشحونة كما تعمل فى النويات المشحونة . ومثل هذه القوى التى تعمل على بقاء الجسيمات مع بعضها بغض النظر عن طبيعتها يطلق عليها « قوى التماسك » ، وتوجد على سبيل المثال فى السوائل العادية حيث تمنع الجزئيات المنفصلة من الانتشار فى جميع الاتجاهات . وتوجد فى نواة الذرة قوى شبيهة بالقوى السابقة وتعمل بين النويات المنفصلة لتمنع النواة من التفسخ تحت تأثير التنافر الكهربى بين البروتونات . وهكذا فعلى النقيض من الجسم الخارجى للذرة حيث يكون بين الالكترونات المكونة للأغلفة الذرية العديدة مساحة فضائية كبيرة تتحرك فيها ، نجد أن النواة هى أشبه بعلبة تحتشد فيها كميات كبيرة من النويات كما فى علبة السردين . وكما أشرنا من قبل يمكننا أن نفترض أن مادة نواة الذرة تشبه السوائل العادية فى الخطوط العريضة للتركيب وكما نجد ظاهرة التوتر السطحي فى حالة السوائل العادية نجدها أيضا فى النواة .



(شكل رقم ٦٣)

ايضاح لظاهرة قوى الشد السطحي فى السوائل

وربما نذكر أن السبب في التوتر السطحي للسوائل يعود إلى أن الجسيمات بداخلها تتنازعها قوى الجذب في جميع الاتجاهات بنفس القدر .

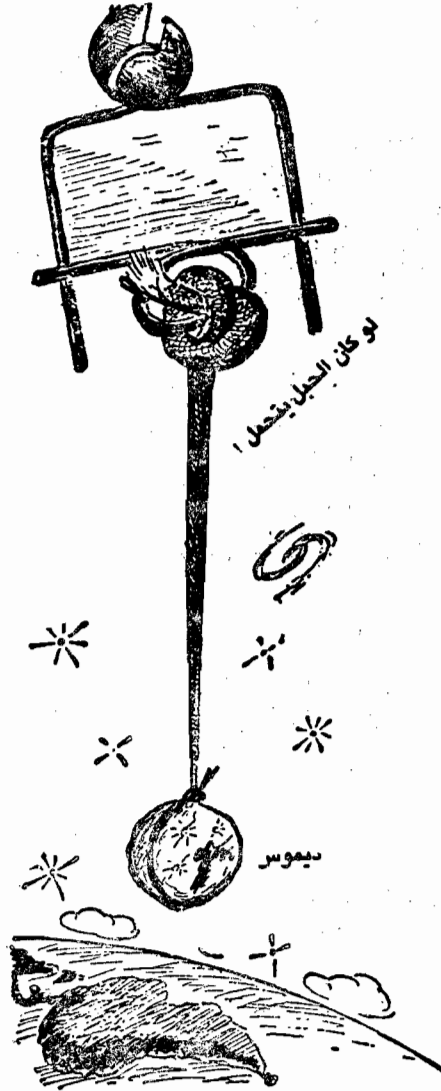
أما الجسيمات السطحية فتجذبها تلك القوى إلى الداخل ، (شكل ٦٣) ، ويؤدي هذا إلى ميل أي قطرة سائل لا تخضع لقوى خارجية إلى اكتساب شكل كروي إذ أن الكرة هي الشكل الهندسي الذي يمتلك أقل مساحة سطح ممكنة لأي حجم (*) . وهكذا نجد أنفسنا منساقين إلى استنتاج أن نواة الذرة للعناصر المختلفة يمكن اعتبارها ببساطة قطرات مختلفة الحجم في « سائل نووي » كوني . ويجب ألا ننسى مع ذلك أن السائل النووي على الرغم من أنه يشبه السائل العادي نوعياً إلا أنه يختلف عنه في الخواص والواقع أن كثافته تزيد على كثافة الماء بمعامل قدره 2.4×10^{14} وتزيد قوى التوتر السطحي فيه عنها في الماء بحوالي ١٨١٠ مرة . وحتى يتسنى لنا فهم هذا الرقم الهائل دعونا ندرس المثال التالي . وافترض أن لدينا إطاراً من السلك يشبه حرف *U* مقلوباً كما في شكل ٦٤ وتتقاطع مع الحرف قطعة مستقيمة من السلك وطبقة من الصابون تغطي الشكل الرباعي الناشئ . وسوف تعمل قوى التوتر السطحي للصابون على جذب الساق المعدنية لأعلى ويمكن معادلة هذه القوى بتعليق ثقل خفيف على الساق المعدنية فإن كانت الطبقة مكونة من ماء عاد مذاًب فيه قدر من الصابون وذات سمك يبلغ حوالي ٠.١ مم ، سيكون وزنها حوالي $\frac{1}{4}$ جم وسوف تحمل وزناً إجمالياً قدره حوالي $\frac{3}{4}$ جم .

والآن إذا أمكن الحصول على طبقة مماثلة من السائل النووي سيكون إجمالي وزن هذه الطبقة ٥٠ مليون طن (وزن ألف عابرة محيطات تقريباً) ويمكننا أن نعلق على السلك المستعرض حمولة تزن سنتليون (١٢١٠) طن ، وهذه تعادل تقريباً كتلة « ديموس » ثاني أقمار كوكب المريخ ! والمرء يحتاج إلى ريتين جبارتين لكي يصنع بالنفخ فقاعتين من السائل النووي ! .

وإذا اعتبرنا نواة الذرة مكونة من قطرات صغيرة من السائل النووي فلا يجب أن نهمل حقيقة هامة وهي أن هذه القطيرات مشحونة كهربياً حيث إن حوالي نصف جسيمات النواة من البروتونات . وتعادل قوى التوتر السطحي التي تعمل على تماسك النواة كجزء واحد قوى التناثر

(*) أي أن المكعب أو المنشور أو غيرها تكون مساحة سطوحها دائماً أكبر من مساحة سطح كرة من نفس الحجم (المترجم) .

الكهربي التي تعمل بين مكوناتها وتحاول تمزيقها الى جزأين أو أكثر .
 وهنا يكمن السبب الرئيسي في عدم استقرار نواة الذرة فاذا سيطرت
 قوى التوتر السطحي عليها فانها لا تنحل تلقائيا أبدا ، بل وتميل النواتان
 المقربتان من بعضهما الى الانسماج كما يحدث تماما لفطيرتين عاديتين .
 وعلى العكس ، اذا كانت اليد العليا في النواة لقوى التنافر الكهربي.



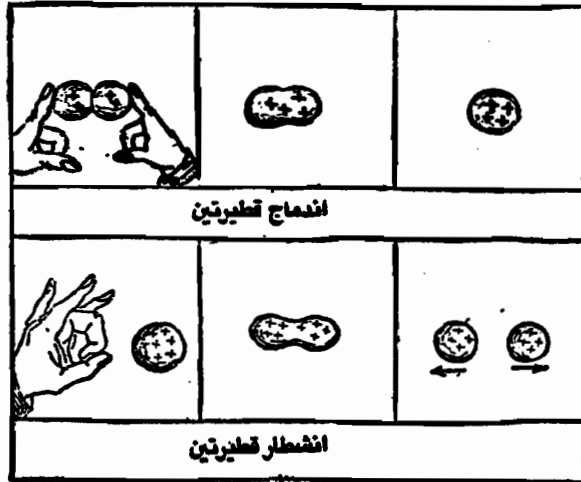
(شكل رقم ٦٤)

أظهرت هذه النواة ميلا الى الانقسام تلقائيا الى جزأين أو أكثر وتطير هذه الأجزاء بعيدا عن بعضها بسرعة عالية ، ويطلق على هذه العملية عادة مصطلح « الانشطار النووي » .

وقد أجرى « بوهر » و « هويلر » فى عام ١٩٣٩ حسابات دقيقة للتوازن بين القوى الكهربية وقوى التوتر السطحي فى عناصر مختلفة وأدى ذلك الى نتيجة بالغة الأهمية وهى :

ان قوى التوتر السطحي فى النواة تكون لها اليد العليا فى النصف الأول من الجدول الدورى (حتى عنصر الفضة تقريبا) ، ثم تسود قوى التنافر الكهربى على كل الأنوية الأثقل من ذلك . وبالتالى تكون نواة أى عنصر أثقل من الفضة غير مستقرة أساسا وهى تنقسم الى جزأين أو أكثر تحت تأثير قوى خارجية كافية ، فيؤدى ذلك الى تحرر كمية كبيرة من الطاقة الداخلية للنواة (شكل ٦٥ أ) . وعلى النقيض من ذلك لابد وأن تتوقع حدوث عملية اندماج بين نواتين خفيفتين (أقل من عنصر الفضة عندما تقتربان من بعضهما (شكل ٦٥ ب) .

ومع ذلك يجب أن نتذكر أن الاندماج بين نواتين خفيفتين أو انشطار الأنوية الثقيلة لا يحدث بالطبيعة مالم نفعل شيئا يساعد على ذلك . والواقع أن حدوث الاندماج يستلزم تقريب النواتين من بعضهما ضد قوى التنافر بين شحنتيهما ، وحتى يحدث الانشطار النووي فى نواة عنصر ثقيل لابد من أن يبدأ ذلك باحداث ذبذبة سعتها كبيرة جدا عن طريق توجيه ضربة قوية الى النواة .



(شكل رقم ٦٥)

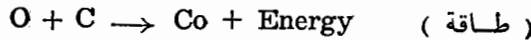
وهذا النوع من الحالات التي لا تبدأ فيها عملية ما الا تحت وطأة استشارة مبدئية تعرف في العلوم بـ « حالات الاستقرار المتغير » . ويمكن ايضاحه بأمثلة مثل الصخرة الموجودة على حافة هاوية أو علبه الثقب الموضوعه في جيبك ، أو شحنة تي.ان.تي. في قنبلة ، وفي كل حالة هناك كمية كبيرة من الطاقة تنتظر أن تتحرر . ولكن الصخرة لن تنحدر الا اذا دفعت من الخلف ، والثقب لن يشتعل الا اذا أدى احتكاكه مع جسمك الى رفع درجة حرارته ، كما أن مادة تي . ان . تي لن تنفجر الا بتوصيلها بفتيل .

وإذا كنا نعيش في عالم كل شيء فيه عمليا قابل للانفجار النووي – باستثناء العملات الفضية (١٠) – فان ذلك يرجع الى الصعوبة الشديدة لبدء عملية التفاعل النووي ، أو بعبارة علمية أكثر دقة « الطاقات التنشيطية الرهيبة التي تتطلبها التحولات النووية » .

ونحن بالنسبة للطاقة النووية نعيش (أو قل عشنا حتى عهد قريب) في عالم شبيه بعالم رجل الاسكيمو الذي يسكن أرضا درجة حرارتها أقل من درجة التجمد ، فهو لا يعرف صلبا الا الثلج ولا سائلا الا الكحول . فمثل هذا الاسكيمو لم يسمع أبدا عن النار فهو لن يحصل على نار أبدا بذلك قطعتين من الثلج معا ، كما أن الكحول بالنسبة له ليس الا مشروبا لطيفا ، فهو لن يستطيع أن يرفع حرارته الى درجة الاشتعال .

وما أشبه الحيرة العظيمة التي انتابت الانسان عندما اكتشف عملية تحرر الطاقة الكامنة داخل الذرة على نطاق كبير ، بدهشة صاحبنا رجل الاسكيمو عندما شاهد أول موقد كحولي . .

وما أن يتم التغلب على مشكلة بدء التفاعل النووي حتى تعوض النتائج كل المتاعب التي تضمنها ذلك . ولنأخذ خليطا من كميات متساوية من ذرات الاكسجين والكربون مثلا ، بحيث يكونان متحدين وفقا للمعادلة الآتية :

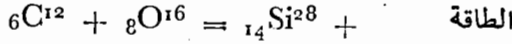


وسوف تعطينا هذه العناصر ٩٢٠ سعرا (١١) لكل جرام من الخليط وبدلا من الاتحاد الكيميائي العادي (اندماج الجزيئات) (شكل ٦٦ أ)

(١٠) تذكر أن نواة الفضة لا تنشط ولا تندمج .
(١١) السعر هو وحدة حرارية تعرف بأنها الطاقة اللازمة لرفع درجة جرام واحد من الماء درجة مئوية واحدة .

(*) ١ + ١ ← ١ + طاقة

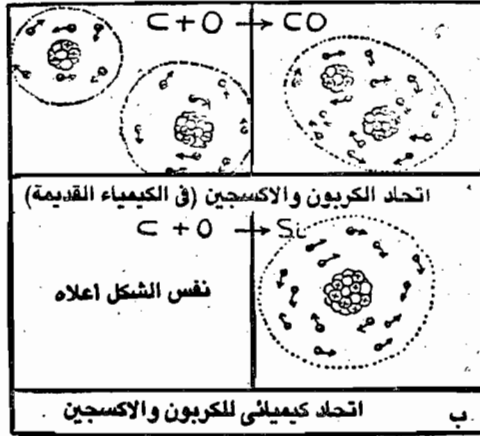
بين هذين النوعين من الذرات ، يحدث اتحاد كيميائي جديد (اندماج نووى) بين نواتين (شكل ٦٦ ب) .



فتصبح الطاقة المتحررة = 14×910 سعرا عن كل جرام من الخليط أى ١٥ مليون ضعف للطاقة السابقة .

وبالمثل فان تكسير جزيء من مادة تى . ان . تى المعقدة الى جزيئات ماء ، وأول أكسيد الكربون ، وثانى أكسيد الكربون ، والنيتروجين (انشطار جزيئى) يحرر طاقة مقدارها ١٠٠٠ سعر لكل جرام ، فى حين أن نفس الوزن من الزئبق مثلا يعطى طاقة اجمالية قدرها ١٠١٠ سعرات فى عملية الانشطار النووى .

ولا تنسى أيضا أن أغلب التفاعلات الكيميائية لا تحدث بسهولة الا عند حرارة قد تصل الى عدة مئات أما التحولات النووية فلا يمكن حتى أن تبدأ الا بعد الوصول الى درجات تقدر بالملايين ! فاطمن لأن صعوبة بدء التفاعل النووى تضمن عدم وجود خطر مباشر قد يحول الكون كله الى فضاء خالصة عقب انفجار مروع .



(شكل رقم ٦٦)

٣ - تحطيم الذرة :

على الرغم من أن تكامل الأوزان الذرية يعتبر حجة قوية فى صالح تعقد أنوية الذرات ، الا أن البرهان النهائى على ذلك لا سبيل اليه الا بالدليل التجريبي المباشر على امكانية انقسام النواة الى جزأين أو أكثر .

وفي أواخر القرن الماضي ظهر أول دليل على إمكانية حدوث هذا الانحلال في النواة على يد « بيكربل » عند اكتشافه للنشاط الإشعاعي . فقد اتضح في الواقع أن هذا الإشعاع عالي النفاذية (شبيه بأشعة أكس العادية) ، ينطلق تلقائيا من ذرات بعض العناصر كاليورانيوم والثوريوم الواقعان في آخر الجدول الدوري نتيجة للانحلال التلقائي لهذه الذرات . وسرعان ما أدت الدراسة التجريبية الواعية لهذه الظاهرة المكتشفة حديثا الى استنتاج أن انحلال الأنوية الثقيلة يعتمد على انحلالها التلقائي الى جزئين غير متساويين :

١ - جزء صغير يعرف بجسيم ألفا وهو نواة ذرة الهليوم .

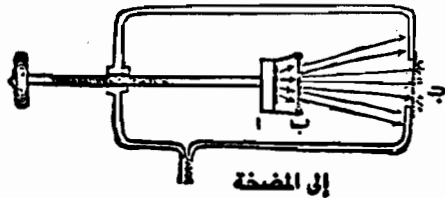
٢ - الجزء الباقي من النواة الأصلية ، وهو بمثابة النواة للعنصر الوليد . وعندما تتحلل ذرة اليورانيوم الأصلية باطلاق جسيمات ألفا ، ثمة النواة الناتجة للعنصر الوليد يورانيوم ($\gamma \times$) بعمليات إعادة اتران كهربي داخليا ، وينطلق منها شحنتان حرتان سالتان (الكترونان عاديان) من ثم نحصل على نواة نظير اليورانيوم وهي أخف بأربع مرات من نواة اليورانيوم الأصلية . ثم تلى هذا الضبط (التعديل) الكهربي سلسلة من انطلاقات جسيمات ألفا ثم عمليات ضبط كهربي جديدة وهكذا . . حتى نصل في النهاية الى نواة ذرة الرصاص التي تبدو مستقرة ولا تميل للانحلال .

ويلاحظ وجود سلسلة مماثلة من عمليات التحول الإشعاعي واطلاق جسيمات ألفا والالكترونات في عائلتين أخريين من العناصر المشعة : وهما عائلة الثوريوم التي تبدأ بالثوريوم الثقيل ، وعائلة الاكتينيوم التي تبدأ بعناصر تعرف باسم الاكتينويورانيوم . وفي هذه العائلات كلها تستمر عمليات الانحلال التلقائي حتى تبقى ثلاثة نظائر مختلفة من الرصاص في النهاية .

وربما يندهش القارئ الذكي عند مقارنة الوصف السابق للنشاط الإشعاعي التلقائي بالمناقشة العامة التي أوردناها في الجزء السابق حيث قلنا : ان عدم استقرار أنوية الذرات أمر متوقع في كل عناصر النصف الثاني من الجدول الدوري . حيث تكون اليد العليا لقوى الكهرباء المتنافرة التي تتحكم في قوى التوتر السطحي وهي القوى التي تميل الى المحافظة على تماسك النواة في وحدة واحدة . فاذا كانت جميع الأنوية الأثقل من الرصاص غير مستقرة فلم لا نلاحظ الانحلال التلقائي الا في القليل من العناصر الثقيلة مثل اليورانيوم ، والراديوم ، والثوريوم ؟ والجواب هو أن علينا أن نعتبر من الناحية النظرية أن جميع العناصر الأثقل من الرصاص عناصر نشطة إشعاعيا وانها تتحول حقيقة بالانحلال تدريجيا الى عناصر

خفيفة . الا أنه في أغلب الحالات يتم هذا الانحلال التلقائي ببطء شديد حتى أنه لا يمكن ملاحظته . وهكذا نجد في بعض الذرات المألوفة مثل اليود والزرنيق والرصاص أن الذرة قد تنحل مرة أو مرتين في عدة قرون وهو معدل ببطء جدا الى درجة استحالة تسجيله ولو باستخدام أشد أجهزة الفيزياء حساسية . ولا يكون الميل الى الانحلال شديدا بحيث يمكن ملاحظة النشاط الإشعاعي التلقائي الا في أثقل العناصر (١٢) . كما أن معدلات التحول النسبية تتحكم في الأسلوب الذي تنحل به النواة غير المستقرة . لذا فان نواة اليورانيوم على سبيل المثال يمكن أن تنحل بعدة طرق مختلفة ، فهي قد تنقسم تلقائيا الى جزأين متساويين أو ثلاثة أجزاء متساوية أو عدة أجزاء مختلفة في الحجم ، ومع ذلك فان أسهل طرق انقسامها هو الانقسام الى جسيم ألفا والجزء الثقيل الباقي منها وهذا هو الشكل المعتاد حدوثه . وقد لوحظ أن انحلال نواة ذرة اليورانيوم تلقائيا الى نصفين يحدث بمعدل أقل مليون مرة من الانحلال الى جسيم ألفا والجزء المتبقى من النواة . وهكذا بينما تنحل عشرة آلاف نواة من جرام يورانيوم واحد في كل ثانية باطلاق كل منها لجسيم ألفا ، علينا أن ننتظر عدة دقائق لكي نرى عملية انحلال تلقائي تنقسم فيها نواة الذرة الى نصفين متساويين !

وقد قضت ظاهرة النشاط الإشعاعي على أي شك فيما يختص بتعدد البناء النووي ومهدت الطريق امام تجارب التحولات النووية الاصطناعية بالحث (أو التنشيط) . ثم ظهر تساؤل جديد وهو : اذا كانت نواة العناصر الثقيلة ولا سيما غير المستقر منها تنحل من تلقاء نفسها ألا يمكن لنا أن نحدث انقساما في أنوية العناصر المستقرة الأخرى بضرها بمقدوف نووي سريع بقوة كافية ؟



(شكل رقم ٦٧)

كيف يمكن احداث اول انقسام في الذرة .

وأخذا بهذه الفكرة قرر « رذرفود » اخضاع أنوية عناصر مستقرة عادية لقفذ كثيف بأجزاء نووية (جسيمات ألفا) الناتجة عن الانحلال

(١٢) في اليورانيوم مثلا يكون الانحلال بمعدل آلاف الذرات في الثانية لكل جرام .

التنفائي لانونية بعض العناصر النشطة اشعاعيا فاستخدم في تجربته الاولى للتحويل النووي عام ١٩١٩ جهازا تراه في شكل (٦٧) وهو في غاية البساطة بالنسبة للجهاز العملاق المستخدم في تحطيم الذرة في المعامل الفيزيائية حاليا . ويتكون الجهاز من وعاء اسطواني مفرغ به نافذة دقيقة مصنوعة من الفلورسنت (ج) وتعمل كشاشة ، أما مصدر القذائف (ألفا) فكان طبقة رقيقة من مادة نشطة اشعاعيا مترسبة على الصفيحة المعدنية (أ) وأما العنصر المقذوف وقد كان الألومنيوم في هذه التجربة فكان عبارة عن الفتيلة الدقيقة (ب) الموضوع على مسافة معينة من مصدر القذف . ووضعت هذه الفتيلة ، بحيث تستقر كل جسيمات ألفا الساقطة عليها فيها بمجرد وصولها .

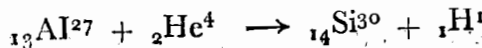
وبذلك يستحيل أن تضيء الشاشة وستظل مظلمة مالم تقع تحت تأثير شظايا نووية تنبعث من المادة المستهدفة نتيجة القذف .

وبعد تركيب الجهاز نظر « رذرفورد » الى الشاشة من وراء الميكروسكوب ، فرأى شيئا لا يحتمل اللبس أو الخطأ مهما كانت الظلمة ، اذ توهجت الشاشة بعشرات الآلاف من الشرر اللامع على سطحها بأكملها هنا وهناك ! ولم يكن هذا الشرر الا تأثير البروتونات على مادة الشاشة ، وكان كل بروتون بمثابة « شظية » انطلقت من ذرة ألومنيوم في مادة الهدف نتيجة سقوط ألفا عليه . وهكذا أصبحت امكانية حدوث تحول نووي اصطناعي حقيقة علمية راسخة بعد أن كانت نظرية (١٣) .

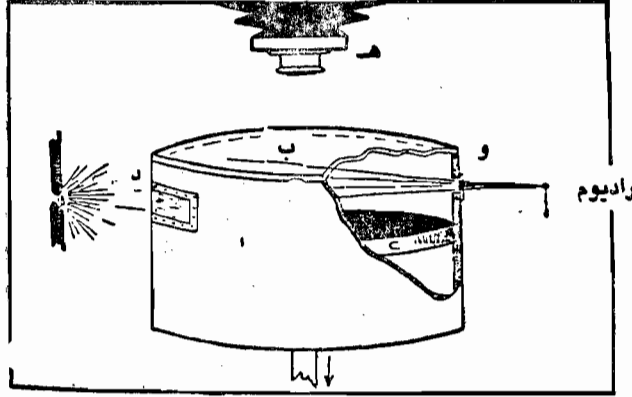
وعلى مر العقود التي تلت تجربة « رذرفورد » الكلاسيكية أصبح علم التحول الاصطناعي للعناصر من أكبر وأهم أفرع الفيزياء وحدث تطور هائل في وسائل اطلاق القذائف السريعة بهدف القذف النووي وكذا وسائل مشاهدة النتائج التي يتحصلون عليها .

ويعرف الجهاز الذي يسمح لنا بأكبر قدر من المشاهدة بالعين لما يحدث عند اصطدام قذيفة نووية بالنواة بالغرفة الغيمية (أو غرفة « ويلسون » بعد اختراعها) . وترى في شكل (٦٨) رسما ايضا حيا لها . ويعتمد تشغيلها على أن الجسيمات السريعة المشحونة كجسيمات ألفا ، تؤدي وهي في طريقها في الهواء أو أي غاز آخر الى نوع من التشويه في الذرات التي تعترض سبيلها . فتتزعزق القذائف بفعل مجالاتها الكهربائية القوية ألكترونات أو أكثر من ذرات الغاز التي تصادفها في الطريق تاركة وراءها عددا من

(١٣) يمكن التعبير عن هذه العملية بالصيغة .



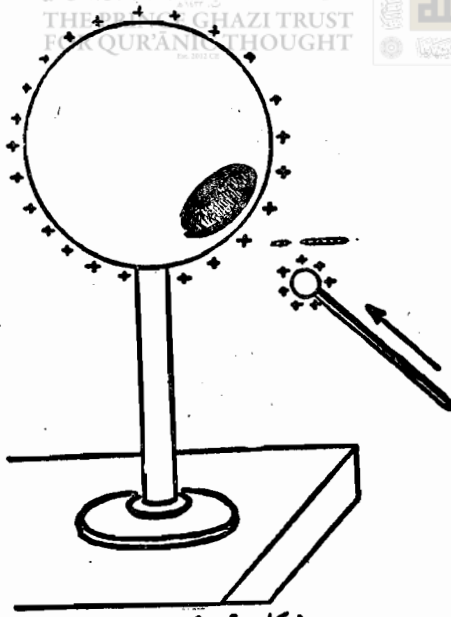
الذرات المتأينة • ولا تستمر هذه الحالة لفترة طويلة إذ أنه بعد مرور القذائف سرعان ما تسترد هذه الذرات المتأينة إلكتروناتها وتعود الى حالتها العادية • ولكن اذا كان الغاز الذى يحدث فيه هذا التأين مشبعا ببخار الماء ، فان قطيرات صغيرة من الماء تتكون على كل أيون - فمن خواص بخار الماء أنه يميل الى التراكم على الأيونات وجزيئات الغبار وما الى ذلك ، بحيث تتكون أخيرا حزمة دقيقة من الضباب على امتداد مسار القذائف • وبعبارة أخرى يصبح خط سير أى جسيم مشحون فى غاز مرئيا تماما كمسار الدخان المنبعث من الطائرة •



(شكل رقم ٦٨)

صورة لغرفة « ويلسون » الغيمية •

وتعتبر « الغرفة الغيمية » من وجهة النظر الفنية جهازا غاية فى البساطة يتكون أساسا من اسطوانة معدنية (أ) لها غطاء زجاجى (ب) وبها مكبس (ج) يمكن تحريكه الى أعلى والى أسفل باستخدام جهاز لا يظهر فى الشكل • ويملأ الفراغ بين الغطاء الزجاجى العادى وسطح المكبس بالهواء الجوى العادى (أو أى غاز آخر) ، ويحتوى الهواء على كمية كبيرة من بخار الماء • فاذا انجذب المكبس فجأة الى أسفل عقب دخول القذائف الذرية الى الحجرة مباشرة من خلال النافذة (هـ) انخفضت درجة حرارة الهواء فوق المكبس وبدأ بخار الماء فى التكثف على شكل هذه الحزم الضبابية التى يضيئها نور قوى يدخل من النافذة الجانبية (د) وسوف تظهر الحزم بوضوح أمام خلفية من سطح المكبس الأسود ويمكن رؤيتها أو تصويرها فوتوغرافيا باستخدام الكاميرا (و) التى تعمل أنوماتيا مع حركة المكبس • ويسمح لنا هذا الجهاز البسيط وهو أحد أكثر الأجهزة توفرا فى الفيزياء الحديثة بالحصول على صور جميلة لنتائج القذف النووى •



(شكل رقم ٦٩)

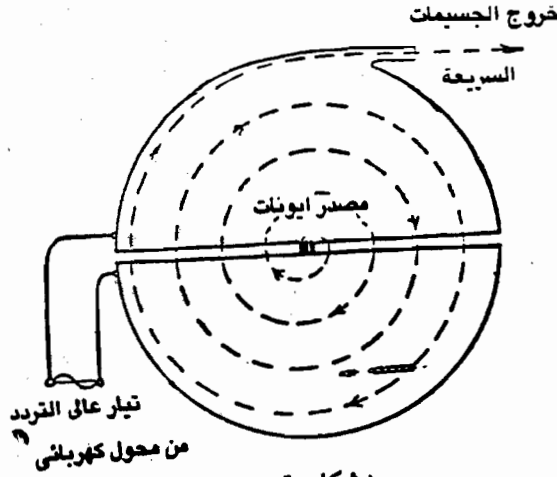
مبدأ عمل المولد الالكتروستاتي

من المعروف في الفيزياء الأولية أن الشحنة عندما تتصل بموصل معدني كروي تتوزع على سطحه . لذا نستطيع أن نشحن هذا الموصل بفرق جهد عال نتحكم فيه ، وذلك عن طريق ادخال شحنات صغيرة الواحدة بعد الأخرى الى جوف هذا الموصل بادخال موصل صغير الشحنة عن طريق فتحة مصنوعة في الكرة ولمس سطح الكرة من الداخل وعمليا يستخدم الدارس بالفضل حزاما متصلا يدخل الى الموصل الكروي حاملا شحنات كهربية خارجة من معول كهربى .

وقد كان من الطبيعي كذلك أن تظهر الرغبة في ابتكار وسائل يمكن من خلالها انتاج قوى من القذائف الذرية ، وذلك ببساطة عن طريق تعجيل الجسيمات المشحونة المختلفة (الأيونات) في مجال كهربى قوى . وتوفر هذه الأدوات علينا استخدام عناصر مشعة ومكلفة ، بل وتسمح لنا باستخدام أنماط مختلفة من القذائف الذرية (كالبروتونات) والحصول على طاقات حركية أعلى من الطاقات التي يوفرها الانحلال الإشعاعى العادى . ومن بين أهم أدوات انتاج الأشعة الكثيفة المكونة من قذائف ذرية سريعة المولد الالكتروستاتي و « السيكلوترون » و « المعجل الطولى » وتجد وصفا موجزا لوظيفة كل منهم فى الأشكال ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ على التوالى .

وباستخدام الأنواع السابق الإشارة إليها من المعجلات الالكترونية

لانتاج أشعة قوية من القذائف الذرية المختلفة ، وتوجيه هذه الأشعة في اتجاه أهداف مصنوعة من مواد مختلفة ، يمكن الحصول على عدد كبير من التحولات النووية التي يمكن دراستها بسهولة باستخدام صور « الغرف الوميمة » .



(شكل رقم ٧٠)

مبدأ عمل السيكلوترون

يتكون السيكلوترون أساسا من علبتين شبه اسطوانيتين موضوعتين في مجال مغناطيسي قوى (عمودي على مستوى الرسم) ، وتصل العلبتان بمحول كهربائي ويتم شحنهما بشحنات موجبة وسالبة بالتبادل . وتتحرك الايونات الخارجة من المصدر الأيوني في المركز في مدارات اسطوانية معجلة وذلك عند مرورها من علبة الى اخرى كل مرة . وكلما ازدادت السرعة كلما تحركت الأيونات في مدار حلزوني مفتوح ثم تخرج أخيرا بسرعة عالية جدا .

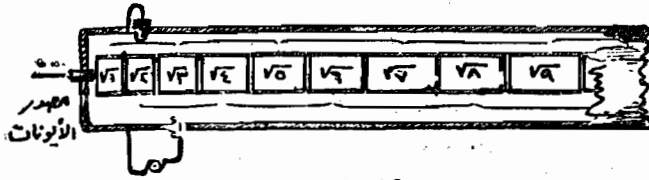
وقد حصل « بلاكت » على أول صورة من هذه النوعية في جامعة كامبريدج وكانت تمثل شعاعا من جسيمات ألفا المارة عبر حجرة ممتلئة بغاز النيتروجين (١٤) . وقد بينت هذه الصورة أساسا أن للمسارات طول محدد لأن الجسيمات تفقد طاقتها الحركية بالتدريج أثناء اختراقها للوسط الغازي ثم تتوقف عن الحركة في النهاية . وقد كان هناك مجموعتان متميزتان في طول المسار ممثلتان لمجموعتين من جسيمات ألفا مختلفتين في طاقة المصدر (خليط من عنصرين تنطلق منهما جسيمات ألفا وهما ${}^4\text{He}$ ، ${}^7\text{Li}$ ويمكن للمرء أن يلاحظ أن مسارات ألفا التي

(١٤) يمثل التفاعل الكيميائي المسجل على صورة بلاكت في المعادلة الآتية :



بداية بلانهاية - ١٧٧

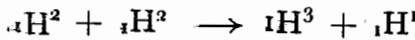
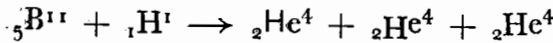
تبدو مستقيمة بصفة عامة وتظهر انحرافا محمدا قبل النهاية ، حيث تفقد الجسيمات أغلب طاقتها الأصلية وتصبح عرضة للانحراف بسهولة نتيجة للصدام غير المباشر بأنوية ذرات النيتروجين التي تعترض طريقها . ولكن أهم ملامح هذه الصورة يكمن في مسار معين لجسيم ألفا الذي يتفرع بشكل مميز الى فرعين أحدهما طويل ودقيق والآخر قصير وسميك وقد كان ذلك نتيجة الاصطدام القوي بين جسيم ألفا الساقط ونواة إحدى ذرات النيتروجين في الغرفة . ويمثل الخط الدقيق الطويل مسار بروتون مطرود من نواة النيتروجين تحت تأثير قوة الاصطدام ، بينما يعبر المسار القصير السميك عن النواة التي تنزاح جانبا عند الصدام . ويثير عدم وجود مسار معبر عن جسيم ألفا الساقط الى أن هذا الجسيم قد التحم بالنواة وأصبح يتحرك معها . وعندما يصطدم شعاع من البروتونات السريعة الخارجة من فتحة معجل مع طبقة من البورون موضوعة في مقابل الفتحة ، فإنه يبعث بشظايا نووية تتطاير في كافة الاتجاهات في الهواء المحيط وتظهر مسارات الشظايا ثلاثية دائما ، ذلك لأن اصطدام نواة البورون ببروتون يؤدي الى انقسامها الى ثلاثة أجزاء متساوية (١٥) ويكون مسار البروتون هو أطول المسارات المرئية عند حدوث اصطدام بين ديوترونات سريعة (الديوترون هو نواة الهيدروجين الثقيل المكونة من بروتون ونيوترون) بديوترونات أخرى في مادة الهدف (١٦) (نواة ${}^1_1\text{H}$ ، في حين تكون المسارات



(شكل رقم ٧١)

المجمل الخطى : يتكون الجهاز من عدد من الاسطوانات ذات اطوال متزايدة ويتم سحنها بواسطة محول كهربى بشحنات موجبة وسالبة على التوالي . وعند مرور الأيونات من اسطوانة الى أخرى تزيد سرعتها بالتدريج نتيجة لفرق الجهد الموجود وبذلك تزداد طاقتها كل مرة بدرجة معينة . وحيث ان السرعة تتناسب مع الجذر التربيعى للطاقة ، فان الأيونات تظل متفقة الطور مع المجال المتبادل ، اذا كان طول الاسطوانات متناسبا مع الجذور التربيعية بالأرقام الصحيحة . وبناء نظام كاف في طوله من هذا النوع يمكن تعجيل الأيونات لى سرعة مطلوبة .

(١٥) معادلة التفاعل هي :



(١٦) معادلة التفاعل هي :

الأقصر هي مسارات أنوية الهيدروجين الثلاثي الثقيل المعروف بالتريترون tritron ولا يمكن لأى صورة للغرفة الغيمية أن تكتمل دون وجود تفاعل نووى تدخل فيه النيوترونات التى تعتبر هى والبروتونات المكونات الأساسية لبنية جميع الأنوية .

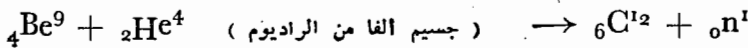
ومن غير المجدى اطلاقا أن نبحث عن مسارات النيوترون فى صور الغرفة الغيمية حيث انه فى غياب الشحنات الكهربائية تمر هذه « الحمول السوداء ذات الطبيعة النووية » من المادة دون حدوث تأين من أى نوع . ولكن عندما ترى الدخان المنبعث من بندقية الصياد ، والطائر الساقط من السماء تعرف أن رصاصة قد أطلقت حتى دون أن تراها . وبالمثل عند النظر الى صورة الغرفة الغيمية التى تظهر فيها نواة النيتروجين وقد انقسمت الى هليوم وبورون ، لن تستطيع الا أن تخمن أن النواة قد أطلقت عليها قذيفة ما بقوة . والحقيقة أنك حتى تحصل على مثل هذه الصورة عليك أن تضع عند الجدار الأيسر للغرفة الغيمية خليطا من الراديوم والبريليوم وهو خليط معروف كمصدر للنيوترونات السريعة (١٧) .

ويمكن تحديد الحط المستقيم الذى كان النيوترون يتحرك فيه عبر الغرفة فى الحال ، وذلك بتوصيل نقطة مصدر النيوترون بالنقطة التى يحدث فيها انقسام ذرة النيتروجين .

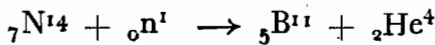
ان عملية انقسام نواة اليورانيوم تظهر شظيتين من شظايا الانقسام المتطايرتين فى اتجاهين عكسيين من رقيقة معدنية من الألومنيوم تدعم طبقة اليورانيوم المستهدفة بالقذائف . ولا يظهر النيوترون الذى تسبب فى الانشطار فى الصورة ولا النيوترون الناتج عنه بالطبع ، ونستطيع أن نمضى بلا نهاية فى وصف أنماط التحولات النووية الممكن الحصول عليها عن طريق القذف النووى بقذائف معجلة كهربيا ، ولكن الوقت قد حان الآن لمناقشة سؤال أكثر أهمية يتعلق بكفاءة مثل هذا القذف . وعلينا أن نتذكر أننا لكى نحول (١) جرام من البورون تماما الى الهليوم ينبغي أن نحصد انقساما فى كل ذرة من الذرات الموجودة فى البورون وعددها 5×10^{23} . وينتج أقوى معجل كهربى حديثا حوالى 10^{10} قذيفة فى الثانية ، لذا حتى لو كانت كل قذيفة ستحدث انشطارا فى احدى أنوية

(١٧) يمكن كتابة العمليات التى تحدث هنا بلغة الكيمياء كالتالى :

(أ) انتاج النيوترون :



(ب) تأثير النيوترون على نواة النيتروجين :



البورون ينبغي علينا تشغيل الآلة لمدة ٥٥ مليون ثانية أو حوالى عامين
 لانتهاء هذه المهمة .

THE PRINCE GHAZI TRUST
 FOR QUR'ANIC THOUGHT

والحق أن تأثير القذائف النووية المشحونة الناتجة عن آلة معجلة
 أقل من ذلك بكثير ، وعادة لا يمكن الا لقذيفة واحدة من بين عدة آلاف
 القذائف أن تحدث انقساما فى المادة المقذوفة . ويكمن تفسير هذه الفعالية
 الضعيفة جدا للقذف فى أن نواة الذرة تكون محاطة بأغلفة من الالكترونات
 تؤدى الى ابطاء سرعة القذائف النووية المشحونة التى تتحرك بينها . وحيث
 ان المساحة التى يحتلها الغلاف النووى أكبر بكثير جدا من المساحة التى
 تحتها النواة كما أننا لا نستطيع بالطبع أن نوجه قذائف ذرية مباشرة
 على النواة ، اذن لابد لكل قذيفة أن تخترق العديد من الأغلفة الذرية قبل
 أن تتاح لها فرصة توجيه ضربة مباشرة لاحدى الأنوية . ويعبر شكل
 (٧٢) عن هذه العملية حيث تظهر النواة فيه على شكل كتلة من الكرات
 السوداء ، وتمبر المساحة المظلمة عن الأغلفة الالكترونية . والنسبة بين
 قطر النواة وقطر الذرة حوالى ١ : ١٠.٠٠٠ فالقذف يستهدف اذن

من الذرة ومن ناحية أخرى نحن نعرف أن الجسيم

١٠٠.٠٠٠.٠٠٠

المشحون المار من غلاف الكترونى فى ذرة يفقد حوالى ٠.١٪ من طاقته ،
 ولذا فهو يتوقف تماما بعد مروره من حوالى ١٠.٠٠٠ جسيم ذرى . ومن
 السهل أن نرى من الأرقام السابقة أن حوالى جسيم واحد من كل ١٠.٠٠٠
 جسيم فقط سوف تتاح له الفرصة للاصطدام بالنواة قبل أن يستنفد
 طاقته الابتدائية تماما فى الأغلفة الذرية . وبأخذ هذه الكفاءة المنخفضة
 للقذائف المشحونة على توجيه ضربات مدمرة لنواة المادة المستهدفة فى
 الاعتبار ، نجد أننا لكى نحول جراما من البورون تحويلا كاملا ينبغي أن
 نضبعة فى طريق شعاع لجهاز حديث لتعطيم الذرة لمدة لا تقل عن
 ٢٠.٠٠٠ عاما ! .



(شكل رقم ٧٢)

ان كلمة « النوويات » تعتبر من الكلمات القاصرة للغاية ، ولكنها مثل الكثير من الكلمات التي لا تزال تحتفظ بمكان في الاستخدام العملي ولا حيلة في ذلك . وكما يستخدم مصطلح « الالكترونيايات » لوصف المعارف في مجال التطبيق العملي المتسع على أشعة الالكترونات الحرة ينبغي أن نفهم من مصطلح « النوويات » أن المقصود به التطبيق العملي الواسع المجال للطاقة النووية المتحررة . وقد رأينا في الأجزاء السابقة أن أنوية العناصر الكيميائية المختلفة (عدا الفضة) مشحونة بكميات هائلة من الطاقة الداخلية التي يمكن اطلاقها عن طريق عملية الاندماج النووي في حالة العناصر الخفيفة ، والانشطار النووي في حالة العناصر الثقيلة . وقد رأينا أيضا أن أسلوب القذف النووي بالجسيمات المشحونة المعجلة صناعيا ، على الرغم من أهميته للدراسة النظرية للتحويلات النووية المختلفة لا يعول عليه في الاستخدام العملي وذلك لضعف كفاءته الشديد .

وحيث ان سبب نقص كفاءة القذائف النووية مثل جسيمات ألفا ، والبروتونات وهلم جره . . . يكمن أساسا في شحنتها الكهربائية التي تؤدي الى فقدانها للطاقة أثناء المرور من الأجسام الذرية ، ومنعها من الاقتراب بما يكفي من النواة المشحونة في المادة المستهدفة للقذف ، فلا بد أن نتوقع أننا نستطيع الحصول على نتائج أفضل بكثير باستخدام قذائف غير مشحونة ، وتوجيه ضربات الى أنوية الذرات المختلفة باستخدام النيوترونات . ومع ذلك فهنا تكمن الصعوبة ! فالنيوترونات لا توجد بمفردها في الطبيعة بسبب قدرتها على اختراق البناء النووي دون صعوبة تذكر ، وعندما يطرد نيوترون الى خارج النواة بطريقة اصطناعية نتيجة لتوجيه قذيفة ما اليها (مثل نيوترون من نواة بربليوم تتعرض للقذف بأشعة ألفا) فسرعان ما تقتنصه نواة أخرى .

ولذا حتى نتمكن من انتاج شعاع قوى من النيوترونات بغرض القذف النووي علينا أن نخلي أحد العناصر من جميع نيوتروناته . وهنا نعود مرة أخرى الى انخفاض كفاءة القذائف المشحونة التي يجب استخدامها في هذا الغرض .

ومع ذلك فهناك مخرج من هذه الحلقة المفرغة ، اذا استطعنا طرد النيوترونات باستخدام نيوترونات أخرى ، على أن يكون ذلك بحيث نجعل كل نيوترون يولد عدة نيوترونات(*)، عندئذ سوف تتضاعف هذه الجسيمات

(*) او حتى اكثر من نيوترون .

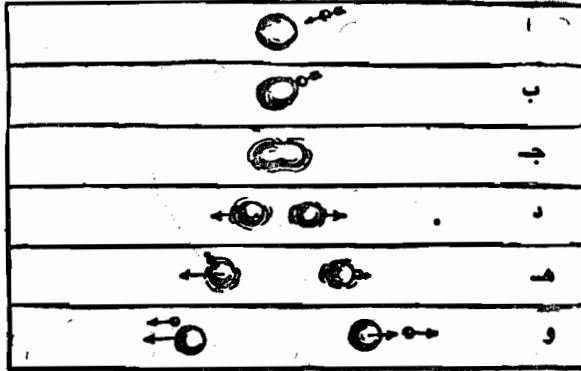
كالأرانب (انظر شكل ٩٧) ، أو البكتريا في تسليج مصاب ، كما أن النيوترونات الناتجة سوف يزداد عددها بدرجة تكفيها لمهاجمة جميع الأنوية في كتلة ضخمة من المادة .

ان الازدهار العظيم لعلم الفيزياء النووية ، هذا الذي خرج بالفيزياء من برجها العاجي حيث كانت عاكفة على دراسة أهم خواص المادة الى دوامة صاخبة من عناوين الصحف البراقة ، قد أشبعل الجدل السياسي . ويرجع التطور الهائل في التصنيع والعلوم العسكرية الى اكتشاف تفاعل نووي معين يؤدي الى جعل تضاعف النيوترون أمرا ممكنا . وكل قارئ للمصحف يعلم أن الطاقة النووية ، أو الطاقة الذرية كما يطلقون عليها يمكن الحصول عليها من خلال عملية انشطار نواة اليورانيوم التي اكتشفها « هان » و « شتراسمان » في أواخر عام ١٩٣٨ .

ولكن من الخطأ الاعتقاد أن الانشطار في حد ذاته وهو انقسام نواة عنصر ثقيل الى جزأين متساويين هو السبب في ذلك التفاعل النووي المستمر . والواقع أن الشظيتين النوويتين الناتجتين عن الانشطار تحملان شحنتا كهربية ثقيلة (حوالى نصف شحنة نواة اليورانيوم لكل منهما) ، وهذا يمنع كلا منهما من الاقتراب من أى نواة أخرى . لذا فان فقدان هاتين الشظيتين لشحنتيهما الأوليتين في الأغلفة الالكترونية للذرات المجاورة يجعلهما تبطآن تدريجيا الى أن تقفا دون احداث أى انشطار آخر . ان ما يجعل الانشطار على هذه الدرجة من الأهمية بالنسبة لاحداث تفاعل نووي ذاتي ، هو الاكتشاف الذي مؤداه أن قبل سكون هاتين الشظيتين تخرج من كل منهما نيوترون (شكل ٧٣) .

وهذا الأثر الغريب اللاحق للانقسام يعزى الى أن النصفين الناتجين عن انشطار نواة ثقيلة يبدأ خروجهما الى الوجود في حالة تذبذب عنيف مثلها في ذلك مثل قطعتين من زنبرك مكسور . وهذه الذبذبات التي تعجز عن احداث انشطار نووي ثانوي (في كل من الشظيتين الى جزأين) تكون مع ذلك من القوة بحيث تؤدي الى انفصال وحدات بنائية معينة من النواة . وعندما نقول أن كل شظية تطرد نيوترونا واحدا فانما نقصد بذلك الناحية الاحصائية وحسب ، ففي بعض الحالات قد تطرد الشظية « نيوترونين » أو أكثر . وقد لا تطرد شيئا في حالات أخرى . ويتوقف متوسط عدد النيوترونات المنطلقة من شظية منقسمة على كثافة الذبذبات فيها بالطبع ، وهو ما تحدده الطاقة الكلية المتحررة في عملية الانقسام من ناحية أخرى . وحيث ان الطاقة المتحررة في الانقسام تتزايد ، كما رأينا من قبل ، مع تزايد وزن النواة المنقسمة فمن المتوقع أن متوسط عدد النيوترونات للشظيات المنقسمة يتزايد أيضا في النظام الدوري تصاعديا ،

لذا فان انقسام نواة الذهب الذي يتطلب طاقة عالية جدا لبدء الانقسام سوف يعطى قدرا من النيوترونات اقل بكثير من نيوترون واحد لكل شظية ، كما أن انقسام اليورانيوم يعطى متوسطا قدره حوالي نيوترون لكل شظية (حوالي نيوترونين في الانقسام) فى حين أن انقسام العناصر الأثقل (كالبلوتونيوم مثلا) يكون متوسط عدد النيوترونات المتحررة عن كل شظية نتيجة له أكبر من (١) نيوترون .



(شكل رقم ٧٣)

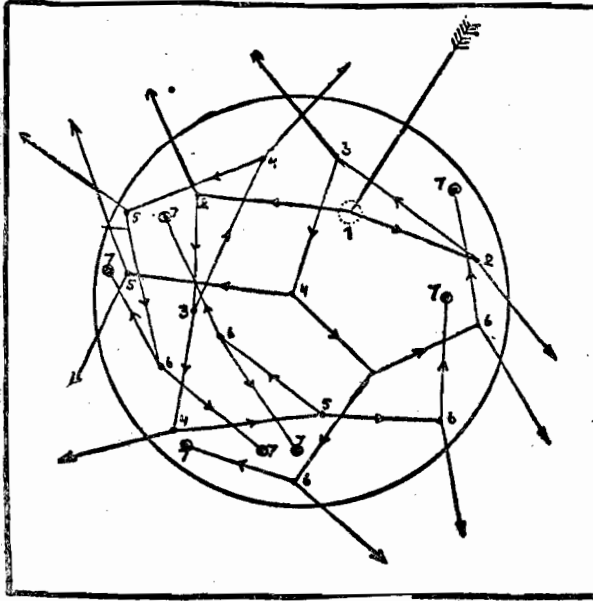
المراحل المتتابعة لعملية الانقسام

وحتى نوفر الظروف للتوالد المستمر للنيوترونات من الواضح أنه من كل مائة نيوترون يدخلون مادة مثلا لابد وأن نحصل على أكثر من مائة نيوترون من الجيل الثانى . وامكانية تحقيق هذا الشرط تعتمد على الكفاءة النسبية للنيوترونات فى احداث انقسام لنوع ما من الأنوية والحصول على العدد المتوسط من النيوترونات الجديدة بعد تحقيق هذا الانقسام . وينبغى أن نتذكر أنه على الرغم من الكفاءة العالية للنيوترونات كقذائف ، برغم تفوقها الشديد على الجسيمات المشحونة ، الا أن قدرتها على احداث الانقسام ليست مائة فى المائة . والواقع أنه من الممكن دائما أن يتخلى النيوترون على السرعة للنواة عن جزء من طاقته الحركية بعد دخولها ، ثم يهرب بما تبقى له من طاقة ، وفى هذه الحالات سوف تتوزع الطاقة بين عدة أنوية بحيث يكون نصيب كل منها غير كاف لاجداث الانشطار .

ونستطيع أن نستنتج من النظرية العامة لبنية النواة أن كفاءة الانشطار بالنيوترونات تتناسب طرديا مع الوزن الذرى للعنصر المستهدف ، وتكاد تصل الى ١٠٠٪ بالنسبة للعناصر القريبة من آخر الجمول السورى .

ويمكننا الآن اعطاء مثالين رقميين على الظروف المناسبة وغير المناسبة لتولد النيوترونات :

(أ) افترض أن لدينا عنصرا تبلغ كفاءة النيوترونات السريعة على احداث الانشطار فيه ٣٥٪ وعدد النيوترونات الناتجة عن الانشطار فيه ١٦٦ (١٨) ٠ وفي هذه الحالة يتسبب ١٠٠ نيوترون أصلي في احداث ٣٥ انشطارا وتوليد $١٦٦ \times ٣٥ = ٥٦$ نيوترونا من الجيل الثاني .
ومن الواضح في هذه الحالة أن عدد النيوترونات سينخفض بسرعة مع الوقت ، حيث ان كل جيل سيقل بمقدار النصف عن الجيل السابق عليه .



(شكل رقم ٧٤)

سلسلة تفاعلات نووية في قطع كروي من مادة قابلة للانشطار نتيجة لنيوترون ضال . وعلى الرغم من فقدان العديد من النيوترونات بعبورها للسطح الا ان عدد النيوترونات في الأجيال المتعاقبة يتزايد مما يؤدي الى انفجار .

(ب) وافترض الآن أننا قد أخذنا عنصرا أثقل تكون كفاءة النيوترونات على احداث انشطار فيه ٦٥٪ ومتوسط عدد النيوترونات الناتجة عن انشطاره ٢٢٢ ٠ في هذه الحالة سيتسبب ١٠٠ نيوترون أصلي في ٦٥

(١٨) تم اختيار هذه الأرقام بهدف اعطاء المثال فقط وهي لا تمثل أي عنصر حقيقي ما .

انشطارا وتوليد $2 \times 22 = 143$. ومع كل جيل جديد يزيد عدد النيوترونات بنسبة قدرها ٥٠٪ . وفي خلال وقت قصير سيكون العدد كافيا لحدوث انشطار في جميع أنوية العينة . ونحن هنا نتحدث عن سلسلة التفاعلات النووية المستمرة وتسمى المواد الحاضعة لهذا التفاعل **المواد القابلة للانشطار** .

وتفيد الدراسات النظرية والتجريبية الدقيقة في معرفة شروط حدوث سلسلة التفاعلات المتفرعة المستمرة وقد استنتج منها أنه من بين جميع الأنوية الموجودة في الطبيعة لا يوجد الا نوع واحد منها فقط يمكن أن تحدث فيه هذه التفاعلات طبيعيا ، وهو نواة نظير اليورانيوم المشع ^{235}U أو يو ٢٣٥ ، وهي المادة الوحيدة القابلة للانشطار بصورة طبيعية .

ومع ذلك فإن ^{235}U لا يوجد في الطبيعة على صورته النقية ، ويوجد دائما مخففا جدا بالنظائر الأثقل غير القابلة للانشطار من ^{238}U (٧ في المائة من ^{235}U ، و ٩٩٫٣ في المائة من ^{238}U) الأمر الذي من شأنه أن يعوق حدوث سلسلة التفاعلات في اليورانيوم الطبيعي ، تماما كما يؤدي وجود الماء في الحطب الى منع احتراقه . والواقع أن هذا التخفيف بالنظائر غير النشطة هو السبب الوحيد الذي يجعل ^{235}U موجودا في الطبيعة ، حيث انه لولا ذلك لكان هذا اليورانيوم قد اندثر منذ فترة طويلة نتيجة لسلاسل التفاعلات المتفرعة التي تتم فيه . لذا فحتى يمكن استخدام طاقة ^{235}U لابد للمرء من أن يفصل هذه الأنوية عن أنوية ^{238}U الأثقل ، أو أن يبتكر وسيلة لمعادلة الأثر المعوق لهذه الأنوية دون التخلص منها بالفعل . وقد استخدمت كلتا الطريقتين في مشكلة تحرير الطاقة الذرية ولاقت كل منهما نجاحا . وسوف نناقش هذا بإيجاز بعد قليل حيث ان المشكلات الفنية من هذا النوع لا تدخل في اطار هذا الكتاب (١٩) .

ان عملية الفصل المباشرة لنظيري اليورانيوم تمثل مشكلة تقنية بالغة الصعوبة ، حيث ان الفصل لا يمكن أن يتم باستخدام الوسائل المعتادة في الكيمياء الصناعية بسبب تطابق النظيرين في خواصهما الكيميائية . والفارق الوحيد بين هذين النوعين من الذرات يكمن في كتلتيهما فاحدهما أثقل من الأخرى بـ ١٫٣ في المائة . وهذا يوحي بأن

(١٩) لمزيد من التفاصيل نحيل القارئ الى كتاب « شرح الذرة » تأليف « سبنج هيك » والذي صدرت اول طبعاته عن « فايكنج برس » عام ١٩٤٧ وتوجد طبعة جديدة منقحة ومضلة للبروفيسور « ايوجين رابين فيتش » في سلسلة « كومباس » الشعبية .

الفصل يعتمد على عمليات مثل الانتشار ، والطرْد المركزي أو انحراف الأشعة المتأينة في المجالات المغناطيسية والكهربائية حيث تلعب كتلة الذرات المنفصلة دورا أساسيا . وقد عرضنا في شكل ٧٥ (أ ، ب) رسما تخطيطيا لعمليتي الفصل الأساسيتين مع وصف موجز لكل منهما .

وعيب هذه الوسائل بصفة عامة يكمن في أن عملية الفصل لا يمكن إنجازها في خطوة واحدة بسبب الفارق الضئيل بين كتلتى نظيرى اليورانيوم ، ولذا فالأمر يتطلب إعادة عددا كبيرا من المرات بحيث يحتوى الناتج على عدد أكبر من النظائر الخفيفة وعلى أية حال يمكن لعدد معقول من مرات الإعادة أن يمدنا بعينة نقية من U-235



(شكل رقم ٧٥)

(أ) فصل النظائر عن طريق الانتشار حيث يضغط الغاز المحتوى على النظيرين في الجزء الأيسر من الحجرة وينتشر عبر الجدار الذى يفصله عن الجزء الآخر بحيث أن الجزيئات الخفيفة أسرع انتشارا فان الجزء الذى على اليمين يصبح مزودا باليورانيوم ٢٣٥ .

(ب) فصل النظائر باستخدام الأسلوب المغناطيسى . ويرسل فيه الشعاع عبر مجال مغناطيسى قوى ، حيث تنحرف الجزيئات المحتوية على نظير اليورانيوم الأخرى بدرجة أكبر . وحيث أن الحصول على كثافة جيدة يتطلب استعمال فتحات واسعة ، فان الشعاعين (يورانيوم ٢٣٥ ، يورانيوم ٢٣٨) يتداخلان جزئيا وبالتالي نحصل على فصل جزئى فحسب .

وهناك طريقة أكفأ بكثير فى إجراء سلسلة تفاعلات اليورانيوم حيث يتم اضعاف الأثر الموق للنظائر الأثقل صناعيا باستخدام ما يعرف بـ « ملطف النيوترونات » Moderator . وحتى يتسنى لنا فهم هذه الطريقة ينبغى أن نتذكر أن التأثير السالب لنظائر اليورانيوم الثقيلة يكمن أساسا فى امتصاص نسبة مئوية كبيرة من النيوترونات المنتجة عند انشطار U-235 ، وبالتالي يوقف امكانية سير سلسلة التفاعلات المستمرة لذا ، فاذا استطعنا أن نفعل شيئا لمنع U-238 من اختطاف النيوترونات

قبل أن تتاح لها فرصة الالتقاء مع نواة U-235 وهو الأمر الذى يؤدي الى انشطارها فان المشكلة تكون قد حلت . وتبدو مهمة مع أنوية U-238 (وهى أكثر عددا من أنوية U-235 ١٤٠ مرة) من الاستيلاء على نصيب الأسد فى النيوترونات ، مسألة مستحيلة تماما لأول وهلة ومع ذلك فان مما يساعدنا على هذا أن قدرة النيوترون (الاسـتـيـلـائـية) فى نظيرى اليورانيوم تختلف وفقا لسرعة حركة النيوترون .

فبالنسبة للنيوترونات السريعة التحرر من النواة المنقسمة تكون قدرات الاستيلاء فى النظيرين واحدة ، ومن ثم يستولى U-238 على ١٤٠ نيوترون مقابل كل نيوترون يستولى عليه U-235 . أما النيوترونات متوسطة السرعة فيعتبر نواة U-238 قناصا أمهر من نواة U-235 . ومع ذلك ، وهو المهم ، فان نواة U-235 أكفأ بكثير فى اقتناص النيوترونات البطيئة جدا . وهكذا اذا استطعنا خفض سرعة نيوترونات الانشطار بحيث تقل سرعتها الأصلية الى حد كبير قبل أن تواجه أول نواة يورانيوم (٢٣٨ أو ٢٣٥) فى طريقها فان أنوية U-235 رغم كونها أقلية تكون فرصتها أكبر من نواة U-238 فى الاستيلاء على النيوترونات .

ويمكن تحقيق هذا الابطاء المطلوب بتوزيع عدد كبير من قطع اليورانيوم الصغيرة فى مادة معينة (مهدى النيوترونات) مما يؤدي الى خفض سرعة النيوترونات دون فقدان الكثير منها . وأفضل المواد المستعملة لهذا الغرض : الماء الثقيل ، والكربون ، وأملاح البريليوم وترى فى شكل (٧٦) صورة تخطيطية لكيفية عمل هذا المفاعل الذرى من حبيبات اليورانيوم الموزعة داخل مادة ملطفة للنيوترونات (٢٠) وكما أشرنا سابقا تعتبر نظائر اليورانيوم U-235 (وهى تمثل ٧ فى المائة فقط من اليورانيوم الطبيعى) هى النوع الوحيد الموجود من الأنوية القابلة للانشطار التى تسمح بحدوث سلسلة التفاعلات المستمرة ، ومن ثم فهى تؤدي الى تحرير الطاقة النووية على نطاق واسع .

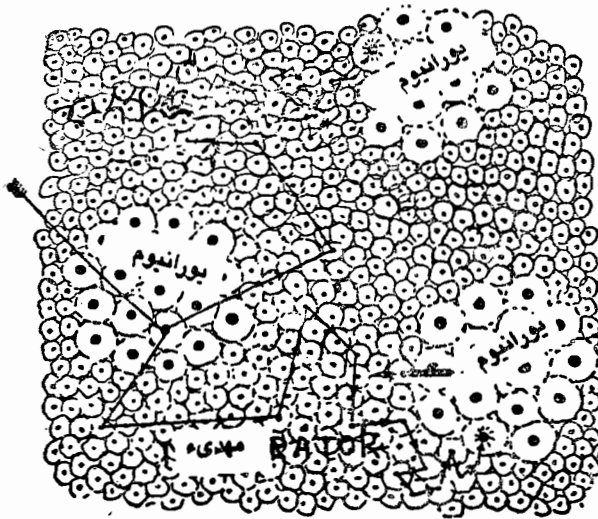
ومع ذلك فهذا لا يعنى أننا عاجزون عن الحصول **صناعيا** على أنوية أخرى تتوافر لها نفس خواص U-235 ولا توجد فى الطبيعة . فالواقع أن استخدام الكميات الكبيرة من النيوترون الناشئة عن سلسلة التفاعلات المستمرة فى عنصر قابل للانشطار يمكننا من تحويل الأنوية غير القابلة للانشطار أصلا الى أنوية قابلة للانشطار .

وقد سبقت الإشارة الى أول الأمثلة على هذا النوع فى « المفاعل »

(٢٠) لمزيد من التفاصيل عن مفاعلات اليورانيوم نحيل القارىء ثانية الى الكتب المتخصصة فى الطاقة الذرية .

الذرى ، حيث يتم استخدام اليورانيوم الطبيعى مختلطا بالمادة المملطة •
 ولقد رأينا أنه باستخدام المملط يمكننا أن نلطف من قدرة U-238
 على أسر النيوترونات الى الحد الذى يسمح ببدء واستمرار سلسلة تفاعلات
 مستمرة بين أنوية U-235 . ومع ذلك فان بعض النيوترونات لاتزال
 عرضة للاستيلاء عليها بواسطة U-238 والى أين يقودنا هذا ؟

ان النتيجة المباشرة لأسر النيوترون فى U-238 هى بالطبع
 نظير اليورانيوم الأثقل U-239 ومع ذلك فقد وجد أن هذه الأنوية الناشئة
 لا تعمر لفترة طويلة ، وبإطلاقها لالكترينين واحدا بعد الآخر تتحول هذه
 النواة الى عنصر كيميائى جديد رقمه الذرى ٩٤ . وهذا العنصر الاصطناعى
 الجديد والمعروف بالبلوتونيوم (PU-239) أكثر قابلية للانشطار حتى من
 U 235 وإذا اسبندلنا ب U-238 عنصرا طبيعيا نشطا هو الثوريوم
 (Th 232) فان نتيجة الاستيلاء على النيوترون وانطلاق الكترينين بعد ذلك
 سوف يؤدى الى الحصول على عنصر اصطناعى آخر قابل للانشطار
 وهو U-233



(شكل رقم ٧٦)

ان هذا الرسم الذى يقترب الى حد ما من الرسوم البيولوجية يمشل كتل
 اليورانيوم (الذرات الكبيرة) الكامنة فى مادة مملطة (الذرات الصغيرة) •
 ويدخل نيوترونان ناشئان عن انشطار نواة يورانيوم فى الكتلة اليسرى الى
 المملط ، وتنخفض سرعتهما تدريجيا عبر سلسلة من الاصطدامات مع الأنوية
 وعندما يصل هذان النيوترونان الى كتل يورانيوم أخرى تنخفض سرعتهما الى
 حد كبير ويقعان فى أسر نواة U-235 ، وهى أكبر كفاءة بكثير فى اقتناص
 النيوترونات البطيئة عن انوية U-238

وهكذا فانه بالبدء بالعنصر الطبيعي القابل للانشطار U-235
واجراء التفاعل فى دورات يمكننا ، سيما من حيث المبدأ ، أن نحول الامداد
الكلى باليورانيوم الطبيعى والثوريوم الى نواتج قابلة للانشطار يمكن
استخدامها كمصادر مكثفة للطاقة النووية .

وسوف نختتم هذا الجزء بتقدير تقريبي لاجمالى الطاقة المتاحة للتنمية
السلمية ، أو التدمير العسكرى الذاتى مستقبلا فقد قدر أن اجمالى
U-235 الموجود فى المناجم المعروفة حاليا لهذا الخام قد يوفر قدرا من
الطاقة النووية يكفى للوفاء بمتطلبات الصناعة العالمية (بعد تحويلها
بالكامل الى طاقة نووية) لبضعة أعوام . ومع ذلك اذا وضعنا فى الحسبان
امكانية استخدام U-238 بعد تحويله الى بلوتونيوم ، فان التقدير
الزمنى يقفز الى بضعة قرون . وبالتحول الى مناجم الثوريوم (بتحويله
الى ^{232}Th وهى أوفر بأربع أضعاف من اليورانيوم نجد أن هذا التقدير
يمتد الى أبعد بكثير ويصل الى ألفى عام على الأقل ، وهى فترة كافية لجعل
كل مشاعر القلق من « أزمة الطاقة الذرية فى المستقبل » أمرا لا مبرر
له .

ومع ذلك فاذا تم استخدام كافة مصادر اليورانيوم والثوريوم ولم
تكتشف مناجم أخرى جديدة ، فان الأجيال القادمة سوف تستطيع الحصول
على طاقة نووية من الصخور العادية . والواقع أن اليورانيوم والثوريوم
مثلها مثل جميع العناصر الكيميائية توجدان عمليا بكميات ضئيلة فى
أى مادة عادية . ولذا فان صخرة الجرانيت العادية تحتوى على ٤ جرام
من اليورانيوم و ١٢ جراما من الثوريوم لكل طن . وتبدو هذه الكميات
لأول وهلة ضئيلة جدا ولكن هيا نجرى بعض العمليات الحسابية :

نحن نعلم أن كل كيلوجرام من المواد القابلة للانشطار يحتوى على
طاقة تساوى طاقة ٢٠٠٠٠ طن من مادة تى.ان.تى عند الانفجار (كما فى
القنبلة الذرية) ، أو حوالى ٢٠٠٠٠ طن من الجازولين عند استخدامه
كوقود . ولذا فان ١٦ جراما من اليورانيوم والثوريوم وهى الكمية الموجودة
فى طن من الجرانيت تعادل ٢٢٠ طنا من الوقود العادى اذا تحولت الى
مادة قابلة للانشطار . ويكفى هذا ليبرر جميع جهود الفصل المعقدة -
ولا سيما اذا وجدنا أن مناجم الفحم الغنية توشك على النفاذ .

وبالتغلب على مشكلة تحرير الطاقة من أنوية العناصر الثقيلة
كاليورانيوم ، اتجه الفيزيائيون اتجاها عكسيا الى عملية الاندماج النووى
المعروفة ، حيث تندمج نواتا عنصرين خفيفين لتكوين نواة أثقل محررة
بذلك كما كبيرا من الطاقة أيضا . وكما سنرى فى الفصل الحادى عشر
أن شمسنا تستمد طاقتها من عملية الاندماج حيث تتحد أنوية الهيدروجين

العادية لتعطي في النهاية نواة الهيليوم الأثقل ، نتيجة للاصطدامات الحرارية العنيفة داخل الشمس . ويعتبر الهيدروجين الثقيل (الديوتيريوم) أفضل العناصر لتغذية عمليات التضاعف المستمر للتفاعلات النووية الحرارية للأغراض الانسانية . وتحتوى نواة الديوتيريوم وتسمى « بالديوترون » على بروتون واحد ونيوترون واحد ، وعند اصطدام ديوترونين يحدث أحد التفاعلين الآتيين :

● ديوترونان ← هيليوم - ٣ + نيوترون

● ديوترونان ← هيدروجين - ٣ + بروتون

ويتم هذا التحول في درجات حرارة تصل الى مئات الملايين .

وتعتبر القنبلة الهيدروجينية أول اختراع بنى على الاندماج النووي. وفيها يتم تحفيز تفاعل الديوتيريوم بانفجار قنبلة انشطار . ومن المشكلات الأعمد من ذلك بكثير : **التفاعل النووي الحرارى القابل للتحكم** ، وهو اذا تم يوفر كميات هائلة من الطاقة للأغراض السلمية .

ويمكن التغلب على المشكلة الرئيسية - وهي محاصرة الغاز الرهيب السخونة - باستخدام مجالات مغناطيسية قوية تمنع الديوترونات من لمس جدران الحاويات (الأوعية) وحصرها في جزء مركزى ملتهب (ولولا ذلك لانصهرت جدران الأوعية وتبخرت) .

الفصل الثامن

قانون الفوضى

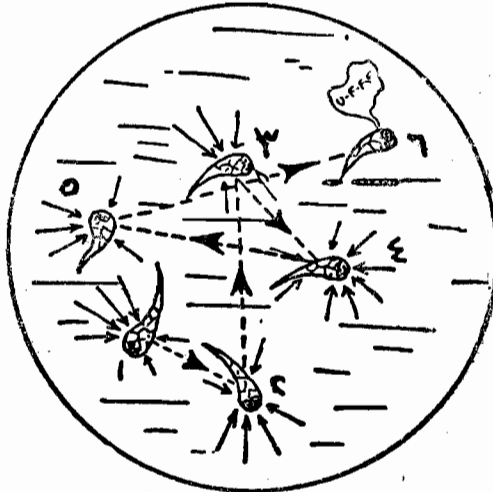
١ - الفوضى الحرارية :

عندما تصب كوبا من الماء وتنظر اليه ، سوف ترى سائلا رائقا متجانسا لا أثر فيه لأي جسم غريب أو حركة من أي نوع (بشرط عدم هز الكوب طبعا) . ومع ذلك فنحن نعرف أن تجانس الماء ليس الا أمرا ظاهريا ، فعند تكبير هذا السائل ملايين المرات سوف نرى بناءا من الحبيبات الواضحة تماما يتمثل في عدد هائل من الجزيئات المنفصلة المحتشدة معا .

ويتضح تحت نفس التكبير أن الماء ليس ساكنا اطلاقا ، وأن جزيئاته في حالة حركة صاخبة تمضي في كل مكان متدافعة كما لو كانت جمهورا من البشر يتدافع في الزحام . وتسمى هذه الحركة غير المنتظمة لجزيئات الماء ، أو جزيئات أي عنصر آخر بالحرارة أو الحركة الحرارية ، والسبب يرجع ببساطة الى أن هذه الحركة مسئولة عن ظاهرة الحرارة . وذلك لأنه على الرغم من أن حركة الجزيئات فضلا عن الجزيئات نفسها لا ترى بالعين المجردة ، فإن هذه الحركة هي التي تصنع توترا معيننا في الألياف العصبية لأجهزة الانسان وتخلق لديه هذا الاحساس الذي يسمى بالحرارة . وتؤثر الحركة الحرارية على الأنظمة الحية الأصغر (مثل البكتيريا المعلقة في قطرة ماء) تأثيرا أشد من تأثيرها على الانسان . اذ تركل الجزيئات الغاضبة هذه المخلوقات الضعيفة وتدفعها ، وتدور بها ، وتهاجمها دون أن تترك لها مجالا حتى لالتقاط الأنفاس (شكل ٧٧) . وتعرف هذه الظاهرة العجيبة

باسم « الحركة البراونية » وقد سميت بهذا الاسم تخليدا لعالم النباتات الانجليزى « روبرت براون » الذى كان أول من لاحظها منذ أكثر من قرن من الزمان عند دراسته لبذرة نبات صغير . وهى ظاهرة عامة تلاحظ عند دراسة أى نوع من الجزيئات المعلقة فى سائل بشرط أن تكون صغيرة الى حد كاف ، أو أى جزيئات ميكروسكوبية فى الدخان أو الغبار السابح فى الجو ، فإذا سخنا السائل تزداد الرقصات الصاخبة للجزيئات المعلقة فيه عنفا ، وعند تبريده تقل كثافة الحركة الى حد ملحوظ . وهذا لا يدع مجالاً للشك فى أننا نشاهد أثر الحركة الحرارية التى تحدث فى الماء ، وأن ما نسميه عادة « حرارة » ليس أكثر من قياس لدرجة العنف فى حركة الجزيئات . وقد وجد عند دراسة العلاقة بين الحركة البراونية والحرارة أنه عند درجة (- ٢٧٣) مئوية أو (- ٤٥٩) فهرنهايت تتوقف حركة الماء وتهدأ الجزيئات تماما . ومن الواضح أن هذه هى أقل درجة حرارة ولهذا عرفت باسم « الصفر المطلق » .

ومن السخف أن نتحدث بعد ذلك عن درجات الحرارة الأقل فيديهي لأنه لا توجد حركة أبداً من الاسترخاء التام ! .



(شكل رقم ٧٧)

لثلاثة أماكن متعاقبة لخلية بكتيرية تدور تحت تأثير الجزيئات (هذا صحيح ليزيليا ولكنه غير صحيح تماما بكتريولوجيا) .

وبالاقتراب من الصفر تصبح طاقة جزيئات أى عنصر ضئيلة جدا الى درجة أن قوى التماسك بينها تربطها معا فى كتلة واحدة ، وقصارى

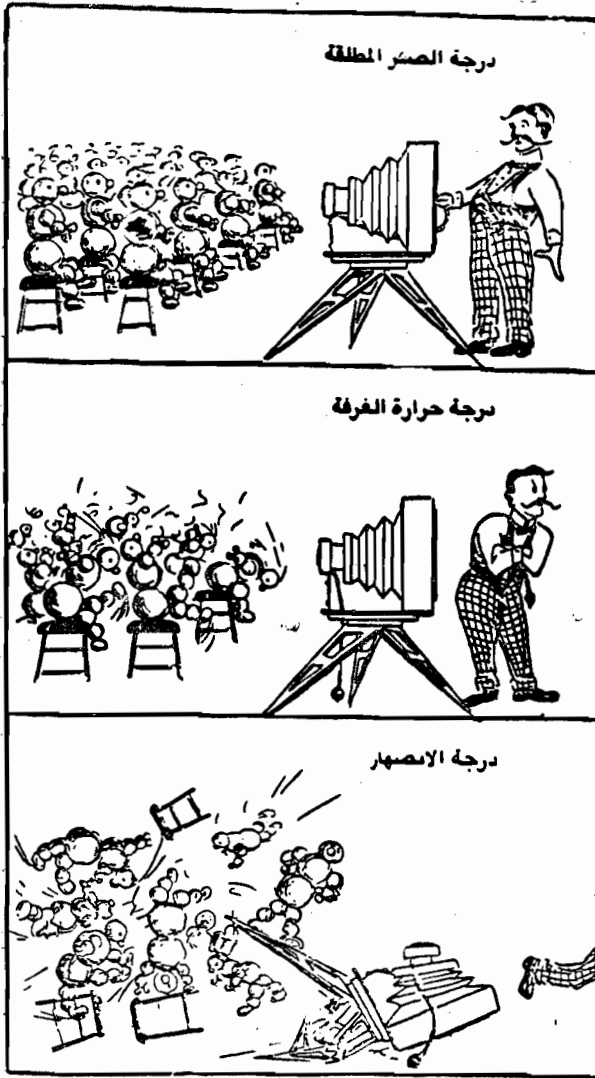
ما يمكن لهذه الجزيئات أن تفعله أن تهتز قليلا في حالة التجمد وعندما ترتفع الحرارة تزداد كثافة الحركة ، وفي مرحلة معينة تكتسب هذه الجزيئات حرية ما في الحركة وتستطيع الانزلاق على بعضها .

وتختفي صلابة التجمد ليتحول العنصر أو المادة الى سائل . وتتوقف الحرارة التي يبدأ عندها الانصهار على شدة قوى التماسك بين الجزيئات . ففي الهيدروجين ، أو خليط النيتروجين والأكسجين مثلا (الهواء الجوى) يكون التماسك بين الجزيئات ضعيفا جدا . وتنكسر حالة التجمد بالصخب الحرارى عند درجات حرارة أقل نسبيا . ولذا فان الهيدروجين لا يوجد في حالة تجمد الا عند درجات الحرارة الأقل من ١٤ درجة مطلقة (*) (أى أقل من (- ٢٥٩) فهرنهايت) ، وينصهر الاكسجين والنيتروجين الصلب عند درجة ٥٥ مطلقة ، و ٦٤ مطلقة على الترتيب (أى - ٢١٨ مئوية ، و - ٢٠٩ مئوية) . وفي المواد الأخرى تزداد قوى تماسك الجزيئات وتبقى على حالتها الصلبة حتى درجات الحرارة العالية ، لذا فان الكحول النقي يظل متجمدا حتى - ١٣٠ درجة مئوية في حين أن الماء المتجمد (الثلج) لا ينصهر الا عند درجة الصفر المئوى . وتبقى مواد أخرى على صلابتها حتى درجات حرارة أعلى . فقطعة الرصاص لا تنصهر الا عند درجة ٢٣٧ مئوية ، والحديد عند ١٥٣٥ مئوية والمعدن النادر المعروف بالأزيموم يبقى على صلابته حتى درجة حرارة ٢٧٠٠ مئوية . وعلى الرغم من أن الجزيئات تظل مقيدة بأماكنها في الحالة الصلبة للمواد ، فان هذا لا يعنى اطلاقا أنها لا تتأثر بالتهيج الحرارى . فالواقع أنه وفقا لقانون الحركة الحرارية الأساسى تكون كمية الطاقة لكل جزيء واحدة في كل العناصر ، صلبة كانت أم سائلة أم غازية مهما كانت الحرارة . والفارق الوحيد هنا أنه بينما تكون الطاقة كافية في بعض الحالات لانتزاع الجزيئات من أماكنها الثابتة ودفعها الى القيام بحركة دائرية فانها في حالات أخرى لا تكفى الا لهزها في أماكنها تماما كالكلاب الهائجة المقيدة بالسلاسل .

ويمكن ملاحظة هذه الهزة أو الذبذبة في جزيئات جسم صلب بسهولة في صور أشعة اكس التي ناقشناها في الفصل السابق وقد وجد في الحقيقة أن التقاط صور الجزيئات في نسق بلورى يتطلب وقتا طويلا ، ومن ثم فانها تتحرك من مواقعها لا محالة أثناء التصوير . وهذا الاهتزاز

(*) وينصهر عند نفس الدرجة (المترجم) .

المستمر حول موقع معين لا يساعد جودة التصوير ، ولكنه يؤدي الى طمس الصورة نوعا ما . فحتى نحصل على صورة دقيقة لابد من تبريد البلورات لأقصى درجة ممكنة .



(شكل رقم ٧٨)

ويمكن أن نعمل ذلك أحيانا بتغطيتها في الهواء السائل . ومن جهة أخرى اذا حدث ، وقام شخص بتدفئة البلورات التي سيتم تصويرها

تزداد الصورة انطاماسا أكثر وأكثر ، وعند درجة الانصهار تختفى الجزئيات تماما ، إذ أنها تترك مواقعها وتبدأ في حركة عشوائية في المادة .

وبعد انصهار المادة الصلبة تظل الجزئيات متحدة ، حيث ان التهييج الحرارى وان كان قويا الى درجة تحريكها من مواقعها المحددة في النسق البلورى ، الا أنه يظل يظل غير كاف لفصلها عن بعضها تماما . ولكن عند درجات الحرارة الأعلى تعجز قوى التماسك عن الربط بين الجزئيات ولذا تتطاير بعيدا في جميع الاتجاهات مالم تمنعها الجدران المحيطة بها من ذلك ، وعند ذلك تتحول المادة طبعا الى الحالة الغازية وكما في انصهار الأجسام الصلبة يحدث التبخر عند درجات حرارة تختلف باختلاف المادة ، فتتحول المواد التى تكون قوى التماسك فيها ضعيفة الى بخار عند درجات حرارة أقل من المواد ذات التماسك الأقوى . وفي هذه الحالة تعتمد العملية بصفة أساسية على الضغط الواقع على السائل لأن الضغط الخارجى يساعد قوى التماسك بوضوح في عملها . ولهذا يغلي الماء كما نعرف جميعا في الاناء المغلق باحكام عند درجة حرارة أقل منه في الاناء المكشوف . ومن جهة أخرى يغلي الماء على قمم الجبال عند درجة أقل من ١٠٠ درجة مئوية حيث يكون الضغط الجوى أضعف بكثير منه على الأرض . وتجدر الاشارة هنا الى أن المرء يستطيع من درجة غليان الماء أن يحسب الضغط الجوى ومن ثم ارتفاع المكان الذى يوجد فيه عن سطح البحر .

ولكن لا تحاول أن تفعل ما فعله « مارك توين » (*) الذى حاول كما قال أن يضع بارومترا معدنيا في غلاية حساء البازلاء ، فهذا لن يعطيك أى فكرة عن مستوى الارتفاع بالاضافة الى أن أكسيد النحاس سيفسد مذاق الحساء .

وتتناسب درجة حرارة الانصهار لعنصر ما مع درجة غليانه تناسبيا طرديا لذا فان الهيدروجين السائل يغلي عند درجة (- ٢٥٣) مئوية ، والاكسجين السائل عند درجة (- ١٨٣) مئوية ، والنتروجين السائل عند درجة (- ١٩٦) مئوية ، والكحول عند درجة (٧٨) مئوية والرصاص عند (١٦٢٠) مئوية ، والحديد عند درجة (٣٠٠٠) مئوية أما الأوزميوم فلا يغلي الا عند درجات أعلى من ٥٣٠٠ درجة مئوية (١) .

ويتسبب انحلال البناء البلورى الجميل للأجسام الصلبة في دفع الجزئيات أولا لأن تسبيح حول بعضها وكأنها حشد من الديدان ، ثم تطير متباعدة كما لو كانت سربا من الطيور المذعورة . على أن هذه الظاهرة

The Prince and

(*) روائى أمريكى وكاتب ساخر من أشهر رواياته

the Pauper توفي عام ١٩١٠ .

(١) القيم المذكورة تصح فقط في الضغط الجوى العادى .

لا تزال قاصرة عن التعبير عن الأثر المدمر من زيادة الحركة الحرارية . وعندما ترتفع درجة الحرارة عن ذلك يشكل هذا تهديدا لوجود الجزيئات نفسها حيث ان العنف المضطرد في الصدام بين الجزيئات يصبح قادرا على تفتيتها الى ذرات منفصلة . وهذا التفكك الحرارى كما يسمونه يعتمد على القوة النسبية للجزيئات المتعرضة له . فتتحلل جزيئات بعض المواد العضوية الى ذرات ، أو مجموعات ذرية منفصلة عند درجات تصل فى انخفاضها الى بضع مئات من الدرجات . على أن موادا أخرى أقوى فى بنائها مثل الماء يستلزم تدميرها ارتفاع درجة الحرارة الى أكثر من ألف . فاذا وصلت الحرارة الى عدة آلاف من الدرجات ، فانها لا تبقى على أى جزىء وتحول المادة الى خليط غازى من العناصر الكيميائية .

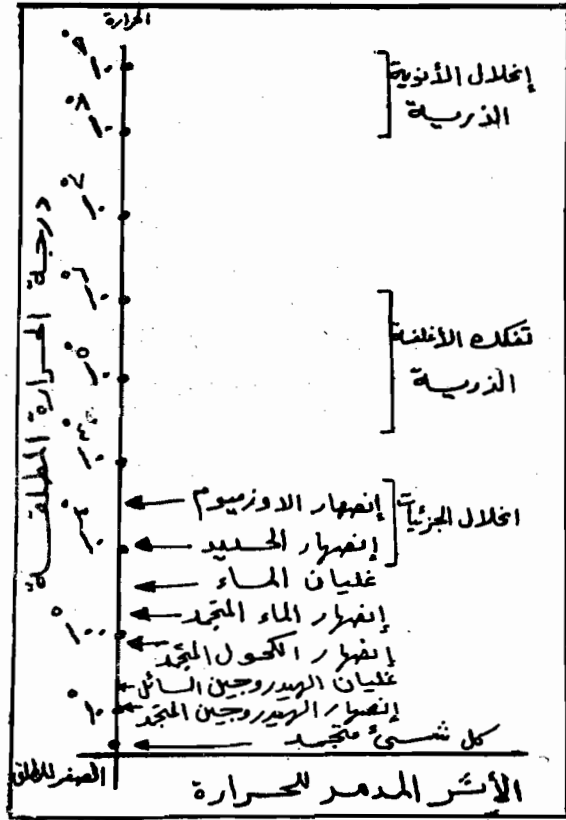
وهذه هى حالة سطح الشمس حيث تصل الحرارة الى ٦٠٠٠ درجة مئوية . وتبقى الجزيئات كما هى فى بعض « النجوم الحمراء » التى تقل حرارتها نسبيا (٢) . وهى حقيقة أثبتها التحليل الطيفى مفادها أن العنف الناتج عن الصدمات الحرارية فى درجات الحرارة المرتفعة لا يفكك الجزيئات الى مكوناتها الأساسية فحسب ولكنه يدمر هذه الذرات نفسها ، بطرد الكتروناتها الخارجية . ويزداد هذا التآين الحرارى فعالية بارتفاع درجة الحرارة الى عشرات ومئات الآلاف من الدرجات ثم وصولها الى عدة ملايين فوق الصفر . وعند هذه الدرجات الرهيبة من الحرارة ، التى تعلق على أى درجة يمكن الوصول اليها فى المعامل على الرغم من شيوعتها داخل النجوم ولا سيما باطن الشمس - تفنى الذرات ، وتتمزق المدارات الالكترونية ، وتصبح المادة خليطا من الأنوية والالكترونات الحرة التى تتدافع بعنف عبر الفضاء وتصطدم ببعضها بقوة رهيبة .

ومع ذلك فعلى الرغم من التدمير التام للأجسام الذرية تظل المادة محتفظة بخواصها الكيميائية الأساسية طالما كانت النواة على حالها لا تمس . واذا انخفضت درجة الحرارة تستعيد الأنوية الكتروناتها ويعود تكامل الذرة الى سابق عهده .

وحتى يمكن حدوث التفكك الحرارى التام للمادة ، أى انحلال الأنوية نفسها الى نويات (بروتونات ونيوترونات) ، لابد من ارتفاع درجة الحرارة حتى تصل على الأقل الى بضعة ملايين من الدرجات . ولا توجد هذه الحرارة المرتفعة حتى بداخل النجوم الملتبها على الرغم من أنه يبدو أن مثل هذا الارتفاع الحرارى قد وجد بالفعل منذ بلايين السنين عندما كان كوننا لا يزال حديث العهد . ولنا عودة الى هذا السؤال المثير فى آخر فصول الكتاب .

(٢) انظر الفصل الحادى عشر .

وهكذا نرى أن أثر التهييج الحرارى هو تدمير البناء المحكم للمادة خطوة خطوة ، وهو هذا البناء الذى يعتمد على قانون الكم ، ثم يتحول من بنية رائعة الى كتلة من الجزيئات المتدافعة بعنف ، والتي تصطدم ببعضها البعض دون أى قانون أو نظام واضح .



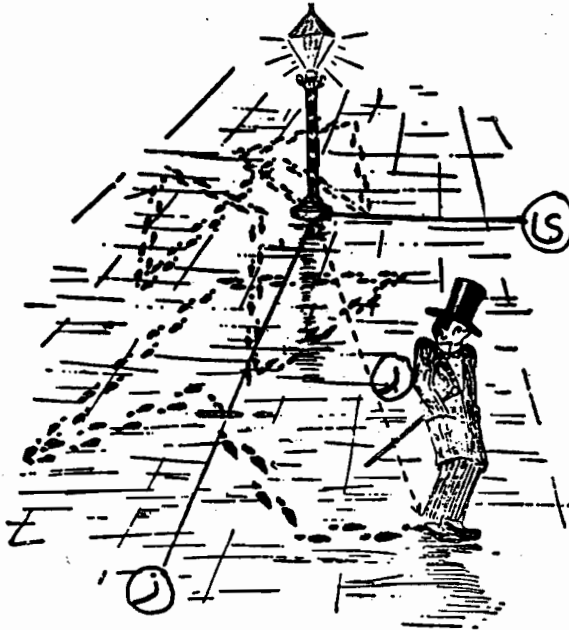
(شكل رقم ٧٩)

٢ - كيف يمكن وصف الفوضى الحركية ؟ :

انه خطأ كبير ان نعتقد أن الحركة الحرارية لا بد وأن تظل خارج نطاق أى توصيف طبيعى وذلك بسبب عدم انتظامها . والواقع أن هذه الحقيقة بعينها وهى عدم انتظام الحركة الحرارية أبدا يجعلها خاضعة لنوع جديد من القوانين ، وهو قانون الفوضى أو الأفضل أن نسميه باسمه المعروف : قانون السلوك الاحصائى .

وحتى نفهم العبارة السابقة دعونا نتأمل مسألة مشهورة وهى مشكلة « مسار السكر » . وافترض أننا نراقب سكريا قد ألقى بجسمه على عامود

انارة وسط ميدان كبير ممهد (لا نعرف كيف أو متى وصل الى هناك) .
ثم قرر السكير فجأة أن يذهب الى مكان غير محدد . ويبدأ في سيره أخذاً
بضع خطوات في اتجاه واحد ثم يضع خطوات في اتجاه آخر وهكذا
مغيراً مساره كل بضع خطوات بصورة لا يمكن التنبؤ بها
اطلاقاً (شكل ٨٠) . فكم يبعد صاحبنا عن عامود النور بعد أن
قطع فرضاً مائة مرحلة ضمن رحلته المتعرجة غير المنتظمة ؟ وربما
تعتقد لأول وهلة أن هذا السؤال لا يمكن اجابته لعدم القدرة على تحديد
كل انحراف في السير أو التنبؤ به . ولكننا بقليل من امعان النظر نجد
أن رغم استحالة التنبؤ بمكان الرجل في نهاية رحلته ، الا أننا نستطيع
الاجابة عن السؤال الخاص **بالمسافة المحتملة** بينه وبين عامود الانارة
بحساب عدد ما من مراحل السير . وحتى يمكن تناول هذه المسألة
بأسلوب رياضي بحت علينا أن نرسم محوري احدائيات أصلهما هذا
العامود : بحيث يكون المحور (ز) آت في اتجاهنا والمحور (ي) على
يميننا ، و (ر) بعد السكير عن العمود بعد اجمالي (ن) شوطاً متعرجاً
(وهي ١٤ شوطاً في شكل ٨٠) والآن اذا كان كل من (زن) و (ين)
هما اسقاطان للمرحلة ن على المحورين المقابلين ، فان نظرية فيثاغورث
يعوض عنها كالتالي :



(شكل رقم ٨٠)

مسار السكير



$$r = (z_1 + z_2 + z_3 + \dots + z_n) + (y_1 + y_2 + \dots + y_n)$$

ن ٢) حيث قيم ي ، ز سالبة وموجبة وفقا لاتجاه السير من العامود واليه في مرحلة ما من سير السكير . ولاحظ أنه مادامت حركته عشوائية تماما فسوف يكون عدد قيم ز ، ي الموجبة مساويا لقيمتها السالبة . وعند حساب القيم الترييعية للحدود بين الأقواس وفقا لقواعد الجبر الأولية ينبغي أن نضرب كل حد في الأقواس في نفسه وفي جميع الحدود الأخرى لذا فان :

$$(z_1 + z_2 + z_3 + \dots + z_n)$$

$$= (z_1 + z_2 + z_3 + \dots + z_n)(z_1 + z_2 + z_3 + \dots + z_n)$$

$$= z_1^2 + z_2^2 + z_3^2 + \dots + z_n^2 + 2z_1z_2 + 2z_1z_3 + \dots + 2z_{n-1}z_n$$

ويتضمن هذا المقدار الكبير مربع جميع قيم ز ($z_1^2, z_2^2, \dots, z_n^2$) بالإضافة الى « حاصل الضرب المختلط » $z_1z_2, z_1z_3, \dots, z_{n-1}z_n$ الخ)

وحتى هذه الخطوة نحن لا نزال في مجال الحسابات البسيطة ، والآن ننتقل الى نقطة احصائية وهي عدم انتظام سير السكير ، وحيث انه يتحرك حركة عشوائية تماما بحيث يحتمل أن تكون خطواته في اتجاه العمود أو عكس هذا الاتجاه بنفس القدر ، اذن فان القيمة ز اما سالبة أو موجبة بنسبة خمسين في المائة وبالتالي اذا نظرت في « حواصل الضرب المختلط فيحتمل دائما أن تجد أزواجا من نفس القيمة عدديا ، ولكنها مختلفة في الاشارة وبذا يلغى بعضها بعضا ، وكلما زاد عدد مراحل الطريق كلما كان احتمال التعويض أكبر . عندئذ تبقى مربعات القيم ز فالمرجع موجب دائما ، وبذلك يمكن كتابة المعادلة كالاتي :

$$z_1^2 + z_2^2 + z_3^2 + \dots + z_n^2 = z^2$$

حيث ز هي متوسط الطول لاسقاط مرحلة من خط السير المتعرج على المحور (ز) . وينطبق نفس الشيء على القوس الثاني ($y_1 + y_2 + \dots + y_n$) الذي يمكن اختزاله الى ($y_1^2 + y_2^2 + \dots + y_n^2$) حيث ي متوسط اسقاط المرحلة على المحور (ي) .

وهنا يجب أن نكرر أن ما قمنا به ليس مجرد عملية جبرية ، ولكننا نستند الى فكرة احصائية أيضا وهي : التعويض بين (حواصل الضرب المختلط) نتيجة الطبيعة العشوائية لسير السكير . ومن ثم يكون أقوى الاحتمالات لبعده عن العمود ممثلا في المقدار : $r_2 = n (z_2 + y_2)$

أو

$$r = \sqrt{n} \times \sqrt{z_2 + y_2}$$

ولما كان متوسط مسقط المرحلة على المحورين يرسم خطا مستقيما يسيل بزاوية 45° لذا فان $\sqrt{z_2 + y_2}$ هو (وهذا أيضا من نتائج نظرية فيثاغورث) يساوى ببساطة متوسط طول المرحلة ، فاذا عوضنا عنها بقيمة ولتكن (١) نحصل على :

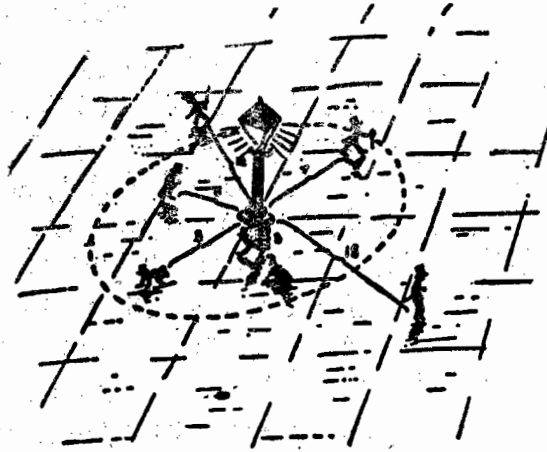
$$r = 1 \times \sqrt{n}$$

وبعبارة أوضح نقول ان هذه النتيجة معناها : ان أقوى احتمال لبعد السكير عن العمود بعد عدد كبير ما من الاستدارات العشوائية يساوى الطول المتوسط لكل المراحل المستقيمة التي يمشيها ، مضروبا في الجذر التربيعي لعدد هذه المراحل .

لذا فاذا كان الرجل يمشى في كل مرة ياردة واحدة قبل أن يستدير (بزاوية غير معروفة سلفا !) فلن يزيد بعده على أرجح تقدير عن ١٠ ياردات من عمود الانارة بعد أن يمشى مسافة مقدارها ١٠٠ ياردة . واذا لم يستدر وسار في خط مستقيم فسيبعد بمقدار مائة ياردة وهذا يوضح مدى الفائدة التي تجنيها من الاتزان في السير .

ان الطبيعة الاحصائية للمثال السابق لا تظهر الا عند الحديث عن البعد الأكثر احتمالا ، وليس البعد بالضبط في كل حالة على حده . وفي حالة فرد سكير قد يحدث ، رغم عدم احتمالية ذلك ، أن هذا السكير لا يستدير أبدا ، وان يمشى بدءا من العمود في خط مستقيم . وربما يحدث أيضا أن يستدير بمقدار 180° درجة مثلا بحيث يواجه العمود بعد كل ثائي استدارة . ولكن اذا بدأ عدد كبير من السكارى سيرهم من نفس عمود الكهرباء في مسارات متعرجة دون التداخل مع بعضهم ، ستجد بعد وقت كاف أنهم قد انتشروا على مساحة معينة حوله ، بحيث يمكن حساب بعدهم المتوسط عن العمود بتطبيق القاعدة السابقة . وتجد في شكل ٨١ مثلا على هذا الانتشار الناتج عن حركتهم غير المنتظمة ، حيث قمنا بدراسة حركة ستة سكارى سائرين . وبديهي أنه كلما زاد العدد كلما زاد عدد الاستدارات التي يقومون بها أثناء سيرهم غير المنتظم ، وكلما زادت دقة القاعدة .

والآن استبدال بالسكاري بعض الأقسام الميكروسكوبية مثل بذور النبات (أو البكتيريا المعلقة في سائل ، وسترى نفس الصورة التي رآها عالم النباتات « براون » تحت الميكروسكوب . وحقيقى أن البكتيريا أو البذور ليست سكارى ، ولكن كما أشرنا من قبل أنها تتركب في جميع الاتجاهات الممكنة بسبب الجزئيات المحيطة بها والداخلة في الحركة الحرارية ، وهى بالتالى مدفوعة الى اتباع نفس المسارات المتعرجة تماما كالسكير الذى يفقد السيطرة على حواسه تحت تأثير الكحول .



(شكل رقم ٨١)

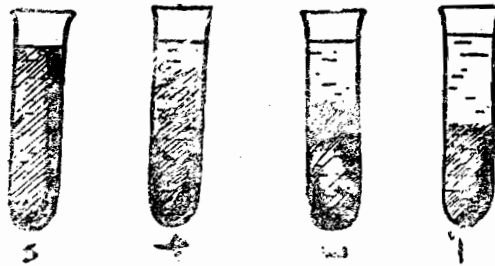
انتشار او توزيع احصائى لسته من السكارى حول عامود انارة .

واذا ما راقبت الحركة البراونية لعدد كبير من الجسيمات المعلقة في قطرة ما باستخدام الميكروسكوب ، ستركز انتباهك في مجموعة معينة منها ، وهى التى تكون فى ذلك الوقت مركزة في مساحة صغيرة معينة (قرب لاعامود الانارة) . وستلاحظ انه مع الوقت سوف يزداد انتشارها في مجال الرؤية ، وأن بعدها المتوسط عن نقطة الأصل يزيد بما يتناسب مع الجذر التربيعى للفترات الزمنية ، كما يفهم من القانون الرياضى المستخدم في حساب المسافة التى يسيرها السكير .

وينطبق نفس القانون طبعاً على كل جزئ منفصل في قطرة الماء ، بيد أنك لا تستطيع رؤية الجزئيات منفصلة عن بعضها ، وحتى ان استطعت فلن تستطيع أن تميزها عن بعضها . وحتى يمكن تمييز هذه الحركة يجب على المرء استخدام نوعين مختلفين من الجزئيات وليكن اختلافهما في اللون مثلاً . وهكذا يمكن أن نملأ نصف أنبوبة اختبار بمحلول مائى لبرمجنات

البوتاسيوم الذي يكسب الماء لونا ارجوانيا زاهيا . فاذا صببنا بعد ذلك بعض الماء النقي عليه مع مراعاة عدم الخلط بين الطبقتين ، سنشاهد أن اللون يتخلل الماء الرائق بالتدرج . فاذا انتظرت مدة كافية تجد أن كل الماء من قاع الانبوبة حتى سطحها يصبح لونه موحدا . وهذه الظاهرة مألوفة للجميع وتعرف باسم ظاهرة الانتشار ، وترجع الى الحركة الحرارية غير المنتظمة للصبغة بين جزيئات الماء . وعلينا أن ننظر كل جزيء من برمجنات البوتاسيوم باعتباره سكيلا صغيرا ينساق ذهابا وايابا تحت التأثير المستمر للجزيئات الأخرى عليه .

وحيث ان الجزيئات تحتشد بجانب بعضها بقوة في الماء (على العكس من ترتيبها في الغاز) ، فان متوسط السير الحر لكل جزيء بين كل صدامين متتاليين يكون قصيرا للغاية اذا لا يزيد عن حوالي 10^{-8} بوصة . وحيث ان الجزيئات تتحرك في درجة حرارة الغرفة بسرعة مقدارها حوالي ١٠ ميكرون في الثانية ، فانها تستغرق 10^{-12} ثانية فحسب بين كل اصطدامين . لذا فانه في فترة الثانية الواحدة يتعرض كل جزيء من الصبغة لحوالي 10^{12} اصطداما متواليا ، كما انها تغير اتجاهها نفس هذا العدد من المرات . وتكون المسافة المقطوعة أثناء الثانية الاولى 10^{-8} بوصة (طول السير الحر) مضروبة في الجذر التربيعي لـ 10^{12} . ويعطى هذا سرعة انتشار متوسطة مقدارها 10^1 بوصة/ث (*) وهو معدل بطيء نوعا بالنظر الى أنه لولا الانحرافات الناشئة عن الصدام لكان بعد نفس الجزيء ١ ميكرون ! فاذا انتظرت ١٠٠ ثانية ، سيكون الجزيء قد شق طريقه عبر مسافة تزيد على ذلك 10^3 مرات ($\sqrt{100} = 10$) ، وبعد 10000 ثانية أي حوالي ٣ ساعات ، سوف يكون الانتشار قد حمل اللون الى مسافة ابعد 10^5 مرة ($\sqrt{10000} = 100$) أي على بعد بوصة واحدة . نعم ان عملية الانتشار عملية بطيئة ، فعندما تضع قطعة من السكر في كوب الشاي ، فمن الأفضل أي قلبه بدلا من انتظار انتشار جزيئات السكر في الكوب نتيجة لحركتها .



(شكل رقم ٨٢)

(*) أي حوالي 10^3 ملم/ث تقريبا (المترجم) .

وهناك مثال آخر تقدمه لك على عملية الانتشار ، وهي احدى أهم العمليات في فيزياء الجزيئات ، فتعال نتأمل في انتشار الحرارة في سيخ حديدي أحد طرفيه موضوع في مدفأة ، وبالخبرة تعرف أن ارتفاع درجة حرارة الطرف الآخر للسيخ مما يتعذر معه الامساك به تستغرق وقتا طويلا جدا . ولكن ربما كنت لا تعلم أن الحرارة تنتقل في هذه العصا المعدنية بعملية الانتشار الالكتروني . نعم ان سيخ الحديد العادي مملوء فعلا بالالكترونات مثله مثل أى جسم معدني آخر . والفارق بين المعادن وغيرها من المواد كالزجاج مثلا ، هو أن ذرات المعادن تفقد بعض الكتروناتها الخارجية التي تنتقل بين أجزاء النسق المعدني مشاركة في حركة حرارية غير منتظمة تشبه كثيرا جزيئات أى غاز عادى .

وتحول القوى السطحية على حدود قطعة معدنية بين هذه الألكترونات وبين الانفلات (٣) ، ولكن حركتها داخل المادة تكاد تكون حرة تماما . فاذا سرت قوة الكهرباء في سلك معدني اندفعت الالكترونات الحرة مباشرة في اتجاهها مما يؤدي الى ظهور التيار الكهربى .

لكن اللافلزات ، من ناحية أخرى ، تعتبر بصفة عامة عوازل جيدة لأن جميع الكترونات تكون مقيدة الى الذرات ولهذا لا تكون لها حرية الحركة .

وعند وضع أحد طرفى الساق المعدنية فى النار ، تزداد الحركة الالكترونية للالكترونات الحرة فى هذا الجزء الى درجة كبيرة ، وتبدأ الالكترونات السريعة فى الانتشار فى المناطق الأخرى حاملة معها الطاقة الحرارية الزائدة . وتشبه هذه العملية حركة جزيئات الصبغة خلال الماء تماما فيما عدا أنه بدلا من وجود نوعين من الجسيمات (جزيئات الماء ، وجزيئات الصبغة) يكون لدينا هنا انتشار للغاز الالكتروني الساخن فى المناطق التى يشغلها الغاز الالكتروني البارد . وهنا أيضا ينطبق قانون مشى السكر من حيث ان المسافة التى تقطعها الحرارة بطول ساق معينة تتناسب طرديا مع الفترات الزمنية للانتشار .

وبانتهاء المثال الأخير على الانتشار سنتعرض الى حالة ذات أهمية كونية فى الفصول القادمة . فحرارة الشمس تتولد على أعماق بعيدة فى باطنها نتيجة تحولات كيميائية للعناصر ثم تتحرر الطاقة الحرارية على شكل اشعاع كثيف . وتبدأ « جزيئات الضوء » أو الكم الضوئى فى رحلته

(٣) عند رفع درجة حرارة سلك معدني الى درجة عالية تصبج الحركة الحرارية للالكترونات داخله أكثر عنفا وتقلت من سطح السلك . ويستفاد بهسه الظاهرة فى الصمامات الالكترونية وهى معروفة لكل هواة اللاسلكى .

طويلة من باطن الشمس حتى سطحها . ولما كان الضوء ينتقل بسرعة ٣٠٠ ٠٠٠ كم/ث ، ونصف قطر الشمس يبلغ حوالي ٧٠٠ ٠٠٠ كم فان كم الضوء لا يستغرق أكثر من ثانيتين في الخروج بشرط عدم انحرافه في السير عن الخط المستقيم . ومع ذلك فان هذا بعيد عن الواقع ، حيث يتعرض هذا الكم في سيره الى عدد لا يحصى من الصدمات مع ذرات والكترونات مادة الشمس . ويبلغ طول المسار الحر للكم الضوئي في المادة الشمسية حوالي ١ سنتيمتر (وهو أطول بكثير من المسار الحر للجزء !) وحيث ان نصف قطر الشمس يساوي 7×10^8 سم (*) ، فلا بد أن هذا الكم يقطع (7×10^8) ٢ أو 5×2110 خطوة ثملة حتى

يصل الى السطح . وحيث ان كل خطوة تستلزم وقتا قدره

$$3 \times 10^{-11}$$

أو 3×10^{-11} ثانية فان اجمالى زمن الرحلة يساوى 3×10^{-11} أو $5 \times 2110 = 105 \times 10^8$ ث ، أو حوالي ٥٠٠٠ سنة !! ومرة أخرى نرى مدى بطء عملية الانتشار . فالضوء يستغرق ٥٠ قرنا في رحلته من مركز الشمس الى سطحها ، في حين أنه بعد خروجه الى الفضاء الكوكبي ، والتحرك في خط مستقيم يغطى المسافة بين الشمس والأرض بالكامل فيما لا يزيد عن ثمان دقائق ! .

٣ - حساب الاحتمالات :

ما عملية الانتشار الا مثال تطبيقى بسيط على قانون الاحصاء الاحتمالى (بالنسبة للحركة الجزيئية) . وقبل الاستطراد فى المناقشة ، والتعرض لقانون التعادل البالغ الأهمية ، اذ يتعرض لقواعد السلوك الحرارى لجميع الأجسام المادية سواء أكانت قطيرة من سائل أم الكون النجمى العظيم - يجب أولا أن نستزيد من العلم بطرق الاحصاء الاحتمالى للأحداث البسيطة والمركبة .

ولا يزال أشهر الأمثلة على حساب الاحتمالات حتى الآن محصور فى القاء العملة . ونعلم جميعا أن فرص الحصول على أى الوجهين عند القاء العملة (دون غش) متساوية . وعادة نقول أن فرصة الحصول على الوجه أو الكتابة هى ٥٠% ، ولكن من المتعارف عليه فى الرياضيات أن نقول ان الفرص هى $\frac{1}{2}$: $\frac{1}{2}$ ، فاذا جمعنا الفرضين نحصل على $\frac{1}{2} + \frac{1}{2} = 1$.

(*) أى ٧٠٠٠ بليون متر تقريبا (المترجم) .

ان الواحد في نظرية الاحتمالات يعنى اليقين ، فالواقع أنك متأكد تماما ان لقاء العملة سيؤدي الى ظهور اما الوجه واما الكتابة مالم تتدحرج مختلفة خلف أريكة دون أن تترك أثرا .

والآن افرض أنك ألقيت بالعملة مرتين متتاليتين ، أو ألقيت عملتين في نفس الوقت ، والأمر سياتي . وسيتضح لك بسهولة أن ٤ احتمالات تظهر في شكل (٨٣) .

ففي الحالة الأولى تحصل على وجهين ، وفي الحالة الأخيرة تحصل على الكتابة مرتين ، أما الحالتين الأخريين فننتيجتهما واحدة إذ أن الترتيب غير مهم (سواء في العملتين أو في واحدة) . وهكذا تقول ان احتمال الحصول على وجهين هو واحد من ٤ أو $\frac{1}{4}$ ، وكذا احتمال الحصول على الكتابة مرتين . أما الحصول على وجه وكتابة فاحتماله ٢ من ٤ أو $\frac{2}{4}$. ومرة أخرى نحسب $\frac{1}{4} + \frac{1}{4} + \frac{2}{4} = 1$ وهكذا يعني أنك واثق من الحصول على احدي صور التباديل السابقة .



٤ تباديل ممكنة عند لقاء عملتين

والآن لنرى ما يحدث عند لقاء العملة ثلاث مرات . وهناك اجمالاً ٨ احتمالات يلخصها الجدول التالي :

ك	ك	ك	ك	و	و	و	و	الرمية الأولى :
ك	ك	و	و	ك	ك	و	و	الرمية الثانية :
ك	و	ك	و	ك	و	ك	و	الرمية الثالثة :
(٤)	(٣)	(٣)	(٢)	(٢)	(٢)	(٢)	(١)	

وبدراسة هذا الجدول تجد أن هناك فرصة واحدة للحصول على ثلاثة وجوه ، وكذا بالنسبة للحصول على كتابة ثلاث مرات ، وتنقسم الاحتمالات الباقية بالتساوي بين الوجه مرتين والكتابة مرة - والكتابة مرتين والوجه مرة ، باحتمال $\frac{1}{8}$ لكل حدث .

ثم يتسع جدول الاحتمالات بسرعة ، ولكن دعنا نكتفي بخطوة واحدة بالقاء العملة ٤ مرات ، فيكون لدينا ١٦ احتمالا :

الرمية الأولى : و و و و و و و و و و و و و و و و و
الرمية الثانية : و و و و و و و و و و و و و و و و و
الرمية الثالثة : و و و و و و و و و و و و و و و و و
الرمية الرابعة : و و و و و و و و و و و و و و و و و
٥ ٤ ٤ ٣ ٤ ٣ ٣ ٢ ٤ ٣ ٣ ٢ ٣ ٢ ٢ ١

وهنا نجد احتمالا قدره $\frac{1}{16}$ للحصول على الوجه ٤ مرات ونفس الاحتمال بالضبط للحصول على كتابة ٤ مرات . أما الحصول على الوجه ثلاث مرات والكتابة مرة أو العكس فيكون احتمالاه $\frac{1}{4}$ أو $\frac{1}{4}$ لكل منها في حين أن احتمال الحصول على الوجه والكتابة بالتساوي فيكون $\frac{1}{16}$ أو $\frac{1}{8}$.

أما إذا حاولت اجراء عدد أكبر من الرميات فسيتسع الجدول وسرعان ما تجد نفسك وقد تجاوزت الصفحة . فعند عشر رميات مثلا يكون لديك ١٠٢٤ احتمالا مختلفة (أي $2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2 \times 2$) . ولكن هذا الجدول المطول ليس ضروريا على الاطلاق ، طالما أن قانون الاحتمال البسيط يمكن ملاحظته في هذه الأمثلة البسيطة التي سردناها ثم استخدمناها مباشرة في حالات أكثر تعقيدا .

بادئ ذي بدء تری أن احتمال الحصول على وجهين يساوي حاصل ضرب احتمال الحصول عليه في الرمية الأولى ثم في الثانية حيث $\frac{1}{4} = \frac{1}{4} \times \frac{1}{4}$. وبالمثل احتمال الحصول على الوجه ثلاث أو أربع مرات متتالية هو حاصل ضرب احتمالات الحصول عليه في كل رمية على حدة $\frac{1}{8} = \frac{1}{4} \times \frac{1}{4} \times \frac{1}{4}$ ؛ $\frac{1}{16} = \frac{1}{4} \times \frac{1}{4} \times \frac{1}{4} \times \frac{1}{4}$. لهذا إذا سألك أي شخص عن فرص الحصول على وجه كل مرة في عشر رميات تستطيع ببساطة أن تضرب $\frac{1}{4} \times \frac{1}{4}$ عشر مرات . وتكون النتيجة ٠٠٠٩٨ وهذا يعني أن الاحتمال منخفض جدا في الواقع وهو حوالي ١ في الألف ! وهنا نصل الى قاعدة « ضرب الاحتمالات » والتي تنص على أنه إذا أردت علة

اشياء مختلفة ، تستطيع ان تحدد الاحتمال الرياضى للحصول عليها بضرب
الاحتمالات الرياضية لكل منها على حدة .

فاذا كانت هناك اشياء عديدة تريدها ، وكل منها ليس محتملا فى
الواقع فان فرص الحصول عليها جميعا تكون منخفضة الى درجة تثير
الاحباط !

وهناك قاعدة اخرى وهى « جمع الاحتمالات » وتنص على أنه
اذا كنت تريد شيئا واحدا من عدة اشياء (بغض النظر عن هذا الشئ)
فان الاحتمال الرياضى للحصول عليه هو مجموعة الاحتمالات الرياضية
لكل واحد منها بمفرده .

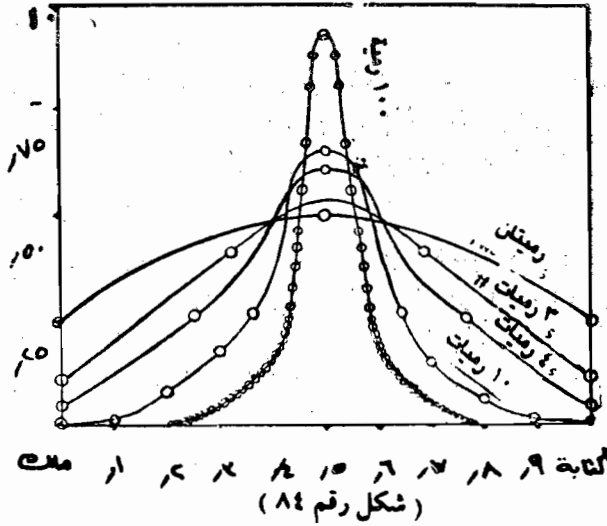
ويمكن ايضا ذلك فى مثال الحصول على تقسيم متساو بين الوجه
والكتابة عند رمى العملة . ان ما تريده الآن فعلا هو اما « الوجه أولا ،
والكتابات ثانيا » واما « الكتابات أولا ، والوجه ثانيا » . واحتمال حدوث
واحدة من التوليفتين هو $\frac{1}{4}$ أما احتمال حدوث أى منهما فهو $\frac{1}{4} + \frac{1}{4}$
أى $\frac{1}{2}$. لذا اذا أردت « هذا وهذا وهذا » فانت تضرب الاحتمالات
المفردة لكل واحد منهم . أما اذا كنت تريد « هذا أو هذا أو هذا »
فانت تجمع الاحتمالات .

وفى الحالة الأولى تتزايد فرص الحصول على كل شئ تريده مع ازدياد
عدد الاشياء المطلوبة . وفى الحالة الثانية عندما تريد شيئا من عدة اشياء
تزيد فرص الوفاء بحاجتك مع زيادة قائمة الاشياء التى سيتم الاختيار
منها .

ان تجارب رمى العملة توفر لنا مثلا جيدا لمعنى قولنا أن قوانين
الاحتمالات تصبح أكثر دقة عندما يزيد عدد المحاولات . ويضح هذا
فى شكل ٨٤ الذى يعبر عن احتمالات الحصول على عدد مختلف نسبيا
من الوجوه والكتابات لكل رميتين ، أو ثلاث ، أو أربع أو عشر ، أو مائة .
وهكذا ترى أنه مع زيادة عدد الرميات يصبح منحنى الاحتمال أكثر وأكثر
انحناء وتصبح النهاية العظمى للتوزيع النصفى أكثر وضوحا .

لذا ففى حين أن عدد ٢ أو ٣ أو حتى ٤ مرات تكون فرص الحصول
على الوجه أو الكتابة كل مرة كبيرة ، أما عند الرمي ١٠ مرات فان حتى
الحصول على ٩٠ فى المائة وجوها أو كتابات يعتبر أمرا بعيدا . وإذا
ما زاد عدد الرميات عن ذلك ، لنقل ١٠٠ أو ١٠٠٠ رمية يصبح منحنى
الاحتمال حادا جدا وكأنه ابرة وتصيب فرص الانحراف البسيط فى هذا
التوزيع النصفى عمليا ، صفر .

والآن لنستخدم قواعد الحساب البسيط ، التي تعلمناها لتونا في حساب الاحتمالات النسبية للتباديل المختلفة التي يحصل عليها اللاعب في خمسة أوراق في لعبة البوكر الشهيرة .



العدد النسبي للوجوه والكتابات

وإذا كنت لا تعرف فان كل لاعب في هذه اللعبة يتعامل في خمس أوراق ، ويحصل صاحب أقوى مجموعة على البنك . وسوف نهمل في هذا المثال التعقيدات التي تنشأ عن امكانية استبدال بعض أوراقك على أمل الحصول على خير منها ، وكذا الاستراتيجية النفسية في خداع الخصوم بإقناعهم بالتسليم عن طريق ايهامهم بأنك تحمل مجموعة من الأوراق أقوى مما تحمله فعلا . وعلى الرغم من أن الخداع هو محور هذه اللعبة عمليا حتى أنه قد أدى بالعالم الدنماركي الطبيعي « نيلز بوهر » الى اقتراح لعبة جديدة تماما لا تستعمل فيها أوراق ، ويقوم اللاعبون بخداع بعضهم ببساطة عن طريق الحديث عن المجموعات الوهمية التي معهم ، وهذا يخرج تماما عن نطاق حساب الاحتمالات ويعتمد على علم النفس البحت .

وحتى تحصل على بعض التدريب في حساب الاحتمالات ، دعنا نقوم بحساب الاحتمالات لبعض مجموعات لعبة البوكر . ومن هذه المجموعات مجموعة تسمى « الفلوش » وتكون الأوراق الخمس فيها من نفس النوع (شكل ٨٥) .

فاذا أردت أن تحصل على « فلوش » لا يهم أول ورقة تحصل عليها وعلى الفرد أن يحصى فقط فرص الحصول على أربع أوراق من نفس النوع

وتحتوى الكوتشينة على ٥٢ ورقة كل ١٣ ورقة من نفس الشكل وهكذا بعد الحصول على أول ورقة يبقى فى المجموعة ١٢ ورقة من نفس نوعها . ولذا يكون احتمال الحصول على ورقة ثانية من نفس الشكل $\frac{12}{51}$ وهكذا تكون فرص الحصول على ورقة ثالثة ورابعة وخامسة من نفس الشكل $\frac{11}{50}$ ؛ $\frac{10}{49}$ ، $\frac{9}{48}$. وحيث انك تريد خمس ورقات كلها من نفس الشكل ينبغي أن تطبق قاعدة ضرب الاحتمالات ، حيث تجد أن احتمال الحصول على الفلوش :



(شكل رقم ٨٥)

$$\frac{11880}{5997600} = \frac{9}{48} \times \frac{10}{49} \times \frac{11}{50} \times \frac{12}{51}$$

أى حوالى ١ من ٥٠٠

ولكن عفوا لا تحسب أنك ستحصل حتما على فلوش بعد ٥٠٠ ورقة فربما تحصل على لا شيء ، أو قد تحصل على فلوشين . فليس هذا الا حساب (احتمالى) وربما يحدث أن تتلقى أكثر من ٥٠٠ دورة لعب دون اكمال المجموعة المطلوبة ، وعلى العكس من ذلك قد يجتمع فى يدك الفلوش من أول خمس أوراق . وقصارى ما يمكن لنظرية الاحتمالات أن تخبرك به هو أنك قد تحصل على فلوش بعد ٥٠٠ ورقة . وقد تعلم أيضا باتباع نفس طريقة الاحصاء أنك بلعب ٣٠٠٠٠ دورة ربما تحصل على ٥ آسات (بالجوكر) حوالى عشر مرات .

ومن المجموعات الأخرى فى البوكر وان كانت أكثر ندرة وهى بالتالى أقوى ما يطلق عليه « فول » أو « فول هاند » . وهذه المجموعة تتكون من « زوج » ، و « ثلاث أوراق من نوع » (أى ورقتان بنفس القيمة وبشكلين مختلفين ، وثلاث ورقات من نفس القيمة بأشكال مختلفة ، فمثلا ورقتان رقم ٥ ، وثلاث ملكات كما فى (شكل ٨٦) فإذا أردت الحصول

بداية بلا نهاية - ٢٠٩٠

على فول ، وكانت الورقتان اللتان حصلت عليهما أولاً غير متشابهتين ، أصبح لزاماً عليك أن تحصل على ورقتين من الثلاث ورقات الباقية متماشتين مع إحدى الورقتين الأوليين ، وأن تتماشى الورقة الأخيرة مع الورقة الأخرى . وحيث أن هناك ٦ ورقات يمكن أن تتماشى مع الأوراق التي حصلت عليها (إذا كان معك ملكة وخمسة فهناك ثلاث ملكات أخريات ، وثلاث خمسات أخريات) فإن احتمال أن تتماشى الورقة الثالثة مع المجموعة يصبح ٦ من ٥٠ أو $\frac{6}{50}$. أما فرصة أن تتماشى الورقة الرابعة مع المجموعة فهي $\frac{5}{49}$ حيث أن هناك فقط ٥ أوراق من ٤٩ ورقة باقية ، وفرصة الورقة الخامسة هي $\frac{4}{48}$. وفي هذه الحالة يكون احتمال القول :

$$\frac{120}{117600} = \frac{4}{48} \times \frac{5}{49} \times \frac{6}{50}$$

• أي حوالي نصف احتمال الفلوش .



(شكل رقم ٨٦)

فلوش البستوني

وبنفس الشكل يمكن للمرء أن يحسب احتمالات المجموعات الأخرى مثل « خمس أوراق متسلسلة » ، ووضع في الاعتبار كذلك التغيرات الاحتمالية التي تنجم عن ظهور الجوكر ، واحتمال استبدال الأوراق الأصلية .

ومن هذه الحسابات نجد أن ترتيب قوة المجموعات المستخدمة في البوكر يتفق بالفعل مع ترتيبها الاحتمالي . ولا أدري إذا كان هذا الترتيب قد اقترحه أحد علماء الرياضيات القدامى أم أنه قد وضع عن طريق تجارب ملايين اللاعبين من خلال مقامرهم بالمال في صالونات القمار الراقية والأوكار الصغيرة المظلمة المنتشرة في أنحاء العالم . فإذا كان الاحتمال الأخير هو الواقع ، لا بد أن نقر أن لدينا هنا دراسة احصائية جيدة جداً عن الاحتمالات النسبية للأحداث المركبة .

ومن الأمثلة الأخرى المثيرة . لحساب الاحتمالات ، هذا المثال الذي يتمنخ عن جواب غير متوقع أبدا ، وهو مشكلة « أعياد الميلاد المتزامنة » .
 وحاول أن تتذكر ما اذا كنت قد دعيت يوما الى حفلة عيد ميلاد مختلفتين في يوم واحد . وربما قلت أن فرصة حدوث ذلك ضئيلة جدا . حيث ان عدد أصدقائك الذين قد يدعونك الى عيد ميلادهم لا يزيد عن ٢٤ صديقا . وقد تكون أعياد ميلادهم في أى يوم في السنة (٣٦٥ أو ٣٦٦) . وهكذا مع تلك الأيام وهؤلاء الأصدقاء فبديهي أن فرص الاتفاق في أعياد ميلادهم تكون ضئيلة جدا .

ولكن قد يصعب عليك أن تصدق أن حكمك خاطيء . فالحقيقة أن احتمال اتفاق صديقين من ٢٤ صديقا في عيد ميلادهم يعتبر احتمالا كبيرا الى حد ما ، بل واتفاق أكثر من اثنين في أعياد ميلادهم أيضا . والحقيقة أن احتمال حدوث ذلك أقوى من عدم احتمالته .

وتستطيع التأكد من ذلك عن طريق اعداد قائمة من ٢٤ شخصا ، أو بشكل أبسط ، عن طريق مقارنة تواريخ ميلاد ٢٤ شخصا ممن تجد أسماءهم بصورة عشوائية في مجلدات أشهر الأعلام في أمريكا "Who is who in America" . أو تستطيع التحقق من الاحتمالات باستخدام قواعد حساب الاحتمالات البسيطة التي خبرناها جيدا في مشكلة القاء العملة والبوكر .

والآن افترض أننا نحاول حساب فرص اختلاف أعياد الميلاد في مجموعة مكونة من ٢٤ شخصا . ولنسأل أول فرد في المجموعة عن تاريخ ميلاده ، وسوف يكون بالطبع يوما من ال ٣٦٥ يوم والآن ما احتمال اختلاف عيد ميلاد ثاني شخص عن عيد ميلاد الأول ؟ وحيث ان الفرد الثاني ربما يكون قد ولد في أى يوم من أيام السنة فان فرصة اتفاق ميلاده مع ميلاد الأول هي واحد من ٣٦٥ ، واحتمال اختلافه ٣٦٤ من ٣٦٥ (أى احتمال $\frac{364}{365}$) . وبالمثل تكون احتمالية اختلاف عيد ميلاد الثالث عن الشخصين الآخرين هي $\frac{363}{365}$ حيث تم استبعاد يومين من السنة .

وتكون احتمالات عدم اتفاق بقية الأشخاص كالتالي $\frac{362}{365}$ ، $\frac{361}{365}$ ، $\frac{360}{365}$ وهكذا حتى آخر فرد في القائمة حيث تكون الاحتمالية $\frac{23}{365}$ أو $\frac{242}{365}$

وحيث أننا نحاول معرفة احتمال تزامن أعياد الميلاد ينبغي أن نضرب كل الكسور السابقة في بعضها ومن ثم نحصل على احتمال اختلاف أعياد ميلاد هؤلاء الأشخاص وقيمته :

$$\frac{342 \times 362}{360} \times \frac{363}{360} \times \frac{364}{360}$$

ويمكن للمرء أن يحصل على النتيجة فى دقائق معدودة باستخدام طرق رياضية صعبة المستوى (٥) ، فاذا كنت لا تعرفها يمكنك استخدام طريقة الضرب المباشر ، فهى لن تستغرق وقتا طويلا جدا . وستجد أن النتيجة هى ٠.٤٦ . وهذا يعنى أن احتمال عدم تزامن أعياد الميلاد أقل من النصف . أو بعبارة أخرى ، هناك ٤٦ فرصة من ١٠٠ لحدوث عدم توافق على الاطلاق فى أعياد ميلاد أصدقائك ، ٥٤ فرصة من ١٠٠ لحدوث تزامن فى أعياد ميلاد اثنين أو أكثر منهم . لذا فان كان لديك ٢٥ صديقا أو أكثر ولم يحدث أن دعيت الى عيدى ميلاد فى يوم واحد ، فيمقدورك أن تستنتج مع درجة كبيرة من احتمال صحة استنتاجك : أنه اما أن أصدقائك لا يحتفلون بأعياد ميلادهم أو أنهم لا يدعونك اليها .

ان المثال السابق لأعياد الميلاد يعبر بصدق شديد عن أن حكم البديهية قد يجانبه الصواب تماما فيما يتعلق باحتمال وقوع الأحداث المركبة . فقد وجهت هذا السؤال الى عدد كبير من الناس ، بما فى ذلك عدد من العلماء البارزين وفى كل المرات ، الا مرة واحدة (٦) ، كانت الرهانات المعروضة على تتراوح نسبتها بين ٢ : ١ و ١٥ : ١ فى صالح عدم حدوث التزامن ، ولو أننى قبلت هذه الرهانات لكنت الآن من الأغنياء !

ونحن فى غنى عن اعادة القول بأننا لو حسبنا احتمالات الأحداث المختلفة وفقا لقواعد معطاة ، وتوصلنا الى أكثرها احتمالا فان هذا لا يعنى حتمية انطباق النتيجة ، مالم يكن عدد الاختبارات التى نجريها بالآلاف .. أو الملايين .. بل البلايين فهى أفضل ! .

فالتناجى المتوقعة لا تزيد عن كونها « محتملة » وليست « مؤكدة » على الاطلاق . ان ضعف قوانين الاحتمالات عند التعامل مع عدد صغير نسبيا من الاختبارات ، يحد على سبيل المثال من جدوى التحليل الاحصائى لفك الرموز والرسائل الشعرية المختلفة التى لا تتخطى عادة بضع عبارات قصيرة . والآن لننظر مثلا فى الحالة الشهيرة التى وصفها « ادجار آلان بو » (*) فى قصته المعروفة "The Gold Bug" . فقد تحدث عن

(٥) استعمل جدول اللوغاريتمات أو المسطرة الحاسبة ان استطعت ! .

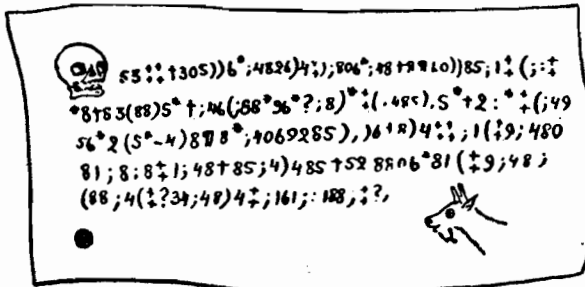
(٦) لقد كان هذا الاستثناء ، بالطبع ، من نصيب رياضى مجرى (انظر بداية الفصل الاول من الكتاب) .

(*) صحفى وشاعر وكاتب قصة قصيرة أمريكى توفى عام ١٨٤٩ (المترجم) .

شخص يدعى مستر « لي جراند » عشر على جزء من مخطوطة مدفونة الى نصفها في رمال شاطيء « ساوت كارولينا » المبتلة أثناء تجواله هناك . وعند تعريض المخطوطة للحرارة المنبعثة من مدفأة كوخه ظهرت بها بعض الرموز الغامضة المكتوبة بالحبر ، والتي كانت مختفية بسبب برودة الوثيقة ثم احمرت واصبحت مقروءة تماما بعد التسخين . واحتوت المخطوطة على رسم جمجمة مما يوحي بأن كاتبها كان قرصانا ، وظهر بها أيضا رسم لكيش ، مما يجزم دون أى مجال للشك بأن كاتب المخطوطة هو كاتبن « كيد » المشهور ، هذا بالاضافة الى عدة سطور من العلامات الطوبوغرافية التى تشير الى مكان كنز مخبوء (انظر شكل ٨٧) .

ونحن نسلم على مسئولية « ادجار آلان بو » بأن قراصنة القرن السابع عشر كانوا على دراية بمثل هذه الرموز الطوبوغرافية مثل الفاصلة المنقوطة ، وعلامة التنصيص ، وعلامات أخرى مثل π ، $\frac{+}{+}$ ، $\frac{+}{+}$ ،

ولما كان مستر « لي جراند » فى حاجة الى النقود ، فقد جند كل طاقاته الذهنية فى محاولة لفك رموز هذه الرسالة الشفرية ، وفى النهاية نجح فى ذلك استنادا الى التكرار النسبى لحروف معينة فى اللغة الانجليزية . وقد اعتمد فى أسلوبه على الحقيقة التى مفادها أنك اذا حصرت عدد الحروف المختلفة فى أى نص انجليزى سواء كان سونيته (*) لشكسبير ، أو احدى قصص « ادجار والاس » الغامضة ، ستجد أن الحرف E هو أكثر الأحرف تكرارا ويليه بالترتيب a, o, i, d, h, n, r, s, t, u, y, c, f, G, I, M, w, b



(شكل رقم ٨٧)

رسالة كاتبن كيد

(*) السويطة قصيدة مؤلفة من ١٤ بيتا (المترجم) .



وعن طريق حصر العلامات المختلفة الموجودة في رسالة كابتن كيد وجد لي جرائد أن رقم "8" أكثر رموزها تكرارا فقال :

« آه ! هذا معناه أن رقم 8 يعنى في الرسالة حرف E حسن لقد كان مصيبا في هذا الأمر ، ولكن هذا كان احتمالا قويا وليس مؤكدا اطلاقا . والواقع لو أن مضمون الرسالة كان :

"You will find a lot of gold and coins in an iron box in woods two thousand yards south from an old hut on Bird Islands north tip" *

فانها كما ترى لن تحتوى ولو على حرف (e) واحد ! ولكن مستر « لي جرائد » فضل استخدام قوانين الاحتمالات والتسليم بنتائجها .

وبعد نجاح مستر « لي جرائد » في الخطوة الأولى زادت ثقته ، وسار على نفس المنوال ، أى اختيار الحروف وفقا لاحتمال تكرارها بالترتيب

تكرار رقم 8 مرة	١	٢
٢٦ مرة :	e ← → e	
١٩ مرة 4	a	t
١٦ مرة ١	o	h
١٦ مرة (i	o
١٢ مرة *	d	r
١٣ مرة 5	h	n
١١ مرة 6	n	a
٨ مرة ١	r	i
٨ مرة 1	s	d
٦ مرة 0	t	
٥ مرة g	u	
٥ مرة 2	y	
٤ مرة ١	c	
٤ مرة 3	f	
٢ مرة ٢	g ← → g	u
٢ مرة ٢	l	
٢ مرة ١	m	
١ مرة .	w	
١ مرة .	b	

(*) ستجد ذهبيا والكثير من العملات في صندوق حديدي في الغابات على بعد الفى ياردة جنوب كوخ صغير على الطرف الشمالى لجزر الطير .

ونقدم لك في الجدول الآتي الرموز التي اشتملت عليها رسالة كابتن كيد وفقا لتكرارها النسبي في الاستخدام :

يحتوى العمود (١) على الحروف الأبجدية مرتبة وفقا للتكرار النسبي لها في اللغة الانجليزية . ولذا فقد كان من المنطقي أن يفترض أن العلامات المدرجة في العمود العريض هي شفرة للحروف الموجودة في العمود (١) . على أن استخدام هذا الترتيب يؤدي بنا الى قراءة بداية رسالة كابتن كيد كما يلي : ngiisgunddrhaoe cr

فهل يفهم من ذلك أى شيء ؟!

وماذا بعد ؟ . هل كان القرصان القديم مولعا بالخداع حتى أنه استخدم كلمات تتضمن حروفا لا تتبع نفس قواعد الكلمات المستخدمة في الانجليزية ؟ اطلاقا ، فالأمر ببساطة أن هذه الرسالة لم تكن طويلة بما يكفى لاتخاذها عينة احصائية لأكثر توزيعات الحروف احتمالا . ولو كان كابتن « كيد » خبأ كنزه في مكان صعب ، بحيث تتطلب تعليمات الكشف عنه كتابة عدة صفحات ، أو حينذا لو كانت في مجلد كامل ، لكانت فرصة مستر « لى جراند » أفضل في حل اللغز تطبيقا لقواعد التكرار .

فأنت بالقاء عملة ١٠٠ مرة قد تثق في وقوعها على الوجه ٥٠ مرة مثلا ، ولكن القاء العملة ٤ مرات يجعلك عرضة للحصول على الوجه ٣ مرات ، والكتابة مرة واحدة أو العكس . وحتى نضع قاعدة لذلك القول يمكننا أن نقول انه كلما زاد عدد المحاولات كلما كانت فعالية قانون الاحتمالات أشد .

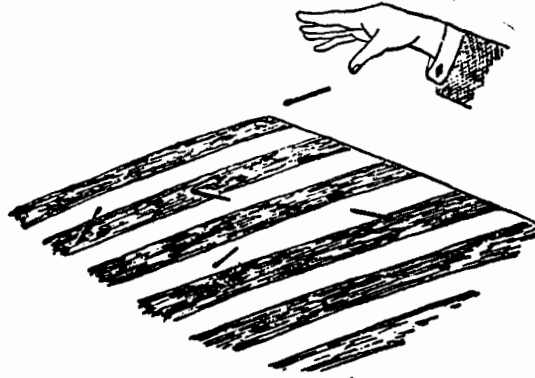
وحيث ان أسلوب التحليل الاحصائي البسيط قد فشل لعدم كفاية عدد حروف الرسالة الشفرية ، فقد كان على مستر « لى جراند »

أن يلجأ الى استخدام تحليل يعتمد على بنية الكلمات في اللغة الانجليزية بالتفصيل . وقبل أى شيء أكد « لى جراند » على الافتراض بأن أكثر العلامات تكرارا وهو (8) يقصد به الحرف (e) . اذ لاحظ أن التركيبية (88) قد تكررت كثيرا (٥ مرات) في هذه الرسالة القصيرة نسبيا ، إذ أنه كما نعلم جميعا يتكرر الحرف في كثير من الكلمات الانجليزية كما في (meet, fleet speed, seen, been, agree)

علاوة على أن (8) تعني (e) إذ أنه من المنتظر أن تتكرر كثيرا بوصفها جزءا من كلمة "The" . وبفحص هذا النص نجد أن التركيبية 48 قد تكررت سبع مرات في سطور قصيرة ، ولو كان هذا صحيحا لوجب استنتاج أن z تعنى t و 4 تعنى h .

ونحن نحيل القارئ الى قصة « بو » الأصلية للتفاصيل بالنسبة للخطوات التالية في فك رموز رسالة كابتن « كيد » وقد وجد أخيرا بعد فك الشفرة أن نص الرسالة كان « كأس جيد في الحانة في مقعد الشيطان ٠٠ ٤١ درجة وثلاث عشرة دقيقة الى الشمال الشرقي من جهة الشمال . الفرع الرئيسي ، القسم السابع شرقا ، التصويب من عين الجمجمة اليسرى في خط مستقيم من الشجرة حتى مسافة ٥٠ قدما للخارج » .

ويظهر المعنى المقصود للرموز المختلفة بعد أن « فك لي جراندي » رموزها أخيرا في العمود (٢) في الجدول السابق . وكما ترى أنها لا تتفق تماما مع التوزيع المتوقع على أساس قانون الاحتمالات .



(شكل رقم ٨٨)

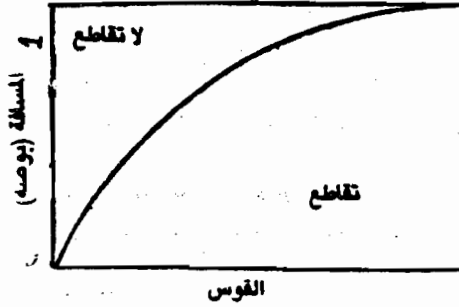
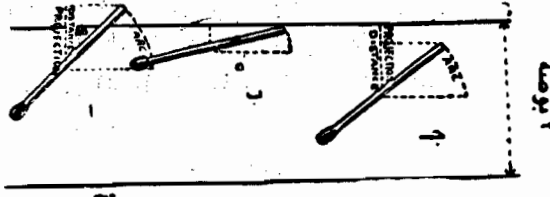
والسبب في ذلك عائد بالطبع الى قصر النص الذي يحول بالتالي دون توفير فرصة جيدة لنجاح قانون الاحتمالات . ولكن حتى في هذه « العينة الاحصائية » الصغيرة نستطيع أن نلاحظ ميل الحروف الى أن تترتب وفقا لنظام نظرية الاحتمالات . وهو هذا النظام الذي يكاد يكون قاعدة مؤكدة اذا زاد عدد الحروف في الرسالة .

ويبدو أن هناك مثلا واحدا لا غير (مع استبعاد شركات التأمين التي لا تفلس) يتم فيه اختبار توقعات نظرية الاحتمالات عمليا من خلال عدد كبير من المحاولات . وهي مشكلة العلم الأمريكي وعلبة الثقاب الشهيرة . وحتى تحل هذه المشكلة الاحتمالية ، سوق نحتاج الى علم أمريكي ، أو الجزء منه الذي يحتوى على شرائط حمراء وبيضاء .

وان لم تجد تستطيع استخدام قطعة كبيرة من الورق بعد أن ترسم عليها عددا من الخطوط المتوازية والمتساوية في البعد بينها . ثم أحضر

علبة ثقاب من أى نوع بشرط أن يكون عود الثقاب أقصر من عرض الخطوط . وبعد ذلك نحتاج الى (Pi) وهي المقابل فى اليونانية لحرف (P) فى الانجليزية ، وتكتب هكذا π (*) وبالإضافة الى كونها حرفا يونانيا فهي ترمز الى النسبة بين محيط أى دائرة وقطرها وهي تساوى عدديا ان كنت لا تعلم ٣١٤١٥٩٢٦٥٣٥٠٠ (وهي أرقام عشرية أخرى معروفة ولكننا لن نحتاج اليها) .

والآن أبسط العلم على مائدة ، وألق بعود ثقاب فى الهواء وراقبه حتى يسقط على العلم (شكل ٨٨) . وربما سقط داخل أحد الشرائط بكامله ، أو سقط متقاطعا مع الحد الفاصل بين شريطين متتاليين فما هي فرص حدوث أحد الأمرين ؟



(شكل رقم ٨٩)

واعمالا لأسلوب التحقق من الاحتمالات الأخرى ، ينبغى أولا أن نحصر عدد احتمالات تحقيق كل منهما .

ولكن كيف يمكن ذلك مع العلم بأن عود الثقاب يمكن أن يسقط على العلم فى عدد لا نهائى من الأوضاع ؟

ولكن دعنا نتأمل السؤال بمزيد من الدقة . يمكن تمييز وضع عود الثقاب الساقط بالنسبة للخط الذى يقع عليه بالاستعانة بالمسافة بين

(*) يرمز اليها عندنا ب (ط) (المترجم)

مننصف العود وبين أقرب خط له ، بالإضافة الى الزاوية بين عود الثقب والحط كما في (شكل ٨٩) . وسنعطى ثلاثة أمثلة حقيقية لأعواد الثقب الساقطة ، لنفترض أن طول عود الثقب وعرض الشريط كل منهما يساوى ٢ بوصة للتبسيط . فإذا كان منتصف العود قريبا نسبيا من الحط والزاوية كبيرة الى حد ما (كما في الحالة أ) فسينتقاطع العود مع الحط ، وبالعكس اذا كانت الزاوية صغيرة (كما في ب) أو المسافة بعيدة (كما في ج) فنسوف يظل العود داخل الشريط . وأدق من ذلك أن نقول ان العود سينتقاطع مع الحط اذا كان اسقاط نقطة منتصف العود في الاتجاه الرأسى أكبر من نصف عرض الشريط (الحالة أ أيضا) ، واذا حدث العكس فلن يحدث تقاطع (كما في الحالة ب) . وفي الشكل السابق ترى ايضاها بالرسم (أسفل الشكل) للجملة السابقة . وسوف نحدد زاوية سقوط العود على المحور الافقى (الاحداثى السينى) وفقا من طول القوس المقابل لنصف القطر (١ بوصة) . وعلى المحور الرأسى (الاحداثى الصادى) يتم تحديد طول اسقاط نصف عود الثقب رأسيا ويعرف في حساب المثلثات باسم جيب الزاوية المقابلة للقوس المعطى أو (جا) وواضح أن (جا) تساوى صفر اذا كان طول القوس المقابل للزاوية صفر . اذ أن عود الثقب يكون في هذه الحالة أفقيا . فاذا كان القوس $\frac{\text{ط}}{٣}$ أى أن الزاوية المقابلة له قائمة (٧) ، تكون (جا) مساوية للوحدة اذ أن العود يكون رأسيا ، وبالتالي ينطبق على اسقاطه .

وبالنسبة للقيم المتوسطة للقوس يمكن معرفة (جا) من المنحنى الرياضى المتعرج المعروف باسم المنحنى الجيبى وفي شكل ٨٩ تجد $\frac{١}{٤}$ موجة كامل في الحيز بين صفر و $\frac{\text{ط}}{٣}$.

وبرسم هذا الشكل يمكننا أن نستخدمه بسهولة لتقدير فرص تقاطع عود الثقب الساقط مع الحط . ولقد رأينا من قبل (راجع الأمثلة الثلاثة أعلى شكل ٨٩) أن العود يتقاطع مع الحط الخارجى للشريط عندما تكون المسافة بين منتصف العود وهذا الحط أقل من الاسقاط المقابل ، أى أقل من (جا) القوس . وهذا يعنى أننا عند تحديد المسافة والقوس فى الرسم نحصل على نقطة أسفل خط ال (جا) . وبالعكس سنجد أن العود الذى يقع بكامله داخل حدود الحط الذى يعطينا نقطة أعلى خط (جا) .

(٧) محيط دائرة نصف قطرها (١) يساوى ط × ق (القطر) أى ٢ ط . وبالتالي

$$\frac{\text{ط}}{٣} \text{ أو } \frac{٢}{٣} \text{ يكون ربع المحيط مساويا}$$

اذن فوفقا لقواعد حساب الاحتمالات ، ستتكون فرص التقاطع متساوية في نسبتها تماما مع فرص عدم التقاطع ، حيث تتساوى المساحة أسفل المنحنى مع المساحة أعلاه . ويمكن حساب احتمال كل حدث بقسمة مساحته على المساحة الكلية للمستطيل . ورياضيا تستطيع أن تثبت أن مساحة المنحنى الجيبى فى الرسم تساوى (١) تماما (راجع الفصل الثانى) . وبما أن مساحة المستطيل الكلية = $\frac{\pi}{2} \times 1 = \frac{\pi}{2}$

$\frac{\pi}{2}$. اذن فاحتمال تقاطع العود مع حدود الشرائط (فى الأعواد التى يساوى طولها عرض الشريط) هو : $\frac{1}{\pi} = \frac{1}{3.14}$

ومن المثير أن أول من لاحظ علاقة (ط) بهذه المشكلة هو العالم (كونت بوفن) فى القرن الثامن عشر ولذا عرفت هذه القضية الاحتمالية باسمه . ثم أتى من بعده رياضى مجتهد هو « لازيرينى » فأجرى التجربة عمليا باستخدام ٣٤٠٨ عود ولاحظ أن المتقاطع منها كان ٢١٦٩ عود . وترتب على ذلك التعويض عن (ط) بعد استخدام قانون بوفن بالقيمة $\frac{2 \times 3408}{2169}$ أو ٣١٤١٥٩٢٩ وهو ما لا يختلف عن القيمة الحسابية الدقيقة لها الا فى الرقم العشرى السابع !

ويعتبر هذا بالطبع دليلا عجيبا على صدق قوانين الاحتمالات ولكن الأعبى من ذلك الوصول الى رقم «٢» بالقاء عملة ملايين الملايين من المرات ، ثم قسمة عدد مرات الالقاء على عدد حالات ظهور الوجه . وفى هذه الحالة ستجد أن الناتج هو ٢٠٠٠٠٠٠ (٢) وهذا يعطى نسبة خطأ ضئيلة تساوى مثيلتها فى تحديد (ط) على يدى « لازيرينى » .

٤ - الانتروبيا القامضة :

من الأمثلة السابقة على حساب الاحتمالات وكلها مأخوذة من الحياة اليومية ، عرفنا أن هذا النوع من التحديد المسبق غالبا ما يكون مخيبا للآمال عندما نستخدم عددا محدودا ، على أنه يصبح أفضل وأفضل عندما نتعرض لأعداد كبيرة فعلا . وتلك الخاصية تجعل هذه القوانين صالحة للتطبيق بوجه خاص على توصيف الأعداد التى لا تكاد تحصى من الذرات أو الجزيئات ، والتى قد لا تمثل الا أصغر الأجزاء من المواد التى نتعامل

(*) فالرغم مطابق حتى الحانة العشرية السادسة (المترجم)

معها . لذا ففي حين يمكن للقانون الاحصائي لمسار السكير أن يؤدي الى الحصول على نتائج تقريبية لا أكثر عند تطبيقه على نصف دسته من السكارى الذين ربما غير كل منهم اتجاهه ٢٤ مرة ، نجد أن تطبيق نفس القانون على البلايين من جزيئات الصبغة التي تمر ببلايين المصادمات كل ثانية يؤدي الى التوصل الى أدق قوانين الانتشار الطبيعية . ونستطيع أيضا أن نقول أن الصبغة التي أذيت أصلا في كمية ماء لا تملأ أكثر من نصف أنبوبة اختبار ، تميل من خلال عملية الانتشار الى أن تتوزع توزيعا متجانسا في ملء هذه الأنبوبة من الماء لأن ذلك التوزيع المتجانس أقوى احتمالا من التوزيع الأصلي .

ولنفس هذا السبب تماما تمتلئ الحجرة التي تجلس فيها وأنت تقرأ هذا الكتاب بالهواء في توزيع متجانس من الجدار الى الجدار ، ومن الأرضية الى السقف ، ولا يمكن حتى أن يخطر ببالك أن هواء الحجرة يمكن له فجأة أن يتوقع في ركن بعيد تاركا اياك تختنق في مقعدك .

ومع ذلك فإن هذا الحادث الرهيب ليس مستحيلا تماما من الناحية الفيزيائية بيد أنه بعيد الاحتمال الى حد كبير فقط .

وحتى يتم ايضاح الأمر دعنا نتأمل في حجرة مقسمة الى جزأين متساويين بواسطة حاجز رأسى وهمى ، ولنسأل أنفسنا عن أكثر التوزيعات احتمالا لجزيئات الهواء في هذين النصفين . ان هذه المشكلة بالطبع شبيهة تماما بمشكلة لقاء العملة التي تعرضنا لها في الجزء السابق فاذا التقطنا جزيئا واحدا نجد أن فرصة وجوده في النصف الأيمن تتساوى مع فرصة وجوده في النصف الأيسر من الحجرة تماما ، تماما كما كان الأمر بالنسبة للعملة الملقاة على مائدة حيث تظهر وجهها أو كتابة .

وسوف يكون للجزء الثانى والثالث وباقي الجزيئات فرص متساوية للوجود فى أى من الجزئين بغض النظر عن مكان باقى الجزيئات (٨) .

وهكذا نجد أن مشكلة توزيع الجزيئات بين نصفي الحجرة هي توأم لمشكلة عدد مرات ظهور الوجه والكتابة فى عدد كبير من الرميات ، وكما رأيت فى شكل (٨٤) يعتبر التوزيع النصفى فى هذه الحالة هو أقوى الاحتمالات حتى الآن . ونرى أيضا من هذا الشكل أنه بزيادة عدد الرميات (وهي تقابل عدد الجزيئات فى حالتنا هذه) يصبح احتمال ال ٥٠٪ أكبر

(٨) الواقع أنه نتيجة للمسافات الواسعة بين الجزيئات المنفصلة للغاز فان الفضاء لا يكون مزدحما بها على الاطلاق ، كما أن وجود عدد كبير من الجزيئات فى حجم معين لا يمنع دخول جزيئات جديدة ابدا .

وأكبر حتى يتحول عمليا الى أمر مؤكد عندما يصبح الرقم هائلا . وحيث ان الحجر المتوسط الحجم تحتوى على حوالي ٢٧١٠ جزىء (٩) فان احتمال تجمعها فرضا فى الجزء الأيمن مثلا من الحجره يكون :

$$\left(\frac{1}{2}\right) 2710 \text{ من } 10 - 3 \times 2610$$

$$\text{أى } 1 \text{ من } 2610 \times 310$$

ومن ناحية أخرى ، حيث ان جزىء الهواء الذى ينتقل بسرعة مقدارها حوالي ٥٠ كم فى الثانية لا يحتاج الا الى ٠.١ ر من الثانية لينتقل من أحد طرفى الحجره الى الطرف الآخر ، فسوف يتغير توزيع الهواء فى الحجره ١٠٠ مرة فى الثانية . وبالتالي فان الوقت اللازم لاجتماع الجزئيات فى النصف الأيمن يصبح :

$$2610 \times 310 \times 100 = 819060000$$

وقارن ذلك بالرقم ١٧١٠ الذى يعبر عن العمر الكلى للكون ! لذا تستطيع أن تمضى فى مطالعة الكتاب بهدوء دون خوف من الاختناق بالصدفة .

وكمثال آخر دعنا نتأمل كوبا من الماء موضوعا على سطح منضدة . ونحن نعلم أن جزئيات الماء التى تدخل فى الحركة الحرارية غير المنتظمة تتحرك بسرعة عالية فى كافة الاتجاهات الممكنة ، ولا يمنعا من التطاير بعيدا الا قوى التماسك فيما بينها .

ولما كان اتجاه حركة كل جزىء منفصل يخضع تماما لقانون الاحتمال ، نستطيع أن ندرس امكانية تحول اتجاه حركة نصف الجزئيات وبالتحديد النصف العلوى الى أعلى ، والجزئيات الموجودة فى النصف السفلى الى أسفل (١٠) . فى هذه الحالة ستعجز قوى التماسك المؤثرة على امتداد السطح الأفقى الذى يقسم هاتين المجموعتين من الجزئيات عن مقاومة « رغبتهما المشتركة فى الانفصال » وسوف نشاهد عندئذ ظاهرة طبيعية غريبة عندما ينطلق النصف العلوى من الماء تلقائيا الى أعلى نحو السقف وبسرعة القذيفة !

وهناك امكانية أخرى ، وهى أن تتجمع الطاقة الكلية للحركة الحرارية لجزئيات الماء بالصدفة فى الجزئيات الواقعة فى الجزء العلوى من الكوب ، وفى هذه الحالة يتجمد الماء بالقرب من القاع بينما تغلى الطبقة العليا

(٩) الحجره التى أبعادها ١٠ أقدام \times ١٥ قدما \times ٩ أقدام ارتفاعه يكون حجمها ١٣٥٠ قدما مكعبا أو 710×5 سم^٣ ، وهى تحتوى على 410×5 جم من الهواء . وحيث ان الكتلة المتوسطة لجزئيات الهواء تكون $30 \times 166 \times 10^{-24}$ - 24 جم ويكون العدد الكلى للجزئيات $410 \times 5 + 23 - 10 \times 5 = 27$ (العلامة تعنى مساو تقريبا) .

بشدة • فما السبب في عدم حدوث ذلك أبداً ؟ • السبب ليس استحالة الحدوث ولكن ببساطة أن احتمال ذلك أمر غاية في الضعف • والحق أنك لو حاولت حساب احتمال حدوث التوزيع السابق بالمصادفة البحتة لهذه الجزيئات الموزعة توزيعاً عشوائياً ستصل الى رقم قريب جداً من الرقم الذى وصلنا اليه عند حساب احتمال تجمع الهواء في أحد أركان الحجره • وبالمثل فان فرصة فقدان بعض الجزيئات لطاقتها الحركية نتيجة للصدام المتبادل بينما تحتفظ جزيئات أخرى بجزء كبير من طاقتها تعتبر ضئيلة لدرجة أنه يمكن اهمالها • ونقول ثانية ان توزيع اتجاهات الحركة بما يحقق الحالة المعناد رؤيتها هو أقوى الاحتمالات •

والآن لو بدأنا بحالة لا تتفق مع أكثر التوزيعات احتمالا في مواضع الجزيئات أو سرعاتها ، وذلك بإطلاق غاز ما في أحد الأركان أو صب بعض الماء الساخن فوق ماء بارد ، فسوف تحدث تغيرات فيزيقية وبناء عليه يتحول هذا النظام من الأقل احتمالا الى الأكثر احتمالا • وسوف ينتشر الغاز في أنحاء الحجره حتى يملأها بشكل متجانس ، وتنساب الحرارة الحار من قمة الكوب الى القاع حتى يكتسب الماء درجة حرارة موحدة • لذا نستطيع أن نقول ان كافة العمليات الفيزيائية التي تعتمد على الحركة غير المنتظمة للجزيئات تميل للحدوث باحتمالات متزايدة ، كما أن حالة التوازن حين لا يحدث شيء جديد هي المقابل للحد الأقصى من الاحتمال • وحيث ان احتمال حدوث التوزيعات المختلفة للجزيئات يعبر عنه في الغالب بأرقام ضئيلة جدا كما رأينا في مثال هواء الحجره (مثل : $10^{-3} \times 10^{-10}$ لتجمع الهواء في نصف الحجره) فانه من المتعارف اللجوء الى لوغاريتماتها بدلا من ذلك • ويطلق على هذا المقدار اسم « الانتروبيا » وهى تلعب دورا بارزا في جميع المسائل الخاصة بالحركة العشوائية للمادة • ونستطيع الآن كتابة هذه الجملة الخاصة بتغير الاحتمال في العمليات الفيزيائية كما يل :

ان أى تغير تلقائي في نظام طبيعي يتم في اتجاه زيادة قيمة الانتروبيا وحالة التوازن النهائي يناظر أقصى قيمة ممكنة لها •

وهذا هو قانون الانتروبيا الشهير ، والمعروف أيضا باعتباره القانون الثانى فى الديناميات الحرارية (باعتبار أن القانون الأول هو قانون ثبوت الطاقة) وهكذا كما ترى ليس هناك ما تخشاه ويمكن أيضا أن يطلق على قانون الانتروبيا قانون الفوضى المتزايدة حيث قد رأينا فى جميع الأمثلة السابقة أن الانتروبيا تصل الى أقصى قيمة لها عندما تكون مواقع الجزيئات وحركتها موزعة بشكل عشوائى تماما ، بحيث تكون أى محاولة لاحداث نوع من التنظيم فيها هى بمثابة محاولة لحفض قيمة

الانتروپيا • ولا تزال هناك صيغة أخرى لقانون الانتروپيا وهي عملية أكثر ويمكن الحصول عليها بالنظر في موضوع تحويل الحرارة الى حركة ميكانيكية . فاذا تذكرنا أن الحرارة هي بالفعل الحركة الميكانيكية غير المنتظمة للجزيئات يصبح من السهل علينا أن ندرك أن التحول الكامل للمحتوى الحرارى لى جسم مادي الى طاقة ميكانيكية ذات حركة واسعة النطاق ، هو المقابل لمهمة قسر كافة جزيئات هذا الجسم على التحرك فى نفس الاتجاه . ومع ذلك ، ففي مثال الكوب الذى يقذف بنصف محتواه من المادة تلقائيا فى اتجاه السقف ، رأينا أن هذه الظاهرة غير محتملة الوقوع الى حد يجعلنا ننظر اليها باعتبارها مستحيلة عمليا • لذا فعلى الرغم من أن طاقة الحركة الميكانيكية يمكن أن تتحول عن آخرها الى حرارة (عن طريق الاحتكاك مثلا) فإن الطاقة الحرارية لا يمكن أبدا أن تتحول بالكامل الى حركة ميكانيكية • وهذا الأمر يقنن امكانية عمل « موتور الحركة المنتظمة من النوع الثانى » (١١) والذى ينتزع الحرارة من الأجسام المادية عند درجات الحرارة العادية ، ومن ثم يخفض من درجاتها ويستخدم الطاقة الناتجة فى توليد حركة ميكانيكية • ومن المستحيل مثلا أن نصنع سفينة بخارية يتولد البخار فى غلايتها ليس عن احتراق الفحم ولكن نتيجة انتزاع الحرارة من ماء المحيط ، الذى يسخن أولا الى غرفة المحركات ثم يلقي ثانيا الى سطح السفينة على شكل مكعبات من الثلج بعد فقدانه للحرارة ولكن كيف اذن يمكن للمحرك البخارى العادى أن يحول الحرارة الى حركة دون أن يكسر قانون الانتروپيا ؟ لقد أمكن تذليل هذه العقبة بواسطة الحقيقة التى مؤداها أنه فى المحرك البخارى لا تشكل الحرارة المتحولة الى حركة الاجزاء فحسب من الطاقة الحرارية المنطلقة بالفعل من احتراق الوقود • وهناك جزء آخر أكبر من ذلك الجزء يتصاعد فى الهواء على شكل بخار ، أو تمتصه مبردات حرارة معدة لذلك خصيصا وفى هذه الحالة يكون لدينا تغيران عكسيان للانتروپيا فى نظامنا وهما :

١ - نقص الانتروپيا المقابل لتحويل جزء من الحرارة الى طاقة ميكانيكية عن طريق المكابس (البساتم) •

٢ - زيادة الانتروپيا الناشئة عن تدفق جزء آخر من الحرارة من غلايات الماء الساخنة الى المبردات • ويقضى قانون الانتروپيا بزيادة القيمة الكلية لانتروپيا النظام فحسب ، ويمكن بسهولة ترتيب ذلك عن طريق زيادة العنصر الثانى عن العنصر الأول • وربما أمكن فهم الوضع بصورة أفضل الى حد ما عن طريق التأمل فى مثال وضع ثقل ووزنه ٥ رطل على

(١١) وقد سمي بذلك لتمييزه عن « موتور الحركة المنتظمة من النوع الأول » واذك، يخالف قانون ثبوت الطاقة حيث يعمل دون امداده بالطاقة •

رف مرتفع عن الأرض بمقدار ٦ أقدام . ووفقاً لقانون بقاء الطاقة يستحيل تماماً ارتفاع هذا الثقل في اتجاه السقف تلقائياً ودون أى مساعدة خارجية . ومن ناحية أخرى يمكن اسقاط جزء من هذا الثقل على الأرض واستخدام الطاقة المنطلقة بهذه الطريقة في رفع جزء آخر .

ويمكننا بطريقة مشابهة أن نقلل الانتروبيا في أحد أجزاء نظامنا ، إذا حدثت زيادة تعويضية فيها في الجزء الآخر .

وبعبارة أخرى يمكن بالنسبة للحركة غير المنتظمة للجزيئات أن نحدث شيئاً من الانتظام في إحدى المناطق ، وذلك إذا لم يكن لدينا مانع من زيادة الفوضى في مناطق أخرى . وفى الكثير من الحالات العملية نجد أنه لا مانع لدينا من حدوث ذلك ، كما فى كافة أنواع المحركات الحرارية .

٥ - الثقل الاحصائى :

لا شك أن المناقشات التى تمت فى الجزء السابق قد أوضحت لك أن قانون الانتروبيا وما يترتب عليه من نتائج يعتمد كلية على الحقيقة التى مفادها أنه فى الفيزياء واسعة النطاق نحن نتعامل دائماً مع عدد هائل جدا من الجزيئات المنفصلة ، لذا فإن أى تنبؤ مبنى على اعتبارات احتمالية يكاد يكون حقيقة مطلقة . على أن هذا التنبؤ يصبح أقل تأكيدا عندما نتعرض لكميات صغيرة من المادة .

لذا فإذا أخذنا حجما صغيرا من الغاز كمثال بدلا من الحجرة الممتلئة بالهواء كما فى مثالنا السابق ، ولنقل مثلا أننا سنعرض لدراسة مكعب حجمه $\frac{1}{3}$ من الميكرون (١٢) ، نجد أن الوضع يختلف تماما . حيث ان حجم المكعب يساوى 10^{-18} سم^٣ فسوف يحتوى فقط على $\frac{3 \times 10^{23} \times 10^{-18}}{3 \times 10^{23} \times 3}$ جزيئا ، ويكون احتمال تجمعها فى نصف الحجم الكلى هو $(\frac{1}{2})^{3 \times 10^{23}}$

ومن ناحية أخرى نجد أن الجزيئات يعاد ترتيبها بمعدل 10×10^6 مرة/ث (السرعة ٥٠ كم/ث والمسافة لا تزيد عن ١٠-٦ سم) ويرجع هذا المعدل الى شدة ضالة الحجم ، ولذا سنجد فى كل ثانية تقريبا أن أحد نصفي المكعب خال . وبديهي أنه فى الحالات التى يستقر فيها عدد معين من الجزيئات فى أحد نصفي المكعب حالات شائعة الحدوث . لذا فعلى

(١٢) يرمز للميكرون عادة بالحرف الاغريقي μ (ميو) وهو يساوى 10^{-6} مسم .

صاخبة • ولو كنا بكتيريا لاستطعنا تصميم محرك حركة منتظمة من النوع الثاني عن طريق مجرد ربط أنفسنا بعجلة حرة ، ولكننا في هذه الحالة سنفتقر الى العقل سر هذا التقدم • وهكذا لا يوجد ما يبرر الحزن الذي قد نشعر به لأننا لسنا بكتيريا !

ومن التناقضات التي تظهر لقانون تزايد الانتروبيا ذلك التناقض المتمثل في الأنظمة العضوية • والواقع أن النبات النامي يحصل على جزيئات بسيطة من ثاني أكسيد الكربون (من الهواء) والماء (من الأرض) ويؤلف بينهما في صورة جزيئات عضوية معقدة هي التي تكون جسم النبات • وينطوي التحول من جزيئات بسيطة الى أخرى معقدة على نقص الانتروبيا ، والواقع أن العملية العادية التي تزيد فيها الانتروبيا فعلا هي احتراق الخشب ، وتحلل جزيئاته الى ثاني أكسيد الكربون ، وبخار الماء • هل تخالف النباتات حقا قانون تزايد الانتروبيا بالاستعانة في نموها بشيء غامض هو اكسير الحياة (*) (القوة الحيوية) الذي طالما دافع عن وجوده الفلاسفة القدماء ؟ •

ان تحليل هذا السؤال يوحى بعدم وجود تناقض ، اذ أن النبات يحتاج في نموه بالاضافة الى الماء وثاني أكسيد الكربون الى الكثير من ضوء الشمس • وفيما عدا الطاقة التي تختزن في مادة النبات النامي وقد تتحرر مرة أخرى عند احتراق النبات فان أشعة الشمس تحمل ما يطلق عليه « الانتروبيا السالبة » (انتروبيا منخفضة المستوى) والتي تختفي عند امتصاص الأوراق الخضراء للضوء وهكذا فان عملية التمثيل الضوئي التي تتم في أوراق النباتات تنطوي على عمليتين وثيقتي الصلة وهما :

(أ) تحول الطاقة الضوئية لأشعة الشمس الى طاقة كيميائية ذات تركيب عضوي معقد •

(ب) استخدام الانتروبيا منخفضة المستوى في أشعة الشمس لحفض الانتروبيا المصاحبة لتحويل الجزيئات البسيطة الى جزيئات معقدة • وبلغت « النظام مقابل الفوضى » يستطيع المرء أن يقول انه عند امتصاص الأوراق الخضراء لأشعة الشمس فان الأشعة تسلب نظامها الداخلي الذي يمكنها من الوصول الى الأرض ، ويتصل هذا النظام بالجزيئات فيسمح لها ببناء جزيئات أكثر تعقيدا ، وأكثر نظاما وترتيباً • وفي حين أن النباتات تبني أجسامها من مركبات غير عضوية ، وتحصل على الانتروبيا السالبة (النظام) من أشعة الشمس ، نجد أن الحيوانات يجب أن تتغذى على النباتات (أو تتغذى ببعضها البعض) للحصول على هذه الانتروبيا السالبة فتصبح ، اذا جاز لنا القول ، كمن يحصل على سلعة مستعملة •

الفصل التاسع

لفز الحياة

١ - نحن نتكون من خلايا :

عند مناقشتنا لبنية المادة تجاهلنا حتى الآن الإشارة ولو من بعيد الى مجموعة صغيرة نسبيا الا انها غاية في الأهمية ، وهي الأجسام المادية التي تختلف عن كافة الأجسام الأخرى في الكون من حيث انها أجسام حية • فما الذي يجسد الفارق الهام بين المادة الحية وغير الحية ؟ • وما مدى معقولية الأمل الذي يحدونا في فهم ظاهرة الحياة باستخدام القوانين الفيزيائية التي نجحت في تفسير خواص المادة غير الحية ؟ •

وعندما نتحدث عن ظاهرة الحياة فان ما يخطر ببالنا عادة لا يخرج عن مجموعة كبيرة نسبيا من النظم الحية المعقدة مثل الشجرة ، والحصان ، والانسان • ولكن محاولة دراسة الخواص الأساسية للمادة الحية عن طريق البحث في مثل هذه النظم المعقدة ككل سوف يكون أمرا عقيما ، تماما مثل العمل على دراسة بنية المواد غير العضوية بالنظر الى بناء كلى معقد مثل السيارة •

والعقبات التي تواجهنا في هذا الأمر تظهر لنا حين ندرك أن السيارة الكاملة مكونة من آلاف الأجزاء ذات الأشكال المختلفة والمصنوعة من مواد مختلفة ، وفي حالات فيزيائية أيضا مختلفة • فالبعض منها (مثل الهيكل الصلب ، والأسلاك النحاسية ، والزجاج) يكون في حالة صلابة ، والبعض الآخر (مثل الماء في المشع الحرارى (الرادياتير) ، والوقود في الخزان ،

واسطوانة الزيت) يكون سائلا ، والبعض (مثل الحليط الذى يغذى الاسطوانة ويأتى من الكربن (الكربوريتور) يكون غازيا • ان أول خطوة اذن فى تحليل مادة معقدة كتلك التى فى السيارة فى تحليلها الى مكونات منفصلة فى حالات فيزيائية متجانسة • وهكذا نجد أنها تتكون من مواد معدنية شتى (كالصلب ، والنحاس ، والكروم ٠٠٠ الخ) وعناصر زجاجية مختلفة (كالزجاج ، والبلاستيك) وسوائل متجانسة مختلفة (كالماء والجازولين) الخ • الخ •

وبعد ذلك نستطيع أن نبدأ العمل فنجد باستخدام طرق الاختبار الفيزيائية المتاحة أن الأجزاء النحاسية تتكون من بلورات صغيرة متشابهة ، وبلورة النحاس تتركب من طبقات منتظمة مرتبة بحيث تعتمد على بعضها البعض ، وأن الماء فى مشع الحرارة يتكون من عدد كبير من جزيئات الماء المتباعدة نسبيا والتي قوامها ذرة هيدروجين وذرتى اكسجين لكل منها ، وأن خليط الكربن الذى يتصاعد عبر الصمامات الى الاسطوانات (السلندرات) يتكون من حشد من الجزيئات الحرة لأكسجين الهواء الجوى وجزيئات النيتروجين المختلطة بجزيئات من بخار الجازولين والتي تكون بدورها مكونة من ذرات الكربون والهيدروجين •

وبالمثل يجب عند تحليل نظام حى معقد مثل جسم الانسان أن نحلله الى أعضاء منفصلة ، مثل المخ ، والقلب ، والمعدة ثم الى المواد البيولوجية المتجانسة وتسمى « الأنسجة » •

والأنواع المختلفة من الأنسجة هى المادة التى تتكون منها النظم الحية ، وهذا يشبه أجزاء الآلات التى يكون كل جزء فيها متجانسا وقد يختلف عن الآخر ويعتبر علما التشريح والفسيلوجى (*) - وهما المعنيان بتحليل وظائف النظم الحية من حيث خواص الأنسجة المختلفة - شبيهين فى هذا السياق بعلم الهندسة الذى يعتمد على الخواص الميكانيكية والمغناطيسية والكهربية بالاضافة الى التصميم فى بناء الأجزاء المختلفة للعمل فى الآلة •

ولذا فان الاجابة على لغز الحياة لا يمكن التوصل اليها بمجرد النظر فى كيفية تراص هذه الأنسجة فى نظم معقدة ، ولكن بالنظر فى طريقة بناء هذه الأنسجة من الذرات كل على حدة ، بحيث ينشأ عنها فى النهاية أنواع شتى من الحياة •

ومن الخطأ الجسيم أن نعتقد أن النسيج البيولوجي المتجانس الحي يمكن مقارنته بالمواد الفيزيائية العادية والمتجانسة . والواقع أن التحليل الميكروسكوبى الأولى لأى نسيج يتم اختياره عشوائياً (سواء كان من الجلد أو العضلات أو المخ) يشير الى أنه يتكون من عدد كبير من الوحدات المفردة التى تحدد طبيعتها الى حد كبير خواص النسيج بأكمله (شكل ٩) . وتعرف هذه الوحدات البنائية الأولية فى المادة الحية عادة باسم « الخلايا » ويمكن أيضاً أن يطلق عليها « الذرات البيولوجية » (أى « غير المرئية ») بمعنى أن الخواص البيولوجية لأى نوع من الأنسجة لا تتغير مادام محتويها على خلية واحدة على الأقل .

فالنسيج العضلى الذى يختزل الى نصف خلية مثلاً يفقد كافة خواص العضلة من انقباض وغير ذلك ، تماماً كما هو الحال فى قطعة من سلك ماغنسيوم تختزل الى نصف ذرة فتفقد انتسابها الى هذا المعدن وتصبح مجرد قطعة غير مرئية من الفحم (١) !! ان الخلايا المكونة للأنسجة تعتبر صغيرة نوعاً ما (متوسط طول القطاع العرضى فيها يساوى $\frac{1}{100}$) (٢) ملليمتر) . ويتركب أى نوع من النباتات المعروفة من عدد هائل من الخلايا المنفصلة .

أما جسم الانسان البالغ فيحتوى على مئات الآلاف من بلايين الخلايا .

أما النظم الأصغر حجماً فتتكون بالطبع من عدد أقل من الخلايا ، فالذبابة المنزلية مثلاً أو النملة تحتوى على عدد لا يزيد على بضعة مئات من ملايين الخلايا . وهناك أيضاً مجموعة كبيرة من النظم وحيمة الخلية ، فطر الأميبا (ومنه الأميبا التى تؤدى إلى الإصابة بمرض « القوباء الحلقيه ») ، وكذا العديد من أنواع البكتيريا وحيمة الخلية التى تتعذر

(١) بالرجوع الى موضوع بنية الذرة تجد أن ذرة الماغنسيوم (الرقم الذرى ١٢ ، والوزن الذرى ٢٤) تتركب من نواة تحتوى على ١٢ بروتون و ١٢ نيوترون ويحيط بها غلاف يحتوى على ١٢ إلكترون . وبقسمة هذه الأرقام على ٢ نحصل على ذرتين جديديتين تحتوى كل منهما على ٦ بروتونات نووية ، ٦ نيوترونات ، ٦ إلكترونات خارجية أو بعبارة أخرى نحصل على ذرتى كربون .

(٢) أحياناً تصل خلايا معينة الى أحجام عملاقة مثل صفار البيض الذى يعتبر خلية واحدة . ورغم ذلك فإن الجزء الحى فيها وهو المستول عن حياتها لا يتعدى حجمه الميكروسكوبى، حيث أن الكتلة الضخمة من المادة الصفراء ما هى الا الطعام المتراكم الذى يساعد على نمو فرخ العجاج .

رؤيتها دون استخدام ميكروسكوب قوى . وتعتبر دراسة هذا النوع من الخلايا الحية التي لا تتأثر بأى « وظائف اجتماعية » قد تفرض عليها لولا أنها ليست جزءا فى أى نظام معقد - من أكثر فصول البيولوجيا اثارة . وحتى يتسنى لنا فهم مشكلة الحياة بوجه عام ، ينبغى علينا أن نبحث عن الحل فى بنية الخلايا الحية وخواصها .

وما هى الخواص التى تميز الخلايا الحية عن المواد غير العضوية العادية ، أو عن المادة الموجودة فى الخلايا الميتة مثلا خلايا خشب المكتب أو جلد الحذاء ؟ .

ان الخواص الأساسية المميزة للخلية الحية تكمن فى قدراتها على :

- ١ - الحصول على المواد الضرورية لبنائها من الوسط المحيط بها .
- ٢ - تحويل هذه المواد الى عناصر تستخدم فى نمو أجسامها .
- ٣ - انقسامها الى خلايا متماثلة كل خلية منها تساوى فى الحجم نصف الخلية الأصلية (وقادرة على النمو) عندما تصبح أبعادها الهندسية أكبر من اللازم . وهذه القدرات « الأكل » و « النمو » و « التكاثر » تعتبر بالطبع صفات شائعة فى كافة النظم الأكثر تعقيدا والمكونة من خلايا متجاورة .



خلايا النبات

خلية من نسيج عضلي

خلية من نسيج عصبى

(شكل رقم ١٠)

خلايا من انواع مختلفة

وربما اعترض أحد القراء من ذوى العقول الناقدة بقوله ان هذه الثلاث الخواص يمكن أن توجد كذلك فى المواد غير العضوية العادية . فمثلا اذا أسقطنا بلورة ملح صغيرة فى محلول ملحي مائى فوق مشبع (٣)

(٣) يمكن اعداد محلول فوق مشبع باذابة كمية كبيرة من الملح فى ماء ساخن ثم تبريده الى درجة حرارة الغرفة ، وحيث أن قابلية الذوبان فى الماء تتناقص بانخفاض درجة الحرارة فإن جزيئات الملح الموجودة فى الماء ستزيد عن قدرة الماء على الاحتفاظ بها فى المحلول . ومع ذلك فإن جزيئات الملح الزائد سوف تبقى فى المحلول لمدة طويلة جدا ما لم نضع بلورة صغيرة يمكن اذا صح التعبير أن تعطى النبضة الأولى وتعمل باعتبارها نوعا من العامل المنظم لخروج جزيئات الملح من المحلول .

سوف تنمو باضافة طبقات متتالية من جزيئات الملح المنتزعة (أو بالأحرى « المطرودة ») من الماء . بل نستطيع أن نتخيل أن هذه البلورات سوف تنقسم الى جزئين بعد الوصول الى حجم معين نتيجة لتعرضها لتأثير ميكانيكى معين مثل زيادة وزن البلورة المتنامية ، وأن « البلور الوليد » الناتج من ذلك سوف يستمر فى النمو . فلم لا توصف هذه العملية أيضا بأنها « ظاهرة حية » ؟ .

وللاجابة على هذا السؤال وغيره من الأسئلة الشبيهة به لابد أولا من القول بأن اعتبار الحياة مجرد صورة أكثر تعقيدا من صور الظواهر الطبيعية والكيميائية العادية يجعلنا مهينين لعدم وجود خط فاصل ومحدد بين الأمرين . وبالمثل فان استخدام القوانين الاحصائية فى وصف سلوك الغاز المكون من عدد هائل من الجزيئات (انظر الفصل الثامن) يجعلنا عاجزين عن تحديد مدى صلاحيته .

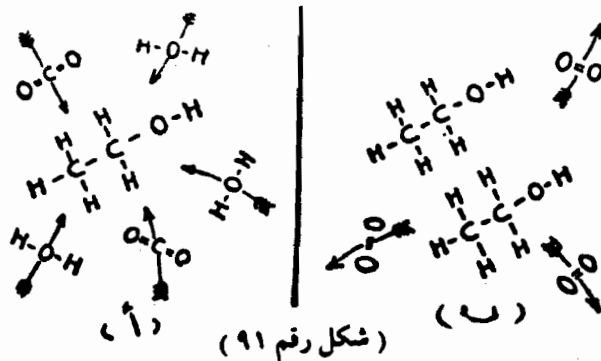
والحق أننا نعلم أن الهواء الجوى لن يتجمع فى أحد أركان الحجره فجأة أو على الأقل تكون فرص حدوث هذا الأمر غير العادى ضئيلة حتى يمكن اهمالها . ومن ناحية أخرى نحن نعرف أيضا أنه لو كان عدد الجزيئات فى الحجره لا يزيد عن اثنين أو ثلاثة أو أربعة لتجمعت فى ركن واحد أكثر من مرة .

فأين يوجد الخط الفاصل بين العدد الذى يمكن أن تنطبق عليه الجملة الأولى والعدد الذى تتحقق فيه الثانية ؟ هل هو ألف جزىء ؟ أم مليون ؟ أم بليون ؟ .

وبالمثل فان دراسة العمليات الحية الأولية لا ينتظر منها العثور على خط فاصل بين بعض الظواهر الجزيئية البسيطة مثل تبلور الملح فى محلول مائى له والظواهر الأكثر تعقيدا رغم أنها لا تختلف فى عملها من حيث الأساس ، مثل ظاهرة نمو وانقسام الخلية الحية . وبالنسبة لهذا المثال بالذات نستطيع أن نقول مع ذلك ان نمو البلورات فى محلول لا يجب النظر اليه باعتباره ظاهرة حية لأن « الغذاء » الذى تستعمله البلورات فى نموها يتم تمثيله داخلها دون حدوث تغير فى شكله الذى يوجد عليه فى المحلول . وجزىء الملح الذى سبق مزجه مع جزيئات الماء يتجمع ببساطة على سطح البلورة النامية . ونحن هنا حيال ظاهرة تراكب ميكانيكى عاد للمادة بدلا من عملية تمثيل الغذاء بيولوجيا . على أن تضاعف البلورات نتيجة لانفلاقها الى أجزاء غير منتظمة وغير محددة الأبعاد مسبقا ونتيجة للقوى الميكانيكية الناشئة عن الرزن - يودى الى حدوث عملية

تشبه الانقسام البيولوجي في الخلايا الحية الى أنصاف خلايا والتي تحدث نتيجة لقوى داخلية .

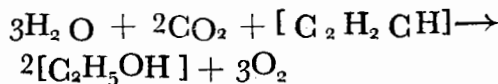
ومثلا لو كان وجود جزيء كحول مفرد (C₂H₅OH) في محلول مائي غاز ثاني اكسيد الكربون ، سوف يؤدي الى بدء عملية تمثيل ذاتي يكون من شأنها فك الروابط بين جزيئات (H₂O) في الماء واحدة بعد الأخرى وجزيئات (O₂) للغاز المذاب مكونة جزيئا كحول جديد (٤) لكان ذلك جسرا يقرب بين هذه العملية العمليات البيولوجية . والحقيقة لو أن وجود قطرة خمر في زجاجة صودا عادية سيؤدي الى تحويل هذه الصودا الى خمر نقي لكان لزاما علينا أن نعتبر الكحول مادة حية !



صورة مبسطة للاسلوب الذي يمكن به لجزء الكحول ان ينظم جزيئات الماء وثاني اكسيد الكربون محولا اياها الى جزيء كحول جديد . ولو كانت هذه العملية من عمليات « التمثيل الذاتي » للكحول ممكنة لكان علينا ان نصف الكحول باعتباره من المواد الحية .

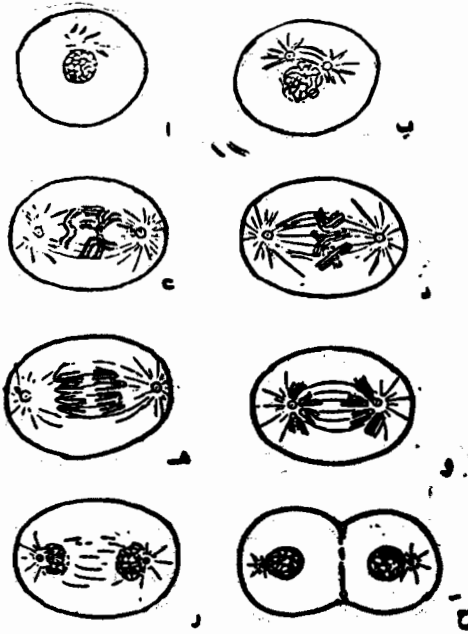
ان هذا المثال ليس عجيبا كما يتراى لك ، اذ أنه توجد مواد كيميائية معقدة تعرف بالفيروسات وتقوم جزيئاتها المعقدة الى حد ما (تتكون هذه الجزيئات من مئات الآلاف من الذرات) بأداء وظيفة لبقية الجزيئات الأخرى من الوسط المحيط بحيث تحولها الى وحدات بنائية شبيهة بها وسوف نعرض لهذا فيما بعد . ونعتبر هذه الجسيمات الفيروسية جزيئات كيميائية عادية كما تعتبر في الوقت ذاته من النظم الحية ، وهي بذلك تمثل « الحلقة المفقودة » بين المادة الحية والمادة غير الحية .

(٤) حيث التفاعل المفترض هو :



وبدا يؤدي وجود جزيء كحول واحد الى تكوين جزيء آخر .

ولكن علينا الآن أن نعود الى مشكلة نمو وتكاثر الخلايا العادية التي رغم شدة تعقيدها تعتبر أبسط من الجزيئات ولا بد من النظر اليها بوصفها أبسط النظم الحية .



(شكل رقم ٩٢)

المراحل المتتابة لعملية انقسام الخلية انقسامًا فتيليا

فإذا نظرنا الى خلية نموذجية تحت الميكروسكوب نرى أنها مكونة من مادة هلامية شبه شفافة ذات تركيب كيميائي معقد جدا ، ويطلق عليها البروتوبلازم . وهي محاطة بجدار الخلية الذي يكون دقيقا ومرنا في الخلايا الحيوانية ، وسميكا وثقيلًا في الخلايا النباتية المختلفة مما يكسب أجسام النباتات درجة عالية من الصلابة (انظر شكل ٩٠) . وتحتوى كل خلية من الداخل على جسم كروي صغير يعرف بالنواة التي تتكون من شبكة دقيقة من المادة المعروفة بالكروماتين (شكل ٩٢) . ويجدر بنا هنا ملاحظة أن أجزاء البروتوبلازم المختلفة التي يتكون منها جسم الخلية تكون ذات شفافية بصرية تحت الظروف العادية لذا لا يمكن ملاحظة بنية الخلية بمجرد النظر اليها تحت الميكروسكوب . وحتى يمكن رؤية هذا البناء ينبغي علينا أن نصبغ مادة الخلية اعتمادا على أن هذه الأجزاء تمتص الصبغة وفق درجات مختلفة . وتعتبر المادة المكونة لشبكة النواة

أكثر قبولا للإصطياغ بصفة خاصة ، وتظهر بوضوح للعيان ولو كان وراثيا خلفية فاتحة اللون (٥) . ومن هنا جاء الاسم كروماتين الذي يعنى باليونانية « مادة تقبل الصبغة » .

وعندما تستعد الخلية لعملية الانقسام الحية يصبح هيكل الشبكة النووية أكثر تفصيلا مما كان ويبدو مكونا من عدد من الجسيمات المنفصلة (شكل ٢) على شكل ألياف أو قضبان عادة وتسمى بالكروموزومات (أى أجسام تقبل الصبغة وتحتوى كافة الخلايا فى أى نوع من المخلوقات الحية (فيما عدا الأنواع المعروفة بالخلايا التناسلية) على نفس عدد الكروموزومات ويكون عددها فى النظم الحية المتطورة أكثر من هذا العدد فى النظم الأقل تطورا عادة .

ان ذبابة الفاكهة الصغيرة التى تفخر بحمل اسمها اللاتينى « دروسوفيلاميلانوجاستر » (٦) ، والتى ساعدت البيولوجيين فى فهم الكثير مما استغلقي عليهم من الغاز الحية لا تحتوى فى كل خلية من خلاياها الا على ثمانية كروموزومات . بينما تحتوى خلية نبات البازلاء على أربعة عشر كروموزوما ، والقمح على عشرين كروموزوماً . والبيولوجيون وهم من البشر لا يختلفون من حيث ذلك عنهم يفخرون بحمل ثمانية وأربعين كروموزوما فى كل خلية ، وربما كان هذا برهانا حسابيا بحتا على أن الانسان أفضل من الذبابة بست مرات ، لولا هذا الجدل الذى انتهى الى أن جراد البحر بكروموزماته التى تبلغ مائتى كروموزوما أفضل من الانسان بأربع مرات على الأقل بتطبيق نفس المنطق ! .

والهمم بالنسبة لعدد كروموزومات الخلية فى مختلف أنواع الكائنات الحية أن هذا العدد يكون دائما زوجيا ، والواقع أنه يوجد فى أى خلية حية (مع استثناء واحد سنناقشه فيما بعد) طاقمان متطابقان تقريبا من

(٥) نستطيع استخدام أسلوب مماثل عن طريق كتابة شئ على قطعة من الورق باستخدام مادة شمعية . وسوف تبقى الكتابة مختفية حتى تحاول تظليل الورقة باستخدام قلم رصاص أسود . وحيث أن الجرافيت لن يعلق بالأماكن المدهونة بالشمع فان الكتابة ستظهر واضحة فى خلفية مظلمة .

(٦) يجدر بنا أن نتذكر ان عملية صبغة الخلية الحية تقتلها عادة ومن ثم تحول دون نموها بعد ذلك . ولذا فان الصور المتتابعة للانقسام الخولى مثل تلك الصور فى (شكل ٩٢) لا يتم الحصول عليها بملاحظة خلية واحدة ، ولكن بواسطة صبغة وقتل خلايا مختلفة فى شتى مراحل النمو . ومع ذلك فان هذا من حيث المبدأ لا يؤدي الى حدوث أى فارق ملحوظ .

(*) *Drosophila melanogaster*

الكروموزومات يأتي أحدهما من الأم والآخر من الأب . ويحمل هذان الطاقمان الآتيان من الأبوين الصفات الوراثية المعقدة التي تنتقل من جيل الى جيل الى آخر من الكائنات الحية .

ويبدأ انقسام الخلية بالكروموزومات حيث ينقسم كل منها طوليا وبانتظام الى نصفين متطابقين وان كانت أليافهما أدق بينما تبقى الخلية ككل دون أن تمس وتظل وحدة واحدة (شكل ٩٢ أ) .

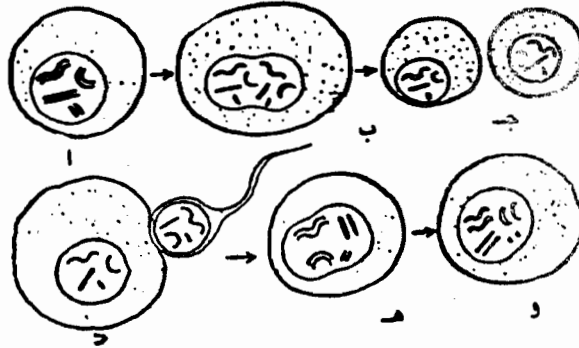
أما عن المرحلة التي تبدأ عندها الكروموزومات المتشابكة أصلا في الاستعداد للانقسام ، فهناك نقطتان تعرفان بالجسيمين المركزيين (سنتروزوم) وتقعان بالقرب من بعضهما قريبا من الخط الخارجى للنواة . ويبدأ هذان الجسيمان فى الابتعاد عن بعضهما تدريجيا الى طرفى الخلية (شكل ٩٢ ب ج) وتظهر أيضا خيوط رفيعة تصل هذين الجسيمين بالكروموزومات داخل النواة . وعندما تنقسم الكروموزومات الى نصفين يتصل كل كروموزوم بالسنتروزوم المقابل له فى الاتجاه ويجذب بشدة بعيدا عن الآخر نتيجة لانكماش الخيوط (شكل ٩٢ هـ ، و) . وعندما تقارب هذه العملية على الانتهاء (شكل ٩٢ ز) يبدأ جدار الخلية فى الاختناق على امتداد خط مركزى ، ويظهر جدار دقيق بعرض كل نصف فى الخلية وينفصل النصفان عن بعضهما ليصبحا خليتين جديدتين مميزتين .

وإذا حصلت الخليتان الجديدتان على الطعام الكافى من الخارج فانهما تنموان لتصبحا فى حجم الأم (معامل ٢) وبعد فترة استرخاء معينة يبدأ الانقسام فيهما بنفس النظام الذى سبق أن مر به .

ويأتى هذا الوصف لخطوات انقسام الخلية المرحلى نتيجة للمشاهدة المباشرة ، وهو قصارى ما وصل العلم اليه فى محاولاته لتفسير هذه الظاهرة حيث أن ما تمت مشاهدته بالنسبة لطبيعة القوى الكيميائية الطبيعية المسئولة عن الانقسام لا يزال قليلا للغاية . ويبدو أن الخلية باعتبارها كل متكامل لا تزال أكثر تعقيدا بالنسبة للتحليل الفيزيائى المباشر ، وقبل الاقدام على هذا المعترك لابد للمرء أن يفهم طبيعة الكروموزومات - وهى مشكلة قد تبدو عند مقارنتها بالانقسام أقل تعقيدا . وسوف نتعرض لها فى الجزء التالى .

ولكن من المفيد أولا أن نتأمل فى مسئولية انقسام الخلية عن عمليات التولد فى النظم الحية المعقدة التى تتكون من عدد كبير من الخلايا . وربما نراق لنا أن نسال الآن ما الذى يأتى أولا البيضة أم الدجاجة ولكن الحق

أنا عندما نتعرض لوصف عملية دائرية كهذه فلا يهم أن نبدأ « بالبيضة ». أو نبدأ « بالدجاجة » (أو أى حيوان آخر)



(شكل رقم ٩٢)

تكون الأمشاج (ا ، ب ، ج) وتلقيح خلية البيضة (د ، ه ، و) في العملية الأولى (انقسام منصف) تنقسم أزواج الكروموزومات في الخلية الأم الى نصفى خلية « دون انقسام تمهيدى » وفي العملية الثانية (اقتران) تخرق خلية الحيوان المنوى جدار البيضة وتزدوج الكروموزومات . ونتيجة لذلك تبدأ الخلية الملقحة في الاستعداد لانقسام عاد كما يتضح من الشكل السابق (٩٢)

واقترض أنا سنبداً « بالدجاجة » التي قد خرجت من البيضة حالاً فعند لحظة الفقس (أو المولد) تمر الخلايا في جسدتها بعمليات انقسام متوالية وبالتالي تؤدي الى تطور الجسم ونموه بسرعة . واذا تذكرنا أن جسم الحيوان البالغ يحتوى على آلاف البلايين من الخلايا التي خرجت الى حيز الوجود نتيجة للانقسامات المتتالية في خلية بيضة ملقحة واحدة ، فمن الطبيعي أن نظن لأول وهلة أنه حتى تتحقق هذه النتيجة فلا بد من حدوث عدد هائل من عمليات الانقسام وليس عليك الا أن تتذكر العدد الذى بدأ به « سيزا بن ظاهر » من حبات القمح على وعد بمضاعفته في متوالية هندسية عدد حدودها ٦٤ ، أو عدد الأعوام الكافية لاعادة ترتيب ٦٤ قرصاً فى مشكلة نهاية العالم التي تعرضنا لها فى الفصل الأول ، وعندئذ ستجد أن عمليات الانقسام الواجب حدوثها فى جسم الحيوان هي أقل نسبياً من الأعداد السابقة ، فاذا رمزنا لعدد عمليات الانقسام المتتالية التي يجب حدوثها فى الكائن الحي حتى النمو بالرمز س ، وتذكرنا بعد ذلك أن كل انقسام يعنى مضاعفة العدد (اذ تصبح كل خلية خليتين) نستطيع التوصل الى العدد الكلى للانقسامات التي تحدث فى خلايا الجسم البشرى بدءاً من تلقيح البويضة حتى البلوغ بالتعويض فى المعادلة :

$$٢ س = ١٤١٠ \text{ وسنجد أن } س = ٤٧$$

وهكذا نرى أن كل خلية في جسدنا البالغ تعتبر عضوا من الجيل
الحمسين تقريبا للخلية الأصلية المستولة عن وجودنا (٧) .

وعلى الرغم من أن الخلايا تنقسم في الحيوانات الصغيرة بمعدل أسرع
إلا أن أغلب خلايا الأفراد البالغين تكون في « حالة استرخاء » ولا تنقسم
إلا بصفة عارضة للمحافظة على « بقاء الجسم » أثناء فترة العمر وتعويض
التلف والتآكل .

والآن نصل إلى نوع خاص وهام جدا من انقسام الخلية الذي يؤدي
إلى تكوين ما يعرف بـ « المشيج » أو « الخلايا التناسلية » المستولة عن
ظاهرة التوالد .

ويحدث في أولى مراحل العمر في أي نظام حي ثنائي الجنس ، أن
يجنب عدد من الخلايا « احتياطيا » لعملية التكاثر فيما بعد . وتوجد هذه
الخلايا في أعضاء تناسلية خاصة وتمر بعدد من عمليات الانقسام العادية
- أثناء نمو النظام - أقل من العدد الذي تمر به أي خلية أخرى ، وتبقى
هذه الخلايا نشطة وسريعة الاستجابة عندما تستدعى لإنتاج ذرية جديدة .
كما أن انقسام هذا النوع من الخلايا التناسلية يتم في خطوات أبسط
بكثير من خطوات الانقسام العادي لخلايا الجسد . فالكروموزومات المكونة
للأنويته لا تنقسم إلى نصفين كما في الخلية العادية ولكنها تنفصل عن
بعضها ببساطة (شكل ٩٣ أ ، ب ، ج) ، وهكذا تحصل كل خلية
وليدة على نصف طاقم الكروموزومات الأصلي .

وتعرف العملية المؤدية إلى هذا الاختزال الكروموزومي بعملية
« الانقسام المنصف » على خلاف عملية الانقسام العادية المعروفة
بـ « الانقسام الفتيلي » . وتعرف الخلايا الناتجة عن هذا الانقسام باسم
« الحيوانات المنوية » و « البويضات » أو **الأمشاج الذكورية والأنثوية** .

وربما تساءل القارئ الفطن عن كيفية خروج أمشاج ذكورية
أو أنثوية من انقسام الخلية الأصلية إلى نصفين متساويين . ويمكن السر
في الاستثناء الذي ذكرناه من قبل لنجمله التي مفادها أن عدد
الكروموزومات يكون زوجيا دائما . فهناك زوج معين من الكروموزومات
يكون مكونا من متطابقين في جسم الأنثى ومختلفين في جسم الذكر .

(٧) من المثير أن تقارن هذه المسبة ونتيجتها بحسبة أخرى مشابهة خاصة بالانفجار
الذري (انظر الفصل السابع) . أن عدد الانقسامات الذرية الضروري لحدوث الانفجار
(« التخصيل ») في كل ذرة يورانيوم في كيلوجرام واحد من المادة (اجمالي 2.410×2.0
ذرة) يمكن الوصول إليه باستخدام معادلة مشابهة : $2 = 2.420 \times 2.0$
أي $س = ٦١$.

وتعرف هذه الكروموزومات بكروموزومات الجنس ويشار إليها بالرمزين X, Y ، والخلية الموجودة في جسم الانثى تحتوى دائما على زوج من كروموزومات X بينما تحتوى الخلية في جسم الذكر على X, Y (٨) . ويعتبر هذا الاختلاف الفارق الاساسى بين الجنسين (شكل ٩٤) وحيث ان جميع الخلايا التناسلية المحتجزة في النظام الانثوى تحتوى على طاقم كامل من كروموزومات X ، فان عملية الانقسام المنصف تؤدى الى ظهور خليتين تحتوى كل منهما على كروموزوم X . ولكن خلايا الرجل التناسلية تحتوى كل منها على كروموزوم X وآخر Y فعندما ينقسم احدها تكون النتيجة مشيجين أحدهما يحتوى على X والآخر على Y .

وعند حدوث التلقيح يتحد مشيج ذكرى (حيوان منوى) مع مشيج أنثوى (البويضة) وتكون الفرصة ٥٠ : ٥٠ فى أن يثمر الاتحاد عن زوجين من X أو عن X, Y . وفى الحالة الأولى يكون المولود أنثى وفى الحالة الثانية يكون ذكرا .

وسوف نتعرض فى الجزء القادم لهذه المشكلة الهامة وسنبدا الآن بوصف عملية التكاثر .



(شكل رقم ٩٤)

الاختلاف فى الوجه بين الرجل والمرأة . ففى حين ان كل خلايا جسم المرأة تحتوى على ٤٨ كروموسوم مزدوج بحيث يكون نصف الكروموزوم صورة طبق الاصل من بعضهما البعض ، نجد ان خلايا جسم الرجل تحتوى على زوج غير متماثل . فبدلا من كروموزومين X كما فى المرأة يكون لدى الرجل X, Y .

عندما تتحد الحيوانات المنوية للذكر مع بويضات الانثى وهى عملية تعرف بـ « الاقتران » يكون الناتج خلية كاملة تبدأ فى الانقسام الى خليتين

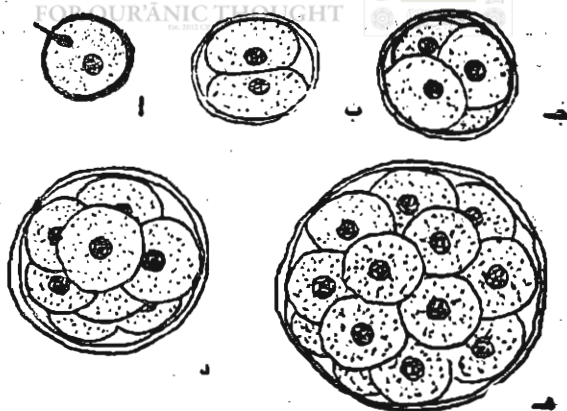
(٨) يصح هذا على البشر وجميع الثدييات الا ان الوضع يكون معكوسا فى الطيور حيث يكون للذكر كروموزومان متطابقان وللانثى زوج من الكروموزومات المختلفة .

في عملية « الانقسام الفتيلي » الموضحة في شكل (٩٢) . ثم تنقسم الخليتان الناتجتان بهذا الشكل الى أربع خلايا بعد فترة استرخاء صغيرة ثم تتكرر العملية في الأربع خلايا وهلم جرا . وتحصل كل خلية وليدة على نصف الكروموزومات تماما من البويضة المخصبة التي حصلت على نصف كروموزوماتها من الأب والنصف الآخر من الأم ، وفي شكل ٩٥ نرى التطور التدريجي لبيضة مخصبة حتى تصل الى مولود كامل التكوين وفي (أ) نرى الحيوان المنوى يخترق جسم البويضة المسترخية . ثم يحفز اتحاد المشيجين على بدء نشاط جديد في الخلية الكاملة التي تنقسم أولا الى ٢ ثم الى ٤ ثم الى ٨ ثم الى ١٦ . الخ ٠٠ الخ (شكل ٩٥ ب ، ج ، د ، هـ) . وعندما يصبح عدد الخلايا كبيرا نسبيا تميل الى أن ترتب نفسها بشكل يجعلها جميعا على السطح حيث تكون في وضع أفضل للحصول على الغذاء من الوسط المغذي المحيط بها وهذه المرحلة من النمو التي يبدو فيها النظام الحى أشبه بفقاعة صغيرة ذات تجويف داخلي تعرف بـ « * البلاستولة » (و) . ثم يبدأ جدار التجويف في الالتواء للداخل (ز) ويدخل النظام المرحلة المعدية (من المعدة) (ح) حيث يبدو خلالها شبيها بكيس صغير به فتحة تعمل على الحصول على الغذاء واخراج الجزء الفاقد من المواد المهضومة . ولا تتخطى الحيوانات البسيطة مثل المرجانيات هذه المرحلة من النمو اطلاقا ، أما في الأنواع الأخرى من الكائنات المتطورة فتستمر عمليات النمو ، وتتحور بعض الخلايا الى هيكل عظمي ، والبعض الآخر الى أجهزة هضمية وتنفسية وعصبية ، وبالمرور بالمراحل الجنينية المختلفة (ح) يصبح النظام في النهاية حيوانا صغيرا يمكن التعرف عليه كعضو في فصيلته (ك) وكما ذكرنا من قبل تتنحى بعض الخلايا النامية في النظام المتطور حتى في أوائل مراحل نموه بحيث تصلح لأن تكون احتياطيا ، اذا صح التعبير ، للقيام بوظيفة التكاثر مستقبلا . وعندما يصل النظام الى مرحلة البلوغ تمر هذه الخلايا لعملية انقسام اختزالي (منصف) فتنجح الأمشاج التي تبدأ العملية كلها من جديد ، وهكذا تمضي الحياة .

٢ - الوراثة والجينات :

تكمن اهم ملامح عملية التكاثر في أن النظام الحى الناتج عن اتحاد زوج من الأمشاج الآتية من أبوين لا ينمو بحيث يصبح أى نوع من المخلوقات الحية ولكنه يشب بصورة آمنة وان لم تكن بالضرورة طبق الأصل من الأبوين والأجداد .

Blastula



مراحل التغيير



(شكل رقم ٩٥)

من بويضة حتى مولود كامل .

والواقع أن الجرو المولود لأبوين من الكلاب الأيرلندية لا ينمو كلباً بدلا من أن يكون أرنباً أو فيلا فحسب ولكنه يشبه أبويه أيضا في أنه لا يصل الى مراحل نمو الأفيال أو يتوقف نموه عند حجم الأرانب كما أنه سيمتلك أربعة أرجل وذيل طويل وأذنين وعينين على جانبي رأسه . وبمقدورنا أيضا أن نشق تماما في أن أذنيه سينموان على درجة من اللين والتدلي وأن فراءه سيكون طويلا وبني اللون أقرب الى الذهبي ، كما يحتمل كثيرا أن يشب مولعا بالصيد ، بالإضافة الى أنه سيوجد عند مختلف من

التقاط يمكن افتفاء أثرها من ملاحظة الأب أو الأم أو ربما أحد الأجداد وسيحمل أيضا صفات خاصة .

والسؤال الآن كيف وصلت هذه الصفات المختلفة التي كان يحملها الكلبان الايرلنديان الى أجنتهما محمولة على قطع مادية ميكروسكوبية في المشيجين اللذين كونا الحلية الأولى بعد اتحادهما ؟

وكما رأينا من قبل يحصل كل نظام حي جديد على نصف عدد الكروموزومات تماما من الأب والنصف الآخر من الأم . وواضح أن الصفات الأساسية لأي نوع من الكائنات الحية لا بد أن تكون آتية أصلا من كل من كروموزومات الأب والأم في حين أن الصفات الثانوية التي يمكن أن تختلف من شخص لآخر ربما تكون ناتجة عن أحد الأبوين فقط وعلى الرغم من أن هناك شكاً بسيطاً في أنه مع مرور الزمن وبعد أجيال عديدة جدا تصبح أغلب الصفات الأساسية للحيوانات والنباتات المختلفة عرضة للتغير (والدليل على ذلك التطور العضوي) إلا أن فترات الملاحظة المحدودة لا يمكن أن تسفر إلا عن قدر ضئيل نسبياً من التغير في الصفات الثانوية التي يمكن للإنسان أن يراقبها في حدود علمه .

إن دراسة هذه الصفات وانتقالها من الآباء الى الأبناء هي الموضوع الرئيسي لعلم الجينات هذا العلم الجديد الذي لا يزال عملياً في مهده وهو بالرغم من ذلك كفيلاً بأن يمدنا بفرائب المعلومات عن أدق أسرار الحياة . فقد تعلمنا على سبيل المثال أن قوانين الوراثة تتميز ببساطة جسيائية مطلقة على النقيض من أغلب الظواهر البيولوجية مما يشير الى أننا نتعامل مع إحدى الظواهر الأساسية في الحياة .

ومن الأمثلة على ذلك هذا القصور المعروف في نظر الإنسان والذي يطلق عليه **عمى الألوان** ، وأكثر أنواعه شيوعاً يتميز بالعجز عن التمييز بين اللون الأحمر واللون الأخضر . وحتى يمكننا تفسير عمى الألوان ينبغي في البداية أن نفهم كيفية رؤيتها من خلال دراسة البناء المركب للشبكية وخواصها ، ومشكلة التفاعلات الضوئية الكيميائية الناتجة عن الأطوال الموجية المختلفة للضوء وهكذا الخ . . الخ :

ولكن إذا سألنا أنفسنا عن **وراثة عمى الألوان** ، وهو سؤال قد يبدو لأول وهلة أكثر تعقيداً من تفسير انظاهرة نفسها ، نجد أن الإجابة عليه بسيطة وميسرة بخلاف ما نتوقعه . ومن المعروف والذي تؤكد حقائق المشاهدة ما يلي :

١ - أن الرجال أكثر عرضة للإصابة بعمى الألوان من النساء .

٢ - أن الآباء المصابين بعمى الألوان ينجبون أطفالا طبيعيين تماما
إذا تزوجوا من سيدات « صحيحات » غير مصابات بالمرض .

٣ - أن الآباء « الأصحاء » من هذا العيب إذا تزوجوا نساء من
المصابات به يكون أولادهم من الذكور مصابين به بينما لا يؤثر ذلك على
البنات .

وبعرفة هذه الحقائق التي تشير بوضوح الى أن وراثة عمى الألوان
تكون مرتبطة الى حد ما بالجنس ، ليس أمامنا الا أن نفترض أن عمى الألوان
ينشأ عن قصور في أحد الكروموزومات وينتقل مع هذا الكروموزوم من
جيل الى آخر ، وبالجمع بين هذين الاستنتاجين نصل الى افتراض أهم وهو :
أن عمى الألوان ينشأ عن قصور في الكروموزوم الجنسي الذي سبق أن
ومزنا اليه بالرمز X .

وبهذا الافتراض تصبح القواعد التجريبية الخاصة بعمى الألوان في
وضوح البلور . وتذكر أن خلايا الاناث تحتوى على كروموزومى X فى حين
أن الخلايا الذكرية تحتوى على كروموزوم واحد X (والكروموزوم
الآخر Y) فإذا كان كروموزوم X الوحيد فى الرجل به هذا العيب
أصبح الرجل مصابا به . أما فى المرأة فلا بد أن يحمل الكروموزومان X
هذه الصفة حيث أن كروموزوما واحدا فقط لا يكفى للاصابة بهذه
القصور . ولو كانت فرصة وجود عمى الألوان فى الكروموزوم واحد الى
ألف مثلا فسوف نجد مصابا واحدا بالمرض من بين كل ألف رجل .

ويمكن بدهاءة حساب احتمال اصابة الكروموزومين بالمرض فى امرأة
وفقا لنظرية ضرب الاحتمالات (انظر الفصل الثامن) فيكون الناتج :

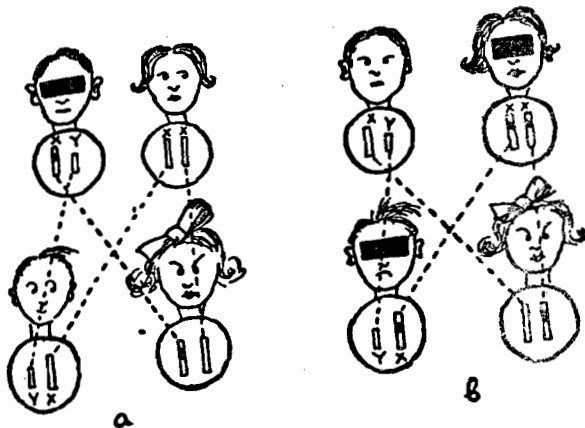
$$\frac{1}{1000000} = \frac{1}{1000} \times \frac{1}{1000}$$
 وهكذا نتوقع اصابة امرأة واحدة
من كل مليون امرأة بهذا المرض .

والآن لننتأمل حالة زوج مصاب بعمى الألوان ومقترن بزوجة طبيعية
(شكل ٩٦ أ) . وفى هذه الحالة لن يحصل الأبناء على كروموزوم X من
الأب وسيحصلون على كروموزوم X واحد « سليم » من الأم ومن ثم
لا يوجد ما يسبب اصابتهم بعمى الألوان .

أما الفتيات فسوف تحصلن على كروموزوم X « سليم » من الأم
وأخر « مصاب » من الأب . وهكذا لن تصبن بعمى الألوان مع احتمال
اصابة (أبنائهن) به .

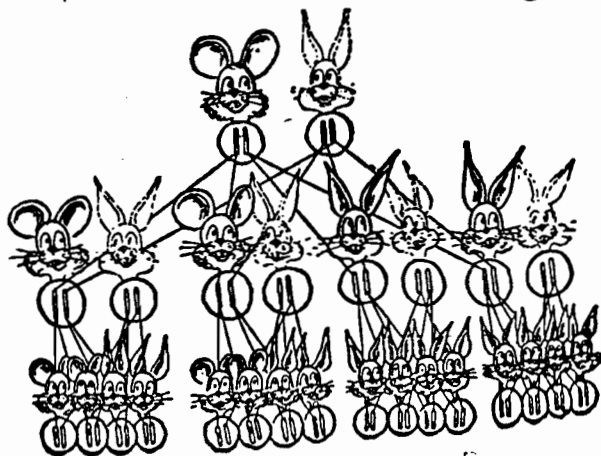
وفى الحالة العكسية حيث تتزوج امرأة مصابة بالمرض من زوج
« طبيعى » (شكل ٩٦ ب) نجد أن الأبناء يصابون حتما بالمرض إذ أن

كروموزوم × الوحيد الذي يحملونه يأتي من الأم • وبالنسبة للفتيات فسوف ينتقل اليهن كروموزوم « سليم » من الأب وآخر « مصاب » من الأم وبالتالي لن يصبين بالمرض رغم أن هناك احتمالا لاصابة أبنائهن به كما في الحالة السابقة • وهكذا ترى أن القاعدة تنسم بأكبر قدر ممكن من البساطة ! •



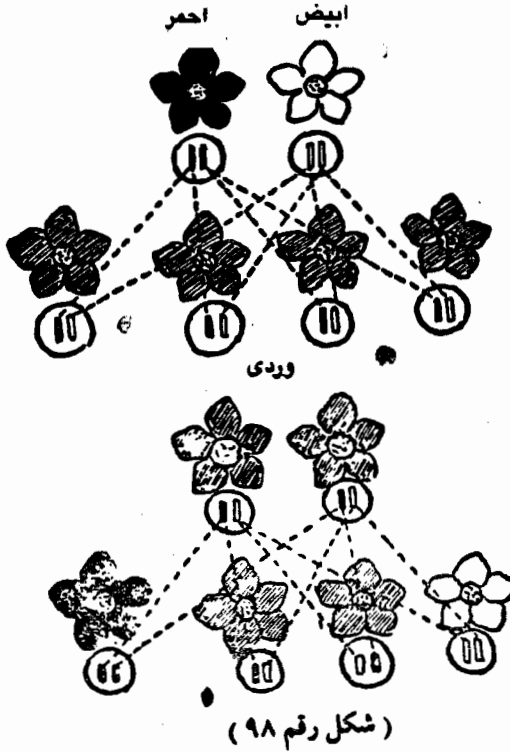
(شكل رقم ٩٦)

ان الصفات الوراثية الشبيهة بمعنى الألوان التي يستلزم ظهورها أن تتوفر في كروموزومين تعرف « بالصفات الكامنة » وهي تنتقل أحيانا من الأجداد الى الأحفاد في صورة خفية وتعتبر مسئولة عن الأحداث المحزنة مثل انجاب زوج من كلاب الرعي الألمانية لجرو مشوه دميم •



(شكل رقم ٩٧)

وينطبق العكس على ما يعرف « بالصفات السائدة » التي تظهر على الفرد ولو كانت محمولة على كروموزوم واحد فحسب . وحتى نستطيع ايضاح هذه الحقيقة الخاصة بالجينات انظر شكل ٩٧ الذي يظهر فيه هذا الأرنب الوهمي الذي تشبه أذناه ميكى ماوس . فاذا افترضنا أن « أذنى ميكى ماوس » من الصفات السائدة وراثيا أى أن تغيرا فى كروموزوم واحد يكفى لجعل الأذنين تنموان بهذا الشكل المخجل (بالنسبة الأرنب الوهمي الذي تشبه أذناه أذنا ميكى ماوس . فاذا افترضنا أن بعد القاء نظرة على الشكل مع افتراض أن الأرنب المولود لهذه الذرية سوف يتزاوج مع أرنب طبيعي . وترى أننا قد رمزنا فى الشكل بنقطة سوداء فى الكروموزوم المسئول عن الاصابة بأذان ميكى .



وهناك بالإضافة الى الصفات السائدة و الكامنة ما يعرف بالصفات « الكمية » (*) . افترض أن فى حديقتك أربع زهراء حمراء وبيضاء . وعندما تحمل الريح حبوب اللقاح (الخلايا الذكرية فى الزهور) من زهرة حمراء أو تنتقل عن طريق حشرة طائرة الى زهرة أخرى حمراء أيضا

(*) أو التراكمية .

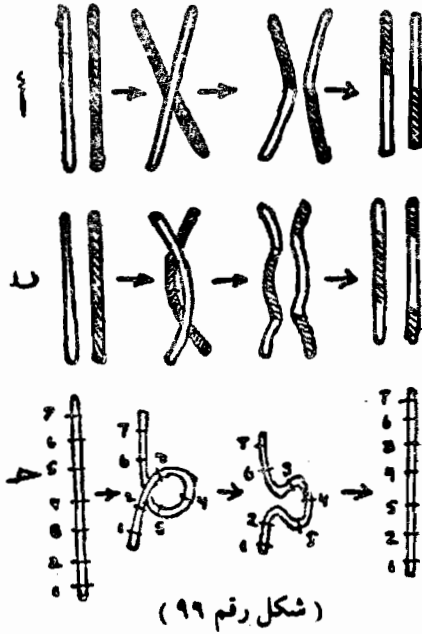
فانها تتحد مع البذيرة (الخلية الأنثوية فى النبات) التى يكون مكانها فى قاع البتلة ، وتنمو بذور ينتج عن زراعتها زهور حمراء . وينطبق نفس الشيء على تلقيح الزهور البيضاء بحبوب لقاح من زهور مماثلة لها فى اللون . ولكن اذا حدث وحطت حبوب اللقاح الآتية من زهور بيضاء على زهور حمراء أو العكس فإن البذور الناتجة سوف تؤدى الى نمو نباتات ذات زهور وردية . ومن الواضح أن الزهور الوردية لا تمثل فصيلة قائمة بذاتها . فاذا ما تمت زراعتها معا سنجد أن الجيل التالى منها يتوزع بين ٥٠ فى المائة زهور وردية ، و ٢٥ فى المائة زهور حمراء و ٢٥ فى المائة زهور بيضاء .

ويمكن تفسير ذلك بسهولة اذا افترضنا أن صفة الاحمرار أو البياض تحمل على كروموزم واحد فى خلية النبات ، وحتى يكون اللون نقياً لابد من أن يكون كلا الكروموزمين متطابقاً من هذه الناحية . فاذا كان أحدهما « أحمر » والآخر « أبيض » انجلى غبار معركة الألوان عن زهور وردية اللون . وبالنظر الى شكل ٩٨ الذى يوضح هذه الظاهرة وهى توزيع « كروموزومات الألوان » فى الذراري يمكننا أن نفهم العلاقة العديدة التى أشرنا اليها من قبل . ومن السهل كذلك ايضاح أن التكاثر بين الزهور البيضاء والوردية سوف يؤدى الى حيل تمثل الزهور الوردية فيه بنسبة ٥٠٪ والبيضاء بنسبة ٥٠٪ فى حين لا تظهر زهور حمراء اطلاقاً وما عليك الا أن تجرب ذلك بالرسم كما فعلنا فى الحالات السابقة . وكذلك يكون نتيجة التكاثر بين الزهور الوردية والحمراء ، ٥٠٪ من الزهور الحمراء ، و ٥٠٪ وردية مع عدم وجود زهور بيضاء . وهذه هى قوانين الوراثة التى كان أول من اكتشفها منذ قرن من الزمان الراهب المورافى (*) المتواضع « جريجور مندل » عند زراعته لحبوب البازلاء فى حديقة الدير .

لقد قمنا حتى الآن بالإشارة الى ارتباط الصفات الوراثية المختلفة بالكروموزومات التى تنتقل الى الفرد من أبويه ، ولكن حيث ان عدد الصفات المختلفة يكاد لا يحصى بالنسبة الى العدد الصغير نسبياً للكروموزومات (٨ فى كل خلية من خلايا الذبابة ، ٤٨ فى كل خلية بشرية) فلا مناص لنا من أن نقر بأن كل كروموزوم يحمل قائمة من الحصاص الشخصية التى يمكن أن نتخيلها موزعة على جسمه الشبيهة بالألياف . وتعتبر الطبقات القائمة الموجودة على الجسم الطويل لكروموزوم

(★) المورافيون سكان اقليم تشيكى (المترجم) .

الغدد اللعابية في ذبابة الفاكهة (دروسوفيللا ميلانو جاستر) (٩) ، عن مواقع الصفات المختلفة من هذا الكروموزوم ، وقد تحمل بعض هذه الشرائط العرضية صفة لون الحشرة ، بينما يحمل بعضها الآخر صفة شكل الأجنحة في حين تكون شرائط أخرى مسئولة عن احتواء جسم الذبابة على ستة أرجل يبلغ طول كل منها حوالي $\frac{1}{4}$ بوصة ، وعن اكسابها شكل ذبابة الفاكهة بصفة عامة بحيث تختلف عن الدجاجة أو أم أربع وأربعين .



والواقع أن علم الجينات يؤكد لنا أن هذا الانطباع صحيح تماما ويستطيع المرء أن يحدد في حالات كثيرة أى الجينات يحمل أى الصفات ناهيك عن امكانية ايضاح أن هذه الوحدات البنائية الصغيرة للكروموزوم التي عرفناها « بالجينات » تحمل في ثناياها الصفات الوراثية في كل نوع .

وتبدو جميع الجينات متشابهة مع بعضها تقريبا مهما كانت درجة التكبير المستعملة في حين تختفى اختلافاتهم الوظيفية في مكان ما بالداخل في ثنايا الهيكل الجزيئي .

(٩) تكون الكروموزومات ، في هذه الحالة بالذات دوناً عن غيرها ، ضخمة الى حد كبير بحيث يمكن دراستها باستخدام طرق التصوير الميكروسكوبى .

ومن الواضح أن إعادة ترتيب الجينات بين زوجين من الكروموزومات أو في كروموزوم مفرد يحتمل أن تؤثر على المواضع النسبية لهذه الجينات إلى حد كبير . وهذا شبيه تماما بما يحدث عند اقتسام مجموعة من أوراق اللعب ثم إعادة جمعها مما يؤدي إلى تغيير ترتيب الأوراق فيها بحيث ينعكس من أعلى إلى أسفل (وتصبح الورقة التي كانت في أعلى الكوتشينية مجاورة لآخر ورقة فيها) ولكن هذه العملية لن تفصل إلا بين ورقتين متجاورتين فحسب .

وهكذا يمكن من ملاحظة أن هناك صفتين وراثيتين محددتين تنتقلان مع بعضهما دائما في عبور الكروموزومات أن نستنتج أن الجينين الحاملين لهما متجاوران تماما . وعلى النقيض من ذلك لا بد وأن الصفات التي تنفصل عن بعضها في الغالب عند حدوث عملية العبور تحملها جينات موجودة في أجزاء متباعدة على الكروموزوم .

وبالاسترشاد بهذه الخطوط تمكن عالم الوراثة الأمريكي « ت . ه . مورجن » ومدرسته من ارساء صورة محددة لترتيب الجينات على كروموزومات ذبابة الفاكهة التي كانت محللا لدراساتهم . وفي شكل ١٠٠ رسم يوضح توزيع مختلف الصفات على كروموزومات الذبابة الأربعة كما حددتها لنا بحوث العالم ومن معه .

ويمكن بالطبع رسم شكل مشابه للشكل السابق بالنسبة لكروموزومات أنواع أخرى من الحيوانات الأكثر تعقيدا وكذا الانسان وان كان ذلك يتطلب قدرا أكبر من الدراسات الواعية والتفصيلية .

٣ - الجينات باعتبارها « جزئيات حية »

من خلال التحليل السابق للبنية البالغة التعقيد للنظم الحية خطوة خطوة ، نصل الآن إلى ما يبدو وكأنه الوحدات الأساسية للحياة ولقد رأينا في الواقع أن دورة النمو بكاملها وكذلك الصفات الواقعية للنظام الحي الناضج تخضع للنظام الذي تفرضه مجموعة من الجينات الكامنة على أعماق بعيدة في خلاياها وربما استطعنا أن نقول أن كل حيوان أو نبات « ينمو حول » جيناته . وإذا جاز لنا هنا أن نطرح قياسا طبيعيا بالغ التبسيط ، نستطيع أن نشبه العلاقة بين الجينات والنظام الحي بالعلاقة بين نواة الذرة وهذا الحضم الهائل من المواد غير العضوية . فهنا أيضا يمكن الرجوع في جميع الخواص الطبيعية والكيميائية لأي مادة إلى الخواص الأولية لنواتها التي تتحدد بعدد الشحنات الكهربائية فيها . وهكذا فإن النواة التي تحمل شحنة مقدارها ٦ وحدات كهربية أولية مثلا سوف تحيط نفسها بأغلفة

الكثرونية بها ٦ إلكترونات مما يحدد بهذه الذرات إلى أن تترتب في نسق سدس (سداسي) بحيث تعطى شكل بلورات شديدة الصلادة ذات معامل انكسار عال جدا ، وهي ما نطلق عليه الماس . وبالمثل فان الأتوية التي تحمل الشحنات ٢٩ ، ١٦ ، ٨ ستؤدي إلى إيجاد ذرات تتحد ببعضها لتعطى بلورات زرقاء ناعمة للعنصر المعروف بكبريتات النحاس . ولا بد أنه حتى أبسط الكائنات الحى هو بطبيعة الأمر أكثر تعقيدا من أى بلورات ، ولكننا فى الحالتين أمام نفس الظاهرة وهى تحديد شكل النظام الكلى بأدق تفاصيله بناء على مراكز جزئية ذات نشاط تنظيمي .

فما مبلغ ضخامة هذه المراكز التنظيمية التى تتحكم فى كافة صفات النظم الحية بدءا من عطر الزهرة حتى حجم خرطوم الفيل ؟

ويمكن الاجابة على هذا السؤال بسهولة بتقسيم حجم كروموزوم عادى بالنسبة الى عدد الجينات التى يحتوى عليها . ووفقا للملاحظات المجهرية يبلغ سمك الكروموزوم المتوسط حوالى $\frac{1}{10}$ من المليمتر أى أن حجمه يبلغ حوالى ١٠ - ١٤ سم^٣ . على أن تجارب التكاثر تشير إلى أن الكروموزوم الواحد لابد وأن يكون مستولا عن نقل عدة آلاف من الصفات الوراثية ، ويمكن حصر هذه الصفات مباشرة عن طريق عد الحلقات القاتمة (وهى تعبر عن أماكن الجينات) والتى تتقاطع عرضيا مع أجسام الكروموزومات البالغة النمو فى ذبابة الفاكهة دروسوفيللا ميلانوجاستر (١٠) . وبتقسيم الحجم الكلى للكروموزوم على عدد الجينات المنفصلة نجد أن حجم كل جين لا يزيد عن ١٠ - ١٧ سم^٣ . وحيث أن الحجم المتوسط للذرة يساوى ١٠ - ٢٣ سم^٣ تقريبا $\approx (2 \times 10^{-8})^3$ نستنتج من ذلك أن كل جين منفصل لابد وأنه يتكون من حوالى مليون ذرة .

وبمقدورنا أيضا أن نحسب الوزن الكلى للجينات فى جسم رجل مثلا . فكما رأينا من قبل يتألف جسم الشخص البالغ ١٤١٠ خلية يحتوى كل منها على ٤٨ كروموزوم . وبذا يكون الحجم الكلى للكروموزومات فى جسم الانسان حوالى $1410 \times 48 \times 10^{-14} \approx 50$ سم^٣ وحيث أن كثافة المادة الحية تقترب من كثافة الماء (فلا بد أن وزن الجينات سيكون أقل من ٢ أونس (*) . وهذه هى الكمية الصغيرة من « المادة المنظمة » التى يمكن اهمالها ، ولكنها تبني من حولها هذا « الغلاف » المعقد لجسم الحيوان أو النبات وهو يزيد عن وزنها بألاف المرات . وهذا الوزن الضئيل من

(١٠) يبلغ حجم الكروموزومات العادية درجة من الصفر حتى أن قصها بالميكروسكوب يفشل فى تحديد مواضع الجينات المنفصلة عن بعضها .

(*) الأونس وحدة وزن تساوى ٢٨٣٥ جراما (المترجم) .

الجينات يتحكم أيضا في كل خطوة من خطوات النمو « من الداخل » ويرسم ملامح هيكل الجسم ، بل ويتحكم الى حد كبير في السلوك .

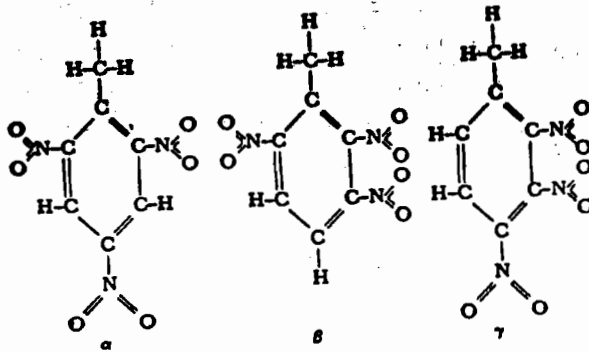
ولكن ما هي ماهية الجين نفسه ؟ هل ينبغي النظر اليه باعتباره « حيوانا » معقدا يمكن تقسيمه الى وحدات بيولوجية أصغر حجما ؟ والجواب هو النفي قطعيا ، فالجين هو أصغر وحدة في الكائن الحي وأكثر من ذلك في حين أنه من المؤكد أن الجينات تمتلك كافة الحصاص التي تميز المادة التي بها روح عن المادة الميتة فليس هناك أدنى شك في أنها تتصل من ناحية أخرى بالجزئيات المعقدة (مثل جزيئات البروتين) التي تخضع لكافة قوانين الكيمياء العادية المعروفة .

وبعبارة أخرى يبدو أن الجين ينطوي على الحلقة المفقودة بين المادة العضوية وغير العضوية ، أو « الجزء الحي » الذي جال بخاطرنا في بداية هذا الفصل .

والواقع أننا لو تأملنا مغزى وجود الجينات التي تحمل كافة الصفات النوعية لأي كائن بغير انحراف تقريبا ولآلاف الأجيال وتأملنا من ناحية أخرى الضالة النسبية لعدد الذرات المفردة التي يتكون منها الجين ، لما وجدنا مبررا لعدم اعتباره هيكلًا محكمًا تستقر كل ذرة أو مجموعة من الذرات بمقتضاه في مكانها المحدد سلفا .

ونستطيع الآن أن نفهم الفارق بين صفات الجينات المختلفة والتي تنعكس في الاختلاف الخارجي بين المخلوقات الناشئة بناء على أوامر هذه الجينات على أساس من اختلاف توزيع الذرات في بنية الجين .

وكمثال بسيط دعنا نتأمل في جزيء تي^٠ان^٠ تي (ثالث نترتير التولوين) ، أو المادة المتفجرة التي لعبت دورا بارزا في الحروب في الحربين الماضيتين . ويتكون جزيء تي^٠ان^٠ تي من ٧ ذرات كربون ، و ٥ ذرات هيدروجين ، و ٣ ذرات نيتروجين ، و ٦ ذرات أكسجين مرتبة وفقا لأحد الأنظمة التالية :



ويكمن الفارق بين الثلاثة أنظمة في الشكل الذي ترتبط به مجموعات
 $N \ll a$ بحلقة الكربون ، ويرمز الى المادة الناتجة عادة بـ (TNT) a
 أو (TNT) B أو (TNT) γ . ويمكن تخليق هذه الأشكال كلها في
 معمل الكيمياء . وكلها ذات طبيعة متفجرة ولكنها تختلف قليلا في كثافتها ،
 وقابليتها للذوبان ، ونقطة انصهارها ، وقوتها التفجيرية . الخ .

وباستخدام الطرق القياسية في الكيمياء يستطيع المرء أن ينقل
 مجموعة $N \ll$ من مكان الى آخر في الجزئ بسهولة ومن ثم يمكن تحويل
 أحد أنواع مادة ال تي . ان . تي الى نوع آخر . وهناك في الكيمياء كثير
 من الأمثلة الشائعة جدا من هذا النوع . وكلما زاد حجم الجزئ المقصود
 بالعملية تعددت الأنواع التي يمكن الحصول عليها (الصور الأيسومرية) (*)
 بهذه الطريقة .

وإذا نظرنا الى الجين باعتباره جزيئا عملاقا يتكون من مليون ذرة
 يصبح عدد احتمالات اختلاف ترتيب المجموعات الذرية في أماكن مختلفة
 من الجزئ كبيرا جدا .

ويمكن النظر الى الجين بوصفه سلسلة من المجموعة الذرية المتكررة
 دوريا مع مجموعات أخرى مرتبطة بها تماما كالحلج المتصلة ببعضها في
 سوار جميل ، والواقع أن التقدم الأخير في الكيمياء العضوية يسمح لنا
 بأن نرسم صورة دقيقة لهذا السوار الوراثي الجميل . وهو يتكون من
 ذرات الكربون ، والنيتروجين ، والفوسفور ، والاكسجين ، والهيدروجين
 ويعرف بالحامض النووي الريبوزي .

وفي شكل (١٠١) ترى صورة سيريلية الى حد ما (مع حذف ذرات
 النيتروجين والاكسجين) من الجزء من السوار الوراثي الذي يحدد لون
 عيني الطفل الوليد . ونرى من الوحدات الأربع أن عينا الطفل لونها
 أزرق .

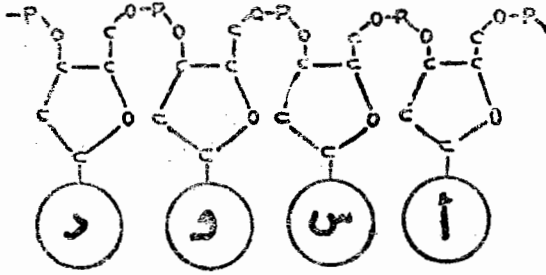
وبتغيير مواضع الحلقات المختلفة من مكان الى آخر نستطيع الحصول
 على تشكيلة لا نهائية تقريبا من التوزيعات المختلفة .

لذا فان سوارا يتكون من ١٠ حلقات مختلفة على سبيل المثال يمكن
 أن نعيد ترتيبه في $1 \times 2 \times 3 \times 4 \times 5 \times 6 \times 7 \times 8 \times 9 \times 10 =$
 3628800 ترتيبا مختلفا .

وإذا كانت بعض الحلقات صنوا لبعضها الآخر انخفض عدد الأشكال
 المختلفة التي يمكن الحصول عليها لذا فان عدد أنواع الحلقات
 (اثنتان من كل نوع) فسوف لا يزيد عدد الاحتمالات عن 113400 .

(*) ايسومرية (متشاكلة التركيب) .

احتمالا مختلفا . ومع ذلك يزيد عدد الاحتمالات كثيرا مع زيادة أنواع الحلقات فلو كان لدينا مثلا ٢٥ نوعا كل خمس منها من نوع واحد يصبح عدد التوزيعات الممكنة 6٢٣×١٣١٠ تقريبا !



(شكل رقم ١٠١)

جزء من « السوار الوراثي الجميل » (جزء من حمض نووي دييوزي) يعدد لون عيني الطفل (مع التبسيط) .
وهكذا نرى أن عدد التوليفات المختلفة التي يمكن الحصول عليها باعادة ترتيب « الحلقات » المختلفة بين عدد من « أماكن التعليق » المختلفة يكون هائلا جدا الى درجة تكفي لتبرير وجود كل هذه الأنواع من صور الحياة ، وليس هذا فحسب ولكنه يدل على الصور اللانهائية من الحيوانات والنباتات التي يمكن أن نصنعها من خيالنا .
ومن النقاط البالغة الأهمية والخاصة بتوزيع الحلقات المحددة للصفات على امتداد الجزىء الجيني الشبيه في شكله بالألياف أن هذا التوزيع يخضع للتغيرات العفوية التي تؤدي الى تغييرات ظاهرة موازية لها في النظام بأكمله .

وعند ارتفاع درجة الحرارة الى حد معين تصبح الحركة الترددية لهذه الأجسام الجزيئية كافية لتفتيتها الى قطع منفصلة - وتعرف هذه العملية بالتحلل الحرارى (انظر الفصل الثامن) . ولكن عند درجات أقل من الحرارة حيث تحتفظ الجزيئات ككل بسلامتها وتكاملها ربما أدت الحركة الحرارية الى تغير داخلى ما فى البناء الجزيئى . ونستطيع على سبيل المثال أن نتخيل أن الجزىء يلتوى بشكل يجعل احدى الحلقات المتصلة بنقطة معينة تقترب من نقطة أخرى معينة فى جسم وفى هذه الحالة يكون من السهل أحيانا أن تنفصل الحلقة عن موضعها السابق وترتبط بالموضع الجديد .

(١١) يشير مصطلح « الايسومرية » كما ذكرنا من قبل الى الجزيئات المكونة من نفس الذرات وان كانت مرتبة ترتيبا مختلفا .

ان هذه الظاهرة المعروفة **بالتحولات الأيسومرية** (١) ظاهرة مشهورة في الكيمياء العادية على نطاق البنية الجزيئية البسيطة نسبيا وهي تخضع للقوانين الكيميائية الحركية الرئيسية والتي يزيد فيها **معامل التفاعل** بنسبة قدرها ٢ لكل ارتفاع حرارى قدره ١٠° مئوية ، كما تخضع لجميع التفاعلات الكيميائية كذلك .

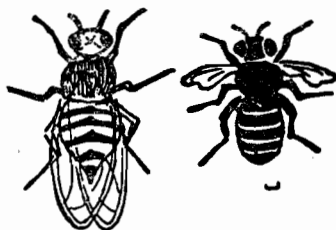
وفي **الجزيئات الجينية** حيث تتعقد البنية حتى أنها قد تتحدى أفضل الجهود التي يبذلها علماء الكيمياء العضوية والتي سوف يبذلونها في المستقبل لا يوجد حتى الآن ما يؤكد حدوث التغييرات الأيسومرية بالطرق المباشرة للتحليل الكيميائي . على أن لدينا في هذه الحالة شيئا يمكن اعتباره من احدى وجهات النظر أفضل بكثير من التحليل الكيميائي المعمل . ولو حدث مثل هذا التغير الأيسومري في أحد الجينات الموجودة في مشيخ ذكرى أو أنثوى وهما اللذان يؤدي اتحادهما الى خروج مخلوق جديد الى حيز الوجود فسوف يتكرر بأمانة في العمليات اللاحقة من الانقسام الجيني والحلوى ، وسوف يؤثر كذلك على بعض الصفات المظهرية التي يمكن ملاحظتها في الحيوان أو النبات الناشئ .

والحق أن احدى أهم نتائج الدراسات الجينية يكمن في حقيقة (اكتشفها عام ١٩٠٢ العالم البيولوجى الألماني دى فريز) وموادها أن : **التغيرات الوراثية التلقائية التي تحدث في نظام حي تقع دائما على شكل قفزات متقطعة تعرف بالطفرات** .

وكمثال على ذلك تأمل تجارب التكاثر في ذبابة الفاكهة (دروسوفيل ميلانوجاستر) التي ذكرناها من قبل . ان النوع البرى من هذه الحشرة يتميز بأجسام رمادية وأجنحة طويلة وكلما حاولت الامساك باحداها في الحديقة تستطيع أن تكون واثقا تماما من توفر هذه الصفات فيها . ومع ذلك فان تكاثر ذبابة الفاكهة تحت الظروف المعملية جيلا بعد جيل يجعل من الممكن أن يحصل المرء في مرة من المرات على « نوع غريب » من هذه الذبابة ذى أجنحة قصيرة الى درجة غير طبيعية وجسم أسود تماما تقريبا (شكل ١٠٢) .

والهم أنك ربما تعجز عن الحصول على أفراد أخرى من الذباب ذى ألوان رمادية مظلة أو أجنحة متفاوتة الطول مع هذه الذبابة العجيبة ، أى أنك لن تجد أنواعا من الذبابة متدرجة في أشكالها على مراحل من الشكل « الطبيعى » حتى الحشرة المتطفرة « ذات الجسم الأسود تقريبا البالغة القصر » . وكقاعدة يكون كل أعضاء الجيل الجديد (وقد يبلغون المئات !) متساوين في درجة اللون الرمادى وطول الأجنحة تقريبا ، مع وجود ذبابة واحدة فقط (أو القليل منها) **مختلفة بالكامل** عن الباقين .

فاما أن يكون التغير غير جوهري واما أن يكون تغيرا هائلا تماما (الطفرة) . وقد لوحظت حالات مماثلة في مئات من التجارب الأخرى ، فمثلا عمى الألوان لا ينتقل حتما بالوراثة وثمة حتما حالات يولد فيها طفل مصاب به دون أن يكون للأبوين « ذنب » في ذلك ولا للأجداد أيضا . وفي حالة عمى الألوان في الرجال تماما كما في قصر الأجنحة في الذبابة يكون المبدأ « كل شيء أو لا شيء » والمسألة لا علاقة لها بأفضلية تمييز الألوان عن عدم تمييزها سواء استطاع الفرد ذلك أم لم يستطع . وكما يعرف كل من سمع اسم « تشارلز داروين » ، تؤدي هذه التغيرات في الصفات مصحوبة (بالصراع من أجل البقاء و البقاء للأصلح الى ظاهرة النشوئ والارتقاء) (١٢) المستمر . وهي المسئولة عن الحقيقة التي مفادها أن المحار البسيط الذي كان يوما ما متربعا على عرش الطبيعة منذ عدة بلايين سنة قد تطور الى مخلوق عالي الذكاء مثلك فاستطاع أن يقرأ ويستوعب حتى هذا الكتاب المتقدم ، الذي بين يديك .



(شكل رقم ١٠٢)

طفرة تلقائية (ذاتية) في ذبابة الفاكهة

(أ) نوع عاد : جسم رمادي واجنحة طويلة .

(ب) النوع الجديد : جسم اسود واجنحة قصيرة

ويمكن فهم التغيرات الفجائية في الصفات الموروثة على نحو تام من حيث التغيرات الأيسومرية في الجزيئات الجينية كما ذكرنا سابقا فالواقع أنه لو غيرت الحلقات المحددة للصفات مكانها فانها لا تفعل ذلك بين بين ، فهي اما أن تبقى في مكانها القديم ، أو ترتبط تماما بالمكان الجديد وهي بالتالي تحدث تغييرا فجائيا في صفات النظام .

ومما أيد كثيرا وجهة النظر القائلة بأن « الطفرات » تعود الى تغيرات أيسومرية في الجزيء الجيني ، أن ازدياد معدل الطفرات يعتمد على درجة حرارة النطاق الذي تتخلق فيه الحيوانات أو النباتات . والواقع أن التجارب

(١٢) والاختلاف الوحيد الذي استحدثه اكتشاف الطفرات في النظرية الكلاسيكية الداروينية هو أن التطور يرجع الى تغيرات فجائية متقطعة وليس الى التغيرات البسيطة المستمرة التي كانت في ذهن داروين .

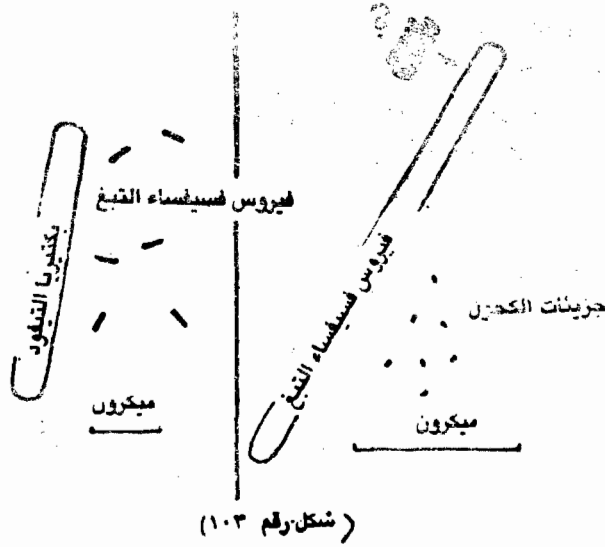
التي قام بها كل من « تيموفيف » و « زيمر » على أثر الحرارة على معدل الطفرات تشير الى أنه باستثناء بعض العوامل الاضافية التي تنشأ عن الوسط المحيط وغير ذلك تخضع الطفرة لنفس القوانين الفيزيوكيميائية الأساسية التي تتحكم في التفاعل الكيميائي العادي . وقد حدا هذا الاكتشاف بالعالم « ماكس ديلبروك » (فيزيائي نظري في السابق ، وعالم جينات تطبيقي في الحاضر) الى تبني الآراء التي كانت فاتحة عهد جديد وتعنى التسكافؤ بين ظاهرة الطفرة بيولوجيا وعملية التغيرات الأيسومرية في الجزىء وهى ظاهرة فيزيوكيميائية بحتة .

ولا يزال هناك الكثير مما يمكن قوله عن الأساس الفيزيائي لنظرية الجين ولا سيما الدليل الهام الذى وفرته لنا دراسة الطفرة الناشئة عن أشعة اكس والاشعاعات الأخرى ، على أن ما قلناه بالفعل يكفى على ما يبدو لاقتناع القارئ بأن العلم يقف الآن على عتبة التفسير الفيزيقي البحت لظاهرة الحياة التي يكتنفها بعض الغموض .

ولا يصح الانتهاء من هذا الفصل دون الإشارة الى الوحدات البيولوجية المعروفة بالفيروسات التي يظهر أنها جينات حرة غير محاطة بخلايا . وحتى عهد قريب كان البيولوجيون يعتقدون أن أبسط صور الحياة يتمثل فى أنواع البكتريا المختلفة ، أو الكائنات الحية المجهرية (وحيدة الخلية) التي تنمو وتتضاعف فى أنسجة الحيوان والنبات والتي تؤدى فى بعض الأحوال الى الإصابة بأمراض مختلفة . وقد أثبتت الدراسات المجهرية على سبيل المثال أن حمى التيفود تنشأ عن نوع خاص من البكتريا ذى أجسام شديدة الاستطالة وطولها يقرب من ٣ ميكرون (μ) (١٣) ، وعرضها حوالى $\frac{1}{2}$ (μ) ، بينما تكون بكتيريا الحمى القرمزية ذات خلايا كروية يبلغ طول قطرها ٢ ميكرون تقريبا . على أن هناك عددا من الأمراض (مثل الانفلونزا فى الانسان وداء القسيسفساء فى التبغ) فشلت الملاحظات الميكروسكوبية فى ارجاع سبب الإصابة بها الى أى بكتيريا عادية . ورغم ذلك فمن المعروف أن هذه الأمراض « اللابكتيرية » الخاصة تنتقل من جسم المريض الى الصحيح بنفس الأسلوب « العدوى » الشائع فى الأمراض العادية ، وحيث أن « العدوى » المنقولة تنتشر بسرعة فى كامل جسم الفرد المصاب فقد كان من انحتم أن نفترض أن هناك أنواعا خاصة من الوحدات البيولوجية هي التي تحمل العدوى وقد سميت بالفيروسات .

(١٣) الميكرون وحدة قياس تساوى $\frac{1}{1000}$ من المليمتر أو ٠.٠٠١ من السنتيمتر .

على أن اكتشاف التقنية الأتروميكروسكوبية (*) (باستخدام الأشعة الضوئية فوق البنفسجية) وتطويرها لم يتم منذ عهد قريب نوعا ، وخاصة اختراع الميكروسكوب الإلكتروني (حيث يسمح استخدام الأطياف الإلكترونية بدرجة تكبير تفوق بكثير نظيرها في الأشعة الضوئية العادية ، وقد تمكن علماء البيولوجيا بفضل هذا الاختراع من رؤية تفاصيل البناء الداخلي للفيروس وهو ما كان متعذرا قبل ذلك .



وقد وجد أن الفيروسات ، على اختلافها ، عبارة عن جسيمات متميزة تتساوى جميعا في الحجم الذي يكون أصغر من البكتيريا العادية (شكل ١٠٣) . ومن ثم فإن جسيمات فيروس الأنفلونزا ذات شكل كروي دقيق بقطر طوله ١٠٠μ ، بينما يبلغ طول فيروس الفسيفساء الاسطواني العضوي ٢٨٠μ أما العرض فيكون ١٥μ . ويعتبر فيروس فسيفساء التبغ حتى الآن أصغر نوع معروف من الوحدات الحية . فاذا تذكرنا أن قطر الذرة حوالي $٣ \times 10^{-١٠} \mu$ نستنتج أن فيروس الفسيفساء يساوي في عرضه خمسين ذرة فقط تقريبا وفي

(*) أي نوع للمجهريّة (المترجم) .

طوله حوالى ألف ذرة وعلى امتداد محوره نجد أن حجمه لا يزيد عن بضعة الملايين من الذرات (١٤) !

ويذكرنا هذا الرقم فى الحال برقم مماثل يعبر عن عدد الذرات فى جين مفرد ، ويوحى بإمكانية اعتبار أن جسيمات الفيروسات « جينات حرة » تقبل الاتحاد مع بعضها فى مستعمرات مستطيلة يطلق عليها الكروموزومات ، وتحيط نفسها بكتلة ثقيلة نسبيا من البروتوبلازم الحلوى .

والواقع أن عملية التكاثر الفيروسى تخضع على ما يبدو لنفس القواعد التى تخضع لها الكروموزومات فى التضاعف عن طريق انقسام الخلايا :

حيث ينقسم الجسم بأكمله على امتداد محوره بحيث يسمح بنشوء جسيمين فيروسيين كاملى الحجم . والواضح أن الأساس فى عملية التكاثر (الموضحة فى شكل ٩١ لحالة افتراضية من تضاعف الكحول) أن تجتذب المجموعات الفيروسية المختلفة الواقعة على امتداد الجزىء المعقد من الخارج مجموعات ذرية مماثلة من الوسط المحيط بها وترتب الأخيرة نفسها بنفس النظام الجزئى الأصيل . وعندما تنتهى عملية الترتيب انفصل الجزىء الجديد ، الذى يكون قد بلغ مرحلة النضج بالفعل ، مبتعدا عن الجزىء الأصيل . ويبدو أن عملية « التكاثر » المعتادة لا تحدث فى النظم الحية الأولية ، حيث تولد الأفراد الجديدة « عضوا عضوا » على امتداد جسم النظام الأصيل ببساطة . ويمكن أيضا الأمر عن طريق تخيل طفل صغير ينمو خارج جسم الأم ملتصقا بها ، بحيث ينفصل عنها ويمشى مبتعدا عن جسمها حين يكتمل نموه فيصبح رجلا أو امرأة (سوف لا أرسم هذه الصورة على الرغم من جاذبية الفكرة) . وبديهى أنه حتى يحدث هذا التكاثر لابد وأن يمضى النمو فى وسط نصف عضوى خاص ، والواقع أنه على النقيض من البكتريا التى تمتلك بروتوبلازما خاصة بها لا تستطيع الجسيمات الفيروسية أن تتكاثر الا داخل بروتوبلازم النظم الأخرى لكونها تعنى عناية بالغة باختيار « غذائها » .

ومن الصفات الشائعة الأخرى فى الفيروسات أنها تخضع للطفرات

(١٤) قد يكرن عدد الذرات التى يتألف منها جسم الفيروس عمليا أقل من ذلك بكثير حيث انه من الممكن جدا أن يكون « فارغا من الداخل » باعتباره يتكون من سلسلة جزئية ملتوية من النوع الموضح فى شكل ١٠١ . فإذا افترضنا أن فيروس التبغ يكون بهـ الشكل (المرسوم فى شكل ١٠٣) فلا بد أن مجموعات الفيروسات المختلفة لا توجد الا على سطح الاسطوانة وبذا ينخفض العدد الكلى للذرات فى كل جسيم الى ما لا يزيد عن بضعة مئات الآلاف . وينطبق نفس المنطق أيضا على عدد الذرات فى الجين المفرد بالطبع .

بداية بلا نهاية - ٢٧٥

وأن الأفراد المتطفرة تنقل الصفات المكتسبة حديثا لذرياتها طبقا لكافة قوانين الجينات المعروفة . ولقد نجح علماء البيولوجيا ، فى الواقع ، فى تمييز العديد من السلالات الوراثية لنفس النوع من الفيروس واقتفاء أثر « التطور العرقى » . وعندما تجتاح أوبئة الانفلونزا المجتمعات تستطيع أن تكون على ثقة من أن السبب فيها يرجع الى نوع جديد من فيروس الانفلونزا المتطفرة التى لم يستطع الجسم البشرى أن يفرز لها النوع الذى يتلاءم معها من المناعة .

لقد ناقشنا فى الصفحات السابقة عددا من الحجج القوية التى تؤكد أن الجسيمات الفيروسية يجب النظر إليها بوصفها وحدات حية . ويمكننا الآن أن نؤكد بنفس القدر من الثقة أن هذه الجسيمات هى فى الوقت ذاته جزيئات كيميائية عادية تخضع لكافة قوانين وقواعد الفيزياء والكيمياء . والواقع أن الدراسات الكيميائية البحتة لمادة الفيروسات تثبت أى أن فيروس يمكن اعتباره من المركبات الكيميائية من حيث التركيب ، ويمكن أن يعامل معاملة المركبات العضوية المعقدة (ولكن غير الحية) ، وأن هذه الفيروسات تخضع لمختلف أنواع التفاعلات التبادلية . ويبدو فى الواقع أن توصل الكيميائيين البيولوجيين الى كتابة رمز الفيروس بنفس القدر من البساطة الذى يكتبون به صيغة الكحول ليس الا مسألة وقت . والأعجب من ذلك أن الجسيمات الفيروسية لنوع ما تتساوى فى الحجم تماما مع بعضها لآخر ذرة .

ولقد اتضح فعلا أن الفيروسات التى تحرم من الوسط الغذائى الذى يناسب بقاءها ترتب نفسها فى الأنماط المعتادة للبلورات العادية . لذا فإن الفيروسات المعروفة بـ « فيروس وقف نمو الطماطم » تتبلور على شكل معين اثنا عشرى جميل ! وبمقدورك أن تضع هذه البلورة فى نفس الفئة مع مجموعة الفلنسلبار والملح الصخرى ، ولكن تعريض الطماطم لها يجعلها تتحول الى حشد من المخلوقات الحية .

لقد خطا كل من « هينز فرانكل كونترات » و « روبلى ويليامز » خطوة هامة تعتبر أولى خطوات تخليق المادة العضوية الحية من مواد غير عضوية وذلك فى معهد الفيروسات بجامعة كاليفورنيا فقد نجحوا بالتجربة فى تقسيم فيروس فسيفساء التبغ الى نصفين كل منهما يعتبر جزيئا من الجزئيات العضوية وان كان أكثر تعقيدا الى حد ما . ولقد كان من المعروف لفترة طويلة أن هذا الفيروس يتألف من حزمة من الجزئيات الطويلة المستقيمة التى تعتبر المادة المنظمة (وهى الحامض النووى الريبوزى) ويحيط بهذه الحزمة جزيئات بروتينية طويلة ملتفة حولها فيما يشبه ملفا من السلك الكهربى المحيط بالمغناطيسى فى النظم الالكترومغناطيسية .

ونجح « فرانكل كونترات » و« ويليامز » في تقسيم هذه الجسيمات الفيروسية باستخدام مختلف منشطات التفاعل الكيميائي (المفاعلات) فاستطاعا الفصل بين الحامض الريبوزي والجزيئات البروتينية دون افساد اى منها . وبذلك حصلوا فى أنبوبة اختبار على محلول مائى للحامض النووى الريبوزى وفى أنبوبة أخرى على محلول الجزيئات البروتينية . ولقد اتضح من الميكروسكوبات الالكترونية أن أنابيب الاختبار لا تحتوى الا على جزيئات هاتين المادتين وان كانت ميتة .

ولكن عند الجمع بين المحلولين بدأت جزيئات الحامض النووى الريبوزى فى الاتحاد فى مجموعات كل منها يتكون من ٢٤ جزيئا فى حزمة واحدة . ثم بدأت جزيئات البروتين فى الالتفاف حولها لتعطى فى النهاية صورة طبق الاصل من الجسيم الفيروسى الذى بدأت به التجربة . وعند وضع هذه الفيروسات على أوراق نبات التبغ (هذه الفيروسات التى قسمت ثم جمعت اجزاؤها ثانية) تسببت فى اصابة التبغ بداء الفسيفساء وكانها لم تتعرض لاي تقسيم أو يعتمورها التغير . ولقد حصل العالمان فى هذه التجارب على المكونات الكيميائية للفيروس عن طريق تقسيم الكائن الحى . ويبقى الآن أن ينجح علماء الكيمياء الحيوية فى وضع أيديهم على الطرق التى يمكن اسخدامها فى تركيب كل من الحمض النووى الريبوزى وجزيئات البروتين من مواد كيميائية عادية . وعلى الرغم من أنهم حتى الآن (١٩٦٥) لم ينجحوا الا فى تركيب القليل من جزيئات هاتين المادتين فلا يوجد ما يمنع مع مرور الوقت من امكان تخليق هذه الجزيئات من العناصر البسيطة . ثم بجمعها معا سنجد لدينا جسيما فيروسيا من صنع الانسان .



[The main body of the page contains extremely faint and illegible text, likely bleed-through from the reverse side of the paper. The text is arranged in several paragraphs and appears to be in Arabic or Urdu script.]



الجزء الرابع

الكون الأكبر

الفصل العاشر

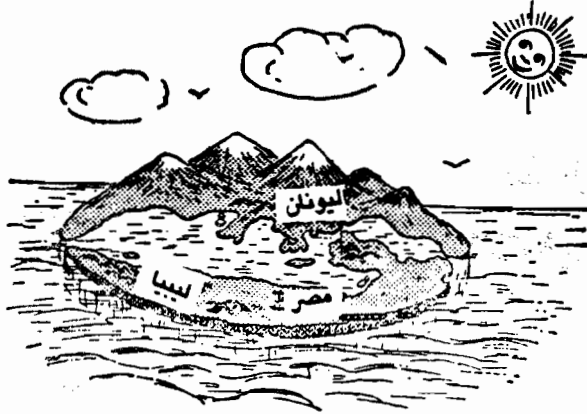
آفاق غير محدودة

١ - الأرض وما يجاورها :

والآن بعد عودتنا من رحلتنا في مملكة الجزيئات والذرات والأنوية نعود الى موضوع أكثر شيوعا بيننا ، وسنبدا رحلة جديدة ولكن في الاتجاه العكسي هذه المرة ، أي نحو النجوم والسحب النجمية والحدود المترامية للكون . وهنا في حالة الكون الأكبر نجد أن التقدم العلمي يمضى بنا خطوات أبعد وأبعد عن الأمور اليومية المعتادة ويفتح أمامنا بالتدرج آفاقا لا حدود لها .

اعتقد الانسان في فجر الحضارة أن هذا الشيء الذي نطلق عليه الكون صغير الى درجة مضحكة ، وكان يتخيل أن الأرض قرص مسطح طاف على سطح محيط الكون . وتحت هذا العالم لم يكن هناك (من وجهة نظره) الا الماء على أعماق سحيقة الى أقصى ما يمكن للانسان أن يتخيله ومن فوقه السماء مستقر الآلهة ، وكان لهذا القرص من الاتساع ما يكفيه لحمل كل الأراضى التي عرفها علماء الجغرافيا في ذلك العصر : أى شواطئ البحر المتوسط والمناطق المطلة عليه من أوروبا وإفريقيا وجزء من آسيا ، وكان الجزء الشمالى من القرص محدودا بسلسلة من الجبال المرتفعة ومن ورائها تختفى الشمس أثناء فترة الليل لتتهجم على سطح المحيط الكونى . ونرى من شكل ١٠٤ صورة تعطينا فكرة دقيقة الى حد كبير عن صورة العالم

في عيون أهل العصور القديمة ، ولكن في القرن الثالث قبل مجيء السيد المسيح ظهر رجل عارض هذه الصورة المبسطة للعالم التي كانت تلقى قبولا عاما بين أهل زمانه . وكان هذا الرجل هو الفيلسوف الاغريقي (هكذا كانوا يسمون العلماء في ذلك الوقت) أرسطو .



(شكل رقم ١٠٤)

العالم كما كان يتخيله القدماء

وقد طرح أرسطو في كتابه « عن السماء » نظرية تنادى بأن الأرض كروية ، تغطيها اليابسة في أجزاء والماء في أجزاء أخرى ويحيط بها الهواء . وأيد هذه النظرة بعدة أدلة تبدو لنا الآن بديهية حيث أشار الى أن السفن تتدرج في الاختفاء عن الابصار فيما وراء الأفق فيختفى الجسم أولا ويظل الصبارى ظاهرا كما لو كان خارجا من الماء مما يدل على أن سطح الأرض مقوس وليس مسطحا ، وأرجع خسوف القمر الى سقوط ظل الأرض على سطح هذا التابع ، وحيث ان هذا الظل دائري فلا بد أن تكون الأرض مستديرة كذلك . ولكن لم يصدقه في ذلك الوقت الا قليلا من الناس ، فلم يكن بمقدور أهل الأرض أن يفهموا كيف يمكن أن يسير الناس الموجودون على الجانب الآخر من الأرض (وكانوا يطلقون عليهم المقابلون ، وهم الاستراليون في العصر الحديث) في مثل هذا الوضع المقلوب دون أن يسقطوا . وكيف تحتفظ الأرض بماء البحار في هذه الأجزاء اذا كانت الأرض مستديرة حقا ؟ (شكل ١٠٥) .

فلم يكن الناس يدركون في ذلك الوقت أن الأشياء تسقط الى أسفل بفعل الجاذبية الأرضية ، اذ كان « أعلى » و « أسفل » بالنسبة لهما اتجاهين مطلقين لا يتغيران بتغيير المكان .



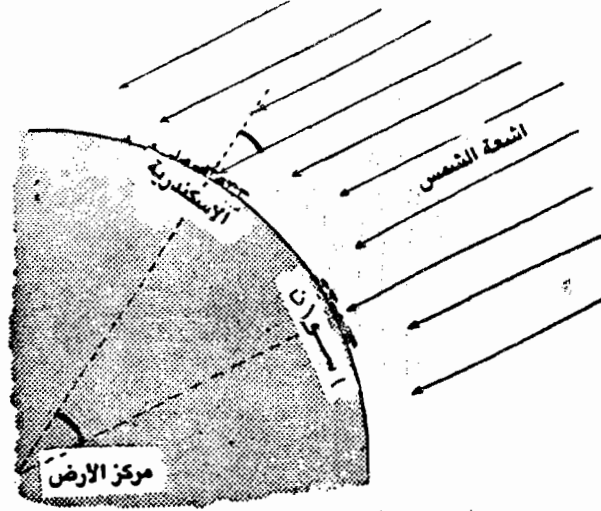
(شكل رقم ١٠٥)

الاعتراض على فكرة كروية الأرض

ويبدو أن فكرة « أعلى » الذي يصبح « أسفل » وأسفل الذي يصبح أعلى عندما تنتقل إلى نصف الكرة الأرضية الآخر فكرة بلهاء مثلما تبدو للبعض نتائج النظرية النسبية التي أبدعها أينشتاين في عصرنا هذا . وكان سقوط الأجسام الثقيلة لا يفسر بقوة جذب لها كما نقول الآن ولكن « بالميل الطبيعي » في كل الأشياء للاتجاه إلى أسفل ، وهكذا إذا خاطرت بالذهاب إلى النصف الآخر من الأرض (وكانت كروية) فلا بد من سقوطك إلى أسفل حيث السماء الزرقاء ! فما أقوى المعارضة التي واجهت هذه الفكرة الجديدة ! لدرجة أنك ترى في كثير من الكتب التي طبعت في القرن الخامس أي بعد ألفي عام من أرسطو رسوما يظهر فيها سكان الجزء المقابل من الأرض واقفين على رؤوسهم على « أسفل » الكرة الأرضية ، كنوع من السخرية من الفكرة . وربما كان « كولبس » العظيم نفسه في شك

من خطته عندما بدأ رحلته لاكتشاف « الطريق العكسي الى الهند » والواقع أنه لم ينجح في ذلك لأن قارة أمريكا اعترضت سبيله ولم يتبدد هذا الشك بصفة نهائية الا بعد قيام الرحالة الشهير « فرناندو دي ماجالانس » (المعروف بماجيلان) برحلته البحرية حول العالم .

وحين أدرك البشر لأول مرة أن الأرض على شكل كرة عملاقة كان من الطبيعي لهم أن يتساءلوا عن حجمها بالنسبة لأجزاء العالم المعروفة في هذا الوقت . ولكن كيف يمكن قياس الأرض دون القيام برحلة حول العالم ، وهو ما كان أمرا بعيد المنال بالنسبة لفلاسفة الاغريق .



(شكل رقم ١٠٦)

حسن . . . هناك حل ، وكان أول من اكتشفه العالم الشهير آنذاك « اراتوستينيس » الذي عاش في الاسكندرية : منارة الحضارة الاغريقية في مصر ابان القرن الثالث قبل الميلاد فقد سمع من سكان مدينة « أسوان » جنوب نهر النيل والتي كانت تبعد مسافة ٥٠٠٠ ستاد يوم عن الاسكندرية أنه عند الانقلاب الصيفي (*) تكون شمس الظهيرة عمودية تماما على الأرض بحيث تختفي ظلال الأجسام كلها . ومن ناحية أخرى كان « اراتوستينيس » يعرف أن شيئا من هذا القبيل لم يحدث أبدا في الاسكندرية وأنه في نفس اليوم تتحرك الأرض سبع درجات (أو $\frac{1}{4}$ من محيط دائرة كاملة) بعيدا عن سمت الرأس (النقطة التي تعلو الرأس تماما) . وبافتراض أن الأرض مستديرة فسر العالم السكندري هذه الظاهرة تفسيرا سهلا

(*) في ٢٢ يونية (حزيران) .

تستطيع أن تفهمه بمجرد النظر الى شكل (١٠٦) . والواقع أنه لما كانت الأرض تنحني بين المدينتين فإن أشعة الشمس التي تسقط عموديا في « أسوان » لا بد وأن تصل الى الأرض بزاوية معينة في مدينة الاسكندرية التي تقع شمالا ، وتستطيع أن ترى من هذا الشكل أيضا أننا لو رسمنا خطين مستقيمين من مركز الأرض بحيث يمر أحدهما بالاسكندرية والآخر بمدينة « أسوان » فإن زاوية التقاء الخطين (*) ستكون مساوية تماما للزاوية التي يصنعها تلاقى الخط المرسموم من مركز الأرض حتى الاسكندرية (أى الاتجاه العمودى فى الاسكندرية) مع أشعة الشمس فى نفس وقت تعامدهما على « أسوان » مباشرة .

وحيث ان هذه الزاوية تعادل $\frac{1}{4}$ من دائرة كاملة فإن المحيط الكلى للكرة الأرضية لا بد وأنه يساوى ٥٠ ضعفا للمسافة بين المدينتين أو ٢٥٠٠٠ ستاديوم . والستاديوم المصرى حوالى $\frac{1}{3}$ ميل لذا فإن المسافة تساوى ٢٥٠٠ ميل أو ٤٠٠٠ كم وهكذا يكون حساب « اراتوستينس » قريبا جدا من أفضل التقديرات الحديثة .

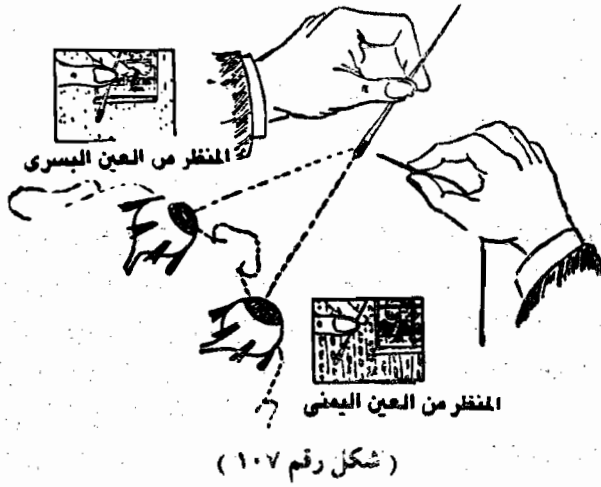
ولكن العبرة أساسا لم تكن فى دقة أول قياس للأرض ولكن فى ادراك مدى اتساعها ، وأن سطحها الاجمالي يبلغ مساحة تفوق مساحة الأرض المعروفة بمئات المرات مما أثار الدهشة وأخذ الناس يتساءلون عن مدى صحة تقديره ، وعما يكمن وراء حدود الأرض المعروفة لهم آنذاك . . وهو أمر يشبه جيرتنا حينما نتحدث عن المسافات الفلكية ولا بد أولا أن نتعرف على ما يطلقون عليه « الإزاحة المكانية » أو ببساطة اختلاف **الوضع الزاوى أو الاختلاف الظاهرى للموضع Parallax**

وقد تبدو الكلمة مخيفة قليلا ولكنها فى الحقيقة غاية فى البساطة والنفع ، عندما نتحدث عن أبعاد الكون .

ولنا أن نبدأ محاولتنا للتعرف على هذا المصطلح بمحاولة ادخال خيط فى ثقب ابرة : حاول أن تفعل ذلك باغلاق عين وفتح الأخرى وسرعان ما تجد أن المحاولة ستفشل ، فانك اما أن تدخل الخيط مسافة طويلة أكثر من اللازم فى الابرة أو تقف به قبل الثقب . فباستخدام عين واحدة لن تستطيع الحكم على المسافة بين الابرة والخيط ، ولكن باستخدام عينيك معا تستطيع ذلك بسهولة أو على الأقل ستتعلم بسهولة . فعندما تنظر الى جسم ما باستخدام عينيك الاثنتين يتركز النظر تلقائيا على هذا الشيء وكلما كان أقرب كلما اقتربت عينك من بعضهما بحيث أن الحركة العضلية المطلوبة لاحداث هذا الضبط تعطيك فكرة جيدة تماما عن المسافة .

(*) زاوية محيطية (المترجم) .

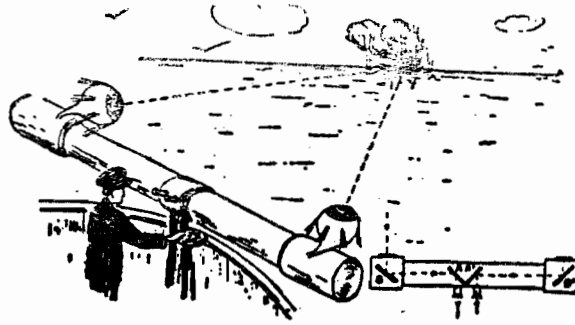
والآن اذا استخدمت ، بدلا من ذلك عينا واحدة ثم أغمضتها وفتحت الأخرى ستلاحظ أن مكان الجسم (وهو الأبرة في هذه الحالة) بالنسبة الى خلفية بعيدة عنه (لتقل أنها النافذة) قد تغير .



ويعرف هذا الأثر بالازاحة المكانية أو الاختلاف الظاهري وهو بالتأكيد معروف لكل منا وان كنت لم تسمع به مطلقا فما عليك الا النظر الى شكل ١٠٧ ، وكلما كان الجسم بعيدا كلما كانت هذه الازاحة أقل ولذا نستطيع استخدامها في قياس المسافات ، وحيث أنه من الممكن قياس الازاحة بدقة باستخدام الدرجات المحيطة فان هذه الطريقة أدق من الحكم على المسافة بالاعتماد على الحركة العضلية في كرة العين . ولكن لما كانت المسافة بين العينين لا تزيد عن ٣ بوصات (٧.٥ سم) فان استخدامها لتقدير المسافات لا يصلح فيما يزيد عن بضعة أمتار ، وفي حالة الأجسام الأبعد يصبح محورا العينين متوازيين تقريبا وتصبح الازاحة المكانية أصغر من أن تقاس . وحتى نحكم على المسافات الأكثر بعدا لابد من أننا سنحتاج الى أن نحرك عينينا الى مسافة أبعد عن بعضهما . وبالتالي نزيد زاوية الازاحة المكانية . ولست بحاجة الى عملية جراحية لتقوم بذلك ويمكنك أن تستعين بدلا منها بمرآة .

نرى في الشكل جهازا استخدمته البحرية (قبل اختراع الرادار) لقياس بعد السفن المعادية أثناء المعركة . وهو عبارة عن أنبوب طويل به مرآتان (١ ، ١ ') أمام كل عين واحدة ، ومرآتان أخريان (ب ، ب ') عند طرفي الأنبوبة . وبالنظر الى مثل هذا الجهاز ستري وكان لك عين عند

الطرف ب والآخرى عند الطرف ب ، وتصيح المسافة بين العينين والتي يطلق عليها القاعدة البصرية أكثر بعدا فيمكنك قياس مسافات أبعد .
 على أن رجال البحرية لا يقصرون اعتمادهم على مجرد الاحساس بالمسافة باستخدام عضلات كرة العين . ولكن معين المدى يكون مجهزا بعدادات خاصة وأقراص رقمية تقيس الازاحة المكانية بأقصى قدر ممكن من الدقة .

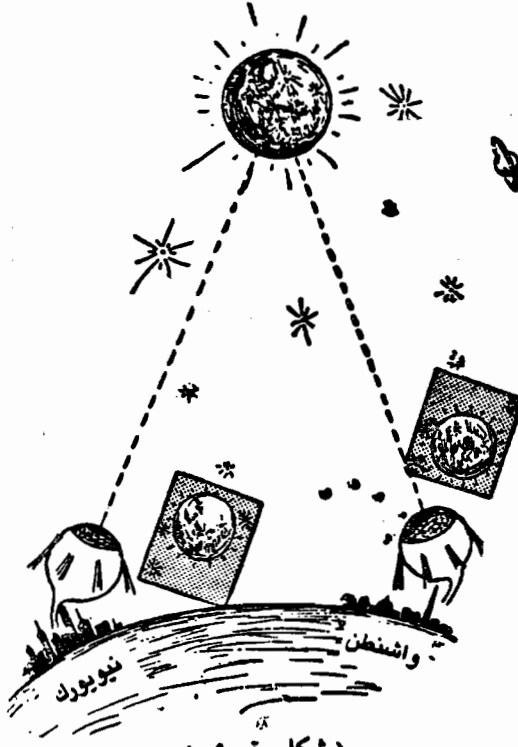


(شكل رقم ١٠٨)

ورغم أن هذا الجهاز يعمل بكفاءة تامة حتى ولو كانت السفينة المعادية تكاد تكون وراء الأفق الا أنها تفشل فشلا ذريعا عند محاولة تحديد بعد أى جرم سماوى مهما كان قريبا ولو كان القمر . وحتى نلاحظ الازاحة المكانية للقمر بالنسبة للنجوم البعيدة عنه فلا بد وأن يصبح طول القاعدة البصرية ، أى المسافة بين العينين ، عدة كيلومترات على الأقل ، ولكننا لا نحتاج بالطبع الى صنع تلسكوب خرافى يتحتم على من ينظر فى فتحتى الرؤية فيه أن يضع عينا فى واشنطن مثلا ، والعين الأخرى فى نيويورك ، اذ نستطيع الاكتفاء بأخذ صورتين للقمر من المدينتين فى نفس الوقت ومن ورائه خلفية من النجوم المحيطة به . واذا وضعت هاتين الصورتين فى الاستيروسكوب stereoscope الذى يجسم الصور سترى القمر متدليا أمام خلفية من النجوم . وبقياس صور النجوم والقمر المأخوذة فى مكانين متباعدين على سطح الأرض (شكل ١٠٩) اهتدى علماء الفلك الى أن الازاحة المكانية للقمر كما تظهر من المكانين على نهايتى قطر الأرض هي ١٢٤٥ و يترتب على ذلك أن المسافة الى القمر تعادل طول قطر الأرض ٣٠١٤ مرة أى ٣٨٤٤٠٣ كم أو ٢٣٨٨٥٧ ميلا .

وإذا رصدنا الزاوية القطرية للقمر سنجد أن قطر التابع الأرضى حوالى $\frac{1}{4}$ قطر الأرض . وأن مساحة سطحه لا تزيد على $\frac{1}{9}$ من مساحة

ونستطيع بأسلوب مشابه قياس المسافة الى الشمس على الرغم من أن الشمس أبعد من ذلك بكثير وبالتالي فإن القياسات تكون أكثر صعوبة أيضا ، وقد وجد علماء الفلك أن بعد الشمس عن الأرض يساوي ١٤٩٩٤٥٠٠٠٠ كم (٩٢ر٨٧٠٠٠٠ ميل) أو ٣٨٥ مرة قدر المسافة الى القمر . وهذا هو السبب في أن الشمس تبدو في حجم القمر وهي في الحقيقة أضخم منه بكثير ذلك أن طول قطرها يعادل طول قطر الأرض .
١٠٩ مرة .



(شكل رقم ١٠٩)

ولو كانت الشمس ثمرة قرع ضخمة لكانت الأرض حبة من حبوب البازلاء ، والقمر بذرة من بذور الحشخاش ، أما أضخم ناطحات السحاب في نيويورك فستغدو في حجم أصغر خلية بكتيرية يمكن رؤيتها بالميكروسكوب . ومن المجدي هنا أن نتذكر أن الفيلسوف الاغريقي القديم « أناكسوجوراس » نال عقوبة النفي جزاء تقدميته ، بل وهدد بالقتل إذا استمر في الحديث عن الشمس باعتبارها كرة كبيرة من النار تماثل في حجمها حجم اليونان كلها ! .

ويستطيع الفلكيون أن يحسبوا بعد الكواكب المختلفة في النظام الشمسى بنفس الطريقة . وقد قدر بعد كوكب بلوتو الذى لم يتم اكتشافه الا حديثا والذى يعتبر أبعد هذه الكواكب عن الأرض بحوالى ٤٠ ضعفا لبعد الشمس عن الأرض ، وإذا شئنا الدقة فإن هذه المسافة تساوى ٣٦٦٨ × ٩١٠ ميلا .

٢ - عالم النجوم :

والآن ننتقل الى الخطوة التالية من الكواكب الى النجوم ومرة ثانية يمكن استخدام الازاحة المكانية . وسوف نجد أن أقرب النجوم الينا بعيد جدا الى درجة أن أبعد نقاط الملاحظة المتاحة لنا (على جانبي الكرة الأرضية) لا تظهر فيها أى ازاحة مكانية ملحوظة بالنسبة الى الخلفية النجمية عموما . ولكن رغم ذلك لا يزال هناك حل . فإذا كنا قد استخدمنا الأبعاد الأرضية لقياس حجم مدار الأرض حول الشمس فلم لا نستخدم هذا المدار لتقدير المسافة الى النجوم ؟ وبعبارة أخرى ألا يمكن ملاحظة الازاحة المكانية نسبيا (لبعض النجوم على الأقل) عن طريق النظر إليها من نهايتى مدار الأرض . وهذا يعنى أن علينا الانتظار مدة نصف عام كفترة بينية بين الملاحظتين ، ولكن لم لا ؟ .

لقد بدأ الفلكى الألماني « بسل » فى مقارنة المواقع النسبية للنجوم عام ١٨٣٨ اعتمادا على هذه الفكرة . وفى البداية كان حظه سيئا : فقد كانت النجوم التى اختارها بعيدة جدا بحيث لم يلحظ أى ازاحة مكانية حتى باستخدام مدار الأرض كقاعدة بصرية والانتظار لمدة نصف عام بين الملاحظتين . ولكن عجبا ها هوذا أخيرا النجم المعروف فى القائمة الفلكية باسم الدجاجة ٦١ (النجم الواحد والستين فى ترتيب الكواكب الحافثة الضوء فى كوكبة البجعة) (*) . والذى اختلف مكانه قليلا بعد نصف عام من الملاحظة الأولى (شكل ١١٠) .

وبعد ذلك بنصف عام عاد النجم الى موقعه القديم فالأمر اذن مرده الى الازاحة المكانية (أو اختلاف الوضع) . وبذلك كان « بسل » أول من يتخطى حدود النظام الشمسى وينطلق الى الفضاء النجمى متقدما على كثير من معاصريه . وقد كانت الازاحة الملاحظة « للدجاجة ٦١ » ضئيلة جدا فى الواقع حيث لم تزيد عن ٦ ثمانية زاوية (٢) وهى الزاوية التى يمكن بها أن ترى رجلا على بعد ٥٠٠ ميل اذا كان لك القدرة على الرؤية على

(*) كوكبة شمالية (المترجم) .

(٢) وتقدير أدق ٦٠٠ ± ٥٠٠ .

هذا البعد أساسا ! ولكن الأجهزة الفلكية دقيقة جدا ويمكنها قياس حتى هذه الزوايا بدرجة عالية من الدقة . وباستخدام الازاحة الملاحظة وقطر مدار الأرض المعروف اهتدى بسبل الى أن هذا الكوكب يبعد مسافة 1.3×10^{14} كم أى أبعد من الشمس بـ 690.000 ألف مرة ! ومن الصعب الى حد ما أن نلم بمغزى هذا الرقم ففي مثالنا السابق الذى كانت الشمس فيه ثمرة من ثمار القرع والأرض حبة بازلاء تدور حولها على مسافة 200 قدم نجد أن بعد هذا النجم يبلغ 30.000 ميل ! .

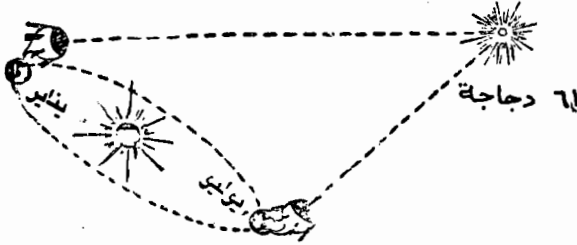
ومن المتعارف عليه فى الفلك أن نتحدث عن المسافات البعيدة جدا بالفترة التي يمكن للضوء أن يقطعها فيها (سرعة الضوء 300.000 كم فى الثانية) . ويحتاج الضوء الى $\frac{1}{8}$ ثانية للدوران حول الأرض ، وأزيد قليلا من ثانية واحدة ليصل الى الأرض آتيا من القمر وحوالى 8 دقائق حتى يقطع المسافة الينا من الشمس أما النجم « دجاجة 61 » وهو أحد أقرب جيراننا فى الكون فإن الضوء يصل الينا منه فى 11 عاما تقريبا . فاذا حدث وانطفأ هذا الضوء نتيجة لتأثر كارثة كونية ما ، أو انفجر النجم فجأة (وهو أمر كثيرا ما يحدث للنجوم) فسوف يكون علينا أن ننتظر أحد عشر عاما حتى يحمل الينا بريق الانفجار نبا اندثار هذا النجم حيث يختفى بعد ذلك من سمائنا .

وقد حسب بسبل من تلك المسافة التي قدرها أن هذا النجم الذي يظهر للعين أشبه بنقطة لامعة تتلألأ فى السماء ومن ورائه خلفية سوداء هى السماء فى فترة الليل هو فى الحقيقة نجما لامعا أصغر من الشمس فى الحجم بنسبة 30% لا غير . وقد كان هذا أول البراهين التي أدت الى ظهور فكرة العالم الشهير « كوبرنيكس » فأحدث انقلابا فى علم الفلك حين قال ان الشمس ما هى الا نجم من عشرات الآلاف من النجوم المبعثرة على أبعاد هائلة فى فضاء لا حدود له .

وبعد اكتشاف « بسبل » حدثت العديد من قياسات الازاحة المكانية للنجوم ، والقليل منها كان أقرب الينا من « دجاجة 61 » كما كان أقربها ألينا قنطورس ألفا (***) (أكثر النجوم لمعانا فى كوكبة الجبار) ، حيث لا يبعد أكثر من 34 سنة ضوئية . وهو قريب جدا من شمسنا فى الحجم واللمعان . وأغلب النجوم أبعد بكثير من ذلك الى درجة أنه حتى قطر مدار الأرض يصبح أقصر بكثير من أن يصلح كقاعدة بصرية لقياس بعدها .

(*) أول من نادى بهذه الفكرة هو العالم الشهير « كوبرنيكس »
 (***) Alpha Centauri نسبة الى حيوان القنطور الحرافي الذى يتالف من جراد براس وصدر رجل (المترجم)

وقد وجد أيضا أن النجوم تتباين كثيرا في أحجامها وشدة اضاءتها
 ٠٠٠٠٠ من نجوم عملاقة شديدة اللمعان مثل منكب الجوزاء (على بعد ٣٠٠
 سنة ضوئية) ويبلغ حجمه ضعف حجم الشمس ٤٠٠ مرة وهو أشد
 لمعانا منها ب ٣٦٠٠ مرة ، الى نجوم باهتة متقزمة مثل نجم « فان مانن »
 (على بعد ١٣ سنة ضوئية ، وهو أصغر حجما من أرضنا (قطره يساوي
 ٧٥ في المائة من قطر الأرض) وضوؤه أضعف من ضوء الشمس
 ب ١٠ ٠٠٠ مرة .



(شكل رقم ١١٠)

والآن نأتي الى مشكلة هامة وهي حصر عدد النجوم وهناك اعتقاد
 شائع ربما كان اعتقادك أيضا ، وهو استحالة عد النجوم . ومع ذلك
 فان هذا الاعتقاد خاطيء تماما مثله مثل الكثير من الاعتقادات الشائعة
 وذلك على الأقل بالنسبة للنجوم التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة . والحق
 أن العدد الكلي للنجوم التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة في نصف الكرة
 الأرضية يتراوح بين ٦٠٠٠ و ٧٠٠٠ نجم فقط ، وحيث ان ما يعنوا
 الأفق منها لا يزيد عن النصف في أي وقت وحيث ان القدرة على رؤية
 النجوم القريبة من الأفق تتأثر كثيرا بالامنصاص الجوي ، فان عدد النجوم
 التي يمكن رؤيتها بالعين المجردة عادة لا يزيد عن ٢٠٠٠ نجم ، ولذا فاذا
 حاولت أن تعدها بهمة بمعدل نجم في الثانية مثلا فلابد وأن تنتهي منها
 كلها في حوالي $\frac{1}{4}$ ساعة !

وإذا استخدمت نظارة الميدان تستطيع أن ترى ٥٠٠٠٠ نجم جديد ،
 ويمكنك أيضا بالاستعانة بتلسكوب $\frac{1}{4}$ بوصة أن ترى ٥٠ مليون نجم
 زيادة على ذلك . أما اذا استخدمت تلسكوب مرصد جبل ولسون الشهير
 (١٠٠ بوصة) في كاليفورنيا فسوف تصبح قادرا على رؤية حوالي
 $\frac{1}{4}$ بليون نجم . ويحتاج الفلكيون في عددها - بمعدل نجم في الثانية كل
 يوم من الغسق حتى الفجر - الى قرن تقريبا قبل الانتهاء منها ! ولكن أحدا
 لم يحاول ذلك طبعا و لا حتى أقل منه . ويمكن حساب العدد الكلي للنجوم

بحصر النجوم المرئية فعلا في عدد من المساحات الواقعة في أماكن مختلفة من السماء ثم حساب المتوسط وضربه في المساحة الكلية .

ومنذ ما يزيد عن قرن مضى بينما كان الفلكي البريطاني الشهير « ويليام هرشل » يراقب الفضاء النجمي باستخدام تلسكوبه الذي صنعه بنفسه ، فوجيء بأن أغلب النجوم التي تكون عادة غير ظاهرة للعين المجردة تظهر داخل حزام باهت يمر بعرض السماء ليلا ويعرف بدرب التبانة . وله أساسا يرجع الفضل في اعتراف علم الفلك بأن درب التبانة ليس مجرد حزام سديمي عاد أو شريط من السحب الغازية التي تنتشر بعرض الفضاء ، ولكنه يتألف في الحقيقة من عدد النجوم البعيدة جدا ومن ثم فانها تكون باهتة لدرجة أن عيوننا لا تتمكن من التعرف عليها منفصلة عن بعضها .

ومع الزيادة المستمرة في قوة التلسكوبات المستخدمة زاد عدد النجوم التي أصبح بإمكاننا أن نراها في درب التبانة كوحدات منفصلة ، ولكن للسواد الأعظم منها ما يزال مختفيا في صورة خلفية ضبابية . ومع ذلك فمن الخطأ أن نعتقد أن النجوم موزعة في درب التبانة بدرجة أكبر كثافة منها في أي جزء آخر من السماء . والواقع أن العبرة في مظهرها هذا ليست في كثافة التوزيع النجمي لها ولكن في عمق هذا التوزيع وهو ما يجعل من الممكن لنا رؤية ما يشبه عددا من النجوم أكبر من هذا العدد في أي مكان آخر من السماء . وتنتشر النجوم على مرمى البصر (مع الاستعانة بالتلسكوب) في اتجاه درب التبانة ، بينما في أي اتجاه آخر لا يمتد وجود النجوم المرئية الى ما لا نهاية ولكننا نرى بعد هذه النجوم فضاء خاليا تقريبا .

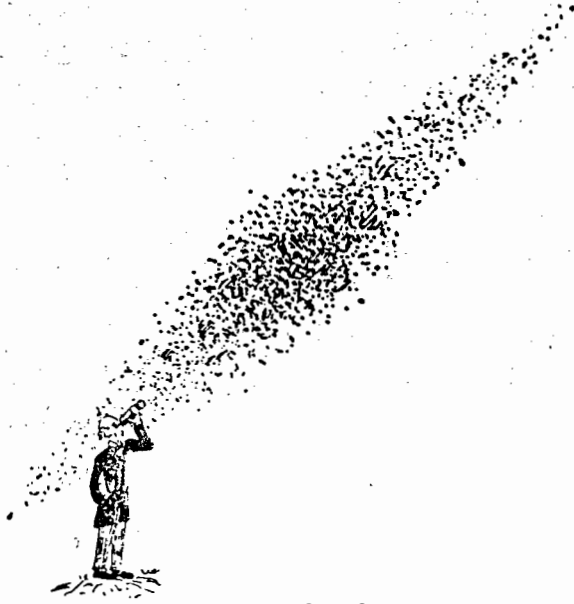
وعندما ننظر الى درب التبانة فنحن أشبه بمن يرنو الى غابة كثيفة حيث تتداخل الأغصان النامية من الأشجار المختلفة لتكون خلفية متماسكة ، فنحن نرى مساحات من الفضاء الخالي في غير هذه من المجرات ، تماما كما تظهر المساحات الزرقاء في السماء ذات الزخرف من فوقنا .

لذا فان الكون النجمي الذي تعد شمسنا أحد أعضائه غير البارزين يحتل مساحة مسطحة من الفضاء ويمتد الى مسافة بعيدة في مستوى درب التبانة ، بينما يكون أقل عمقا في المستوى المتعامد عليه نسبيا .

وقد أدت الدراسات الأكثر تفصيلا على يد أجيال من علماء الفلك الى نتيجة مفادها أن الكون النجمي يتضمن حوالي 4×10^{10} نجما قائما بذاته ، وتوزع هذه النجوم على شكل عدسة يساوي قطرها حوالي ١٠٠٠٠ سنة ضوئية ، بينما يتراوح سمكها من ٥٠٠٠ الى ١٠٠٠٠



سنة ضوئية • وقد كان من نتائج هذه الدراسة الصفة التي تلقاها وجه الانسان والصدمة التي نزلت بكبرياته حين عرف أن شمسنا ليست مركزا لهذا المجتمع النجمي اطلاقا ولكنها تكاد تكون واقعة على حدوده الخارجية •

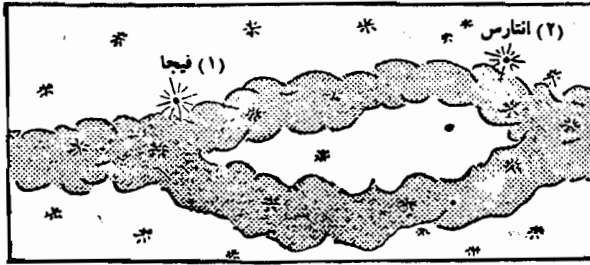


(شكل رقم ١١١)

عالم فلكي ننظر الى التوزيع النجمي لدرب التبانة مصغرا بمقدار ٢٠١٠ •
ويحتل راس العالم تقريبا موقع شمسنا •

وفي شكل (١١١) حاولنا أن نقرب هذه الفكرة الى القارئ ليعرف الشكل الحقيقي لجلايا النجوم • وبالمناسبة لقد فاتنا أن نذكر أن درب التبانة يعرف في اللغة العلمية بالمجرة Galaxy (وهي من اللغة اللاتينية بالطبع) • وقد رسمنا حجم المجرة في هذا الشكل مختزلا بمعامل قدره ٢٠١٠ من حيث عدد النقاط التي تمثل النجوم المنفصلة حيث انها أقل في الشكل من ١٠١٠×٤ بدرجة كبيرة وذلك لأسباب طوبوغرافية • ومن أهم الخواص المميزة لهذا الحشد الضخم من النجوم الذي يتكون منه النظام المجري • حالة الدوران السريع الشبيهة بما يحدث في نظامنا الكوكبي • وكما تتحرك الأرض وفينوس وعطارد وغيره من الكواكب في مسارات دائرية تقريبا حول الشمس كذلك تتحرك بلايين النجوم التي يتكون منها نظام درب التبانة حول ما يعرف بمركز المجرة • ويوجد هذا

المركز في اتجاه كوكبة الرامي (٣) (برج القوس) والواقع أنك لو تتبعته الشكل الضبابي للمجرة عبر السماء ستلاحظ أنه يزداد اتساعا كلما اقتربت من هذه الكوكبة وهو ما يدل على أنك تنظر الى الجزء المركزي الأكثر سمكا من هذه الكتلة الشبيهة في الشكل بالعدسة (في شكل (١١١) ينظر صاحبنا في هذا الاتجاه) . فكيف يبدو مركز المجرة ؟ . مما يؤسف له أننا لا نعرف الرد على هذا السؤال حيث أنه محجوب عن أبصارنا بسحب ثقيلة داكنة من مادة نجحية معلقة في الفضاء . والحق أنك قد تظن عند النظر الى الجزء المتسع من الطريق السماوي الاسطوري ، أن هذا الطريق يتفرع الى حارتين من حارات المرور في اتجاه واحد . ولكن هذا ليس تفرعا فعليا إذ أن هذا الانطباع مرده الى السحب الداكنة ذات الغبار النجمي والغازات المعلقة في الفضاء في منتصف هذا الجزء المتسع بيننا وبين مركز المجرة ، لذا ففي حين أن القنامة الظاهرة على جانبي درب التبانة ترجع الى الخلفية القضاية الداكنة ، فإن القنامة التي توجد في منتصف المجرة ترجع الى السحابة المعتمة الداكنة . والقليل من النجوم الموجودة في هذه البقعة المركزية يكون « أمامية » لها ويقع بيننا وبين السحابة (شكل ١١٢) .



(شكل رقم ١١٢)

إذا نظرنا نحو مركز المجرة سيبدو لنا لأول وهلة ان هذا الطريق الاسطوري السماوي يتفرع الى حارتين من حارات المرور باتجاه واحد .

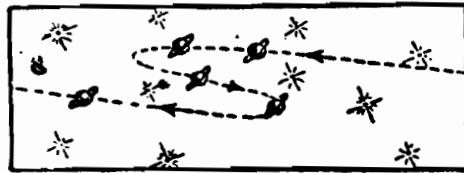
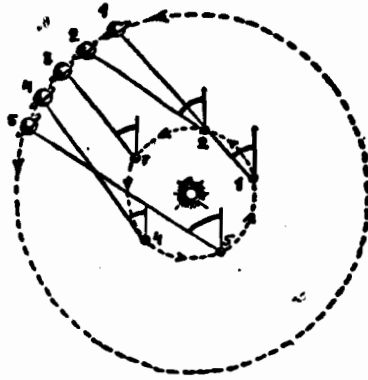
ومن المحزن بالطبع أننا عاجزون عن رؤية هذا المركز الغامض الذي تدور شمسنا حوله في حركة مغزلية من بين بلايين أخرى من الأنجم . ولكننا نعرف شكله من ناحية معينة ومن خلال مراقبة النظم النجمية أو المجرات المبعثرة في الفضاء بعيدا فيما وراء حدود درب التبانة . فهو ليس نجما مفردا في عملكته يفرض على بقية أعضاء النظام النجمي التبعية كما تسود الشمس عائلة الكواكب . وتشير دراسة الأجزاء المجرية (التي ستعرض

(٣) افضل رؤية « للرامي » (Sagittarius) تكون في ليلة صافية من ليال الصيف

• الأولى •

لها فيما بعد) الى أنه يتكون من نجوم عديدة مع اختلاف واحد وهو أن النجوم هناك تكون أكثر ازدحاما منها في أي جزء طرفي آخر مثل الجزء الذي تنتمي شمسنا اليه . فاذا شبهنا النظام الكوكبي بدولة أوتوقراطية(*) تحكم الشمس فيها الكواكب ، فان مجرة النجوم أقرب صلة الى النظام الديمقراطي الذي يحتل فيه بعض الأعضاء مواقع مركزية حساسة في حين يبقى على الآخر من أن يرضوا بمراكز أكثر تواضعا على أطراف نظامهم الاجتماعي .

وكما ذكرنا قبلا تدور جميع النجوم بما في ذلك شمسنا في مدارات عملاقة حول مركز النظام المجري . فكيف يمكن اثبات ذلك وما طول أنصاف أقطار هذه المدارات النجمية ، وكم تستغرق في اتمام دورة كاملة ؟ .



(شكل رقم ١١٣)

لقد أجاب على هذه الأسئلة كلها منذ بضعة عقود العالم الفلكي الهولندي « أورت » الذي طبق ملاحظات على درب التبانة شبيهة للغاية بملاحظات « كوبرنيك » على النظام الكوكبي .

وبادىء ذي بدء دعونا نتذكر فكرة كوبرنيكس . ان القدماء مثل

(*) استبدادية .

البابليين والفراعنة وغيرهم قد لاحظوا أن الكواكب الكبيرة مثل المشتري وزحل تبدو حركتها في السماء غريبة نوعاً ، فكأنها تتحرك في مسار أشبه بالقطع الناقص كالشمس ، ثم تتوقف فجأة وتراجع وبعد استئناف الحركة ثانية تتابع السير في اتجاهها الأصلي . وقد رسمنا في الجزء الأسفل من شكل ١١٣ صورة تخطيطية لحركة زحل (يتم زحل دورته كاملة بعد ٢٩ عاماً ونصف) ، وحيث ان النزعة الدينية قد أملت على الناس في ذلك الوقت اعتقاداً بأن الأرض هي مركز الكون ، وأن جميع الكواكب بل والشمس نفسها تدور حولها فقد فسرت هذه المسارات استناداً الى فرضية بأن مدارات هذه الكواكب تكون شاذة وبها عدد من المسارات المنحنية .

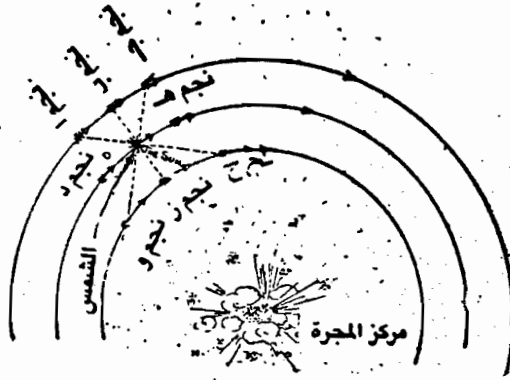
ولكن «كوبرنيكس» كان أفضل من ذلك علماً فاستطاع بضربة عبقرية أن يفسر ظاهرة الانقلاب الغامضة على أساس من دوران الأرض مع غيرها من الكواكب على امتداد دوائر بسيطة حول الشمس . ومن الممكن فهم هذا الأثر الانقلابي بسهولة بعد دراسة الرسم التخطيطي الأعلى في شكل ١١٣ .

فالشمس هي المركز والأرض (الكرة الصغيرة) تتحرك في الدائرة الصغيرة وكوكب زحل (المحاط بالحلقة) يتحرك في دائرة أكثر اتساعاً في نفس اتجاه الأرض . وتمثل الأرقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ مواضع مختلفة للأرض على مدار العام وما يقابلها من مواضع لزحل الذي يتحرك بمعدل أبطأ كثيراً كما نذكر .

أما الخطوط الرأسية المرسومة من الأماكن المختلفة للأرض فتمثل اتجاه نجم معين ثابت . ويرسم خطوط من المواضع الأرضية المختلفة الى ما يقابلها بالنسبة لزحل نجد أن الزاوية بين الاتجاهين (الى زحل والى النجم الثابت) تبدأ في الزيادة أولاً ثم تتناقص بعد ذلك ثم تزداد . وهكذا فإن ظاهرة الانحناءات لا تمثل أي غرابة أو شذوذ في حركة زحل ولكنها نتيجة لملاحظة هذه الحركة من زوايا مختلفة على الأرض المتحركة .

يمكننا أن نفهم نظرية أورت ORT حول دورة المجرة النجمية اذا نظرنا الى (شكل ١٤) حيث نرى في الجزء السفلي مركز المجرة (حيث توجد السحب السوداء ، وحوله الكثير من النجوم التي تغطي سطح الشكل بأكمله ، وتمثل الدوائر الثلاث أفلاكاً على مسافات مختلفة من المركز ، الذي تمثله الشمس .

فلننظر في نجوم ثمانية (ميزناهم عن غيرهم من النقط) ومنهم اثنان يتحركان على نفس فلك الشمس ، ولكن أحدهما يتقدمها قليلا والثاني يتأخر عنها قليلا ، وعلينا أن نتذكر أن قوانين الجاذبية (انظر الفصل الخامس) تزيد من سرعة النجوم الداخلية عن النجوم الكائنة على أفلاك شمسية وتقلل من سرعة النجوم الخارجية عنها (ونرى ذلك في الشكل حيث استخدمت أسهم من أطوال مختلفة) .



(شكل رقم ١١٤)

كيف ستبدو لنا حركة هذه النجوم الثمانية اذا راقبناها من الشمس ، وكيف ستبدو من الأرض ؟ ونحن نتكلم هنا عن الحركة القائمة على امتداد خط الرؤية الذي يمكن لنا أن نراه بسهولة عن طريق ظاهرة دوبلر Doppler من الواضح أن النجمين (د . هـ) اللذين يتحركان على نفس الفلك بنفس سرعة الشمس سيبدوان ثابتين لمن يراها من الأرض أو من الشمس وينطبق نفس هذا على النجمين الآخرين (ب . ز) الواقعان على نصف القطر لأنهما يتحركان حركة موازية للشمس ومن ثم فلا تظهر سرعة كبيرة على خط البصر .

وآلآن ماذا عن النجمين (أ . ج) الواقعين على الدائرة الخارجية ؟ انهما يتحركان ببطء أكثر من الشمس كما لاحظنا وكما هو موضح في هذه الصورة بحيث ان النجم (أ) يتحرك بسرعة أقل بينما النجم (ج) تسبقه الشمس والمسافة الى النجم (أ) ستزداد بينما ستنقص المسافة الى النجم (ج) وسيبدو الضوء القادم من هذين النجمين أحمر وبنفسجيا على التوالي طبقا لظاهرة دوبلر . أما النجمان (و . ح) الواقعان على الدائرة الداخلية فسيكون الأمر لهما على عكس الأمر السابق أي أننا سنرى النجم (و)

بنفسجي أما النجم (ز) فسيكون أحمر طبقا لظاهرة دوبلر . ونرى من ذلك أن هذه الظاهرة التي وصفناها لتونا لا يمكن أن تحدث الا من جراء الحركة الدائرية للنجوم . ووجود هذه الحركة الدائرية يؤكد لنا هذا الرأي وكذلك يمكننا من حساب نصف قطر الأفلاك النجمية وسرعة الحركة النجمية ، وجمع هذه المعلومات عن الحركة الظاهرية للنجوم في السماء استطاع أورت أن يثبت أن الظاهرة المتوقعة لتأثير دوبلر الأحمر والبنفسجي ظاهرة موجودة في الواقع ومن ثم فقد أثبت دوران المجرة .

وعلى نحو مشابه يمكننا أن نثبت أن ظاهرة الدوران المجري (من المجرة) سوف تؤثر على السرعات الظاهرية للنجوم العمودية على خط الضوء المسبب للرؤية . ورغم أن هذه السمة التي تتسم بها السرعة النجمية تنطوي على صعوبات أكبر أمام من يريد أن يقيس أبعاد النجوم بدقة (نظرا لأن السرعات الكبيرة الحطية للنجوم البعيدة تقابل مقادير صغيرة من الازاحة الزاوية على الدائرة السماوية) الا أن هذه الظاهرة قد لاحظها أورت وغيره .

وبفضل القياس الدقيق لظاهرة أورت (الحركة النجمية stellar motion) نستطيع الآن أن نقيس أفلاك النجوم ونحدد مدة الدوران ، وباستخدام هذا الأسلوب في الحساب اكتشفنا أن قطر الفلك الشمسي الذي يوجد مركزه في كوكبة القوس Sagittarius هو ٣٠.٠٠٠ سنة ضوئية أي ثلثا قطر الفلك الخارجي للمجموعة المجرية بأكملها ويقدر الوقت الذي تحتاجه الشمس لتقطع دورة كاملة حول مركز المجرة في ٢٠٠ مليون عاما تقريبا : وانها لفترة طويلة بالطبع ولكن اذا علمنا أن نظامنا النجمي عمره حوالي ٩١٠ × ٥ عاما نجد أن الشمس وعائلتها قد أتموا ٢٠ دورة كاملة أثناء هذه الفترة . واذا كنا نطلق على فترة الدورة النجمية اسم « السنة الشمسية » قياسا على مصطلح السنة الأرضية نستطيع أن نقول أن عمر الكون لا يزيد عن ٢٠ عاما !! فالأحداث تمر ببطء في عالم النجوم ولذا فان السنة الشمسية تعتبر وحدة ملائمة لقياس الزمن في تاريخ الكون ! .

٣ - على أعتاب المجهول :

ان مجرتنا كما سبق وأشرنا ليست مجتمع النجوم الوحيد الذي يطوف فضاءات الكون الشاسعة ، اذ أن الدراسات التلسكوبية تكشف عن وجود مجموعات أخرى عملاقة ومماثلة على أبعاد شاسعة في الفضاء .

ويمكن رؤية أقربها وهي « سديم اندروميديا » (*) الشهير حتى بالعين المجردة . وهي تبدو لنا في شكل سديم باهت بيضاوى نوعا ما . وهناك اشارات كثيرة على أن هيكلنا النجمي ذاته حلزوني الشكل ولكن من الصعب أن تحدد بنية ما عندما تكون بداخلها . والحقيقة أن شمسنا في أغلب الظن تحتل موقعا متطرفا على أحد أذرع الحلزون المعروف بـ « سديم درب التبانة العظيم » .

وقد مر زمن طويل قبل أن يكتشف علماؤنا أن السدم الحلزونية هي نظم نجمية عملاقة شبيهة بدرب التبانة ، وان هذه النظم قد حيرتهم بهذا الانتشار السديمي لها مثل كوكبة الجوزاء التي تعتبر أضخم السحب النجمية المتدلية بين النجوم في مجرتنا ، وعلى أية حال وجد بعد ذلك أن هذه الأجسام الضبابية حلزونية الشكل ليست ضبابا على الإطلاق ، ولكنها نجوم منفصلة ترى وكأنها نقاط صغيرة عند استخدام أقوى درجات التكبير . ولكنها بعيدة جدا حتى لا يمكن تقدير بعدها بأى ازاحة مكانية .

ولذا ربما بدا لنا لأول وهلة أننا قد وصلنا الى نهاية المطاف في وسائل تقدر المسافات الكونية ، ولكن مهلا ! ففي العلم عندما نصطدم بمشكلة يصعب التغلب عليها فانما يكون ذلك عادة ارجاء مؤقت لها ، ويحدث دائما ما يسمح لنا بالمشي الى أبعد . وفي هذه الحالة تم اكتشاف مقياس جديد تماما بفضل عالم الفلك « هارلو شابلي » (من جامعة هارفارد) وتعرف هذه الأداة الجديدة باسم النجوم النابضة (أو قيفية) cepheids (٥) .

فهناك العديد من النجوم في السماء وفي حين أن بعضها متوهج باستمرار فان البعض الآخر يتأرجح دائما في قوة اضيائه بين اللعنان والانطفاء والعكس في دورات فضائية منتظمة . ان الأجسام العملاقة لهذه النجوم تنبض بشكل منتظم مثل ضربات القلب ومع هذه النبضات يحدث لها تغير دورى في الاضاءة (٦) . وكلما زاد حجم النجم كلما طالت

(*) كلمة لاتينية من اصل يونانى تعنى المرأة المسلسلة (المترجم) .

(٥) سميت هذه الطريقة بهذا الاسم لأن ظاهرة النبض اكتشفت بداية في النجم

B. Cephei

(٦) يجب عدم الخلط بين هذه النجوم النابضة وبين ظاهرة كسوف النجوم المتغيرة التى تعد فعلا نظاما مكونا من نجمين يدوران حول بعضهما ويؤدى ذلك الى كسوف دورى من تأثير كل منهما على الآخر .

فترة نبضه تماما كالبندول الذي يستغرق وقتا أطول في حركته كلما كان أكثر طولاً . أما النجوم الصغيرة (أى صغيرة بالنسبة لغيرها) ، فإن نبضها يتم على فترات قصيرة أو ساعات . بينما تستغرق النجوم العملاقة أعواما وأعواماً حتى تصدر منها نبضة جديدة . والآن حيث ان النجوم الأضخم حجماً هي في الوقت ذاته الأشد اضاءة فهناك اذن علاقة واضحة بين فترة النبض النجمي والبريق المتوسط للنجم . ويمكن تحديد هذه العلاقة بملاحظة النجوم النابضة cepheids وهي قريبة منا بحيث يمكن قياس بعدها وبالتالي لمعانها الحقيقي مباشرة .

والآن اذا عثرت على نجم يخرج عن حدود الازاحة المكانية فما عليك الا أن تراقبه بالتلسكوب وتلاحظ الوقت الذي يستغرقه في فترة نبضه . وبمعرفة هذه الفترة سوف تتمكن من تحديد لمعانه الفعلي وبمقارنته بالمعان الظاهري تستطيع تحديد بعده . وقد استخدم « شابلي » هذه الطريقة البارعة بنجاح في قياس مسافات بعيدة لا سيما في درب التبانة وأصبحت ذات نفع هائل في تقدير الأبعاد العامة لنظامنا النجمي .

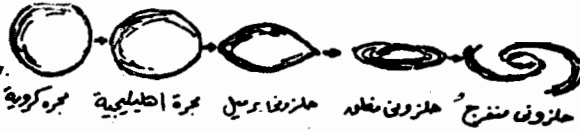
وعندما طبق شابلي نفس الطريقة في قياس المسافات الى كثير من النجوم النابضة التي رصدها في سديم « أندروميديا » العملاق فوجيء بشيء مذهل . فالمسافة من الأرض الى هذه النجوم وهي بالطبع نفس المسافة الى « أندروميديا » نفسه كانت حوالي ١٧ مليون سنة ضوئية وهذا أكثر بكثير من تقديرات قطر درب التبانة . كما أن حجم سديم أندروميديا ظهر أنه أصغر بقليل من كامل حجم مجرتنا .

ولا تزال السدم الحلزونية في نظم أخرى مثل الدب الأكبر أبعد بكثير وأقطارها قريبة من قطر أندروميديا .

وقد كان هذا الاكتشاف بمثابة الضربة القاضية للفرضية القديمة التي كان مفادها أن السدم الحلزونية هي أجرام صغيرة نسبياً موجودة في مجرتنا ، وأثبت أن هذه السدم هي مجرات مستقلة تشبه كثيراً مجرتنا . ولا يشك عالم فلكي واحد الآن في أن درب التبانة سيبدو صغير الحجم جداً لعيني شخص يراقبه من على كوكب يدور حول أحد بلايين الشموس في سديم أندروميديا ، كما كان هذا السديم يبدو لعيوننا .

إن الدراسات اللاحقة لهذه المجتمعات النجمية البعيدة ، والتي ندين بأغلبها للدكتور « هبل » العالم الشهير الذي عكف على دراسة المجرات ، تكشف لنا عن الكثير من الحقائق المثيرة والهامة . فقد اتضح أساساً أن هذه المجرات التي تكشف لنا التلسكوبات القوية منها ما لا ينكشف للعين

المجردة ليست بالضرورة حلزونية الشكل ولكنها متعددة الأنواع والأشكال الى حد كبير ، فهناك **المجرات الكروية** التي تشبه الأقراص العادية ولكنها ذات حواف غير منتظمة ، وهناك **المجرات الاهليلجية** (بيضية الشكل) مع درجات مختلفة من الاستطالة بل ان المجرات الحلزونية ذاتها تختلف عن بعضها في « مدى احكامها » ، كما أن هناك أيضا مجرات غريبة الشكل تعرف بـ « الحلزونات البرميلية » . وهناك حقيقة هامة بل بالغة الأهمية وهي أن كافة أنماط المجرات التي رصدت يمكن أن ترتب في تتابع منتظم (شكل ١١٥) وهذه المراحل تمثل أطوارا مختلفة في تكوين هذه المجتمعات النجمية العملاقة .



(شكل رقم ١١٥)

مراحل مختلفة للتكوين الطبيعي للمجموعات النجمية

وعلى الرغم من أننا لا نزال بعيدين عن فهم تفاصيل تطور المجرات الا أن هناك احتمالا قويا في أن يكون هذا التطور راجعا الى عملية التفاعل المستمر . فمن المعروف جيدا أنه عندما تحدث تفاعلات منتظمة في جسم غازي كروي بطيء الدوران ، يؤدي ذلك الى زيادة سرعة دورانه ، ويتحول شكله الى جسم بيضاوي مفلطح ، وعند مرحلة معينة من التشكيل عندما تصبح النسبة بين المسافة بين قطبيه من ناحية وخط الاستواء من ناحية أخرى مساوية لـ $\frac{3}{2}$ لابد أن يتخذ الجسم الدوار شكلا محدبا (عدسي الشكل) سليما ، ولكن الغازات التي منها يتكون هذا الجسم تبدأ في الانسياب بعيدا في الفضاء المحيط على امتداد الحافة الاستوائية المحددة جيدا مما يؤدي الى تكوين ستار غازي في مستوى الاستواء .

وقد قدم العالم الفيزيائي الانجليزي والفلكي الشهير سير « جيمس جينز » البراهين الرياضية لكافة الحقائق السابقة بالنسبة لكرة غازية دوارة ، ولكنها تنطبق كذلك دون أى اختلاف على السحب النجمية العملاقة التي تسمى بالمجرات والحق أننا نستطيع النظر الى مثل هذا الحشد من بلايين النجوم باعتباره سربا من الغازات تقوم فيه النجوم مقام الجزيئات فتؤدي نفس الدور .

وبمقارنة الحسابات النظرية لجينز بتقسيم « هبل » العمل للمجرات تجد أن هذه المجموعات النجمية الضخمة تتبع تماماً مراحل التطور التي وصفتها النظرية . ونجد على وجه الخصوص أى أكثر السدم الاهليجية « البيضية » استطالة تعادل النسبة التي سبق أن ذكرناها وهي ٧ : ١٠ ، وأن هذه هي أول حالة نلاحظ فيها وجود خط استوائي حاد . أما الحلزونات التي تنشأ فى المراحل اللاحقة فى التطور فمن الواضح أنها تتكون من المادة التي تنطلق نتيجة سرعة الدوران . وذلك على الرغم من أننا حتى الآن لم نقف على تفسير كامل ومقنع للسبب والكيفية التي ينشأ بها الاختلاف بين الحلزونات البرميلية والبسيطة .

ولازال أمامنا الكثير لتتعلمه من الدراسات المتقدمة للبنية ، والحركة ، والمحتوى النجمى فى الأجزاء المختلفة من مجتمع المجرة النجمى ، فلقد تم التوصل مثلاً الى نتيجة مثيرة جداً ، إذ استطاع فلكى مرصد ويلسون و « باد » أن يكتشف أن الأجسام المركزية (النواة) للحلزونات السديمية تتكون من نفس نوع نجوم المجرات الكروية والبيضية أما طرفاً الحلزونات فيتكونان من نوع مختلف من النجوم . ويختلف نوع نجوم طرفى الحلزونات عن نجوم المنطقة المركزية بوجود نجوم ملتبهة ولامعة يطلق عليها « العماليق الزرقاء » وهذا النوع يختفى فى المجرات الكروية والبيضية كذلك . وحيث ان العماليق الزرقاء تمثل فى أغلب الظن أحدث النجوم تكويناً كما سنرى فيما بعد (فى الفصل الحادى عشر) فمن المنطقى اذن الافتراض بأن الأطراف الحلزونية هي اذا جاز القول معمل التفريخ لأفراد النجوم .

ويستطيع المرء أن يتخيل أن جزءاً كبيراً من المادة المقذوفة من الانتفاخ الاستوائى لمجرة بيضية متفاعلة يتشكل من الغازات الأولية التي تخرج الى الفضاء البارد فيما بين المجرات وتتكتف على هيئة كتل مادية ضخمة ومنفصلة تتحول من خلال تفاعلات متتابعة الى أجسام ملتبهة ولامعة الى درجة هائلة .

وسنعود فى الفصل الحادى عشر مرة أخرى الى مشكلة ولادة النجم وحياته ، ولكننا نتوقف الآن بصفة عامة على توزيع المجرات المنفصلة عبر الفضاء الشاسع .

وهنا لابد من القول قبل كل شيء أن طريقة قياس المسافات التي تعتمد على النجوم النابضة تفشل كلما توغلنا فى أعماق الفضاء على الرغم من النتائج الممتازة التي نحصل عليها عند تطبيقها على المجرات القريبة

من درب التبانة ، ذلك أننا سرعان ما نصل الى أبعاد هائلة لا يمكن عندها تمييز النجوم عن بعضها وتصلبح المجرات أشبه بالسدم البيضساوية مهما كانت قوة التلسكوب المستخدم في رصدها . وفيما عدا هذه النقطة نستطيع الاعتماد على الحجم الظاهر للعين حيث انه من المفاهيم الراسخة الى حد كبير أن جميع المجرات أيا كان نوعها تتساوى في الحجم تقريبا على خلاف النجوم .

فاذا علمت أن الناس جميعا متساوون في الطول تقريبا ، ولا يوجد عمالقة أو أقزام فبمقدورك دائما أن تحدد بعد الرجل من الحجم الظاهر له .

وقد استطاع « هبل » باستخدام هذه الطريقة في تقدير المسافات في مملكة الفضاء المترامية الأطراف أن يثبت أن المجرات تنتشر في هذه المملكة على نحو متجانس تقريبا وفقا لابعاد مجال للرؤية البصرية (المقواة باستخدام أعلى درجة من التكبير للمناظير الفلكية) .

وقد استخدمنا كلمة « تقريبا » لأنه في حالات كثيرة تحتشد المجرات في مجموعات ضخمة بالآلاف تماما كما تحتشد النجوم في المجرات .

ان مجرتنا أو درب التبانة هي كما يتضح لنا عضو واحد في مجموعة صغيرة نسبيا من المجرات تضم في عضويتها ثلاثة حلزونات (بما في ذلك حلزوننا وسديم أندروميديا) ، وست مجرات بيضية ، وأربعة سدم شاذة الشكل (بما في ذلك السحابتان الماجيلانيتان) (*) .

ومع ذلك ففيما عدا هذه التجمعات فان المجرات كما ترى باستخدام تلسكوب مرصد « بالومر » (٢٠٠ بوصة) تتوزع في نظام متجانس نوعا ما في الفضاء حتى مسافة ٩١٠ سنة ضوئية . ويعتبر متوسط المسافة بين مجرتين متجاورتين حوالي ٥ ملايين سنة ضوئية . كما أن أفاق الكون المرئية تحتوى على عدة ملايين من العوالم النجمية المنفصلة ! .

ونعود مرة أخرى الى التشبيه القديم حيث كان مبنى الامبارستيت مثلا بخلية بكتيرية ، والأرض بحبة بازلاء ، والشمس كثمرة القرع فنضيف اليه المجرات التي تشبه حشدا عملاقا من ملايين ثمار القرع التي تتوزع تقريبا في مدار المشتري بينما تتوزع مجموعات هذه الثمرة على شكل

(*) مجرتان تقعان على مستوى ٢٥° من القطب الجنوبي للكون وينبعث منهما ضوء متوهج غير واضح المعالم (المترجم) .

كروى ذى قطر أقصر قليلا من بعد أقرب النجوم إلينا . نعم من الصعوبة بمكان أن تحدد نسبة قياسات ثلاث الأبعاد الكونية ولذلك فحتى بعد أن شبهنا الأرض بحبة بازلاء لا يزال الكون المعروف فلكيا فى أبعاده !! وقد حاولنا فى شكل ١١٦ أن نعطيك فكرة عن تطور استكشاف الكون خطوة خطوة على يدى علماء الفلك . فمن الأرض الى القمر الى الشمس الى النجوم الى المجرات البعيدة الى المجهول .

والآن نحن معدون للإجابة على هذا السؤال الأساسى الخاص بحجم الكون . فهل نعتبر الكون ممتدا الى ما لا نهاية ونستنتج أن تطور قوة ونوعية التلسكوبات سوف تكشف لعين الفلكى التسائل دائما عن مناطق جديدة فى الفضاء كانت مجهولة فيما سبق ، أم أن علينا أن نؤمن بالعكس وأن الكون يحتل حجما كبيرا جدا ولكنه محدود وأن من الممكن استكشافه ، على الأقل من حيث المبدأ ، حتى آخر نجم ؟ .

اننا عندما نتحدث عن « محدودية الكون » لا نعنى بالطبع أن هناك على بعد ملايين السنين الضوئية سيوجد مستكشف الفضاء سورا أبيض عليه لافتة « ممنوع الدخول » .

فالواقع أننا قد بينا فى الفصل الثالث أن الفضاء يمكن أن يكون محدودا دون أن تحده خطوط نهائية . ويمكن ببساطة أن يلتف و « ينغلق على نفسه » بحيث اننا لو تصورنا مستكشفا للفضاء يحاول توجيه صاروخه فى خط مستقيم بقدر الامكان سوف يسير فى خط « جيوديسى » ثم يعود مرة أخرى الى النقطة التى بدأ منها .

وهذه الحالة بالطبع تشبه تماما حالة مستكشف اغريقى قديم يسافر غربا من أثينا مسقط رأسه وبعد رحلة طويلة يجد نفسه أمام البوابة الشرقية للمدينة .

وكما يمكن اثبات تقوس سطح الأرض دون حاجة الى الطواف حول العالم ، والاكتفاء بدراسة هندسية لجزء صغير منها نسبيا - نستطيع الإجابة على التساؤل الخاص بتقوس الفضاء الثلاثى الأبعاد لهذا الكون باستخدام قياسات مماثلة تدخل فى نطاق الرؤية بالتلسكوبات المتاحة . وقد رأينا فى الفصل الخامس أن بمقدور المرء أن يفرق بين نمطين من أنماط الانحناء :

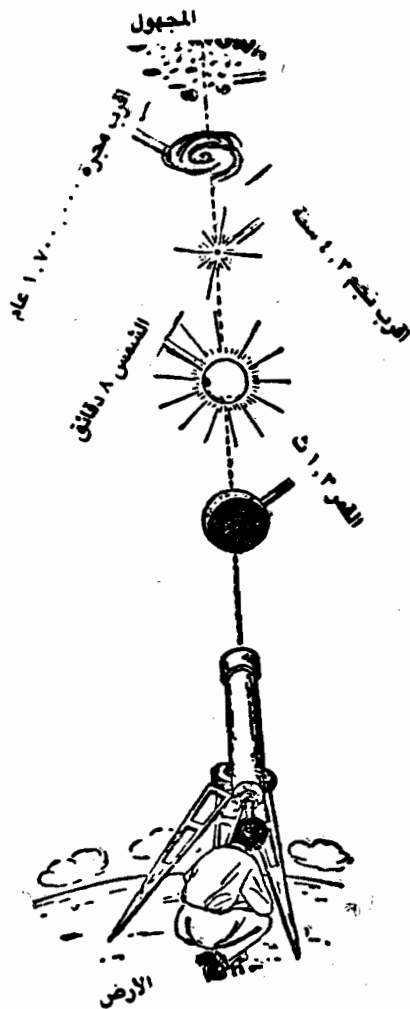
الانحناء الموجب الذي يقابله الفضاء المغلق محدود الحجم ، والانحناء السالب الذي يمكن تشبيهه بالفضاء المفتوح اللانهائي الذي مثلناه بالسرغ (راجع شكل ٤٢) . ويكمن الفارق بين هذين النوعين من الفضاء في الحقيقة التي مؤداها أنه في حين أن الأجسام المتجانسة التوزيع في الفضاء المغلق على مسافة معينة من المشاهد يكون معدل تزايدها أقل من مكعب هذه المسافة ، فإن العكس هو الصحيح في الفضاء المفتوح .

وتقوم المجرات المنفصلة عن بعضها في كوننا بدور « الأجسام المتجانسة التوزيع » لذا فما علينا الا أن نحاول حل مشكلة الانحناء الكوني عن طريق حصر عدد المجرات القائمة بذاتها والواقعة على مسافات مختلفة منا .

ولقد قام « هبل » بذلك بالفعل واكتشف أن عدد المجرات يميل الى التزايد بمعدل أقل نوعا ما من مكعب المسافة ، مما يدل على الانحناء الموجب ومحدودية الكون . ومع ذلك يجب ملاحظة أن هذا الأثر الذي وجدته « هبل » ضئيل جدا ولا يصبح ملحوظا الا عند الاقتراب من حد المسافة التي يمكن رصدها من خلال تلسكوب ١٠٠ بوصة . كما أن تلسكوب ويلسون وما أمكن التوصل اليه من ملاحظات باستخدام العاكس الجديد (٢٠٠ بوصة) المركب على جبل بالومر ، كل هذا لم يلق ضوءا جديدا على هذه المشكلة الهامة .

وهناك نقطة أخرى تلقى ظللا من الشك حول الاجابة النهائية عن قضية محدودية الكون وهي أن المجرات الضاربة في أعماق الفضاء لا يمكن تحديدها الا بالاعتماد على لمعانها الظاهر لا غير (قانون التربيع العكسي) . ومع ذلك فإن هذه الطريقة التي تفترض أن كل المجرات على قدر متساو من اللمعان ربما تؤدي الى نتائج خاطئة اذا كان لمعان كل مجرة على حدة يتغير مع الزمن ومن ثم فإنه يتوقف على عمر المجرة . وحرى بنا أن نتذكر أن تلسكوب جبل بالومر لا يصل مداه الى أبعد من بليون سنة ضوئية ومن ثم فإن النجوم تظهر لنا على الصورة التي كانت عليها منذ بليون سنة مضت . فاذا كان لمعان المجرات ينطفئ مع الزمن (ربما بسبب نقص عدد الأجسام النجمية النشطة ، فهي أعضاء في المجرة ، نتيجة لاندثارها) فلا بد إذن أن النتيجة التي وصل اليها « هبل » صحيحة . والواقع أن التغير في قوة لمعان المجرات بنسبة مئوية بسيطة

على مدى بليون عام (لا تزيد هذه الفترة عن $\frac{1}{7}$ العمر الكلي لها) قد يعكس الاستنتاج الحاضر بأن الكون محدود .



شكل رقم (١١٦)

اهم المحطات في استكشاف الكون معبرا عن المسافة بينهما بالسـكـنـ الضوئية

وهكذا نرى أنه مازال أمامنا الكثير حتى نتيقن مما اذا كان الكون محدودا أم لا نهائيا .

الفصل العادى عشر

أيام الخلق

١ - مولد الكوكب :

يعتبر تعبير « الأرض الصلبة » بالنسبة لنا نحن سكان الأرض بقاراتها السبع بما فيها القطب الجنوبي تعبيراً مرادفاً من الناحية العملية للاستقرار والخلود . ولا يعنى ذلك لنا الا أن ملامح سطح الأرض المألوفة بقاراتها ومحيطاتها وجبالها وأنهارها قديمة قدم الزمن أو تكاد . والحق أن المعلومات الخاصة بالتاريخ الجيولوجى تدل على أن وجه الأرض يتغير باستمرار تدريجياً ، وأن المساحات الشاسعة للقارات قد تغمرها المياه الآتية من المحيطات فى حين أن مناطق أخرى كانت مطمورة فيما سبق قد تتحول الى يابسة وتبرز الى السطح .

كما نعرف أيضاً أن الجبال القديمة تتعرض للتآكل تدريجياً بفعل ماء المطر بينما تظهر سلاسل جديدة ، من وقت الى آخر نتيجة للنشاط التكتونى (*) ، ولكن جميع هذه التغيرات لا تزيد عن كونها حادثة فى قشرة كرتنا الأرضية .

ومع ذلك يمكننا بسهولة أن نفهم أنه قد مر على الأرض دهر لم تكن القشرة فيه واقعا موجودا ، وأن الأرض كانت كتلة متوهجة من الصخور المنصهرة . والواقع أن دراسة باطن الأرض تدل على أن أغلبها لا يزال

(*) ما يقرأ على الأرض من تشوهات والكلمة لاتينية حديثة مأخوذة من الكلمة

اليونانية Tektonikos (المترجم) .

في حالة منصهرة ، وأن الأرض الصلبة التي كثيرا ما نتحدث عنها ليست الا طبقة رقيقة تعلق كتلة المجما المنصهرة وأسهل الطرق للوصول الى هذه النتيجة هو أن نتذكر أن قياسات درجات الحرارة على أعماق مختلفة تحت القشرة الأرضية تزيد بمعدل ٣٠ درجة مئوية لكل كيلومتر عمق (أو ١٦ ° فهرنهايت لكل ١٠٠٠ قدم) لذا فإن الجدران في أعماق منجم في العالم (منجم ذهب في روبنسون ديب بجنوب أفريقيا) تبلغ من السخونة حدا اضطر المسئولين عنه الى تزويده بأجهزة تكييف الهواء حتى لا يشوى العمال وهم أحياء .

وبهذا المعدل لارتفاع الحرارة لا بد أن تصل الصخور الى نقطة الانصهار (بين ١٢٠٠ ° مئوية و ١٨٠٠ ° مئوية) في عمق لا يزيد عن ٥٠ كم تحت سطح الأرض ، أى أقل من ١٪ من المسافة الكلية بين سطح هذه الأرض ومركزها . ولا بد أن كل المواد الموجودة في أعماق أبعد وهي تمثل ما يزيد عن ٩٧ في المائة من كتلة الأرض في حالة انصهار كامل .

ومن الواضح أن هذه الحالة لا يمكن أن تستمر الى الأبد وأنا مازلنا نراقب مرحلة معينة في عملية البرودة التدريجية التي بدأت ذات يوم حين كانت الأرض كتلة منصهرة بالكامل ، وأنها سوف تنتهي يوما ما في المستقبل البعيد (بتجمد الأرض كلها من القشرة حتى المركز) . والتقدير التقريبي للفترة التي استغرقتها القشرة الأرضية في التجمد والتصلب يدل على أن هذه العملية قد بدأت منذ عدة بلايين من السنين .

ويمكن الوصول الى نفس الرقم عند تقدير عمر الصخور التي تتكون القشرة الأرضية منها . وعلى الرغم من أن الصخور لا تنطق باختلاف ما في ملامحها لأول وهلة مما أدى الى ظهور تعبير مثل « جامد كالصخر » فإن الكثير منها يحتوي فعلا على نوع من الصخور الطبيعية التي تكشف لعين الجيولوجي المتمرس عن الفترة التي مرت من وصولها الى حالة التصلب الى الآن .

ان هذه الساعة الجيولوجية التي تحسب العمر تتمثل في كمية ضئيلة من اليورانيوم والثوريوم الذي كثيرا ما يوجد في الصخور المختلفة المأخوذة من على السطح ومن الأعماق البعيدة للأرض . وكما رأينا في الفصل السابع فان ذرات هذه العناصر تخضع لانحلال اشعاعي تلقائي ينتهي بتكوين عنصر الرصاص المستقر .

وحتى نحدد عمر الصخرة المحتوية على العناصر المشعة فاننا لا نحتاج الا الى قياس كمية الرصاص التي تراكمت على مر القرون نتيجة للتحلل الاشعاعي .

والواقع أنه طالما كانت مادة الصخرة في حالة منصهرة فمن الممكن أن تتحرك نواتج الانحلال الاشعاعي من مكانها الأصلي باستمرار نتيجة لعملية الانتشار والحمل الحراري في المادة المنصهرة . ولكن ما أن تتصلب المادة متحولة الى صخرة فان ترسب الرصاص بجانب العنصر المشع لا يبدأ ، وتعطينا كميته فكرة دقيقة عن طول المدة التي استمر فيها الاشعاع بنفس الأسلوب الذي يعرف به الجاسوس من عدد علب البيرة الفارغة الملقاة بين النخيل الفترة التي أقامتها حامية من السفن المعادية على جزيرة محيطية .

ومن الأبحاث الحديثة التي تستخدم التقنيات المتطورة لقياس ترسبات نظائر الرصاص في الصخرة بدقة ، ونواتج التحلل للنظائر الكيمايية الأخرى غير المستقرة مثل راديوم ٨٧ و بوتاسيوم ٤٠ - قدر العلماء أن أقصى عمر لأقدم صخرة عشر عليها هو حوالي $\frac{1}{4}$ ٤١ بليون عام ومن ذلك نستنتج أن القشرة الصلبة للأرض قد نشأت عن مادة كانت منصهرة قبل حوالي خمسة بلايين عام .

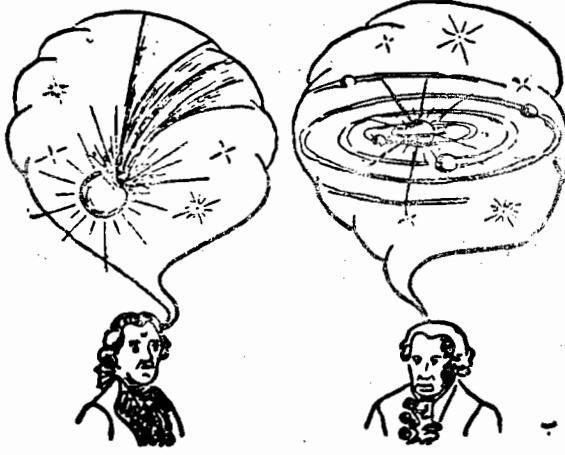
لذا نستطيع أن نتخيل الأرض من خمسة بلايين سنة على شكل كرة منصهرة بالكامل ومحاطة بطبقة سميكة من غلاف جوي به بخار الماء وربما كان محتويا على عناصر أخرى شديدة التطاير .

فكيف خرجت هذه الكتلة الساخنة من المادة الكونيية الى عالم الوجود ؟ وما هي القوى المسئولة عن تكونها ؟ ومن الذي أمدها بمادة بنائها ؟

ان هذه التساؤلات الخاصة بنشأة كرتنا الأرضية وكذا غيرها من كواكب نظامنا الشمسي كانت دائما من التساؤلات الأساسية في علم « الكوزموجوني » (نظرية نشأة الكون) واللغز الذي شغل عقول علماء الفلك لعدة قرون .

وقد أتت أولى المحاولات في الاجابة على هذه الأسئلة باستخدام الوسائل العلمية عام ١٧٤٩ على يدى العالم الفرنسى الطبيعى الشهير « جورج لويس لافريك » كونت دى بوفن فى واحد من مجلداته الأربعة والأربعين فى مؤلفه التاريخ الطبيعى . وقد رأى هذا العالم أن أصل النظام الشمسى يرجع الى حدوث اصطدام بين الشمس ومذنب أتى من أعماق الفضاء النجمى . وقد رسم بخياله صورة حية لـ « المذنب القاتل » بذيل لامع طويل (يكنس) سطح الشمس الوحيدة آنذاك ويرسل منها عددا من « القطرات » الصغيرة فى الفضاء فتتحرك بشكل مغزلى تحت تأثير قوة الصدمة (شكل ١١٧ أ) .

وبعد ذلك بأعوام قلائل ظهرت آراء مختلفة بالكامل عن أصل نظامنا الشمسى على يدى الفيلسوف الألمانى المشهور « ايمانويل كانت » ، الذى كان أشد ميلا الى التفكير فى أن الشمس قد صنعت نظام الكواكب التابع لها من تلقاء نفسها دون أى تدخل من الأجرام . وقد تصور « كانت » المرحلة الأولى من عمر الشمس عملاقا باردا نسبيا على هيئة كتلة من الغازات التى تشغل كل حيز نظام الكواكب الحالى وتدور ببطء حول محورها . ولا بد أن التبريد المستمر للكثرة نتيجة لاشعاعها فى الفضاء المحيط قد أدى الى تفاعل تدريجى وزيادة مقابلة فى سرعة دورانها . وقد رأى أيضا أن القوى الطاردة المركزية الناشئة عن هذا الدوران لابد أنها كانت سببا فى التسوية المستمرة للجسم البدائى للشمس الغازية ، كما أدت الى تكوين حلقات غازية متسعة حول خطها الاستوائى (شكل ١٧ب) . وهذه العملية أى تكوين الحلقات من كتل دوارة يمكن تشبيهها بالتجربة الكلاسيكية التى قام بها افلاطون وفيها تبدأ كرة كبيرة من الزيت (وليس الغاز كما فى حالة الشمس) المعلق فى سائل له نفس كثافته فى تكوين حلقات من الزيت من حولها اذا ما تعرضت للدوران باستخدام جهاز ميكانيكى مساعد ، و زاد معدل دورانها عن درجة معينة . والحلقات التى تتكون بهذه الطريقة يفترض أنها تتحلل بعد ذلك ، ثم تتكثف على شكل كواكب تدور على مسافات مختلفة حول الشمس .



فرضية بوفن

فرضية كانت

شكل رقم (١١٧)

اللاهبان الفكرى فى علم نشأة الكون

وفيما بعد تبنى العالم الفرنسى الكبير « بيرسيمون » ماركيز دى لابلاس ، هذه الآراء وطورها وقدمها للناس فى كتابه « تفسير نظام الكون » الذى صدر ١٧٩٦ . وعلى الرغم من أن « دى لابلاس » كان عالما رياضيا

عظيما فانه لم يحاول معالجة هذه الأفكار رياضيا ، ولكنه اكتفى بالمناقشة الكيفية شبه المألوفة لهذه النظرية .

ولكن عندما بدأت أول معالجة رياضية لآراء « كانت » الكونية بعد ذلك بستين عاما على يدى الفيزيقي الانجليزي « كليرك ماكسويل » اصطدم الرجل بعائق لا يمكن تخطيه يتمثل فيما وجده من تناقض . والواقع لقد تميز أنه لو كانت المادة المركزة حاليا فى كواكب النظام الشمسى المختلفة قد توزعت فى الفضاء الكلى توزيعا متجانسا أى الفضاء الذى تحتله المجموعة الآن لكانت رقيقة جدا بحيث تعجز قوى الجذب عن تجميعها على هيئة كواكب منفصلة ، ومن ثم فان الحلقات التى تنبعث من الشمس المتفاعلة ستبقى كما هى الى الأبد مثل حلقات « زحل » التى تتكون كما هو معروف من عدد لا يحصى من الجزيئات الصغيرة التى تسير فى مدار دائرى حول هذا الكوكب ولا يظهر عليها أى ميل « للتخثر » لتكون تابعا واحدا صلبا .

والمخرج الوحيد من هذه المشكلة كان يكمن فى الافتراض أن الغلاف الأصبلى للشمس يحتوى على مادة أكثر مما نجد فى الكواكب الآن (بمائة ضعف على الأقل) ، وأن أغلب هذه المادة سقطت على الشمس تاركة حوالى ١٪ فقط منها لتكون أجسام الكواكب .

ولكن هذا الافتراض يؤدى مع ذلك الى تناقض لا يقل عن سابقه خطورة . فلو أن مادة بهذا الكم سقطت على الشمس (ولا بد أيضا أنها كانت تدور بنفس سرعة الكواكب الآن) فسوف تؤدى حتما الى اكساب الشمس سرعة زاوية أكثر ب ٥٠٠٠ من سرعتها الحالية . ولو كان الأمر كذلك لتحركت الشمس مغزليا بسرعة ٧ دورات فى الساعة بدلا من دورة واحدة كل أربعة أسابيع تقريبا .

ويبدو أن هذه الاعتبارات قد أودت بآراء « كانت لابلاس » ، ولكن عيون علماء الفلك لم تهدأ ولم تياس حتى عادت نظرية « بوفن » الى الحياة مرة أخرى بفضل العالم الأمريكى « ت . س . تشامبرلين » ومواطنه « ف . ر . مولتون » والعالم الانجليزي سير « جيمس جينز » الشهير . وقد أدخلت تعديلات كثيرة بالطبع على آراء بوفن نتيجة للتطور الذى طرأ على المعارف الأساسية بعد ظهورها فقد استبعد الاعتقاد بأن الجسم الكونى الذى اصطدم مع الشمس كان مذنبا بعد أن اكتشفوا أن أى مذنب يكون صغير الحجم جدا حتى بالقياس الى القمر . ولذا فقد حل مكانه اعتقاد بأن نجما آخرًا قريبا فى حجمه وكثلته من الشمس هو الذى قام بهذا الدور .

ورغم ذلك فإن النظرية الجديدة التي ظنوا في ذلك الوقت أنها المخرج الوحيد من المشكلات الأساسية في فرضية لابلاس لم تلبث أن وجدت نفسها تتعثر أيضا . فقد كان من الصعوبة بمكان أن تفهم السبب الذي يجعل شظايا الشمس المتناثرة من جراء الصدمة العنيفة تدور في نفس تتخذ الكواكب تقريبا بدلا من أن تتبع مسارات بيضاوية مستطيلة .

وانقاذا للأمر كان لابد من افتراض أن الشمس كانت محاطة بغلاف غازي متجانس عندما تكونت هذه الكواكب مما ساعد على تحويل المدارات المستطيلة الى دوائر منتظمة . ولما كان هذا الوسط غير موجود الآن في الأجزاء التي تحتلها الكواكب فقد افترضوا أن هذه الغازات قد تسربت بالتدريج الى الفضاء النجمي بعد ذلك ، وأن اللمعان الحافت المعروف بـ « الزودياك » الذي ينبعث الآن من الشمس في مستوى دورانها ، هو كل ما تبقى من ذلك المجد العريق . ولكن هذا المزيج من فرضية « لابلاس » عن الغلاف الغازي الأصلي وفرضية « بوفن » عن الصدام لم يكن مرضيا أبدا . ولكن كما يقول المثل « أمران أحلاهما مر فاختر أفضلهما » ، وبالتالي فقد قبلوا فرضية « بوفن » عن الصدام باعتبارها الأصح وظلت سائدة ومستخدمة في كافة المراجع والأدب المنتشر (بما في ذلك كتابان للمؤلف وهما مولد ووفاة الشمس ١٩٤٠ وقصة الأرض طبعة منقحة عام ١٩٥٩ للطبعة الأولى عام ١٩٤١) .

ولم تحل عقدة نظرية الكواكب الا في خريف عام ١٩٤٣ على يدى الفيزيائي الألماني الشاب « س . فيتس تسيكر » باستعمال معلومات جديدة ظهرت حديثا بفضل الأبحاث الفلكية الفيزيائية فنجح في أن يبين أن كافة الاعتراضات القديمة على فرضية « لابلاس » يمكن الرد عليها بسهولة ، ومن هذا المنطلق يمكن وضع نظرية مفصلة عن أصل الكواكب تفسر كثيرا من الملامح الهامة للنظام الكوكبي التي لم يسبق أن تعرضت لها أى نظرية قديمة .

وكان أهم ما اعتمد عليه « فيتس تسيكر » الحقيقة التي مفادها أن الأفكار التي تربعت على عقول الفلكيين في العقدين السابقين بالنسبة لمادة الكون الكيميائية قد تغيرت تماما . إذ كان من المعتقد بصفة عامة قبل ذلك أن الشمس وغيرها من الكواكب قد تكونت بنفس النسبة من العناصر الكيماوية التي كونت مادة الأرض . والتحليل الجغرافي الكيماوي يعلمنا أن جسم الأرض يتكون بصفة أساسية من عنصر الاكسجين (في صورة أكاسيد عناصر مختلفة) ، السيليكون والحديد وعناصر أخرى أثقل .

أما الغازات الخفيفة مثل (الهيدروجين والنيون والأرجون . . الخ) فتوجد على الأرض بكميات ضئيلة (١).

ولما عجز العلماء عن الحصول على دليل أفضل فقد افترضوا أن هذه الغازات نادرة أيضا على الشمس والكواكب الأخرى . وزعم ذلك فان دراسة أكثر تفصيلا أدت بالعالم الفلكي الدانماركي « ب . ستروجرين » الى استنتاج خطأ هذه النظرة تماما ، فالشمس مثلا تحتوى كتلتها على ٣٥٪ من الهيدروجين النقي (غير متحد بعناصر أخرى) . ثم ارتفع هذا التقدير بعد ذلك الى أكثر من ٥٠٪ ، كما وجد أيضا أن الهليوم يمثل نسبة كبيرة من مكونات النجوم الأخرى وقد أدت الدراسات النظرية للجزء الداخلى فى النجوم والتي توجتها حديثا الدراسة الهامة لـ « م . سكاروز شيلد » والتحليل الطيفى الميكروسكوبى الدقيق لسطحها الى نتيجة مذهلة وهى : **أن العناصر الكيميائية الشائعة التى تدخل فى تركيب الأرض لا تزيد نسبتها عن ١٪ من كتلة الشمس أما بقية كتلته فتتوزع بالتساوى تقريبا بين الهيدروجين والهليوم حيث يزيد الأول بدرجة طفيفة عن الأخير** . وواضح أن هذا التحليل يناسب أيضا النجوم الأخرى .
وعلاوة على ذلك من المعروف الآن أن الفضاء النجمى ليس خاليا تماما ولكنه ممتلئ بخليط من الغاز والغبار الدقيق بمتوسط كثافة ١ مجم تقريبا من المادة لكل مليون ميل مكعب من الفضاء ، وهذا التوزيع ، أى المادة المخلخلة الى حد كبير جدا يماثل الشمس وغيرها من النجوم من حيث التركيب الكيميائى .

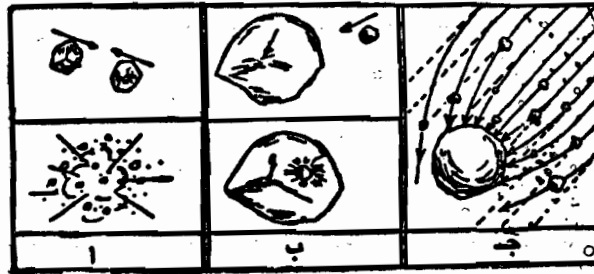
وعلى الرغم من هذه الكثافة المنخفضة الى حد رهيب الا أنه من الممكن إقامة الدليل بسهولة على وجود المادة بين النجمية اذ أنها تقوم بامتصاص نوعى ملحوظ للضوء الآتى من النجوم البعيدة عنا بمئات الآلاف من السنين الضوئية . وتسمح لنا كثافة وموقع « خطوط الامتصاص بين النجمية » هذه بالحصول على تقدير دقيق لكثافة المادة وانتشارها ، كما يتضح منها أن هذه المادة لا تحتوى الا على الهيدروجين وربما الهليوم لا أكثر . والحقيقة أن الغبار المكون من جزيئات صغيرة (قطرها حوالى ٠٠١ ر ملم) من مواد « أرضية » مختلفة لا تزيد عن ١٪ من كتلتها الكلية .

ونعود الى الفكرة الأساسية فى نظرية « فيتس تسيكر » ونستطيع أن نقول ان معرفة التركيب الكيميائى لمادة الكون تلعب دورا رئيسيا

(١) أغلب الهيدروجين الموجود على الأرض يكون متحدا مع الأكسجين فى صورة ماء .
ولكننا جميعا نعرف أن الماء رغم أنه يغطى ثلاثة أرباع مساحة سطح الكرة الأرضية ولكن كتلته الكلية تعتبر قليلة بالقياس الى كتلة الأرض .

على مسرح فرضية لابلاس . اذ لو كان الغلاف الغازى للشمس ناشئ اصلا عن هذه المادة لكانت النسبة الصالحة منه - من العناصر الأرضية الثقيلة - لتكوين الأرض وغيرها من الكواكب ضئيلة جدا . أما بقية العناصر مثل الهليوم والهيدروجين الغازيين فلا بد أنها قد تسربت بطريقة ما سواء بالوقوع فى الشمس أو الانتشار فى الفضاء النجمى المحيط . وحيث ان الاحتمال الأول يعنى كما ذكرنا من قبل أن سرعة الدوران المحورية للشمس لابد وأن تزيد بدرجة رهيبية ، فليس بوسعنا الا قبول الاحتمال الثانى وهو أن « الزائد » من المواد الغازية قد انتشر فى الفضاء بعد أن تكونت الكواكب من مركبات أرضية .

وهذا ينتقل بنا الى صورة جديدة (شكل ١١٨) عن تكوين النظام الكوكبى . فعندما خلقت الشمس من تكثف المسادة بين النجمية (انظر الجزء اللاحق) ظل جزء كبير منها ربما كان يفوق كتلة الكواكب الحالية مجتمعة بمائة مرة ، ظل هذا الجزء فى مكانه على السطح الخارجى لها كغلاف دوار عملاق . (والسبب فى ذلك السلوك يظهر بسهولة فى الفارق بين حالات الدوران لمختلف أجزاء الغازات بين النجمية فى الشمس البدائية) . ويجب أن نتصور أن هذا الغلاف السريع الدوران يتكون من غازات غير قابلة للتكثف (الهيدروجين ، والهليوم ، وقليل من الغازات الأخرى) هذا بالإضافة الى جزئيات غبار من مختلف المواد الأرضية (مثل أكاسيد الحديد ومركبات السليكون ، وقطرات الماء ، وبلورات الثلج) التى كانت محمولة على الغاز ومن ثم فقد اتبعت الحركة الدورانية له والراجع أن تكوين هذه الكتل « الأرضية » فى مادتها والتى نطلق عليها الآن الكواكب قد حدث نتيجة مصادمات بين جسيمات الغبار ونموها التدريجى حتى وصلت الى هذه الأحجام الضخمة . وفى (شكل ١١٨) تصور لنتيجة هذه الصدمات المتبادلة التى يرجع حدوثها عند سرعات قريبة من سرعة النيازك .



(شكل رقم ١١٨)

ومن المنطقي اذن أن نستنتج أن هذه السرعات سوف تؤدي عند الصدام بين جسيمين متساويين تقريبا في الكتلة الى أن يسحق كل منهما الآخر (شكل ١١٨ أ) وهذا من شأنه ألا يؤدي الى النمو ولكن بالأحرى الى تدمير كتل أكبر من هذه الجسيمات . ومن ناحية أخرى عندما يصطدم جسيم صغير مع آخر أكبر منه (شكل ١١٨ ب) فمن البديهي أنه سوف يذفن نفسه فيه وبالتالي تزيد كتلة هذا الأخير .

ومن الواضح أن هاتين العمليتين سوف تؤديان تدريجيا الى اختفاء الجسيمات الصغيرة ، ونمو الجسيمات الأخرى من نفس المادة . ثم تزيد سرعة العملية في المراحل الأخيرة وذلك لأن الأجسام الكبيرة ستجذب الأصغر منها عند مرورها بها لتضيف كتلتها اليها (شكل ١١٨ ج) . ويتضح من الشكل أن كفاءة الأجسام الكبيرة في أسر غيرها تزيد الى حد كبير .

وقد استطاع « فيتس تسيكر » أن يشرح لنا أن الغبار الدقيق الذي كان مبعثرا في المنطقة التي تحتلها الكواكب الآن لابد انه المسئول عن تكوين هذه الكتل الضخمة وهي الكواكب في حوالي ١٠٠ مليون عام تقريبا .

الكوكب	بعده عن الشمس بالنسبة لبعده الأرضي عنها	نسبة بعد كل كوكب عن الشمس بالنسبة لكوكب السابق
عطارد	٣٨٧	
فيثوس	٧٢٣	١٨٦
الأرض	١٠٠٠٠	١٣٨
المريخ	١٥٢٤	١٥٢
الكويكبات (٠)	٢٧ تقريبا	١٧٧
المشتري	٥٢٥٣	١٩٢
زحل	٩٥٣٩	١٨٣
اورانوس	١٩١٩١	٢٠٠١
نبتون	٣٠٠٧	١٥٦
بلوتو	٣٩٥٢	١٣٦

(*) اجرام شبيهة بكواكب سيارة (المترجم)

ولابد أن قذف الكواكب باستمرار بقطع مختلفة الأحجام من المواد الكونية أثناء دورانها حول الشمس قد أدى إلى سخونة سطحها جدا . وبمجرد انتهاء الغبار النجمي والحصى والصخور الضخمة توقفت عملية النمو في الكواكب ، ويرجح أن الإشعاع المستمر في الفضاء النجمي قد أدى إلى سرعة تبريد الطبقات الخارجية للأجرام السماوية (الكواكب) ، ومن ثم ظهرت القشرة الصلبة التي تزداد سمكا يوما بعد يوم نتيجة للتبريد التدريجي المستمر لباطن الأرض .

والنقطة التالية في الأهمية والتي لم تتوان نظرية في أصل الكواكب عن اقتحامها هي هذه القاعدة الغريبة (المعروفة بقاعدة تيتوس بود) (*) والتي تحكم المسافات بين الكواكب المختلفة والشمس وترى في الجدول الموجود في صفحة ٢٩٦ نسعة كواكب من النظام الشمسي بالإضافة إلى الحزام الكوكباني الذي يمثل بوضوح حالة استثنائية لم تتجمع فيها القطع المنفصلة في كتلة واحدة مفردة .

وهناك أهمية خاصة للأرقام الموجودة في العمود الأخير ، فعلى الرغم من بعض الفروق فيما بينها إلا أنه من الواضح أنها تدور كلها في فلك الرقم (٢) وهو ما يسمح لنا بصياغة هذه القاعدة التقريبية : ان نصف قطر أي مدار كوكبي يقترب من ضعفي مثيله بالنسبة لأقرب كوكب إليه في اتجاه الشمس .

اسم التابع	المسافة بالنسبة لنصف قطر	نسبة الزيادة بين مسافتين متتاليتين
ميموس Mimas	٣١١	
انكلادس Enceladus	٣٩٩	١,٢٨
تيثيز Tethys	٤٩٤	١,٢٤
دايون Dione	٦٣٣	١,٢٨
ريسا Rhea	٨٨٤	١,٣٩
تيتان Titan	٢٠٤٨	٢,٣١
هيبريون Hyperion	٢٤٨٢	١,٢١
جيبيتوس Japetus	٥٩٦٨	٢,٤٠
فوبيي phoebe	٢١٦٨	٣,٦٣

Titus-Bode.

(*)

ومن المثير أن هناك قاعدة شبيهة بذلك تنطبق على توابع الكواكب ،
ففي الجدول السابق نستطيع أن نؤكد هذه الحقيقة عن مسافات توابع
زحل التسعة .

فكما في الكواكب نجد أنفسنا هنا أمام فروق واسعة جدا (ولا سيما
بالنسبة لقويبي !) ولكن - مرة ثانية - نجد نظاما محددًا من نفس النوع
يربط بين هذه المسافات .

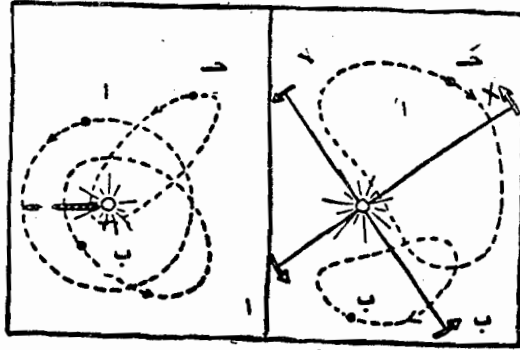
والآن بم نفسر أن عملية التراكم التي حدثت في سحب الغبار
المحيطة بالشمس لم تسفر - وهذا أولى - عن كوكب ضخم واحد لا غير ،
وما الذي جعل هذه الكتلة الضخمة تتكون على هذه المسافات بالذات ؟ .

وللاجابة على هذا السؤال لابد من القاء نظرة أكثر تفصيلا على
التحركات التي تمت في السحب الغبارية الأصلية ، وينبغي أن نتذكر
أولا أن كل جسم مادي - سواء كان ذرة دقيقة من الغبار ، أو نيزكا
صغيرا ، أو كوكبا ضخما - يتحرك حول الشمس وفقا لقوانين نيوتن في
الحركة لابد وأن يتبع مسارا بيضاويا تكون الشمس بؤرتة . فإذا كانت
المادة المكونة للكواكب أصلا على هيئة جسيمات منفصلة لنقل مثلا أن
قطرها يساوي ١٠٠٠٠ سم (٢) فلا بد أن عددها لن يقل عن ٤٥١٠ جسيم
تقريبا تتحرك في مدارات بيضاوية مختلفة الأحجام والاستطالات . من
الواضح الآن أنه في مثل هذا المرور المزدحم لابد من حدوث كثير من
حوادث الصدام ونتيجة لذلك فمن المرجح أن هذه الحوادث قد أدت الى
حدوث نوع ما من التنظيم في هذا الحشد ككل . وليس من الصعب أن
تدرك أن هذه المصادمات قد عملت اما على سحق « المخالفين » واما اجبارهم
على « الانعطاف » الى « حارات مرور » أقل ازدحاما . فما هي القوانين
التي قد تحكم مثل هذا « النظام » أو على الأقل هذا « المرور » المنظم
جزئيا ؟ .

وليكن مدخلنا الأول الى هذه المشكلة اختيار مجموعة من الجسيمات التي
تساوت في زمن دورانها حول الشمس . والبعض منها كان يتحرك في
مدار دائري يتناسب نصف قطره مع فترة الدوران ، في حين كان البعض
الآخر يتخذ مدارات بيضاوية مختلفة الاتساع والاستطالة (شكل ١١٩ أ)
والآن سنحاول وصف حركة هذه الجسيمات المختلفة بالنسبة لمحورين
متعامدين (ز ، ي) مركزهما الشمس وسرعة دورانها تساوي سرعة
دوران الجسيمات نفسها .

(٢) وهو تقريبا حجم ذرات الغبار في المادة بين التجوية .

ويتضح أولاً باستخدام هذا النظام أن الجسيمات المتحركة في مدار دائري (أ) ستظهر كما لو كانت ساكنة تماماً في نقطة معينة أ • كما أن الجسم ب الذي كان يدور حول الشمس في حركة بيضاوية يقترب ويبتعد عن الشمس وفي الحالة الأولى تزداد سرعته الزاوية بينما تنخفض في الحالة الثانية ، وبالتالي سوف يتحرك هذا الجسيم أحياناً أمام النظام المحوري (ز ، ي) ويتخلف ورائه في أحيان أخرى • ومن اليسير أن نرى من وجهة نظر هذا النظام - أن الجسيم سيأخذ مساراً مغلقاً أشبه بحبة الفول (ب في الرسم) • ويبقى الجسيم (ج) وهو الذي كان يتحرك في مدار بيضاوي أكثر استطالة وسوف يرى من هذا النظام (ز ، ي) على نفس الشكل وإن كانت حبة الفول هنا أكبر (ج •) .



(شكل رقم ١١٩)

الحركة الدائرية والبيضاوية بالنسبة لنظام محوري ثابت (أ) ونظام محوري دوار (ب) •

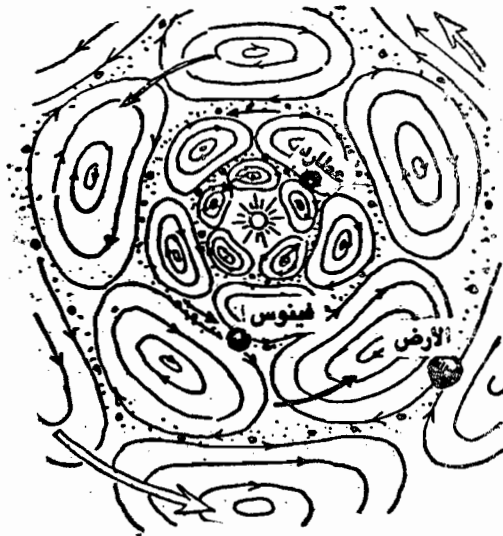
ومن الواضح أننا لو أردنا ترتيب حركة هذه الحشود من الجسيمات بأكملها بحيث يستحيل حدوث صدام بينها فلا بد أن يتم ذلك بحيث يمتنع التقاطع بين هذه المسارات الفولية في هذا النظام المحوري المنتظم الدوران (ز ، ي) •

فاذا تذكرنا أن زمن الدوران لهذه الجسيمات حول الشمس واحد مما يجعل متوسط بعدها عن الشمس واحداً سنجد أن هذا النمط غير المتداخل لمساراتها في نظام (ز ، ي) يشبه « عقداً من الفول » يطوق عنق الشمس •

والهدف من التحليل السابق الذي ربما كان صعباً إلى حد كبير على القارئ ، وإن كان من حيث المبدأ تصوراً بسيطاً إلى حد كبير أيضاً ، هو إيضاح نوع القواعد المرورية التي تحول دون التقاطع بين مجموعات



الجسيمات التي تدور على نفس البعد المتوسط حول الشمس ، وهي من ثم تستغرق نفس الزمن في الدوران . ولكن لما كان متوقعا تواجبه في سحابة الغبار الأصلية التي كانت تحيط بالشمس في بادئ عهدا بكل المسافات المتوسطة ، وما يقابلها من سرعات في الدوران فالحالة هنا أكثر تعقيدا بكثير . فبدلا من « عقد فول » واحد هناك لا شك عدد كبير من هذه « العقود » التي تدور بسرعات مختلفة بالنسبة لبعضها البعض . وبالتحليل الواعي نجح « فيتس تسيكر » في أن يثبت أنه لكي يستقر هذا النظام لابد أن يحتوي كل « عقد » منفصل على خمسة نظم منفصلة وبالتالي تكون صورته شبيهة جدا (بشكل ١٢٠) وهذا النظام سيضمن « مرورا آمنا » في كل حلقة على حدة ، ولكن حيث ان سرعة دوران الحلقات مختلفة فلا بد من وقوع « حوادث مرور » ، كلما مست حلقة حلقة أخرى . ولا بد أن هذه العدد من الصدمات المتبادلة على الحدود بين جسيمات حلقة وما يجاورها من جسيمات أخرى قد أسفر عن عملية التراكم وازدياد كتل المادة شيئا فشيئا على هذه الأبعاد بالذات من الشمس . وهكذا تكونت الكواكب عن طريق نقص اتساع كل حلقة وتراكم المادة على حدودها مع الحلقات الأخرى .



(شكل رقم ١٢٠)

• حارات المرور للغبار في الغلاف الشمسي البدائي .

والشكل السابق يعطينا فكرة مسطرة عن القاعدة القديمة التى تحكم أنصاف أقطار مدارات الكواكب . والواقع أن الاعتبارات الهندسية الأولية تظهر لنا أنه فى النموذج الموضح فى شكل (١٢٠) . تكون أنصاف أقطار المدارات . للحلقات المتتابة معبرة عن متوالية هندسية يكون كل حد فيها ضعفى الحد السابق عليه . ويظهر لنا أيضا أن هذه القاعدة ليست دقيقة تماما . والواقع أنها ليست وليدة قانون صارم يحكم حركة الجزيئات فى سحابة الغبار الأصلية ، ولكنها بالأحرى تعبر عن اتجاه معين فى الحركة أكثر نظاما من حركة الغبار العادية .

أما انطباق نفس القاعدة على توابع (أقمار) الكواكب المختلفة فى نظامنا فيدل على أن تكوين التوابع قد حدث بنفس الأسلوب تقريبا . وعندما تفتتت سحابة الغبار الأصلية المحيطة بالشمس الى مجموعات منفصلة من الجسيمات كانت هى الكواكب فيما بعد تكررت العملية مرة أخرى وفى كل مرة تركز الجزء الأكبر من المادة فى الوسط ليعطى فى النهاية جسم الكوكب بينما تكثف الجزء الباقى منها بالتدرج على هيئة عدد من التوابع .

ولقد فاتنا فى خضم هذا الحديث عن المصادمات المتبادلة ونمو جزيئات الغبار أن نخبرك بما حدث للجزء الغازى فى الغلاف الشمسى البدائى الذى كان اذا كنت لا تزال تذكر يمثل ٩٩ فى المائة من كتلتها الكلية والاجابة على هذا السؤال أبسط نسبيا .

أثناء تصادم جزيئات الغبار الذى أدى الى تكوين كتل أكبر وأكبر من المادة ، تسربت جزيئات الغاز تدريجيا الى الفضاء النجمى . ويمكن الاثبات بحسابات بسيطة نسبيا أن الزمن الذى استغرقته هذه العملية كان ١٠٠ مليون عام تقريبا ، وهو نفس الزمن الذى استغرقه تكوين الكواكب .

لذا فما أن أخذت هذه الكواكب شكلها النهائى حتى كان أغلب الهيدروجين والهليوم وهما العنصران الأساسيان فى الغلاف الشمسى البدائى قد فرا من النظام الشمسى تاركين وراءهما هذه الكميات القليلة التى أشرنا إليها من قبل باسم الضوء البروجى (الزودياك) .

ومن النتائج الهامة لنظرية « فيتس تسيكر » أن عملية تكوين النظام الكوكبى لم تكن حالة استثنائية ولكنها قد حدثت جزئيا فى تكوين كل النجوم . وهذه الجملة تناقض تماما الاستنتاجات التى ترتبت على نظرية الصدام التى اعتبرت عملية التكوين الكوكبية حالة لم تتكرر فى تاريخ الكون . ولقد كانوا يظنون أن الصدامات النجمية حالات نادرة جدا ، وأن من بين ١٠١٠×٤ نجما وهو عدد نجوم درب التبانة لم تحدث

الا حالات قليلة جدا من مثل هذا النوع من الحوادث (وهذا غير مؤكد عندهم) على مدار عدة بلايين من السنين هي عمر هذه النجوم .

فاذا كان - كما يتضح لنا الآن - لكل نجم نظام كوكبي تابع له فهذا يعنى أن هناك الملايين من الكواكب فى مجرتنا وحدها تشبه فى ظروفها الطبيعية ظروف الأرض تماما . وسوف يكون من الغريب ان لم يكن من المذهل - لو اكتشفنا أن هذه الكواكب « خلو من الحياة » بل وفى أرقى صورها أيضا .

وقد ناقشنا فى الفصل التاسع أبسط صور الحياة مثل الأنواع المختلفة من الفيروسات ورأينا أنها مجرد جزيئات معقدة تتركب أساسا من ذرات الكربون والهيدروجين والنتروجين . وحيث ان هذه العناصر توجد بالتأكيد بكميات وفيرة على سطح أى كوكب حديث التكوين فلا مفر لنا من الاعتقاد أن بعض هذه الجزيئات قد ظهر بعد تكوين القشرة السطحية ان أجلا أو عاجلا وبعد تكثف البخار الجوى على هيئة مستودعات مائية ضخمة نتيجة للاتحاد بين الذرات المناسبة فى النظام المناسب عن طريق الصدفة . ومن المؤكد أن تعقد الجزيئات الحية يجعل احتمالية تكوينها عن طريق الصدفة أمرا مشكوكا فى حدوثه . فهو أقرب الى احتمال الحصول على صورة كاملة عن طريق رج الصندوق المحتوى على قصاصاتها على أمل أن تترتب الدقة من تلقاء نفسها . ولكن يجب ألا ننسى أن عدد الذرات كان رهيبا وأنها لم تفتأ تتصادم مع بعضها باستمرار وأن الوقت الذى أتيج لها لترتيب نفسها كان طويلا جدا . وظهور الحياة على كوكبنا بعد فترة صغيرة نسبيا بمجرد أن ظهرت القشرة الأرضية يدل على أن تكوين الجزيئات بمحض الصدفة لم يكن يحتاج الا الى بضعة مئات ملايين السنين رغم غرابة الأمر . وما أن ظهرت أبسط صورة للحياة على سطح الكوكب حديث النشأة حتى أدت عملية التكاثر العضوى والتطور التدريجى الى ظهور صور أكثر تعقيدا شيئا فشيئا من النظم الحية (٣) . ولا ندرى ان كانت نشأة الحياة على الكواكب الأخرى « الصالحة للسكنى » قد تمت بنفس الطريقة أم لا . ومن ثم فان دراسة الحياة فى العوالم المختلف ستسهم بصفة جوهرية فى تفهمنا لعمليتى النشوء والتطور .

ولكن اذا كان من الممكن لنا دراسة صور الحياة التى قد توجد على المريخ أو الزهرة (أفضل الكواكب « الصالحة للسكنى » فى نظامنا الشمسى) فى المستقبل غير البعيد بالقيام برحلة مغامرة على متن « سفينة

(٣) لمزيد من التفاصيل عن أصل الحياة وتطورها على الأرض ارجع الى كتاب المؤلف
A Planet Called Earth (New York, The Viking Press, 1963).

فضاء تعمل بالطاقة الذرية ، ، فان قضية احتمال وجود الحياة ، والصور التي قد تتمثل فيها على العوالم النجمية الأخرى التي تفصل بيننا وبينها المئات بل وآلاف السنين الضوئية سوف تظل على الأرجح سرا مستغلقا أمام العلم .

٢ - الحياة الخاصة للنجوم :

بعد أن أخذنا صورة كاملة تقريبا عن الكيفية التي منحت بها النجوم - كل على حدة - الفرصة لمولد أسرها من الكواكب ربما نتساءل الآن عن النجوم نفسها .

ما هو تاريخ حياة النجم ؟ وما هي تفاصيل مولده ، والتغيرات التي طرأت عليه في رحلة عمره الطويلة ، ومتى تحين نهايته ؟

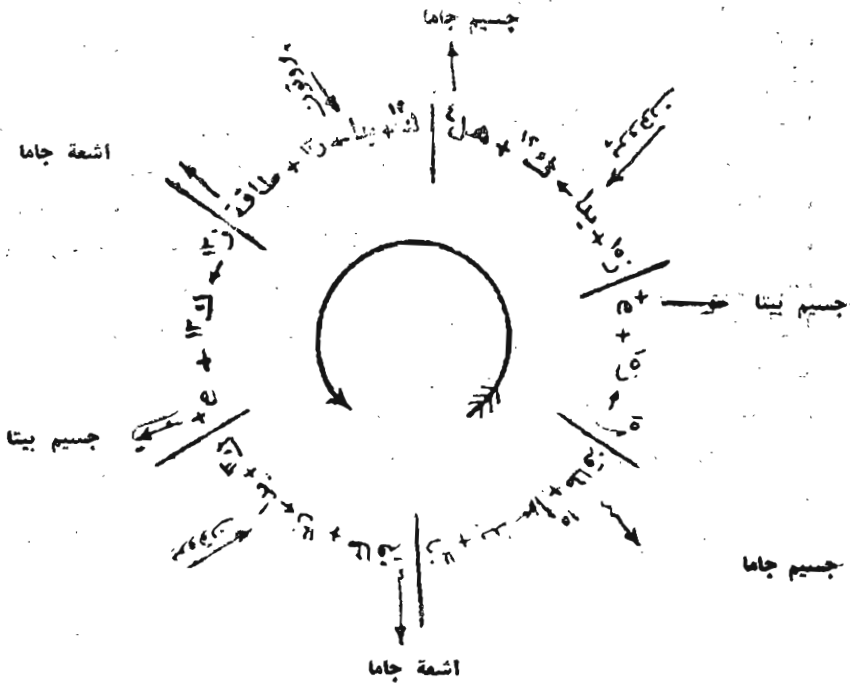
ونستطيع أن نبدأ الاجابة على هذا السؤال بالنظر أولا الى شمسنا ، فهي تكاد تكون عينة مماثلة تقريبا لبقية الأعضاء من بلايين نجوم درب التبانة .

ونحن نعرف أساسا أن شمسنا نجم قديم الى حد ما ، فوفقا لمعلومات علم الاحياء (*) (البليوتولوجيا) ظلت الشمس تضيء بنفس القوة لبضعة بلايين من السنين معطية الحياة فرصة للتطور على سطح الأرض . ولا يوجد مصدر عادي يمكنه أن يوفر هذا الكم من الطاقة لهذه الفترة الطويلة . وظلت مشكلة اشعاع الشمس أحد الأغاز التي استعصت على العلم حتى اكتشف العلماء التحولات الاشعاعية ، والتحول الاصطناعي للعناصر مما كشف لنا عن مصادر هائلة للطاقة الكامنة في أعماق نواة الذرة . ولقد رأينا في الفصل السابع أن أى عنصر كيميائى هو عمليا وقود كيمائى يمكن أن يعطينا قدرا هائلا من الطاقة ، وأن هذه الطاقة يمكن تحريرها عن طريق تسخين هذه العناصر ورفع درجة حرارتها ملايين الدرجات .

وفى حين أن هذه الدرجات العالية يستحيل عمليا الوصول اليها فى المعامل الأرضية الا أنها مألوفة فى عالم النجوم الى حد كبير . وفى الشمس مثلا تبلغ الحرارة على السطح ٦٠٠٠° مئوية فقط ثم تزيد بالتدرج حتى تصل فى مركزها الى ٢٠ مليون درجة . ويمكن حساب هذا الرقم دون صعوبة كبيرة من ملاحظة درجة حرارة هذا الجسم النجمي ومعرفة

(*) علم يبحث فى أشكال الحياة فى العصور القديمة (المترجم) .

خواص الغازات الموصلة للحرارة التي تتكون منها الشمس . وبالمثل نستطيع حساب درجة الحرارة داخل ثمرة بطاطس ساخنة من غير حاجة الى شقها اذا علمنا درجة حرارة السطح وقدرة مادتها على توصيل الحرارة .



(شكل رقم ١٢١)

التفاعل النووي الذري المسئول عن تولد طاقة الشمس .

وإذا أضفنا هذه المعلومة عن درجة حرارة مركز الشمس الى ما نعرفه عن معدلات التفاعل في التحولات النووية المختلفة نستطيع أن نضع يدنا على نوع التفاعل المسئول عن تولد الطاقة في الشمس . وتعرف هذه العملية النووية الهامة باسم « دورة الكربون » وقد اكتشفها عالمان مختلفان من علماء الفيزياء في نفس الوقت وهما « هـ . بيت » و « فيتس تسيكر » .

والتفاعل النووي الحراري المسئول الاساسي عن انتاج الطاقة في الشمس ليس قاصرا على عملية واحدة من عمليات التحول النووي ، ولكنه يتألف من سلسلة من التحولات المتصلة تكون معا ما يعرف بسلسلة التفاعلات . ومن أهم ملامح هذه السلسلة أنها دائرية ومغلقة تعود بنا من حيث أتينا بعد كل ست خطوات . ونرى من شكل (١٢١) الذي يمثل رسما برنامجيا لهذه السلسلة الشمسية أن أهم المشاركين فيها هي : انوية

بداية بلا نهاية - ٣٠٥

الكربون ، والنيتروجين بالإضافة الى البروتونات الحرارية التي تصطدم بها .

فاذا بدأنا مثلا بالكربون العادى (C^{12}) نجد أن التصادم يؤدي الى تكوين نظير النيتروجين الخفيف (N^3) ، وتحرير بعض الطاقة دون الذرية على صورة أشعة (γ) (جاما) . وهذا التفاعل بالذات معروف لعلماء الفيزياء النووية كما أمكن الحصول عليه تحت الظروف المعملية باستخدام بروتونات عالية الطاقة معجلة صناعيا . وحيث ان نواة (N^{13}) غير مستقرة فانها تتخلص من الكترون موجب أو جسيم بيتا موجب لتتحول الى نواة مستقرة لنظير كربون أثقل (C^{12}) ، وهذا النظير من المعروف أنه يوجد بكميات قليلة فى الفحم العادى ، وعندما يصطدم الكربون بعد ذلك ببروتون حرارى آخر يتحول الى نيتروجين عادى (N^{14}) مطلقا مزيدا من أشعة جاما المكثفة . والآن تصطدم نواة (N^{14}) التى كان من الممكن أن نبدأ بها فى وصف التفاعل بنفس السهولة التى بدأنا بها مع الكربون) مع بروتون حرارى آخر (الثالث) لتسمح بظهور نظير أكسجين غير مستقر (O^{15}) الذى سرعان ما يتحول الى (N^{15}) المستقر بطرد الكترون موجب . وأخيرا يتلقى (N^{15}) بروتونا رابعا يصيبه فى القلب فينقسم الى جزأين غير متساويين أحدهما نواة C^{12} التى بدأنا بها ، أما الجزء الآخر فهو نواة الهليوم أو جسيم ألفا .

وهكذا نرى أن أنوية الكربون والنيتروجين تتولد الى الأبد فى سلسلة التفاعل الحلقي (الدائرى) وتعمل كعامل مساعد فقط كما يسميها الكيميائيون . والنتيجة النهائية لهذه السلسلة من التفاعلات هى تكوين نواة هليوم واحدة من البروتونات الأربعة التى دخلت التفاعل واحدا بعد الآخر ، ومن ثم نستطيع أن نصف العملية كلها بأنها تحول الهيدروجين الى هليوم نتيجة لدرجات الحرارة العالية وبمساعدة التفاعل الحفاز للكربون والنيتروجين .

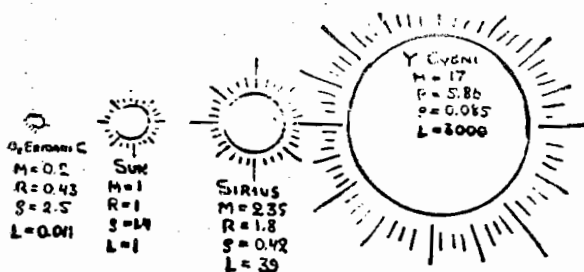
وقد استطاع « بنه » أن يثبت أن الطاقة فى هذه السلسلة تحتاج حتى تنطلق الى درجة حرارة تصل الى ٢٠ مليون وهى الكمية الفعلية من الطاقة التى تشعلها الشمس ، وحيث ان كل التفاعلات الممكنة تكون نتائجها مخالفة للدليل الفيزيائى الفلكى فلا بد لنا من أن نقبل أن دورة الكربون والنيتروجين تمثل بصفة أساسية السبب الأول لتوليد الطاقة الشمسية .

وهنا يجدر بنا أن نلاحظ أيضا أن دورة الكربون والنيتروجين الموضحة فى شكل (١٢١) تستغرق تحت درجة الحرارة الموجودة فى باطن

الشمس حوالي 5 ملايين عاما ، ولذا عند نهاية هذه الفترة تخرج كل نواة من أنوية الكربون (أو النيتروجين) التي بدأت التفاعل بنفس الصورة التي كانت عليها في البداية وكانها لم تمس ولم تمر عليها هذه السنون .

ومن جهة الدور الأساسي الذي تقوم به ذرة الكربون في هذه العملية هناك شيء ينبغي أن نقوله بالنسبة للنظرة القديمة التي تلخصت في أن حرارة الشمس مبعثها الفحم ، فنحن لن نضيف إليها الا أن « الفحم » هنا ليس ذلك الوقود العادي ولكنه يؤدي بدلا من ذلك دورا أسطوريا أشبه بدور العنقاء (*) .

ويجب أن نلاحظ بصفة خاصة هنا أنه في حين يعتمد إنتاج الطاقة عن طريق التفاعل في الشمس على الحرارة وكثافة الأجزاء المركزية فيها بصفة أساسية فإنه يعتمد أيضا الى حد ما على محتويات جسم الشمس من هيدروجين وكربون ونيروجين . وهذا الاستنتاج يجعلنا نفكر في الحال في الطريقة التي نستطيع بها أن نحلل الغازات الشمسية عن طريق تحديد تركيز المواد الداخلة في مثل التفاعل السابق بحيث يكون مناسباً تماماً للمعان الذي يصدر عن الشمس . وقد أجريت التقديرات المعتمدة على هذه الطريقة حديثاً جداً على يدى « م . شواز تشيلد » فأدت الى اكتشاف أن ما يزيد عن نصف المادة الشمسية يتكون من الهيدروجين النقي ، وأقل من النصف من الهليوم النقي وقليل جداً من كافة العناصر الأخرى .



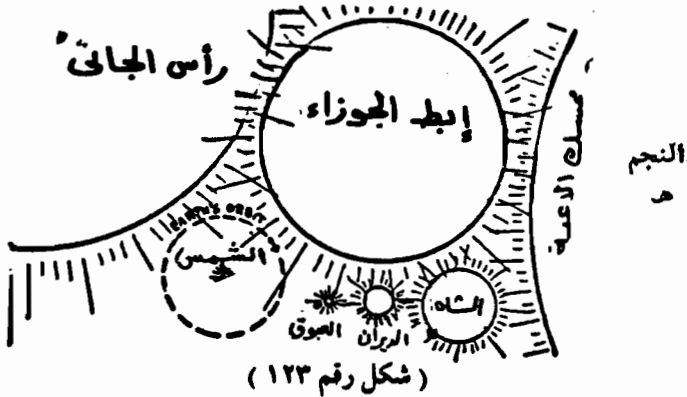
التالو = P الكثافة = S نصف القطر = R الكتلة = M

(شكل رقم ١٢٢)

بنا الأساسي للسبح

(*) العنقاء طائر خرافي زعم قدماء المصريون أنه يعمر خمسة قرون أو ستة ، وبعد أن يحرق نفسه ينبعث من رماده وهو أتم ما يكون شباباً وجمالاً . (المترجم) .

وينسحب هذا التفسير بسهولة على أغلب النجوم الأخرى مما يجعلنا نستنتج أن النجوم المختلفة في كتلتها تختلف درجات حرارتها من الداخل مما يعنى تبعيا لاختلاف معدلات انتاجها للطاقة . وهكذا فان النجم المعروف باسم (O Eridani C) (*) وهو أخف من الشمس وزنا بخمس مرات يشع بقوة لا تتعدى ١٪ من قوة اشعاع الشمس . ومن جهة أخرى يشع النجم (X Canis Majoris A) المعروف باسم الشجرى اليمانية (Sirus) بقوة تفوق قوة الشمس بأربعين ضعفا (هذا النجم أثقل من الشمس بمرتين ونصف المرة) . وهناك أيضا نجوم عملاقة مثل (Y, 380 Cygni) (**), وهو أثقل من الشمس أربعين مرة وأقوى اشعاعا منها بمئات الآلاف من المرات . وفي جميع هذه الحالات يمكن تفسير العلاقة بين كتلة النجم واشعاعه على نحو مقبول جدا بأنها زيادة معدل تفاعل « دورة الكربون » نتيجة لارتفاع حرارة النجم من الداخل تبعاً لما يسمى بـ « الترتيب الأساسى » للنجوم نجد أن زيادة الكتلة تؤدي الى زيادة نصف قطر النجم (من ٤٣ر من نصف قطر الشمس بالنسبة لـ (O₂ Eridani C) حتى ٢٩ مرة قدر مثيله فى الشمس بالنسبة لـ (Y 380 Cygni) والى نقص متوسط الكثافة فيها (من ٢٥ر فى (O₂ Eridani C) ثم ١٤ر فى الشمس حتى ٠٠٠٢ر لـ (Y 380 Cygni) وفى شكل ١٢٢ نجد بعض البيانات عن الترتيب الأساسى للنجوم .



• النجوم العماليق والعماليق الكبرى بالنسبة لحجم نظامنا الشمسى

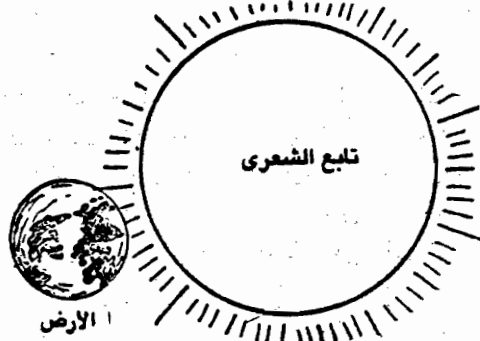
- (*) أحد نجوم كوكبية النهر الجنوبية (المترجم)
- (***) أحد نجوم كوكبية شمالية تعرف بالدجاجة (المترجم)

وبالإضافة إلى النجوم (العادية) التي تتحدد أنصاف أقطارها وكثافتها ولعانها وفقا لكتلتها يجد علماء الفلك أنماطا من النجوم تختلف قطعا عن هذا النظام البسيط .

فهناك من النجوم ما يعرف باسم « العملاق الأحمر » و « العملاق الأكبر » ، وهذه النجوم رغم أنها تحتوى على نفس الكم من المواد الذي تحتوى عليه النجوم (العادية) ذات اللعان المساوى فى درجته لها إلا أنها ذات أبعاد خطية أكبر بكثير . فى الشكل (١٢٣) حاولنا أن نعطي لك صورة تقريبية لهذه المجموعة من النجوم غير العادية والتي تتضمن أسماء مشهورة (مثل

Capella, Ras Algethi, Betelguse, Aldebaran, Scheat (E Aurigae).
(العيوق والشاة والدبران وابط الجوزاء ورأس الجاثى والنجم ه فى كوكبة ممسك الأعنة) .

ومن الواضح أن أجسام هذه النجوم قد (توزمت) الى هذه الدرجة الهائلة نتيجة لعوامل داخلية ليس لها تفسير حتى الآن مما جعل كثافتها تنخفض كثيرا عن كثافة أى نجم عادى .



(شكل رقم ١٢٤)

النجوم البيضاء المتقزمة بالنسبة للأرض

وعلى النقيض من هذه النجوم « المتورمة » نجد مجموعة أخرى من النجوم ذات الأقطار الصغيرة . ومن بين نجوم هذه المجموعة ذلك النوع المعروف باسم « الأقزام البيضاء » (٤) ويظهر أحدها فى شكل (١٢٤)

(٤) أصل هاتين التسميتين (« العماليق الحمراء » و « الأقزام البيضاء ») يرجع الى العلاقة بين لعان هذه النجوم ومساحة سطوحها . إذ أن النجوم المخلخلة تكون مساحة أسطحها كبيرة جدا بالنسبة لكم الإشعاع الصادر عن باطنها ، ولذا تكون درجة حرارة هذه الأسطح منخفضة نسبيا مما يكسبها لونا أحمر . أما سطوح النجوم العالية الكثافة فلا بد وان تكون ملتبهة جدا أو ملتبهة الى درجة البياض .

بجانب الأرض للمقارنة . ويتكون « تابع الشعري اليمانية » من كتلة قريبة من كتلة الشمس فهو لا يزيد عن ثلاثة أضعاف حجم الأرض ، أما متوسط كثافته فلا بد وأنه ٥٠٠.٠٠٠ ضعف لكثافة الماء ! وليس هناك شك تقريبا في أن نجوم الأقزام البيضاء تمثل مرحلة متأخرة من مراحل التطور النجمي وهي تلك المرحلة التي يكون فيها قد استهلك كل الوقود الهيدروجيني المتاح له .

وكما رأينا من قبل ان مصدر حياة النجوم هو التفاعل الكيميائي البطيء الذي ينحول الهيدروجين فيه الى هليوم . ولما كان النجم الحديث التكوين وهو هذا النجم الذي خرج لتوه الى الوجود نتيجة تكثف المادة النجمية المنتشرة للفضاء يحتوي على أكثر من ٥٠٪ من الهيدروجين بالنسبة لكتلته الكلية فإننا ننتظر له دورة حياة طويلة . وهكذا يمكن للمرء أن يحسب من اللعان الظاهر للشمس مثلا أنها تستهلك حوالي ٦٦٠ مليون طن من الهيدروجين في الثانية ، وحيث ان كتلتها تصل الى 2×2710 طنا ، ونصف هذه الكتلة من الهيدروجين فمن الواضح اذن أن عمرها المفترض سيبلغ 5×1810 ثانية أو حوالي 5×10^{10} عاما ! فاذا تذكرنا أن عمر شمسنا الآن لا يزيد عن 3×910 عاما أو 4×910 عاما (٥) تقريبا نوجدنا أنها لا تزال تعتبر صغيرة السن جدا وسوف تستمر في بث اشعاعها بنفس قوتها الحالية تقريبا لبلايين الأعوام القادمة .

ولكن الشمس الأكبر كتلة والأشد بالتالي بريقا مستهلك مئونها الأصلية من الهيدروجين بمعدل أعلى بكثير . لذا فان « الشعري اليمانية » مثلا وهي أثقل من الشمس ب ٢٣ مرة وتحتوي بالتالي على قدر أكبر من الهيدروجين بنسبة ٢٣ مرة الى الشمس أشد لمعانا ب ٣٩ مرة من الشمس وتستهلك وقودا أكثر منها ب ٣٩ مرة في نفس الفترات الزمنية . ولذا فان عمر « الشعري اليمانية » لا يزيد عن 3×910 عاما بالنسبة لما تحتوى عليه من وقود هيدروجيني . وفي النجوم الأشد لمعانا مثل Y 380 Cygni (أكبر من كتلة الشمس ب ١٧ مرة وأشد بريقا منها ب ٣٠٠٠ مرة) يكون الوقود الهيدروجيني الأصلي فيها غير كاف الا ل ١٠٠ مليون عام تقريبا .

ما الذي يحدث للنجم عندما ينضب أخيرا معينه من الهيدروجين ؟ .. حيث أن الطاقة النووية التي كانت تحافظ على سطوع النجم في دوجة ثابتة تقريبا أثناء فترة حياته قد انتهت فلا بد لجسم النجم أن ينكمش وبالتالي يمر في مراحل متعاقبة من ازدياد الكثافة شيئا فشيئا .

(٥) اذ أن نظرية « فيتس تسيكر » تنص على أن الشمس ظهرت قبل النظام الكوكبي بوقت غير طويل وعمر الأرض قد قدر في حدود ذلك النطاق الزمني .

وتكشف لنا المشاهدات الفلكية عن وجود عدد كبير من هذه « النجوم المنكمشة » التي يزيد متوسط كثافتها عن الماء بمعامل قدره مئات الآلاف من المرات . ولا تزال هذه النجوم ساخنة جدا ونتيجة لارتفاع درجة حرارة سطوحها فهي تشع ضوءا أبيض يعتبر خلفية واضحة للنجوم الصفراء أو الحمراء العادية ، وهذه النجوم صغيرة الحجم جدا وأقل في لمعانها من الشمس بآلاف المرات . ويطلق علماء الفلك على النجوم في هذه المراحل المتأخرة من التطور اسم « الأقزام البيضاء » وهذا المصطلح يجمع في دلالاته بين الأبعاد الهندسية ودرجة اللعان الكلي . وبمرور الزمن سوف تفقد الأجسام البيضاء بريقها تدريجيا ثم تصبح في النهاية « أقزام سوداء » وهي تلك الكتل الكبيرة الباردة من المواد والتي لا يمكن رصدها من خلال المشاهدات الفلكية المعتادة .

ويجدر بنا على أية حال أن نلاحظ أن عملية التقلص والتبريد التدريجي للنجوم المعمرة التي استهلكت كل وقودها الهيدروجيني الهام لا تنهي حياتها بشكل منظم وتدرجي تماما ، فهي تقطع « آخر خطواتها » قبل الفناء غالبا تحت تأثير الانتفاضات القوية وكأنها تصارع قدرها .

وتعتبر هذه الأحداث المأساوية المعروفة باسم **الانفجارات والانفجارات العظيمة** (*) تعتبر من أكثر موضوعات الدراسات النجمية إثارة ففى خلال أيام معدودات يزداد لمعان نجم قد لا يختلف عن غيره من النجوم بمعامل قدره مئات الآلاف من المرات ويصبح سطحه شديد السخونة جدا . وتدل دراسة التغيرات التي تطرأ على الطيف المصاحب لهذه الزيادة المفاجئة في اللعان على أن جسم النجم يزداد التهابا وتورما ، وأن الطبقات الخارجية له تتمدد بسرعة تبلغ حوالى ٢٠٠٠ كم/ث . على أن ازدياد اللعان ليس الا شيئا مؤقتا وما أن يبلغ حده الأقصى حتى يبدأ النجم في الانطفاء ببطء . وعادة يمر عام قبل أن يعود لمعان النجم المنفجر الى حجمه الأصلي ، هذا على الرغم من أنه قد لوحظت اختلافات طفيفة في الاشعاع النجمي بعد فترات أطول بكثير . فعلى حين أن بريق النجم يعود كما كان فلا يمكن أن نقول نفس الشيء عن الخواص الأخرى ، إذ أن هناك جزء من المجال النجمي الذى يشارك فى عملية التمدد السريع أثناء مرحلة الانفجار يستمر فى حركته الى الخارج ويلف الشمس بغشاء من الغازات اللامعة يتضخم حجمه مع الزمن . على أن الدليل الخاص بالتغيرات التي تدوم فى النجم ليست بعد محددة إذ لم يتم تصوير طيف نجم منفجر الا مرة واحدة (انفجار أوريجا ١٩١٨) وحتى هذه الصورة لم تكن جيدة تماما بحيث لا يمكن

(*) أو المتجددات والمتجددات العظيمة لتجدد الانفجارات (المترجم) .

التأكد من حرارة السطح أو قطر النجم في المرحلة السابقة مباشرة على انفجاره .

THE PRINCE GHAZI TRUST
FOR QUR'ANIC THOUGHT

ويمكن الحصول على براهين أفضل بالنسبة لعواقب الانفجار في النجم من ملاحظة « الانفجارات العظمى » وهي هذه الانفجارات السريعة التي تحدث في نظامنا النجمي مرة واحدة كل عدة قرون (على خلاف الانفجارات العادية التي تقع بمعدل انفجار كل ٤٠ سنة) وهي تفوق في لمعانها الانفجارات العادية بمئات الآلاف من المرات . وعندما تصل هذه النجوم الى قمة لمعانها تقترب الأشعة المنبعثة منها في قوتها من الضياء المنبعث من نظام نجمي برمته . ومن الأمثلة النموذجية في درب التبانة على هذه الانفجارات العظمى النجم الذي رصده « تاكوبرا » عام ١٥٧٢ وكان ضوءه واضحا في وسط النهار المشرق ، والنجم الذي رصده علماء الفلك الصينيين عام ١٠٥٤ ، وربما كان نجم « بيت لحم » كذلك من بين هذه النجوم .

وقد تم رصد أول انفجار عظيم خارج مجرتنا عام ١٨٨٥ في النظام النجمي المجاور لنا (سديم اندروميديا) وقد زاد لمعانه عن لمعان كافة النجوم المتفجرة التي سبقت مشاهدتها في هذا النظام بألف مرة . ومع الندرة النسبية لهذه الانفجارات السريعة الا أن دراسة خواصها قد أدت الى تقدم عظيم في السنوات الأخيرة بفضل مشاهدات « باد » و « تسفيكي » اللذين كانا أول عالمن يلاحظان نوعين من الانفجار ويبدأن دراسة منطقية للانفجارات العظمى التي تظهر على البعد في مختلف النظم النجمية .

وعلى الرغم من التباين الرهيب في درجة التآلق الا أن الانفجارات العظمى تتسم بالتشابه مع الانفجارات العادية في كثير من ملامحها . فالارتفاع السريع في درجة التآلق والانخفاض البطيء الذي يعقبه يمكن التعبير عنهما عمليا في كلتا الحالتين بنفس المنحنى (باستثناء مقياس الرسم) والانفجار الأعظم يؤدي الى تمدد الغلاف الغازي على نحو سريع كما يحدث في الانفجار العادي وان كان تمدد الأول يزيد كثيرا عن تمدد الأخير . والواقع أنه في حين أن الأغلفة الغازية المنبعثة عن الانفجار العادي يقل حجمها شيئا فشيئا ثم تذوب وتتبدد بسرعة في الفضاء المحيط نجد أن الكتل الغازية المنطلقة من الانفجار الأعظم تكون سديما كثيفا يشير الى موقع الانفجار . ونستطيع على سبيل المثال أن نعتبر ما يطلق عليه « سديم السرطان » أثرا - لا سبيل الى الشك فيه - للانفجار الأعظم الذي وقع عام ١٠٥٤ وكانت الغازات الناتجة عنه سببا في ظهور هذا السديم .

وفي هذا الانفجار بالذات نجد دليلا على مكان النجم الذي بقى بعد الانفجار . فالحقيقة أن المشاهدات تدل على وجود نجم خافت في مركز

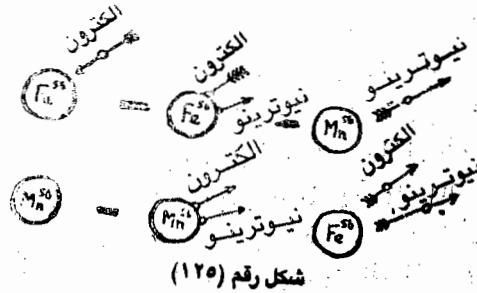
« ستديم السرطان » وهذا النجم يندرج تحت فئة الأقزام البيضاء عالية الكثافة بالنسبة لما لوحظ من خواصه .
ويشير هذا الى أن عملية الانفجار الأعظم تشبه فيزيقيا الانفجار العادي وان كانت صورة مكبرة منه .

وبتبنى « نظرية الانهيار » في الانفجارات العادية والعظمى ينبغي قبل أى شىء أن نسأل أنفسنا عن الأسباب التي قد تؤدي الى هذا الانكماش السريع فى الجسم النجمى بأكمله . ومن اثبات تماما فى الوقت الحاضر أن النجوم عبارة عن كتل عملاقة من الغازات الساخنة وأن حالة التوازن تعتمد على أن الضغط الغازى العالى الناجم عن المادة الساخنة فى داخل النجم يحافظ على حجم هذا النوع . وطالما كانت « حلقة الكربون » التي شرحناها فيما سبق مستمرة فى مركز النجم فان الطاقة المتبعثة على سطحه تتجدد بالطاقة دون الذرية المنتجة داخل الشمس ولا يتغير النجم الا بدرجة ضئيلة جدا . وبمجرد أن يستهلك النجم كل ما فيه من هيدروجين لا يجد طاقة دون ذرية بعد ذلك فلا يستطيع الا أن ينكمش ومن ثم يحول كل طاقته الممكنة من جاذبية الى اشعاع . وهذه العملية تكون بطيئة جدا نتيجة لأن اللشفاافية العالية لمادة النجم تجعل انتقال الحرارة من داخل النجم الى خارجه يتم فى ببطء شديد . فيقدر الزمن اللازم لانكماش شمسنا الى نصف حجمها الحالى مثلا ب ١٠٠ مليون عام أو يزيد . وأى محاولة للتقلص فى زمن أقل سوف تؤدي الى انطلاق كم أكبر من الطاقة الجاذبية فى الحال . ومن هذا نرى أن السبيل الوحيد للاسراع ببعدل الانكماش حتى نصل الى مرحلة الانهيار الكامل كما فى الانفجارات والانفجارات العظمى هو استنباط ميكانيزم معين يقضى على الطاقة المنطلقة داخل النجم نتيجة للانكماش . فاذا كان من الممكن مثلا أن نقلل من عتامة (لا شفافية) المادة النجمية بمعامل قدره عدة بلايين لأصبح انهيار النجم أسرع بنفس النسبة بحيث لا يستغرق أكثر من بضعة أيام . وهذا الاحتمال مستبعد تماما لأن النظرية الحالية للاشعاع تؤكد أن لا شفافية المادة النجمية هي أحد المظاهر المنعكسة عن كثافة ودرجة حرارته ولا يمكن خفضها حتى ولو بمعامل انخفاض عشرة فى مائة .

ولقد طرح مؤلف الكتاب وزميله د . « سنكنبرج » مؤخرا فكرة تفيد بأن السبب الحقيقى لانهيار النجم مرده الى تكون النيوترينات بكميات كبيرة ، هذه الجسيمات النووية التي تعرضنا لها بالتفصيل فى الفصل السابع من هذا الكتاب ، فمن الواضح تعريف النيوترينو أنه أنسب العوامل للتخلص من فائض الطاقة الموجود داخل النجم المنكمش حيث ان جسم النجم بأكمله لا يختلف فى نفاذيته بالنسبة للنيوترينات من

شفافية الزجاج بالنسبة للضوء . ويبقى أن نتأكد أن النيوترينات تنتج وبكميات كبيرة في باطن النجم المنكمش أو تصعب الفكرة خاطئة .

أما التفاعلات التي لا بد من حدوثها لانبعث النيوترينات فتكمن في أسر أنوية العناصر المختلفة للألكترونات سريعة الحركة . وعندما ينفذ إلكترون سريع إلى نواة الذرة يخرج « نيوترينو » على الطاقة في الحال ، ويحتجز الإلكترون لتتحول النواة الأصلية إلى نواة أخرى غير مستقرة لها نفس الوزن الذري .



عنية « يوركا » في نواة الحديد بما تؤدي إليه من تكوين عدد غير محدود من النيوترينات

ولما كانت غير مستقرة فانها لا تبقى في الوجود الا فترة محددة ثم تتحلل بعد ذلك طاردة الكترونا بصحبة النيوترينو آخر . ثم تبدأ العملية من جديد وتؤدي إلى انبعث آخر النيوترينو جديد (شكل ١٢٥) .

وإذا كانت الحرارة والكثافة عاليتين بما يكفي ، كما في باطن النجم المنكمش ، تكون الطاقة المفقودة عن طريق طرد النيوترينات عالية جدا ، فمثلا يكون أسر الإلكترونات ثم إعادة طردها من نواة ذرة الحديد مؤديا إلى فقد طاقة بالنيوترينات تقدر بـ ١١١٠ ارج (*) لكل جرام في الثانية . وفي حالة الاكسجين (حيث يكون الناتج غير المستقر هو النيتروجين المشع بفترة انحلال قدرها ٩ ثوان) قد يفقد النجم ما يقرب من ١٧١٠ ارج في الثانية لكل جرام من مادته . وفي هذه الحالة يكون معدل فقدان الطاقة غالبا إلى درجة أن انهيار النجم لا يتطلب أكثر من ٢٥ دقيقة .

ومن هذا نرى أن بداية اشعاع النيوترينو من المراكز الملتهبة في النجم الساخن كافية تماما لتفسير أسباب الانهيار في النجوم .

(*) وحدة الشغل المطلق في النظام المترى . (المترجم)

ومع ذلك لا بد أن نشير إلى أنه على الرغم من إمكانية تقدير معدل الطاقة المفقودة نتيجة انطلاق النيوترينات بطرق بسيطة نسبياً إلى أن دراسة عملية انهيار النجم تضع أمامنا عقبات رياضية جمة إلى درجة أننا لا نستطيع تفسير حوادثها حتى الآن إلا تفسيراً نوعياً (وليس كميًا) .
 وبديهي أن نتخيل أنه نتيجة نقص الضغط الغازي داخل النجم تبدأ الكتل التي تكون بنيته الخارجية العملاقة في الاتجاه إلى مركزه تحت تأثير قوى الجاذبية . ولكن كم نجم يكون في حالة دوران سريع . كما نعرف لذا فإن عملية الانهيار تتم في شكل غير متماثل وتنهيار الكتل القطبية (التي تقم بالقرب من محاور الدوران) أولاً بحيث تضغط على الكتل الاستوائية مما يؤدي إلى انبعاجها إلى الخارج كما في شكل (١٢٦) .



(شكل رقم ١٢٦)

مرحلة مبكرة وأخرى متقدمة من مراحل الانفجار الأعظم

وهذا يجعل المادة التي كانت قبلاً موجودة في أعماق باطن النجم ، وحرارتها بالملايين تطفو على السطح مما يفسر الارتفاع المفاجيء في درجة لمعان النجم . وباستمرار هذه العملية تتجمع مادة النجم القديم المنهارة في مركزه وينحول إلى قزم أبيض عال الكثافة في حين تبرد الكتل المطرودة تدريجياً وتستمر في التمدد مكونة هذا النوع من السدم الذي نشاهده في « سديم السرطان » .

٣ - التطور المعكوس والكون المتمد :

عند التفكير في الكون ككل نجد أنفسنا في الحال في مواجهة مشاكل حيوية تتعلق بالاحتمالات التي مر بها في زمن التطور . فهل يجب علينا

أن نفترض أنه كان وسيظل دائما على نفس الحال الذي نراه عليه الآن تقريبا ؟ أم أن الكون في حالة تطور مستمر يمر خلالها بعدة مراحل مختلفة ؟

والتأمل في الإجابة التي نعتمد فيها على الحقائق التجريبية الأولية وفي حصاد مختلف أفرع العلوم يقضى بنا الى اجابة قاطعة **فالكون في حالة تطور تدريجي** ، وصورته في الماضي البعيد وحالته في الحاضر وما سيكون عليه في المستقبل تمثل ثلاث مراحل مختلفة تماما من الوجود . وتشير الحقائق العديدة التي جمعت من مختلف أفرع العلوم الى أن كوننا بدأ **بداية معينة** ، ثم تحول الى وضعه الحالي في عملية تطور تدريجية . وكما رأينا من قبل أن عمر نظامنا الكوكبي يقدر ببلايين السنين وهذا الرقم يفرض نفسه علينا نتيجة التصدى لهذه المشكلة واقتحامها على جهات مختلفة . كما أن تكوين القمر كما يتضح لنا مرده الى انتزاع مادته من جسم الأرض تحت تأثير قوى الجاذبية الشمسية العنيفة ، وهذا أمر لا يمكن أن يكون قد تم الا منذ بلايين السنين .

وتشير دراسة تطور بعض النجوم بعينها (انظر الجزء السابق) الى أن أغلب هذه النجوم التي نراها الآن في السماء تبلغ من العمر **عدة بلايين من السنين** أيضا . ودراسة حركة النجوم بصفة عامة وخاصة الحركة النسبية للنظم الثنائية والثلاثية الأنجم ، بالإضافة الى النظم الأكثر تعقيدا وهي المجموعات المعروفة باسم **الحشود المجرية** تؤدي بعلماء الفلك الى استنتاج أن هذه الأشكال لا يمكن أن يزيد عمر وجودها عن مثل هذه الفترات أيضا .

وهناك دليل مستقل تماما نستقيه من اعتبارات الوفرة النسبية لعناصر كيميائية مختلفة ، ولا سيما كميات العناصر المشعة مثل الثوريوم واليورانيوم التي تتحلل تدريجيا . فاذا كانت هذه العناصر لا تزال باقية رغم تحللها المستمر في الكون فلا بد أن نفترض اما أنها تنتج باستمرار من أنوية أقل وزنا حتى وقتنا هذا ، واما أنها البقية الباقية من مخزون كبير صنعته الطبيعة في الماضي البعيد .

وتدفعنا معرفتنا الحالية بقوى التحول النووي الى استبعاد الاحتمال الأول ، والسبب في ذلك أن درجة الحرارة حتى في باطن الأرض أشد النجوم التهابا لا تصل الى الحد المطلوب لـ « طهي » النواة الثقيلة المشعة . والواقع كما رأينا في الجزء السابق أن حرارة النجوم من الداخل تقاس بعشرات الملايين من الدرجات ، ولكن « طهي » الأنوية المشعة الثقيلة باستخدام أنوية أخف منها يتطلب عدة بلايين من الدرجات .

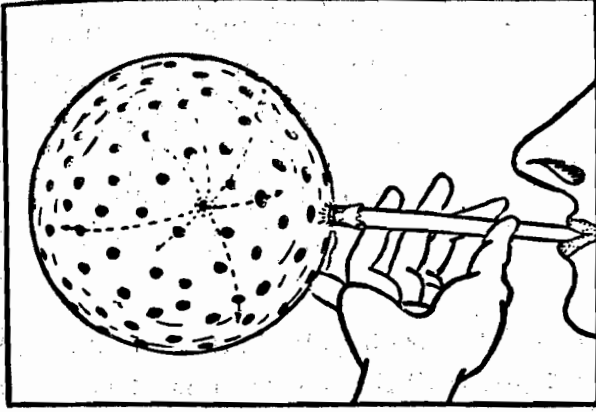
الحد الأحمر من هذا الطيف ، وان هذه الازاحة المعروفة **بالازاحة الحمراء** تكون أقوى في المجرات البعيدة . ووجد في الحقيقة أن « الازاحة الحمراء » في المجرات المختلفة تتناسب طرديا مع بعد المجرة عنا .

وانسب تفسير لهذه الظاهرة أن نفترض أن كافة المجرات تبتعد عنا بسرعة تتزايد كلما زادت المسافة بيننا وبينها . وهذا التفسير يعتمد على ما يطلق عليه « ظاهرة دوبلر » وهي تجعل الضوء الآتي اليها من مصادر تتحرك في اتجاهنا يغير لونه نحو الاتجاه البنفسجي من الطيف والضوء الذي يصلنا من مصادر تبتعد عنا يغير لونه نحو الاتجاه الأحمر من الطيف . وحتى يمكن ملاحظة الازاحة لا بد بالطبع من أن تكون السرعة النسبية للمصدر بالقياس الى موضع الراصد كبيرة الى حد ما . وعندما قبض على بروفييسور « ر.و وود » لاختراقه لاشارة حمراء في بلتيمور وقال للقاضي أن هذه الظاهرة جعلته يرى الاشارة خضراء لأنه كان يقترب منها بسيارته ظن القاضي أنه يسخر منه . ولو كانت معرفة القاضي بالفيزياء أكثر من ذلك لكان قد سأل بروفييسور « وود » أن يحسب السرعة التي لا بد وأن السيارة كانت تسير بها ، وفي هذه الحالة كان سيحكم عليه بغرامة سرعة !

ونعود الى مشكلة الازاحة الحمراء التي ترى في طيف المجرات فنجد أنفسنا أمام نتيجة غير مؤكدة . وتبدو جميع المجرات كما لو كانت تفر من أمام درب التبانة بسرعة وكأنها وحش فضائي مخيف أشبه بفرانكشتين ! فما هي اذن الخواص المخيفة لنظامنا النجمي ولماذا يبدو مختلفا بين المجرات ؟ اذا تفكرت في هذا السؤال قليلا ستجد بسهولة أن مجرتنا لا تختلف في شيء معين عن باقي المجرات ، وأن باقي المجرات لا تفر منها بالذات ولكنها تفر جميعا من بعضها البعض . وتخيل بالونا من المطاط به نقش على هيئة نقاط مطبوعة على سطحه (شكل ١٢٧) فاذا بدأت في نفخه بالتدريج يتمدد سطحه الى أحجام أكبر وأكبر ، وتتباعد المسافات بين كل نقطة والأخرى باستمرار بحيث لو كانت حشرة واقفة على احدى هذه النقاط لظنت أن النقاط الأخرى « تفر بعيدا عنها » . وهذا بالإضافة الى أن سرعة تقهقر النقاط المختلفة على البالون يتمدد سوف تتناسب طرديا مع بعدها عن مكان الحشرة .

وهذا المثال لا شك يوضح تماما أن التقهقر الذي لاحظته « هبل » لا علاقة له بخواص أو موضع مجرتنا ولكن يمكن تفسيره ببساطة على أنه يرجع الى التمدد العام والموحد لنظام المجرات المبعثرة في فضاء الكون .

ويستطيع المرء من معرفة سرعة التمدد والبعد بين المجرات المتجاورة في الوقت الحاضر أن يستنتج أن هذا التمدد لا بد أنه بدأ خمسة بلايين عام خلت (٦) .



(شكل رقم ١٢٧)

النقاط تفر من بعضها عند تمدد البالون

وقبل هذا العصر الذي بدأت السحب النجمية (التي نطلق عليها الآن المجرات) تمثل فيه قطاعات من التوزيعات المتجانسة للنجوم في فضاء الكون ، بل وقبل ذلك أيضا كانت النجوم نفسها منضغطة مع بعضها وتملأ الكون بغازات ساخنة مسعورة . وإذا رجعنا بالزمن الى الوراء أبعد من ذلك سنجد أن هذه الغازات كانت أكبر كثافة وأشد سخونة وقد كان ذلك - أغلب الظن - في الحبة التي تكونت فيها العناصر الكيميائية المختلفة (ولا سيما العناصر المشعة) . وسنسير الى الوراء مع الزمن خطوة أخرى لنجد أن مادة الكون كانت منضغطة في سائل نووي عظيم الكثافة هائل الحرارة (ارجع الى الفصل السابع) .

والآن بجمع هذه الملاحظات نستطيع أن نتبين الحدود الفاصلة التي ميزت مراحل عملية التطور وفقا لترتيبها الزمني الصحيح .

وتبدأ القصة بالمرحلة الجنينية للكون عندما كانت المادة التي نستطيع

(٦) تنص بيانات « هبل » على أن متوسط البعد بين كل مجرتين متجاورتين ١٧ مليون سنة ضوئية (أو 1.7×10^{17} كم) في حين أن سرعة التباعد المتبادل بينها ٣٠٠ كم/ث .

وبافتراض وحدة معدل التمدد يكون الزمن = $\frac{1.7 \times 10^{17}}{300}$ = ٥٠٠ × ١٠^{١٦} ث

= ١.٨ × ١٠^٩ عام وتشير تقديرات أحدث الى أن عمر التمدد أقدم من ذلك .

رؤيتها الآن على مدى البصر بتلسكوب مرصد ويلسون (في حدود نصف قطر مقدار ٥٠٠٥ مليون سنة ضوئية) منضغطة في كرة لا يزيد نصف قطرها عن ٨ أضعاف نصف قطر الشمس (٧) . ورغم ذلك فإن هذه الكثافة الهائلة لم تستمر على حالها فترة طويلة جدا إذ أن التمدد السريع قد أدى بلا شك الى خفض كثافة الكون الى درجة تساوى كثافة الماء مليون مرة في الثابيتين الأوليين ثم الى كثافة الماء العادية في ساعات فلائل . وفي هذا العصر تقريبا لابد أن هذا الغاز المتصل قد تفكك الى كرات غازية منفصلة وهي النجوم الآن . ثم تباعدت هذه النجوم عن بعضها نتيجة التمدد المستمر فتحللت فيما بعد الى سحب نجمية منفصلة وهي التي تسمى الآن بالمجرات ولا تزال تفرض بعضها البعض الى أعماق الكون المجهولة .

والآن نستطيع أن نسأل أنفسنا عن القوى المسؤولة عن تمدد الكون ؟ وهل سيتوقف هذا التمدد أو هل سيتحول الى انكماش ؟ . وهل هناك احتمال في أن كتل الكون المتمدد سوف تنقلب علينا وتضغط نظامنا (درب التبانة) ، ونظامنا النجمي والشمس والأرض والبشر عليها الى فقاعة ذات كثافة نووية ؟

وفقا للاستنتاجات المعتمدة على أفضل المعلومات المتاحة نستطيع القول بأن ذلك يستحيل أن يحدث . فمنذ قديم الزمان عندما بدأت أولى مراحل التطور تمزقت كل الروابط التي ربما كانت مسؤولة عن تماسك الكون وهو الآن يتمدد الى ما لا نهاية بمقتضى قانون القصور الذاتي البسيط . وهذه الروابط كانت تتمثل في قوى الجاذبية التي وقفت حائلا دون تمزق الكون .

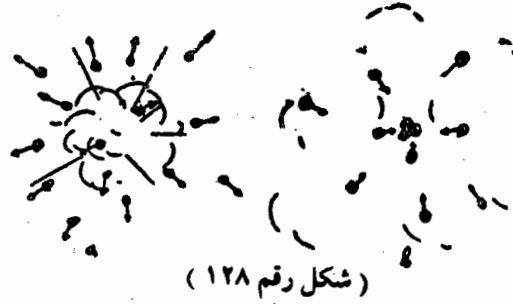
وتصور الآن قذيفة مدفعية تنفجر في الفضاء فترسل شظاياها في كافة الاتجاهات (شكل ١٢٨ أ) . فسوف تطير الشظايا بتأثير الانفجار

(٧) حيث ان كثافة السائل النوى = $\frac{1410}{3}$ ومتوسط كثافة المادة الفضائية

حاليا هي 10^{-30} جم/سم³ فان الانكماش الحظي كان $\sqrt[3]{\frac{1410}{10^{-30}}}$ لذا فان المسافات الحالية وهي 810×5 سنة ضوئية لم تكن تزيد في ذلك الوقت عن 10^{-10} سنة ضوئية = $10^{-10} \times 810 \times 5$

سنة ضوئية = 10^{-10} كم

ضد قوى الجاذبية التي تعمل على ضمها مرة أخرى كما كانت . وبديهي أن طاقة الجذب الكامنة في حالة القذيفة يمكن إهمالها ، فهي من الضعف بحيث تعجز عن التأثير على حركة الشظايا في الفضاء . ومع ذلك فلو كانت هذه القوى أكبر من ذلك ، لاستطاعت أن توقف تطاير الشظايا وتعيدها مرة أخرى الى مركز الجذب المشترك (شكل ١٢٨ ب) .
 والتساؤل عما اذا كانت الشظايا ستعود الى المركز أم ستستمر في مسيرتها لا يمكن معرفة اجابته الا بمعرفة القيم النسبية لطاقتها الحركية ، والطاقة الكامنة للجذب المتبادل (طاقة الوضع) .



واستبدل بشظايا القذيفة المجرات المنفصلة وستجد أمامك صورة للكون المتمدد كما تحدثنا عنه في الصفحات السابقة . وهنا على أية حال تزداد أهمية الضخامة البالغة لشظايا المجرات كل على حدة بالنسبة لطاقتها الحركية (٨) . لذا فان مستقبل التمدد لا يمكن أن يتحدد الا بالدراسة الواعية للقوتين الداخلتين في هذه العملية .

ووفقا لأفضل المتاح من بيانات عن كتل المجرات يبدو أن الطاقة الحركية للمجرات المتباعدة أكبر بعدة مرات من طاقة الوضع المتبادلة بينها مما يترتب عليه أن هذا الكون سيستمر في التمدد الى ما لا نهاية دون أن تكون هناك أي فرصة لانكماشه أو تقاربه مرة أخرى . ومع ذلك ينبغي أن نتذكر أن أغلب البيانات الرقمية الخاصة بالكون ليست دقيقة تماما بصفة عامة . ومن الممكن أن تسفر الدراسات المستقبلية عن عكس هذا الاستنتاج ولكن حتى لو توقف الكون عن التمدد فجأة ، وانقلب اتجاه حركته فسوف يكون أمامه بلايين الأعوام قبل أن يحل هذا اليوم الرهيب الذي وصفته الأغنية الزنجية بـ « يوم تتهاوى النجوم » وقبل أن تسحقنا أوزان المجرات المنهارة ! .

(٨) حيث ان الطاقة الحركية للأجسام المتحركة تتناسب مع كتلتها فان الطاقة الكامنة المتبادلة تتناسب زيادة مع مربع كتلتها .

وما هي هذه القوة الشديدة الانفجار التي أرسلت شظايا الكون بعيدا عن بعضها بمثل هذه السرعة المذهلة ؟ ربما كانت الاجابة مخيبة للآمال :

فربما كان ما حدث ليس انفجارا بالمعنى المعروف . والكون يتمدد الآن لأنه في مرحلة سابقة من تاريخه (ليس لهذه المرحلة أية سجلات بالطبع) كان قد اختزل من لا نهاية الى حالة عالية من الكثافة ، ثم ارتدت كما لو كان مدفوعا بقوى المرونة العالية والكامنة في داخله . ولو دخلت صالة للعبة كرة المنضدة (بنج بونج) فجأة في الوقت الذي كانت الكرة فيه ترتد من الأرض الى السقف سوف تستنتج (دون أن تفكر فعلا) أن الكرة قد سقطت أولا على الأرض في اللحظة السابقة على دخولك ، وكان سقوطها من ارتفاع مناسب ثم قفزت بعد ذلك بسبب مرونتها .

ونستطيع الآن أن نسبح بخيالنا دون حدود وأن نسأل أنفسنا عما اذا كان كل شيء يحدث الآن قد حدث بصورة عكسية أثناء مرحلة الانضغاط الشديد .

وهل كنت تقرا هذا الكتاب من آخر صفحة الى الأولى منذ ثمانية أو عشرة بلايين عاما ؟ وهل كان أهل ذلك العصر يخرجون من أفواههم الدجاج المحمر ثم يعيدونه حيا الى المطبخ ثم يرسلونه الى المزرعة حيث يصغر في السن من مرحلة البلوغ نزولا الى مرحلة البيضة ثم تتحول البيضة بعد بضعة أسابيع الى بيضة طازجة ؟! وهذه الأسئلة التي تبدو لنا طريفة لا يمكن الاجابة عليها من وجهة النظر العملية البحتة ، ذلك لأن مرحلة ضغط الكون النهائية التي ضغطت كل المادة وحولتها الى سائل نووي متجانس لابد أنها طمست كافة آثار مراحل الضغط السابقة .

فهرس

صفحة	
٥	مقدمة الطبعة العربية
٦	مقدمة
١١	الجزء الأول : اللعب بالأعداد
١٣	الفصل الأول : الأعداد الكبيرة
٣٤	الفصل الثاني : الأعداد الطبيعية والأعداد التخيلية
٥٠	الجزء الثاني : الفضاء والزمن أينشتين
٥١	الفصل الثالث : الخواص غير العادية للفضاء
٧٣	الفصل الرابع : العالم رباعي الأبعاد
٩١	الفصل الخامس : نسبية الزمن والفضاء
١١٩	الجزء الثالث : الكون الأصغر
١٢١	الفصل السادس : النزول من على السلم
١٥٣	الفصل السابع : الكيمياء الحديثة
١٩١	الفصل الثامن : قانون الفوضى
٢٢٧	الفصل التاسع : لغز الحياة
٢٦١	الجزء الرابع : الكون الأكبر
٢٦٣	الفصل العاشر : آفاق غير محدودة
٢٨٩	الفصل الحادي عشر : أيام الخلق



131
 132
 133
 134
 135
 136
 137
 138
 139
 140
 141
 142
 143
 144
 145
 146
 147
 148
 149
 150
 151
 152
 153
 154
 155
 156
 157
 158
 159
 160
 161
 162
 163
 164
 165
 166
 167
 168
 169
 170
 171
 172
 173
 174
 175
 176
 177
 178
 179
 180
 181
 182
 183
 184
 185
 186
 187
 188
 189
 190
 191
 192
 193
 194
 195
 196
 197
 198
 199
 200
 201
 202
 203
 204
 205
 206
 207
 208
 209
 210
 211
 212
 213
 214
 215
 216
 217
 218
 219
 220
 221
 222
 223
 224
 225
 226
 227
 228
 229
 230
 231
 232
 233
 234
 235
 236
 237
 238
 239
 240
 241
 242
 243
 244
 245
 246
 247
 248
 249
 250
 251
 252
 253
 254
 255
 256
 257
 258
 259
 260
 261
 262
 263
 264
 265
 266
 267
 268
 269
 270
 271
 272
 273
 274
 275
 276
 277
 278
 279
 280
 281
 282
 283
 284
 285
 286
 287
 288
 289
 290
 291
 292
 293
 294
 295
 296
 297
 298
 299
 300
 301
 302
 303
 304
 305
 306
 307
 308
 309
 310
 311
 312
 313
 314
 315
 316
 317
 318
 319
 320
 321
 322
 323
 324
 325
 326
 327
 328
 329
 330
 331
 332
 333
 334
 335
 336
 337
 338
 339
 340
 341
 342
 343
 344
 345
 346
 347
 348
 349
 350
 351
 352
 353
 354
 355
 356
 357
 358
 359
 360
 361
 362
 363
 364
 365
 366
 367
 368
 369
 370
 371
 372
 373
 374
 375
 376
 377
 378
 379
 380
 381
 382
 383
 384
 385
 386
 387
 388
 389
 390
 391
 392
 393
 394
 395
 396
 397
 398
 399
 400
 401
 402
 403
 404
 405
 406
 407
 408
 409
 410
 411
 412
 413
 414
 415
 416
 417
 418
 419
 420
 421
 422
 423
 424
 425
 426
 427
 428
 429
 430
 431
 432
 433
 434
 435
 436
 437
 438
 439
 440
 441
 442
 443
 444
 445
 446
 447
 448
 449
 450
 451
 452
 453
 454
 455
 456
 457
 458
 459
 460
 461
 462
 463
 464
 465
 466
 467
 468
 469
 470
 471
 472
 473
 474
 475
 476
 477
 478
 479
 480
 481
 482
 483
 484
 485
 486
 487
 488
 489
 490
 491
 492
 493
 494
 495
 496
 497
 498
 499
 500
 501
 502
 503
 504
 505
 506
 507
 508
 509
 510
 511
 512
 513
 514
 515
 516
 517
 518
 519
 520
 521
 522
 523
 524
 525
 526
 527
 528
 529
 530
 531
 532
 533
 534
 535
 536
 537
 538
 539
 540
 541
 542
 543
 544
 545
 546
 547
 548
 549
 550
 551
 552
 553
 554
 555
 556
 557
 558
 559
 560
 561
 562
 563
 564
 565
 566
 567
 568
 569
 570
 571
 572
 573
 574
 575
 576
 577
 578
 579
 580
 581
 582
 583
 584
 585
 586
 587
 588
 589
 590
 591
 592
 593
 594
 595
 596
 597
 598
 599
 600
 601
 602

● ● كتب صدرت عن مشروع الألف كتاب (الثاني)

المؤلف	اسم الكتاب
برتراند رسل	١ - أحلام الأعلام وقصص أخرى
ي . رادونسكايا	٢ - الألكترونيات والحياة الحديثة
ألدس هكسلي	٣ - نقطة مقابل نقطة
ت . و . فريمان	٤ - الجغرافيا فى مائة عام
رايموند وليامز	٥ - الثقافة والمجتمع
ر . ج . فوربس	٦ - تاريخ العلم والتكنولوجيا . ج ٢ . القرن الثامن عشر والتاسع عشر
ليستر ديل راي	٧ - الأرض الغامضة
والتر ألن	٨ - الرواية الانجليزية
لويس فارجاس	٩ - المرشد الى فن المسرح
فرانسوا دوماس	١٠ - آلهة مصر
د . قدرى حفى وأخرون	١١ - الانسان المصرى على الشاشة
أولج فولكف	١٢ - القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة
هاشم النحاس	١٣ - الهوية القومية فى السينما العربية
ديفيد وليام ماكداول	١٤ - مجموعات النقود
عزيز الشوان	صيانتها . . تصنيفها . . عرضها
جون لويس	١٥ - الموسيقى - تعبير نغمى - ومنطق
بول ويست	١٦ - عصر الرواية - مقال فى النوع الأدبى
د . عبد المعطى شعراوى	١٧ - ديLAN توماس
أنور المعداوى	مجموعة مقالات نقدية
بيل شول وأدنييت	١٩ - الرواية الحديثة . الانجليزية - والفرنسية ج ١
د . صفاء خلوصى	٢٠ - المسرح المصرى المعاصر . أصله وبدائته
	٢١ - على محمود طه . الشاعر والانسان
	٢٢ - القوة النفسية للأهرام
	٢٣ - فن الترجمة

- المؤلف**
- ٢٤ - تولستوى
- ٢٥ - ستندال
- ٢٦ - رسائل وأحاديث من المنفى
- ٢٧ - الجزء والكل (محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية)
- ٢٨ - التراث الغامض ماركس والماركسيون
- ٢٩ - فن الأدب الروائى عند تولستوى
- ٣٠ - أدب الأطفال . (فلسفته - فنونه - وسائطه)
- ٣١ - أحمد حسن الزيات . كاتبنا وناقدا
- ٣٢ - أعلام العرب فى الكيمياء
- ٣٣ - فكرة المسرح
- ٣٤ - الجحيم
- ٣٥ - صنع القرار السياسى فى منظمات الادارة العامة
- ٣٦ - التطور الحضارى للانسان (ارتقاء الانسان)
- ٣٧ - هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟
- ٣٨ - تربية الدواجن
- ٣٩ - الموتى وعالمهم فى مصر القديمة
- ٤٠ - النحل والطب
- ٤١ - سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى
- ٤٢ - سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤
- ٤٣ - كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة
- ٤٤ - الصحافة
- ٤٥ - أثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلى
- ٤٦ - الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها
- ٤٧ - حركة عدم الانحياز فى عالم متغير
- ٤٨ - الفكر الأوروبى الحديث
- ٢٢٦

- المؤلف
- ٢٤ - تولستوى
- ٢٥ - ستندال
- ٢٦ - رسائل وأحاديث من المنفى
- ٢٧ - الجزء والكل (محاورات فى مضمار الفيزياء الذرية)
- ٢٨ - التراث الغامض ماركس والماركسيون
- ٢٩ - فن الأدب الروائى عند تولستوى
- ٣٠ - أدب الأطفال • (فلسفته - فنونه - وسائطه)
- ٣١ - أحمد حسن الزيات • كاتبنا وناقدا
- ٣٢ - أعلام العرب فى الكيمياء
- ٣٣ - فكرة المسرح
- ٣٤ - الجحيم
- ٣٥ - صنع القرار السياسى فى منظمات الادارة العامة
- ٣٦ - التطور الحضارى للانسان (ارتقاء الانسان)
- ٣٧ - هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال ؟
- ٣٨ - تربية الدواجن
- ٣٩ - الموتى وعالمهم فى مصر القديمة
- ٤٠ - النحل والطب
- ٤١ - سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى
- ٤٢ - سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ازاء مصر ١٨٣٠ - ١٩١٤
- ٤٣ - كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة
- ٤٤ - الصحافة
- ٤٥ - أثر الكوميديا الالهية لدانتى فى الفن التشكيلى
- ٤٦ - الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها
- ٤٧ - حركة عدم الانحياز فى عالم متغير
- ٤٨ - الفكر الأوروبى الحديث
- ٢٢٦

- ٤٩ - الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي
شوكت الربيعي
١٩٨٥ - ١٩٨٥
- ٥٠ - التنشئة الأسرية والأبناء الصغار
د . محيي الدين أحمد حسين
- ٥١ - نظريات الفيلم الكبرى
تأليف : ج . دارلي أندرو
- ٥٢ - مختارات من الأدب القصصي
جوزيف كونراد
- ٥٣ - الحياة في الكون كيف نشأت وأين توجد ؟
د . جوهان دورشتر
- ٥٤ - مبادرة الدفاع الاستراتيجي
حرب الفضاء (دراسة تحليلية لأسلحة
واستراتيجيات حرب الفضاء)
- ٥٥ - ادارة الصراعات الدولية (دراسة في
سياسات التعاون الدولي)
- ٥٦ - الميكروكمبيوتر
د . مصطفى عناني
- ٥٧ - مختارات من الأدب الياباني (الشعر -
الدراما - الحكاية - القصة القصيرة)
مجموعة من الكتاب
اليابانية القديما والمحدثين
- ٥٨ - الفكر الأوروبي الحديث . ج ٢
(الاتصال والتغير في الأفكار) من
١٦٠٠ - ١٩٥٠
فرانكلين ل . باومر
- ٥٩ - تاريخ ملكية الأراضي في مصر الحديثة
جابريل باير
- ٦٠ - أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة
أنطوني دي كرسبني
وكينيت مينوج
- ٦١ - الفكر الأوروبي الحديث . ج ٣
فرانكلين ل . باومر
- ٦٢ - كتابة السيناريو للسينما
دوايت سوپين
- ٦٣ - الزمن وقياسه
زافيلسكي ف . س
- ٦٤ - أجهزة تكييف الهواء
ابراهيم القرضاوي
- ٦٥ - الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعي
بيتر رداي
- ٦٦ - سبعة مؤرخين في العصور الوسطى .
جوزيف داهموس
- ٦٨ - مراكز الصناعة في مصر الاسلامية
س . م بورا
- ٦٩ - العلم والطلاب والمدارس
د . عاصم محمد رزق
رونالد د . سمبسون
- ٧٠ - الشارع المصري والفكر .
و نورمان د . أندرسون
د . أنور عبد الملك

- ٧١ - حوار حول التنمية والت روستو
- ٧٢ - تبسيط الكيمياء فريد هيس
- ٧٣ - العادات والتقاليد المصرية مون بوركهارت
- ٧٤ - التذوق السينمائي آلان كاسبر
- ٧٥ - التخطيط السياحي سامي عبد المعطي
- ٧٦ - البذور الكونية فريد هويل
- ٧٧ - دراما الشاشة شندرا ويكرا ماسينغ
- ٧٨ - الهيروين والايدز حسين حلمي المهندس
- ٧٩ - الفكر الأوروبي الحديث ج ٤ فرانكلين ل. بلومر
- ٨٠ - نجيب محفوظ على الشاشة هاشم النحاس
- ٨١ - صور افريقية دوركاس ماكلينتوك
- ٨٢ - الكمبيوتر في مجالات الحياة د. محمود سرى طه
- ٨٣ - دراما الشاشة ج ٢ حسين حلمي المهندس
- ٨٤ - المخدرات حقائق اجتماعية ونفسية بيتر لوري
- ٨٥ - وظائف الأعضاء من الألف الى الياء بوريس فيدوروفيتش سيرجيف
- ٨٦ - الهندسة الوراثية ويليام بينز
- ٨٧ - تربية أسماك الزينة ديفيد الدرتون
- ٨٨ - كتب غيرت الفكر الانساني أحمد محمد الشنواني
- ٨٩ - الفلسفة وقضايا العصر ج ١ جمعها : جون . ر . بورر
- ٩٠ - الفكر التاريخي عند الاغريق : وميلتون جولد ينجر
- ٩١ - قضايا وملامح الفن التشكيلي آرنولد توينبي
- ٩٢ - التغذية في البلدان النامية د. صالح رضا
- ٩٣ - الفلسفة وقضايا العصر ج ٢ م . ه . لنج واخرون
- جمعها : جون . ر . بورر وميلتون جولد ينجر





بعد هذا الكتاب من أشهر الكلاسيكات العلمية التي تؤرخ
لتطور علم الفيزياء الحديثة حتى منتصف القرن العشرين
وهي الفترة التي ظهرت فيها أروع نظريتين علميتين وهما
النسبية وميكانيكا الكم اللتين تشكلان أساس المحاولات
الحديثة للوصول إلى نظرية موحدية العامة .

وعلى الرغم من الفه القارئ الحديث لاسم هذه النظرية
"النسبية" واسم واضعها أينشتاين وكلمة "البعد الرابع" إلا أننا
نجد صعوبة في فهم هذا التداخل الشريب لعنصر الزمن في
تشكيل رؤيتنا للأشياء وهذا هو الانجاز الحقيقي للكتاب ، إذ
إنه يوضح للقارئ صورة الكون الرباعي الأبعاد الذي يدخل
فيه الزمن كبعد رابع . وقد نال مؤلف هذا الكتاب جائزة
ليوناردو في مجال تبسيط العلوم .